

تراثنا

صنعة الإنشائية

في
صناعة الإنشائية

تأليف

أبي العباس أحمد بن علي الفلبيشندي

٢١٤١٨ - ٥٨٤١



الجزء الثامن

نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية
ومذيلة

تصويبات واستدراكات وفهارس تفصيلية
مع دراسة واقية

وزارة الثقافة والارشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

**Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.**

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ





تراثنا

صنعة الإنشأ

في

صناعة الإنشأ

تأليف

أبي العباس أحمد بن علي الفلّيشندي

١٥٨٤١ هـ - ١٤١٨ م

الجزء الثامن

نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية
ومذيلة

بتصويبات واستدراكات وفهارس تفصيلية
مع دراسة وافية

وزارة الثقافة والارشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

- المقصد الثالث - في المكتبة إلى أهل الجانب الجنوبي : من العرب
 والسودان ، وفيه ثلاث جمل ٥
- الجملة الأولى - في المكتبة إلى من بهذا الجانب من العربان ... ٥
- » الثانية - » مسلمى ملوك السودان ٦
- » الثالثة - » ملوك المسلمين بالحيشة ١١
- المقصد الرابع - » » أهل الجانب الشمالى ، وفيه ثلاثة
 أطراف ١٢
- الطرف الأول - في المكتبات إلى أمراء الأتراك ببلاد الروم المسماة
 الآن ببلاد الدروب ١٢
- » الثانى - في المكتبة عن ملوك الديار المصرية إلى ملوك الكفر ٢٥
- » الثالث - » إلى من وراء بحر القسوم ، ويشتمل على
 أربعة مقاصد ٢٦
- المقصد الأول - في المكتبة إلى ملوك الكفار ببلاد الشرق ... ٢٧
- » الثانى - » » » » » المسرب من
 جزيرة الأندلس وما والاها ٣٣
- » الثالث - في المكتبة إلى ملوك الكفار بالجانب الجنوبي ... ٣٩
- » الرابع - » » » » » الشمالى من
 الروم والفرنجية على اختلاف أجناسهم ٤٢
- الفصل الخامس - من الباب الثانى من المقالة الرابعة فى الكتب
 الواردة على الأبواب السلطانية من أهل المملكة
 وغيرها ، وفيه نوعان ٥٤

صفحة

- النوع الأول - المكاتبات الواردة عن ملوك المسلمين ، وهي
 على قسمين ٥٤
- القسم الأول - في الكتب الواردة عن أهل هذه المملكة بالديار
 المصرية والبلاد الشامية ، وفيه ضربان ٥٤
- القسم الثاني - في الكتب الواردة على الأبواب السلطانية عن
 أهل الممالك الإسلامية ، ويشتمل على أربعة
 مقاصد ٦٢
- المقصد الأول - في الكتب الواردة عن أهل الشرق ، وفيه أطراف ٦٣
 الطرف الأول - الكتب الواردة عن القنوات العظام من بني
 جنكزخان ٦٣
- » الثاني - في المطالعات الواردة إلى الأبواب السلطانية عن
 أهل الشرق ٧١
- » الثالث - في رسم المكاتبات الواردة عن صاحب اليمن إلى
 هذه المملكة ٧٢
- » الرابع - في الكتب الواردة إلى الأبواب السلطانية عن
 ملوك الهند ٧٦
- المقصد الثاني - في المكاتبات الواردة عن ملوك الغرب ، وفيه جمل ٧٨
 الجملة الأولى - في المكاتبة الواردة عن صاحب تونس ٧٩
- » الثانية - في المكاتبات الواردة عن صاحب تلمسان من
 بني عبد الواد ٨٤
- » الثالثة - في المكاتبات الواردة عن صاحب فاس ٨٧
- » الرابعة - في عادة الكتب الواردة عن صاحب الأندلس ... ١٠٦

صفحة

- المقصد الثالث - في رسم المكاتبات الواردة عن ملوك السودان ،
 وفيه ثلاثة أطراف ١١٥
- الطرف الأول - في المكاتبات إلى صاحب مالي ١١٥
- » الثاني - » الصادرة عن صاحب البرنو ١١٦
- » الثالث - » عن ملك الكانم ١١٩
- المقصد الرابع - في الكتب الواردة من الجانب الشمالى وهى
 بلاد الروم ١١٩
- النوع الثانى - [كتب خطأ القسم الثالث] من المكاتبات الواردة إلى
 هذه المملكة الكتب الواردة عن ملوك الكفار،
 وهى على أربعة أضرب ١١٩
- الفصل السادس - من الباب الثانى من المقالة الرابعة فى رسوم
 المكاتبات الإخوانيات، وفيه طرفان ١٢٦
- الطرف الأول - فى رسوم إخوانيات السلف من الصحابة والتابعين ١٢٦
- » الثانى - » الإخوانيات المحدثه بعد السلف، وفيه
 ثلاثة مقاصد ١٢٧
- المقصد الأول - فى رسوم إخوانيات أهل المشرق، وفيه أربعة مهايع ١٢٧
- المهيع الأول - فى صدور الابتداءات ١٢٧
- » الثانى - فى الأجوبة على هذا المصطلح ١٣٩
- » الثالث - فى خوامم الإخوانيات على هذا المصطلح ١٤١
- » الرابع - فى عنوانات الكتب على هذا المصطلح ١٤٤

فهرس الجزء الثامن

صفحة	
١٤٨	المقصد الثاني - في رسوم إخوانيات أهل المغرب ، وفيه جملتان ...
١٤٨	الجملة الأولى - في مفتحات المكاتبات على اصطلاحهم ، وفيها مهيعان
١٥٤	المهيع الأول - في ابتداء المكاتبات
١٥٨	» الثاني - في الأجوبة
١٥٩	الجملة الثانية - في خواتم المكاتبات على اصطلاحهم
	المقصد الثالث - في الإخوانيات المستعملة بالديار المصرية ، وفيه
١٦٠	ثلاثة مصطلحات
	المصطلح الأول - ما كان الأمر عليه في الدولة الطولونية ... وفيه
١٦٠	ثلاثة مهايح
١٦٠	المهيع الأول - في الصدور
١٦٦	» الثاني - في خواتم الكتب
١٦٦	» الثالث - في عنوانات الكتب
	المصطلح الثاني - من مصطلحات الديار المصرية ما كان عليه الحال
١٦٧	في الدولة الأيوبية
	» الثالث - من مصطلحات الديار المصرية في الإخوانيات
١٦٨	ما جرى عليه الاصطلاح في الدولة التركية ، وفيه مهيعان
	المهيع الأول - في رتب المكاتبات المصطلح عليها ... وهي
١٦٨	على قسمين
١٧١	النسم الأول - الآبتهاءات
	» الثاني - من المكاتبات الإخوانيات الدائرة بين أعيان
٢١٢	الملكية وأكابر أهل الدولة الأجوبة
	المهيع الثاني - في بيان رتب المكتوب عنهم والمكتوب إليهم من
٢١٧	أعيان الدولة

صفحة	الفصل السابع - من الباب الثاني من المقالة الرابعة في مقاصد
٢٣٣	المكاتبات، وهي قسمان
٢٣٣	القسم الأول - مقاصد المكاتبات السلطانية، وهي على نوعين ...
	النوع الأول - ما يكتب عن الخلفاء والملوك، وهو على ثلاثة
٢٣٣	أضرب صوابه أربعة
	الضرب الأول - ما يكتب عن الخلفاء والملوك ومن ضاهاهم، وهو
٢٣٣	على أصناف
٢٣٣	الصف الأول - الكتب بانتقال الخلافة إلى الخليفة
٢٤٤	« الثاني - من الكتب السلطانية الكتب في الدعاء إلى الدين
٢٤٦	« الثالث - « « « بالحث على الجهاد
	« الرابع - « « « في الحث على لزوم
٢٥٢	الطاعة وذم الخلاف
	« الخامس - من الكتب السلطانية الكتب إلى من نكث
٢٥٩	العهد من المخالفين
٢٦٣	« السادس - من الكتب السلطانية الكتب إلى من خلع الطاعة
٢٧٤	« السابع - الكتب في الفتوحات والظفر
٢٩٠	« الثامن - المكاتب بالاعتذار عن السلطان في الهزيمة
٢٩٩	« التاسع - المكاتب بتوبيخ المهزوم
٣٠٣	« العاشر - في المكاتبات بالتضييق على أهل الجرائم
٣٠٦	« الحادي عشر - الكتب في النهي عن التنازع في الدين
٣٠٨	« الثاني عشر - المكاتب بالأوامر والنواهي
٣١٠	« الثالث عشر - المكاتبات عند حدوث الآيات السماوية
٣١٢	« الرابع عشر - « في التنبيه على شرف مواسم العبادة الخ

صفحة	
	الصف الخامس عشر - المكاتبه بالسلامة فى الركوب فى المواسم والأعياد... .. ٣١٣
	« السادس عشر - المكاتبه بالبشارة بوفاء النيل والبشارة بالسلامة فى الركوب لفتح الخليج ... ٣٢٨
	« السابع عشر - فيما يكتب فى البشارة بركوب الميدان الكبير الخ ٣٣٣
	« الثامن عشر - المكاتبه بالبشارة بحج الخليفة ... ٣٣٦
	« التاسع عشر - الكتابة بالإنعام بالتشريف والخلع ... ٣٣٩
	« العشرون - المكاتبه بالتنويه والتلقيب ... ٣٤١
	« الحادى والعشرون - المكاتبه بالإحماذ والإذمام ... ٣٤٦
	« الثانى والعشرون - ما يكتب مع الإنعام لنواب السلطنة بالخيال والجوارح ... ٣٥١
	« الثالث والعشرون - المكاتبه بالبشارة عن الخليفة بولد رزقه ... ٣٥٦
	« الرابع والعشرون - ما يكتب عن السلطان بالبشارة بعافيته من مرض ... ٣٥٧
	الضرب الثانى - من مقاصد المكاتب السلطانية ما يكتب عن السلطان فى الجواب ... ٣٥٨
	« الثالث - من الكتب السلطانية الكتب الصادرة عن نواب السلطنة الخ ... ٣٥٩
	« الرابع - من المكاتب السلطانية ما يكتب عن النواب والأتباع إلى الخليفة أو السلطان، وفيه مهيعان ... ٣٦٦
	المهيع الأول - فى الأجوبة عن الكتب السلطانية ... ٣٦٦
	« الثانى - من مقاصد المكاتب السلطانية ما يكتب به عن نواب السلطان والأتباع إلى السلطان ابتداء ... ٣٩٠

(تم فهرس الجزء الثامن من كتاب صبح الأعشى)

صنعة الإنشاء

في

صناعة الإنشاء

تأليف

أبي العباس أحمد بن علي الفلّسّندي

١٥٨٤ - ١٤٢٨ م

الجزء الثامن

نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية
ومذيلة

بتصويبات واستدراكات وفهارس تفصيلية
مع دراسة واقية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

وصلی اللہ علی سیدنا محمد وآلہ وصحبہ

المقصد الثالث

فی المکتبۃ إلی أهل الجانب الجنوبيّ من : حرت العادۃ بالمکتبۃ إلیه
من العرب والسودان ، وفيه ثلاث جمل

الجملة الأولى

(فی المکتبۃ إلی من بهذا الجانب من العربان)

وقد ذکر فی " التثقیف " من کُتِبَ منهم جماعةً بالطُرُقَاتِ الموصلة من الدیار
المصریة إلی بلاد الحبشة وغيرها . ثم قال : ولعلّ هؤلاء أيضا من عربان الممالک
المحروسة ، غیر أنه لإقطاعاتِ لهم ، وعدّ منهم ثمانية أشخاص ، و ذکر أنه کتب
إلی کل منهم الأسم ومجلس الأمير :

الأول - سَمْرَةَ بن کاملِ العامریّ .

الثانی - عَبَّاد بن قاسم .

الثالث - کمال بن سِوَار . قال : وهو مستحدث المکتبۃ فی العشر الأول من

جمادی الأولى سنة ثلاث وستین وسبعائة .

الرابع - جُنَید : شیخُ الجَوَابرة من الهکاريّة بأبواب النوبة . قال : وهو

مستحدث المکتبۃ فی سنة تسع وستین وسبعائة .

الخامس — شَرِيف : شيخ النَّمَانِمَة ، بأبواب النُّوبَة أيضاً ، ومكاتبته
مستجدة حينئذ .

السادس — عليّ : شيخ دُعَيْم .

السابع — زاملُ الثاني .

الثامن -- أبو مَهَنَّا العِمْرَانِيّ .

الجملة الثانية

(في المكاتبَة إلى مسلمي ملوك السودان ، وهم أربعة ملوك)

الأول — ملك النُّوبَة . وهو صاحب مدينة دُنْقَلَة : وقد تقدم الكلامُ عليها
مستوفى في الكلام على المقالة الثانية في "المسالك والممالك" . قال في "التعريف" :
وهو رعيّة من رعايا صاحب مصر ، وعليه حملٌ مقرّرٌ يقوم به في كل سنة ، ويُخطب
[بيلاده] ^(١) لخليفة العصر ، وصاحب مصر .

قلت : هذا كان في الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون» وهذه الإتاوة كانت مقررةً
عليهم من زمن الفتح ، في إمارة عمّرو بن العاص رضى الله عنه ، ثم صارت تنقطع
تارةً وتُحمّلُ أخرى ، بحسب الطاعة والعصيان . وهي الآن مملكةٌ مستقلةٌ بذاتها ،
ولذلك أوردتُ مكاتبته صاحبها في جملة الملوك :

ورسم المكاتبَة إليه إن كان مسلماً على ما ذكره في "التعريف" :

صدرتُ هذه المكاتبَة إلى المجلس الجليل ، الكبير ، الغازي ، المجاهد ، المؤيد ،
الأوحد ، العُضد ، مجد الإسلام ، زين الأنام ، نحر المجاهدين ، عمدة الملوك
والسلاطين .

(١) الزيادة من "التعريف" .

وذكر ذلك في «التثيف» نقلا عنه . ثم قال : ولم أجد له مكتبة متداولة بين الجماعة . قال : ولم يكتب له شيء في مدة مباشرتي بديوان الإنشاء ، ولم يزد على ذلك .

ورأيت في الدستور المنسوب للمقر العلاءي بن فضل الله أن مكاتبته هذه المكتبة أيضا ، وأنه يقال بعد عمدة الملوك والسلاطين : «أدام الله سعادته ، وبلغه في الدارين إرادته ، نتضمن إعلامه كيت وكيت ، فيتقدم بكذا وكذا ، فيحيط علمه بذلك» . ثم قال : والمكتبة إليه في قطع العادة ، والعلامة «أخوه» ولا يخفى أن العنوان بالألقاب ، ويظهر أن التعريف «صاحب دنقلة» .

الثاني - ملك البرنو . قال في «التعريف» : وبلاده تحدد بلاد [ملك] التكرور من الشرق ، ثم يكون حدها من الشمال بلاد [صاحب] أفريقية ، ومن الجنوب الهنج . وقد تقدم الكلام عليها مستوفى في المقالة الثانية في الكلام على المسالك والممالك . ولم يذكر هذه المملكة في «مسالك الأبصار» . قلت : وملكها يزعم أنه من ذرية سيف بن ذي يزن ملك اليمن على ماورد به كتابه في أواخر المائة السابعة . ورسم المكتبة إليه على ما ذكره في «التعريف» :

أدام الله تعالى نصر الجناح الكريم ، العالی ، الملك الجليل ، الكبير ، العالم ، العادل ، الغازي ، المجاهد ، الهمام ، الأوحد ، المظفر ، المنصور ، عز الإسلام . (من نوع ألقاب ملك التكرور) : يعنى شرف ملوك الأنام ، ناصر الغزاة والمجاهدين . زعيم جيوش الموحدين ، جمال الملوك والسلاطين ، ظهير الإمام ، عضد أمير المؤمنين الملك فلان . ويدعى له بما يناسبه . وبعد إهداء السلام والتشوق هذه المناوضة تبدى . على ماسياتي ذكره في مكاتبته .

(١١) زيادة من «التعريف» .

وهذا صدر يليق به : ولا زالت هم سلطانة غير مقصره، ووفود حجه غير محصره، وسيفه في سواد من جاوره من أعدائه الكفار يقول: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ صدرت، ولها مثل مسكة أفيقه عبق، وعبرة طينته سواد إلا أنه من السواد اليق، وشبيهة ملكه الذي يفديه سواد الحدق. أوجها وده أسكنه [مسكنه^(١)] من سويداء القلب لا يريم، وأراد غرة الصبح الوضاح تحت طرة الليل البهيم . وحكى ذلك عنه في "التثقيف" ولم يزد عليه . ورأيت في الدستور المنسوب للتمر العلاءي بن فضل الله أن مكاتبه في قطع الثلث، والعلامة «أخوه» وتعريفه «صاحب برنو» .

قلت : ووصل من هذا الملك كتاب في الدولة الظاهرية (برقوق) يتشكى فيه من عرب جذام المجاورين له ؛ ويذكر أنهم أخذوا جماعة من أقاربه بأعوهم في الأقطار، وسأل الكشوف عن خبرهم ، والمنع من بيعهم بمصر والشام ؛ وأرسل هدية صالحة من زنبق وغيره . وكتب جوابه بخط زين الدين طاهر : أحد كتاب الدست . صدره : أعز الله تعالى جانب الجناح الكريم، العالی، الملك الجليل، العالم، العادل، الغازي، المجاهد، الهام، الأوحيد، المظفر، المنصور، المتوكل، نخر الدين أبي عمرو عثمان بن إدريس : عز الإسلام ، شرف ملوك الأنام، ناصر الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدين، جمال الملوك والسلاطين، سيف الجلالة، ظهير الإمامه . وبعث إليه به مع رسوله الوارد صُحبة المجمع ، فأعيد وقد كتب الجواب على ظهره بعد سنة أو سنتين .

الثالث - ملك الكانم . قال في "مسالك الأبصار" : وقاعدة الملك منها بلدة أسمها «جيمي» ومبدأ مملكته من جهة مصر بلدة أسمها «زلا» وأجرها طولاً بلدة

(١) الزيادة من "التعريف" ص ٢٩ .

يقال لها « كَاكَا » وبينهما نحو ثلاثة أشهر . قال : وعسكرهم يتلثمون ، ومليكم على حقايرة سلطانه ، وسوء بقعة مكانه ، في غاية لا تدرك من الكبرياء ، يمسح برأسه عنان السماء ، مع ضعف أجناده ، وقلة متحصلي بلاد ، محبوب ، لا يراه أحد إلا في يوم العيدين بكرة وعند العصر ، وفي سائر السنة لا يكلمه أحد ولو كان أميرا إلا من وراء حجاب .

وقال في "التعريف" ملوكها من بيت قديم في الإسلام ، وجاء منهم من ادعى النسب العلوي في بني الحسن ، وهو يمتدح بمذهب الشافعي . ورسم المكاتبه إليه على ما ذكره في "التعريف" كرسم مكاتبه صاحب البرنو ، بدون الكريم ، وتبعه على ذلك في "التثقيف" ناقلا له عنه . ثم قال : ولم أطلع على مكاتبه له غير الذي قد ذكره .

الرابع - ملك مالي . قال في "مسالك الأبصار" وهي في نهاية الغرب متصلة بالبحر المحيط ، وقاعدة الملك بها بنى . وهي أعظم ممالك السودان ، وقد تقدم في المقالة الثانية في الكلام على المسالك والممالك ذكر أحوالها ، وما تيسر من ذكر ملوكها ، وأن مالي أسم للإقليم ، والتكرور مدينة من مدنه ، وكان ملكها في الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون » منسا موسى ، ومعنى منسا السلطان .

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" أنه وصل منه كتاب عن نفسه لنفسه فيه (١) ناموسا ، وأنه وصل إلى الديار المصرية حاجا ، واجتمع بالسلطان الملك الناصر ، فقام له وتلقاه ، وأكرمه وأحسن نزله ، على ما هو مبسوط في موضعه .

(١) عبارة "المسالك" في الكلام على مملكة مالي نصها « ولقد جاء كتاب من هذا السلطان إلى الحضرة السلطانية بمصر وهو بالخط المغربي في ورق عريض ، السطر إلى جانب السطر وهو يمك فيه ناموسا لنفسه » ففعل ما في الأصل هكذا « عن نفسه وهو يمك لنفسه الخ » فتدبر .

قال في "التعريف": "وملك التكرور هذا يدعى نسبا إلى عبد الله بن صالح
ابن الحسن، بن علي، بن أبي طالب .

ورسم المكاتبه إليه على ما ذكره في "التعريف": «أدام الله تعالى نصر المقتدر
العالى، السلطان، الجليل، الكبير، العالم، العادل، المجاهد، المؤيد، الأوحى،
عز الإسلام، شرف ملوك الأنام، ناصر الغزاة والمجاهدين، زعيم جيوش الموحدين،
جمال الملوك والسلاطين، سيف الجلالة، ظهير الإمامة، عضد أمير المؤمنين»
الملك فلان . ويدعى له بما يناسب . وبعد إهداء السلام والتشوق «هذه
المفاوضة تبدي» .

قال : ولا يعرض له ولا يقرب شئ من الألقاب الدالة على النسب العلوى .
وهذا صدر لهذه المكاتبه ذكره في "التعريف" .

ويسر له القيام بفرضه ، وأحسن له المعاملة في قرضه ، وكثر سواده الأعظم
وجعلهم بيض الوجوه يوم عرضه ، ومتعه بملك يجد الحديد يجف سمائه والذهب
نبات أرضه . صدرت هذه المفاوضة وصدورها به مملوء ، وشكرها عليه يجلو ، ومن أيا
حبه في القلوب سر كل فؤاد ، وسبب ما حلي به الطرف والقلب من السواد ؛ تنزل
به سفنها المسيرة في البحر وترسى ، وتحل عند ملك ينقص به زائده وينسى موسى
منسى ، وتقيم عليه والدهر لا يطرقه فيما ينوب ، والفكر لا يشوقه إلا إذا هبت صبا
من أرضه أو جنوب .

والتداول بين جماعة كتاب الإنشاء أن المكاتبه إليه : «عز الله تعالى جانب
الجناب الكريم العالى، الملك، الجليل، العالم، العادل، المجاهد، المؤيد، المرابط،
المتأخر، العابد، الناسك، الأوحى، فلان، دُخر الإسلام والمسلمين، نُصرة الغزاة

والمجاهدين، عَوْنِ جُيُوشِ المُوَحِّدِينَ؛ رُكْنِ الأُمَّةِ، عمادِ المِلَّةِ، جمالِ الملوِكِ
والسلاطين، ولىِّ أميرِ المؤمنِينَ» والدعاء .

وذكر نحو ذلك في الدستور المنسوب للقر العلاءي بن فضل الله؛ ثم قال ويقال :
«صَدَرَتْ هذه المَكاتِبَةُ إلى الجَنابِ العالى مملوءة الصَدْرِ بِسُكْرِهِ، بِاسْمَةِ الشَّعْرِ بِرَفْعِهِ
قَدْرِهِ، مَوْصُفَةً لِعَلْمِهِ الكَرِيمِ كَيْتَ وَكَيْتَ . وَذَكَرَ أَنَّ خُطابَهُ بِالجَنابِ الكَرِيمِ، وَالطَّلَبِ
وَالقَصْدِ وَالخَمِّ بِالإِحاطَةِ؛ وَذَكَرَ هُوَ وَصاحبُ «التَّثْقِيفِ» أَنَّ المَكاتِبَةَ إِلَيْهِ فِي قِطْعِ
الثَلْثِ، وَالعِلامَةِ «أخوه»؛ وَتَعْرِيفَهُ «صاحبِ مائِ وَغانَةٍ» .

الجملة الثالثة

(في المَكاتِبَةُ إلى ملوكِ المسلمين بِالْحَبْشَةِ)

قد تقدم في المقالة الثانية في الكلام على المسالك والممالك أن ببلاد الحبشة
سبعة ملوك مسلمين، لهم سبع ممالك؛ كل مملكة منفردة بملك؛ وبها الجوامع
والمساجد ينادى فيها بالأذان، وتقام بها الجمع والجماعات، وهم مع ذلك تحت أمر
صاحب أممرا ملك ملوك الحبشة؛ يختار لولاية ممالكهم من شاء توليته، ولا يردون
ويصدرون إلا عن أمره، وهي مملكة أوفات والزبيغ، ومملكة دوارو، ومملكة
أرابيني، ومملكة هدية، ومملكة شرخا، ومملكة بالي، ومملكة دارة .

وقد تقدم الكلام عليها وعلى أحوالها مستوفى عند الكلام عليها في المقالة الثانية .
قال في «مسالك الأبصار» : وهذه الممالك تجاور ناصع . وسواكن، ودهلك؛
وليس بها مملكة مشهورة .

قال في "التعريف": ولم يرد من هذه الملوك السبعة كتاب، ولا صدر إليهم خطاب. قال: فإن ورد منهم شيء فتجربى مكاتبتهم مثل مكاتبة صاحب الكانم والبرنو. وقد تقدم أن رسم المكاتبة إليهما على ما ذكره في "التعريف": «أعز الله تعالى نضرة الجناح الكريم، وأعز الله تعالى جانب الجناح الكريم» على ما كتب به القاضي زين الدين طاهر في جواب صاحب البرنو على ما هو مذكور في موضعه.

المقصود الرابع

(في المكاتبة إلى أهل الجانب الشمالي، وفيه ثلاثة أطراف)

الطرف الأول

(في المكاتبات إلى أمراء الأتراك بالبلاد المعروفة ببلاد الروم)

(المسماة الآن ببلاد الدروب)

قال في "التعريف": وهي البلاد المنحصرة بين بحري القرم والخليج القسطنطينية تنتهي في شرقها إلى بحر القرم المسعى بحر نييطش، وفي الغرب إلى الخليج القسطنطينية وتنتهي متشاملة إلى القسطنطينية، وتنتهي جنوباً إلى بلاد الأرمن، يحدها البحر الشامي. قال: وهذه البلاد بلاد متسعة، وهي مفرقة لملوك مجتمعه، ولكنه لا يطلق عليهم إلا أسم الإمارة؛ ولا انتظام لكتبتهم، ولا اجتماع لجلتيم؛ ثم قال: وأكبرهم صاحب كرميان، وله بينهم وضع محفوظ، ونظام مرعى.

أما ملوكنا، فأجل من لديهم منهم جماعة بني قرمان، لقرب ديارهم، وتواصل أخبارهم، ولنكاياتهم في ممتلك سيس وأهل بلاد الأرمن، وأجتياحهم لهم من ذلك

الجانب ، مثل اجتياح عساكرنا لهم من هذا الجانب ، فمكاتبنا إلى بني قرمان لا تكاد تنقطع ، وأما إلى البقية فأقل من القليل ، وأخفى من مرأى الضئيل . ثم عد منهم ستة عشر أميراً ، وذكروا رسم المكاتب إلى كل واحد منهم :

الأول - صاحب كرميان . قال في "التعريف" : ولم يكتب إليه مدة مقامي بالأبواب السلطانية ، ويُشبه أن تكون المكاتب إليه بالمقر نظير صاحب ماردین ، لكن بأبسط ألقاب : إذ هي أدعى لاستحسانهم لقلّة معارفهم ، وعلى هذا التقدير يكون رسم المكاتب إليه : « أعزّ الله تعالى نصر المقرّ الكريم ، العالی ، الملکی ، الأجلّ ، العالی ، العادلی ، المجاهدی ، المؤیدی ، المرابطی ، المناغری ، المظفری ، المنصوری ، الفلانی ، عون الأنام ، شرف الملوك والسلاطين ، نصير الغزاة والمجاهدين ، زعيم الجيوش ، مقدم العساكر ، ظهير أمير المؤمنين » .

قال : فإن لم يُسمع له بكل هذه المخاطبة ، ولم يؤهل لنظير هذه المكاتبه ، كتبت إليه هذه الألقاب مع الجانب الكريم ، وخطبت بالإمارة إن لم يسمع له بالمخاطبة بالملك .

قال في "التثقيف" ولعل مكاتبته بالجانب مع هذه الألقاب كما ذكر ومخاطبته بالإمارة أولى : لأنه إذا كان بنو قرمان أجلّ لدى ملوكنا ، ومكاتباتهم بالدعاء والمجلس العالی ، فيتعين حيث هو أكبر منهم أن يكون هو أعلى منهم رتبة في المكاتب بدرجتين (١) وهي : الجانب الكريم . قال : هذا هو الأولى عندي .

قلت : وهذا كله إنما كان قبل أن يعلو قدر ابن عثمان صاحب برّما الآتي ذكره ، ويرتفع قدره على من بتلك البلاد جملة ، أما بعد ارتفاعه وأخطاطهم دونه فينبغي أن ينظر في قدر المكتوب إليه ، ويكتب إليه بحسب ما تقتضيه الحال .

(١) لعله بدرجة تأمل .

الثاني - صاحب طُنْغَزْلُو . قال في " التعريف " ورسم المكاتبه إليه :
« صدرت هذه المكاتبه إلى المجلس العالی الأمیری » ولم يذكر العلامة إليه . قال
في " التثقیف " والذي وجدته مسطورا في مكاتبته الأسمُ والسامیُ بالياء .

الثالث - صاحب تُوَازَا . قال في " التعريف " : وهو في المكاتبه نظیرُ
صاحب طُنْغَزْلُو ، ولم يزد علی ذلك ، غیر أنه ذكر أن اسمه في زمانه كان « علی أرینه »
وذكر في " التثقیف " أنه لم يقف له علی رسم مكاتبه سوى ذلك .

الرابع - صاحب عَيْدَلِي . قد ذكر في " التعريف " أن اسمه في زمانه دَنَدَار
أخو یونس صاحب أنطالیا ، وأنه نظیر صاحب تُوَازَا في المكاتبه ، فتكون المكاتبه
إليه : صدرت والعالی . قال في " التثقیف " ولم أقف علی رسم مكاتبه إليه سوى
ذلك ، إلا أنه ذكر بعد ذلك صاحب عدلیو . وقال : إن المكاتبه إليه الأسمُ والسامیُ
بالياء ، وذكر أن المفتر الشهابی بن فضل الله لم يتعرض إلى ذكره في " التعريف "
ثم قال : وقد تكون هي عَيْدَلِي المقدم ذكرها ، وإنما تكررت بتغيير الحروف . قال
ولم يتحزر هل هما آثان أو واحد .

الخامس - صاحب كَظْمُونِيَّة وهي قَسْطْمُونِيَّة . قال في " التعريف "
وكانت آخر وقتٍ لسليمان باشا ، وكان أميراً كبيراً ، كثير العدد ، موفور المدد ، ذاهبية
وتمتع . ثم قال : وورث ملكه أبنه إبراهيم شاه ، وكان عاقاً لأبيه ، خارجاً عن
مراضيه ، وكان في حياته منفرداً بمملكة سنوب . قال : وهي الآن داخله في ملكه ،
منخرطة في سلكه .

وذكر أن رسم المكاتبه إليه : « أدام الله تعالى نعمة المجلس العالی الأمیری » بأكل
الألقاب ، واتم ما يُكتب في هذا الباب ، وذكر في " التثقیف " نقلاً عن القاضي
ناصر الدين بن النشائي ، وأمين الدين خضر مثل ذلك ، وأن العلامة إليه « أخوه » .

السادس - صاحب فاوياً . قال في "التعريف" وهو (يعنى في زمانه) مرادُ الدين حمزة ، وهو ملك مضعوف ، ورجلٌ يجالسُ أنسه مشغوف . قال : ورسم المكتبة إليه «صدرت هذه المكتبةُ إلى المجلس السامى الأميرى» بالياء . قال في "التثقيف" وهو غير بعيد .

السابع - صاحب برسا . وقد ذكر في "التعريف" أنه في زمانه أرخان بن عثمان . ثم قال : وهو نظير صاحب فاوياً في المكتبة ، فتكون مكاتبته السامى بالياء . قال في "التثقيف" ولم أطلع على رسم للمكتبة إليه غير ذلك ، إلا أنه ذكر في الفصل الأول من الباب الرابع في الكلام على مكاتبات الحكام أرخان بن عثمان . وقال : إن لقبه سيف الدين . ثم قال : ويقال إنه صاحب برسا ، وذكر أن رسم المكتبة إليه في قطع العادة والدعاء والمجلس العالى ، والعلامة أخوه ، وتعريفه اسمه .

قلت : وقد تقدم في الكلام على المسالك والممالك أن الأمر قد آل في بني عثمان إلى أرخان بن عثمان جق ، ثم إلى ابنه مراد بك ، وأنه أتسع ملكه وجاوز في الفتح الخليج القسطنطينى حتى قارب خليج البنادقة ، ثم إلى ابنه أبى يزيد فزاد في الملك على ما كان بيد أبيه ، وتزوج في بنى قرمان ، ودخل بنو قرمان وسائر التركمان في طاعته ، ولم يبق خارجاً عن ملكه إلا سيواس ، فإنها كانت مع قاضيا إبراهيم المتغلب عليها ، ولم يزل كذلك حتى قصده تمرلنك وأسره ، ومات في يديه ، وملك بعده ابنه سليمان چلبى . ثم مات ، وملك بعده أخوه محمد بن أبى يزيد بن مراد بك ابن عثمان جق ، وهو القائم بها إلى الآن . وكانت المكتبة قد استقرت إلى أبى يزيد

(١)

في الأيام الظاهرية (برقوق)

(١) ترك بيضا في الاصل لصورة المكتبة .

(١) الثامن - صاحب أكبرا . قد ذكر في "التعريف" : أنه كان في زمانه دمرخان
ابن قرأشي ؛ وذكر أن مكاتبتة نظير مكاتبة صاحب برسا ، يعنى السامى بالياء ؛
وذكر في "التثقيف" : أنه لم يقف على سوى ذلك .

التاسع - صاحب مرمرأ . وقد ذكر في "التعريف" : أنه في زمانه كان
بجشى بن قرأشي . وقال : إن رسم المكاتبة إليه : «صدرت هذه المكاتبة إلى
المجلس العالى» .

قلت : وقد تقدم في المسالك والممالك أن هذه البلدة كانت جزيرةً بالخليج
القسطنطينى بها مَقَطَعُ رُخَامٍ ، وأنَّ النصارى غلبوا عليها .

العاشر - صاحب مَغْنِيسِيَا . ذكر في "التعريف" : أن اسمه صاروخان .
وقال : إن المكاتبة إليه السامى بالياء . وذكر في "التثقيف" : أنها صارت بعده
إلى ابنه إسحاق بن صاروخان ؛ وأنه كَتَبَ إليه في شَوال سنة سبع وستين وسبعائة
بالاسم والسامى بالياء .

الحادى عشر - صاحب نِيْفِ . ذكر في "التعريف" : أنه في زمانه كان
على باشا أخو صاروخان صاحب «مَغْنِيسِيَا» المقدم ذكره ؛ وذكر أن رسم المكاتبة
إليه مثل أخيه المذكور ، فتكون صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس العالى .

الثانى عشر - صاحب بَرِكِي . ذكر في "التعريف" : أنها في زمانه كانت
بيد ابن أيدين ولم يصرح باسمه . قال : وإن المكاتبة إليه «أدام الله تعالى نعمة
المجلس العالى» بالألقاب التامة ؛ وذكر في "التثقيف" : أنه لم يقف له على مكاتبة
غير ذلك .

(١) هي كذلك في كتاب "المسالك" والذي تقدم في ج ٥ نقلا عن "التعريف" أيضا صاروخان .
ولست في نسخة "التعريف" التي بأيدينا .

الثالث عشر - صاحب فوكه . ذكر في "التعريف" : أنه كان في زمانه أرخان
ابن منتشا، وأن المكتبة إليه نظير صاحب بريكي، فتكون الدعاء مع العالى بالألقاب
التامة أيضا، وذكر في "التثقيف" : أنه لم يقف في مكاتبته على غير ذلك .

الرابع عشر - صاحب أنطاليا . ذكر في "التعريف" : أنه كان في زمانه
أسمه خضر بن يونس . وقال : إن رسم المكتبة إليه « صدرت هذه المكتبة إلى
المجلس العالى » . وذكر في "التثقيف" : أن خضر بن يونس المذكور كان يلقب
سنان الدين، وأنه استقر بعده دادى بك، ثم استقر بها آخرًا محمد المعروف بكاجوك،
وذكر أن المكتبة إليه « أخوه » والدعاء والعالى . ثم قال : وهو الأصح لأنه آخر^(١)
ما استقر عليه الحال في مكاتبته وكتب به إليه .

الخامس عشر - صاحب قرأصار . ذكر في "التعريف" : أنه كان في زمانه
أسمه زكريا، وأن رسم المكتبة إليه : هذه المكتبة إلى المجلس السامى، بلا ياء،
وذكر في "التثقيف" : أنه لم يطلع على مكتبة إليه سوى ذلك، وأنه لم يكتب
إليه شيء في مدة مباشرته .

السادس عشر - صاحب أرمنك . ذكر في "التعريف" : أنها كانت في زمانه
بيد ابن قرمان ولم يصرح باسمه، وذكر في "التثقيف" : أن أسمه علاء الدين سليمان .
قال في "التعريف" : ورسم المكتبة إليه : أدام الله تعالى نعمة المجلس العالى
بأكل الألقاب وأكبرها، وأجمعها وأكثرها . وذكر في "التثقيف" : أن آخر
من استقر بها في شوال سنة سبع وستين وسبعمائة علاء الدين على بك بن قرمان،
ووافق على رسم المكتبة المذكورة . وقال : إن العلامة إليه « أخوه » وتعريفه
« فلان بن قرمان » .

(١) لعله "العلامة إليه" .

قال في "التعريف": وإخوة صاحبها ابن قِرْمَان المذكور رسوم في المكاتب، فأكبرهم قَدْرًا، وأفتكهم نابًا وظفرًا، الأمير بهاء الدين موسى . وقد تقدم في الكلام على المسالك والممالك في المقالة الثانية أنه حضر إلى الأبواب السلطانية، وحجَّ مع الركب الشريف؛ ثم عاد إلى الأبواب السلطانية، وأجلس في المرتين مع أمراء المشورة، وأشرك في الرأي . وسأل السلطان في كتابة منشور بما يفتح من بلاد الأرسن فكتب له . قال في "التعريف": وأستقرت المكاتبُ إليه مثل مكاتبه أخيه . قال : أما بقية بني قِرْمَان فدونهما في المكاتبه .

وأعلم أن صاحب "التثقيف" قد زاد على ذلك من أمراء هذه البلاد ستة نفر .

أحدهم - الحاكم بالعلایا . وذكر أنه كان اسمه حُسام الدين محمود بن علاء الدين، وأنه كتب إليه في شوال سنة سبع وستين وسبعائة «أخوه» والدعاء، والعالی، في قطع العادة .

الثاني - صاحب بلاط ورحر^(١) . ذكر أنه كان بها «أمير موسى» بن إبراهيم ابن منتشا، وأن المكاتبه إليه في قطع العادة «والده والدعاء، والمجلس العالی» .

الثالث - صاحب أكردور وهي أكردون . ذكر أنه كان بها إلياس بن مصطفى من بني حميد، وأن رسم المكاتبه إليه على ما استقر عليه الحال عند ما كتب إليه في شوال سنة سبع وستين وسبعائة «والده» والسامی بالباء .

الرابع - صاحب آياسلوق . ذكر أنه كان بها عيسى بن أيدين، وأنه كتب إليه في شوال من السنة المذكورة أيضا .

(١) كذا باهمال جميع حروفها ثم تقدم في القواعد «بلاط» فقط ولم نغز عليها بعد البحث والتصحيح .

الخامس - صاحب بلي شار . ذكر أنه كان بها الأمير محمد ولم يذكر نسبه .
وقال : إن المكاتبه اليه الأسم والسامى بالياء .

السادس - الأمير ذروان بن كرمات بن منشا . ذكر أنه ممن استجدت مكاتبته
في شوال سنة سبع وستين وسبعائة .

وأعلم أنه قد زاد في "التثقيف" ذكر مكاتبه جماعة لم أتتحقق هل هم من أهل
هذه البلاد أم من غيرها .

منهم صاحب قلعة الحنفاء ؛ ذكر أنه كان اسمه سيف الدين قوجى ، وأن المكاتبه
اليه في قطع الثلث والسامى بالياء .

ومنهم صاحب قلعة الجوز ، في قطع الثلث الأسم والسامى بالياء ، وتعريفه اسمه .
ومنهم صاحب بكجرى : استجدت الكتابة إليه في شوال سنة سبع وستين
وسبعائة ، وكتب إليه الأسم والسامى بغير ياء .

ومنهم الحاكم بقلعة أبيض كتب اليه الأسم ومجلس الأمير .

ومنهم الحاكم بقلعة نعمة ، كتب إليه الأسم ومجلس الأمير أيضا .

ومنهم الحاكم بقلعة أشنى : وهى أشنوكتب إليه كذلك .

على أنه قد ذكر منهم جماعة أيضا ليسوا من أهل هذه البلاد جملة ؛ منهم نائب
خلاط ، وصاحب موغان ، وهى موقان ، والحاكم بإسعد وهى سيرت ، وصاحب
قيشان وهى قاشان .

وقد تقدم أن خلاط من أرمينية ، وموقان من أرمينية ، وإسعد من ديار ربيعة
من الجزيرة الفراتية ، وقاشان من عراق العجم ؛ وبالجملة فقد خلط في "التثقيف"
في البلدان تخطيا كثيرا ، وخلط بعض أقاليم البلاد ببعض .

قلت : قد تقدم في صدر الكلام على المكاتب ذكر أصول يعتمدها الكاتب في كتبه تعم الكتب السلطانية وغيرها ، وأنا أذكر هنا ما يختص منها بالكتب الصادرة عن السلطان على النمط الجاري عليه الأصلاح الآن ليسهل القصد إليها لقربها ، وبمحصل الغرض من ذلك ، بذكر [تسعة] أمور :

أولها — مقادير قطع الورق ، قد تقدم في الكلام على مقادير قطع الورق المستعملة في دواوين الإنشاء عامة ، والذي يختص منها بالكتب الصادرة عن السلطان أربعة مقادير :

- أحدها — قطع البعثات ، الكامل ، وقد مر أنه يكتب فيه للقانات .
 - وثانيها — قطع النصف ، وفيه يكتب إلى أكابر الملوك من دون القانات .
 - وثالثها — قطع الثلث ، وفيه يكتب إلى الرتبة الثانية من الملوك .
 - ورابعها — قطع العادة ، وفيه يكتب إلى أصاغر الملوك والولاة وغيرهم .
- الثاني — العنوان ، قد تقدم في مقدمة الكتاب أن الذي كان يكتب عنوانات الكتب السلطانية في الزمن المتقدم هو صاحب ديوان الإنشاء دون غيره ، أما الآن ، فإن كاتب كل كتاب صار هو الذي يكتب عنوانه بنفسه .

وقد جرى العادة في عامة الكتب السلطانية أن يكون المكتوب فيها هي الألقاب المكتوب إليه وتُعرفه التي في صدر المكتبة في الباطن ، ثم يدعى للمكتوب إليه في آية الألقاب بالدعوة التي صدر بها الدعاء في الصدر مثل : أعز الله أنصاره ، أو ضاعف الله نعمته ، وما أشبه ذلك من الأدعية التي تفتح بها المكاتب ، فإن كان المكتوب مفتوحاً بالحمدلة أو بلفظ من فلاح ، كتبت في العنوان الألقاب التي في صدر الكتاب بعد ذلك ، ثم بعد الدعاء يحلّ بياضاً قليلاً ، ثم يذكر تعريف

المكتوب إليه . مثل «صاحب فلانة» ونحو ذلك مما تقدم ذكره من التعريفات .
وتكون كتابة العنوان بنظير قلم الباطن في الدقة والغلظ . وتكون أسطره متصلة من
أول عرض الدرّج إلى آخره ، وأسطره متلاصقة متتالية .

الثالث - الطّرة التي يُكْتَب فيها تعريف المكتوب إليه ، والعلامة التي يكتبها
المكتوب عنه ، والسبب في كتابته .

وقد جرت العادة في ذلك أنه يكتب في رأس الدرّج في الجانب الأيمن
«إلى فلان» وفي الجانب الأيسر «بسبب كذا وكذا» وفي الوسط العلامة التي يناديها
السلطان مثل «أخوه» أو «والده» أو «أسمه» . يُنظر عند علامة السلطان على
الكتاب فيعلم حال الكتاب ، ويجرى الأمر في العلامة على هذا الرسم ، وتكون كتابتها
بقلم الكتاب من ثلث أو رفاع أو غيرها ، إلا أن يكون الكتاب مختصراً الطومار وقطع
البغدادى فيكون ذلك بقلم الثلث ، وهذا الطّرة توضع بين أن يعلم على الكتاب .

الرابع - البياض في أعلى الكتاب . وقد جرت العادة في الكتب السلطانية أن
العلامة إلى المكتوب إليه . إن كانت «أخوه» أو «والده» تركت في ثلاثة أوصل
بياض بما فيه من وصل العنوان . ثم تكتب البسملة في رأس الراس الرابع ، وإن
كانت العلامة إليه الأسم تركت وصلان بياضاً فقط وكتبت البسملة في أول الراس
الثالث ، ثم يكتب السطر الأول من الكتاب على سمت البسملة متلاصقا لها ثم يترك
موضع العلامة بياضاً ، ويكتب السطر الثاني على سمت الأول في الراس الثالث .
الوصل على قدر إصبعين من آخره . ثم يحط بين كل سطرين أربعة أصابع مطبوقة ،
إن كان القطع صغيراً ، وإن كان القطع كبيراً كان فيه قدر ربع ذراع أو نحوه بحسب

(١) لعله في الكتابة أي يكتب ما يناسب العلامة .

المناسبة؛ فإذا انتهى إلى آخر الكتاب كتب «إن شاء الله تعالى» في الوسط على بُعد قدر إصبعين من السطر الآخر. ثم يكتب: «كُتِبَ في تاريخ كذا من شهر كذا سنة كذا وكذا» ويكون إلى آخر ذكر الشهر سطر، ومن أول سنة كذا إلى آخره سطر. ثم يكتب المستند على نحو البعد المذكور: فإن كان بتلقّي كاتب السّر خاصّة كتب «حَسَبَ المرسوم الشريف» فقط. وإن كان بتلقّي كاتب السر وكتاب الدّست من دار العدل كتب «حَسَبَ المرسوم الشريف» في سطر، وتحتّه بقدر إصبع «مِنَ دار العدل الشريف» في سطر. وإن كان برسالة الدّوادار كتب «حَسَبَ المرسوم الشريف» في سطر، وتحتّه بقدر إصبع «برسالة الجناب العالي الأميريّ الفلانيّ الدّوادار الفلانيّ» بقلب السلطان «ضاعف الله تعالى نعمته».

وإن كان من ديوان الخاصّ، كتب «حَسَبَ المرسوم الشريف» في سطر وتحتّه «من ديوان الخاصّ الشريف». وإن كان بخطّ السلطان: بأن كُتِبَ على القِصّة بالخط الشريف، كتب «حَسَبَ الخطّ الشريف» في سطر واحد. وإن كان بإشارة النائب الكافل كتب «بالإشارة العالية الأميرية الكبيرة الفلانية» في سطر، وكتب تحتّه بقدر إصبع «كافِل الممالك الشريفة الإسلامية أعلاها الله تعالى».

وإن كان بإشارة أستاذ الدار، كتب «بالإشارة العالية الأميرية الكبيرة الفلانية» في سطر؛ ثم يكتب تحتّه بقدر إصبع «أستاذ الدار العالية أعلاها الله تعالى». على أنه قد تقدّم في الألقاب أن كتابتهم أستاذ الدار هو عرف جرى عليه اصطلاحهم؛ وأنّ الصواب فيه إستدّار بغير ألف بعد التاء. وتكون كتابة المستند بياض من جانبيه، سواء كان سطرا واحدا أو سطرين؛ ثم إذا فرغ من كتابة المستند، كتب الحمدلة والصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلم في سطر كامل على بُعد قدر إصبعين من المستند؛ ثم يكتب الحسبلة على قدر إصبعين من سطر الحمدلة والتصلة.

وقد تقدّم في الكلام على الخواتم في المقالة الثالثة نقلاً عن عبد الرحيم بن شيث أن موضعها من ثلث السطر الأخير من أوله إلى حين تنهيه كتابتها .

الخامس - قد ذكر ابن شيث في معالم الكتابة أنه لا يكتب في حواشي الكتب السلطانية : لأن في ذلك شحاً بالورق ، وذلك مما لا يليق بالسلطان ؛ ولا خفاء في استقباح ذلك ، بل قد يستقبّح ذلك في غير السلطان كما سيأتي ذكره في الإخوانيات .

السادس - العلامة السلطانية على المكتوب ، في بيت العلامة من البياض السابق ذكره . قد ذكر في "التعريف" أن أكبر من يكتب إليه من الأمراء وممالك البيت الشريف فترجمته بالخط الشريف « والده » ومن دون ذلك « الأسم الشريف » ؛ أما الغرباء كلوك المسلمين والعربان وأكابر القضاة وأهل الصلاح والأكابر ، فترجمته بالخط الشريف « أخوه » ومن دون ذلك الأسم الشريف .

والذي استقر عليه الحال آخر في زماننا أن لأكابر الأمراء من النواب وغيرهم « أخوه » لرفعة مكان الأخ على الولد ، ولمن دونهم « والده » ولمن دون ذلك « الأسم » وباقى الحال على ما ذكره ؛ وقد سبقت ترجمة كل مكتوب إليه في الكلام على المكتبة إليه .

أما القانات الكبار فقد تقدّم في الكلام على المكتبة إليهم أنه تكتب لهم طغرة بالألقاب السلطانية في موضع العلامة ؛ وأما ملوك الكفر ، فسيأتي أنه تكتب طغرة بالألقاب السلطانية فوق البسمة .

السابع - طي الكتب السلطانية : قد تقدّم في صدر الكلام على المكتبات نقلاً عن ابن شيث من كتاب الدولة الأيوبية أن كتب السلطان يكون طياً

في عَرْض أربعة أصابع ، وأن مقتضى ذلك أن كُتِبَ السلطان بالديار المصرية كانت تُطَوَّى على هذه الهيئة كما في كُتِبَ أهل المغرب الآن ، والذي استقر عليه الحال آخرها أنها يجعل طيها في صورة أنبوب القنّاة ولا تُضغَط في طيها لتكون نبيلة تعظيماً لأمر السلطان وإجلالاً لقدره .

الثامن - ختم الكتاب : قد تقدم في الكلام على الخواتم واللواحق في المقالة الثالثة أن الكتب السلطانية كانت تختم بسحابة^(١) ، ويَطْبَعُ عليها بطين أحمر ، يُوتَى به من سِراف ، وتختم بخاتم كما تختم المغاربة الآن ، أما الآن فقد استقر الحال على أن الكتب تُلصَق بالنشأ أو ما في معناه من الكثيراء ونحوها ، وقد سأل الشيخ جمال الدين بن نباتة في رسالته التي كتبها إلى الشهاب محمود رحمه الله حين بلغه وقوع بعض كُتَاب دِمَشق في حقه عن غير طين الختم إلى النشأ ، ولم أقف على زمان تغير ذلك ولا مَنْ غيَّره ، على أني حللت معظم أسئلة هذه الرسالة في خلال هذا الكتاب مفرقة في مواضعها .

التاسع - أن الكتب الصادرة عن الأبواب السلطانية : إن كانت إلى أحد من عُظَمَاء المُلُوك كالتقانات ببلاد الشرق ، أو ملوك بلاد المغرب ونحوهم من يتعاني البلاغة في الكتب الصادرة عنه ، كتبت مسجوعةً كلُّها ، وإن كانت إلى صغار الملوك والحكام كتبت غير مسجوعة . وإن كانت إلى أحد من أهل المملكة ، فإن كانت في أمرٍ بعد وقوعه : كالكتابة بالبشارة بوفاء النيل ، أو جلوس السلطان على النَّخْت لأقرب أمره ، أو بُرْثِه من المرض ، أو ولادة ولدٍ له ، أو البشارة بفتح ، أو الإعلام بركوب الميدان ، أو الإنعام بخيّل أو نحوها ، كتبت مسجوعةً ، وإلا كتبت مُرسلةً غير مسجوعة .

(١) يريد تلف عليها سحابة كما يؤخذ من بقية العبارة ومما تقدم في جزء هـ

الطرف الثاني

(في المكاتبة عن ملوك الديار المصرية على المصطلح المستقر عليه
الحال، إلى ملوك الكفر)

وأعلم أن ملوك الكفر المكاتبين عن هذه المملكة جميعهم نصارى : من الروم ،
والفرنج ، والكرج ، والحبشة وغيرهم ، إذ كانوا هم المستونين على أكثر الممالك ،
أما اليهود ، فإنهم لم يبق لهم مملكة معروفة ، بل هم تحت الذمة أين كانوا . قال
تعالى : (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيَّمَا ذُلِّهَا لِيُتَّقُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ) .
قال في " التعريف " وجميع الكتب المكتوبة إلى ملوك الكفر لا يشتملها الخط
الشريف أصلاً ، بل يُكْتَبُ فوق البسملة في الكتاب بخط الكاتب عوض العلامة
الشريفة أسطر قصيرة بيضاء من الجانبين ماصورته :

« من السلطان الأعظم الملك الناصر - مثلاً - العالم ، العادل ، المجاهد ، المرابط ،
المثابر ، المؤيد ، المظفر ، المنصور ، الشاهنشاه ، فلان الدنيا والدين ، سلطان الإسلام
والمسلمين ، مُجْبِي العدل في العالمين ، وارث الملك ، ملك العرب والعجم والترك ،
ظل الله في أرضه ، القائم بسنته وفرضه ، إسكندر الزمان ، مملك أصحاب المنابر
والتخوت والتيجان ، واهب الأقاليم والأمصار ، مُبِيد الطغاة والبغاة والكفار ، حامي
الحرمين والقبليتين جامع كلمة الإيمان ، ناسر لواء العدل والإحسان ، سيد ملوك
الزمان ، إمام المتقين ، قسيم أمير المؤمنين ، أبي فلان ، ابن السلطان الشهيد الملك
الفلاني فلان ، خلد الله سلطانه ، ونصر جنوده وجيوشه وأعوانه » .

وأوضح ذلك في " التثقيف " فقال : ويكون في الطرة بعد وصلين بيضاء من أول
الكتاب بهامش جيد من الجانبين يمنة ويسرة ، ويكونان في قدر بيضاءهما سواء

تقدير أربعة أصابع فأكثر من كل جانب، من الورق العريض؛ وفي قطع العادة دون ذلك . وتكون الأسطر متقاربة، ما بينهما من البياض تقدير إبهام أو أزيد منه بشيء يسير؛ وإذا انتهت الألقاب يترك بعدها وصلاً أبيض؛ ثم يكتب البسملة الشريفة، وبعدها رسم المكتبة للمكتوب إليه .

الطرف الثالث

(في المكتبة إلى من وراء بحر القرم بالجانب الشمالي منه)

وهو صاحب البلغار والسرب . وهي بلاد في نهاية الشمال ، متاخمة لصاحب السراى ؛ وقد ذكر في " التعريف " المكتبة إليه في المكتبة إلى جملة ملوك المسلمين . وقال : إن صاحبها يظهر الإتياد لصاحب السراى ، وإنه أرسل رسلة تطلب له الألوية من الأبواب السلطانية بجهزت إليه مع ما جرت به العادة من السيف والتشريف والتخيل المسرجة المنجمة . وذكر أن رسم المكتبة إليه على ما كتبت إذ ذاك :

« أعز الله نصر الجناح الكريم ، العالى ، السلكتى ، الأجلتى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، المجاهدى ، المؤيدى ، المرابطى ، المناغرى ، الأوحدي ، سيف الإسلام والمسلمين ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، زعيم الجيوش ، مقدم العساكر ، جمال الملوك والسلاطين ، دُخر أمير المؤمنين » .

ثم هذا الطرف يشتمل على أربعة مقاصد شتملة على الجهات الأربع :

المقصود الأول

(في المكتبة إلى ملوك الكفار ببلاد الشرق ؛ وجملة من بها من ملوك
النصارى المكاتبين عن هذه المملكة مملكتان)

الأولى - مملكة الكرج من النصارى الملكية . قال : في "التعريف" ويقال
في المسلمين الكرد، وفي النصارى الكرج . قال : وموقع هذه [البلاد] بين بلاد الروم
وبين بلاد أرمينية . وهي بلاد جليلة ، ومملكة مفخمة ، وكأنها مقتطعة من
البلادين ، ولها ملك قائم ، وبها ملك دائم ؛ وأمها مدينة تفليس ، وسلطان بيت
هولاكو بمملكة إيران يحكم عليها ، ويرالغهُ تصل إليها ، إلا أنه لا يطغى بها سيئه ،
ولا تجوس خلال ديارها للحرب المضرمة خيله ؛ وإنما له بها تومان اتخذه سدادا
لثغرها ، وقيامًا بأمرها ؛ منزلهم فسيح بواديها ، أهل حلّ وترحال ، وتنقل من حال
إلى حال . قال . وآخر من كان له في هذه البلاد سمعة ، وأقيمت به للمهابة صرعه ؛
الشيخ محمود بن جوبان ، وكان باسلاً لإطاق ، ورجلاً مرّ المذاق ؛ ولما جرت
الكائنة لأبيه ، لاذ بالسلطان (أزبك قان) ثم لم تطل له مده ، ولا أنفجرت له حلق
شدّه ؛ وأتاه أجله وما استطاع رده . ثم قال : وعسكر الكرج صليبة دين الصليب
وأهل البأس والنجده ، وهم للعساكر الهولاكوهية عتاد وذخر ، ولهم بهم وثوق
وعليهم أعتاد ، [ولا] سيمًا لأولاد جوبان وبنيه ، وبقايا مخلفيه ، لسالف إحسان
جوبان إليهم ، ويد مشكورة كانت له عندهم ، وكان صديقًا لملكهم برطلما يفرس
عنده الصنائع ، ويستترعيه الودائع ؛ فكان أخص خصيص به ، وأصدق صديق
له ، يدعوهم للمهم ، ويستصرخ به في الملم ، ويعده رداءً لعسكره ؛ ومنزلاً لمنكره .

وعقب ذلك بأن قال : وبرطلما المذكور عهدي به حتى يرزق من أجل ملوك
النصرانية ، وأغرق أنساب بني المعمودية ، وقد كان كاتب الأبواب السلطانية
بسبب كنيسة المصلبه ، وأن ترفع عنها الأيدي المتغلبه ، فبرزت الأوامر المطاعة
بإعادتها عليهم وكانت قد أخذت منهم سوهي بظاهر القدس الشريف - وأخذت
مسجدا ، وعمر هذا على طوائف العلماء والصلحاء وان لم يعمل هذا سدى . قيل
إنه كان يحسن بخوبان قصد البلاد ، ويبدل له عليه الطارف والتلاد . وذكر أن
رسم المكتبة إليه : « أدام الله تعالى بهجة الحضرة العلية ، حضرة الملك الجليل
الهمام ، الدليل ، الصرغام ، السמידع الكرار ، الفضنفر ، المتخت ، المتوج ، العالم
في ملته ، العادل في رعيته ، بقية الملوك الأغر يقية ، سلطان الكرج ، ذخر ملك البحار
والخليج ، حامى حمى الفرسان ، وارث آبائه في الأسيرة والتيجان ، سياج بلاد الروم
وإيران ، سليل اليونان ، خلاصة ملوك السريان ، بقية أبناء الثخوت والتيجان ،
معلم النصرانية ، مؤيد العيسوية ، نسيح الأبطال المسيحية ، معظم البيت المقدس
بعقد اليد ، عماد بني المعمودية . ظهير الباب بابا رومية . مواد المسلمين . خالصة
الأصدقاء المقربين . صديق الملوك والسلاطين » .

وهذا دعاء أورده في " التعريف " يليق به وهو : وحمى ملكه بوذه لا يجنده .
وبوفائه بعهده لا يجيشه ومدبده . وما عندنا من سجايا الإحسان لا بما يظن أنه من
عنده ، وبما في رأينا المورى لا بما يقدر النار من زنده - وربما قيل مصافى
المسلمين بدل مواد المسلمين .

أما في " التثقيف " فقد ذكر أن للكرج ملكين (أحدهما) صاحب تفلين المقدم
ذكره ، وذكر أنه كان اسمه إذ ذاك « داود » (الثانى) الحاكم « بسخوم » و « أبخاس »
وهما مدينتان على جانب بحر القيرم من الجانب الجنوبي كما تقدم ذكره في الكلام على

المسالك والممالك في الجانب الشمالي ، وسمى صاحبها إذ ذاك (ديادان) . قال :
ورسمُ المكتبة إلى كلِّ منهما في قطع النصف : أطال الله تعالى بقاء حضرة الملك
الجليل ، المكرَّم ، الخطير ، الباسل ، الهمام ، المقدس ، الروحاني ، فلان ، عزَّ الأُمَّة
المسيحية ، كثر الطائفة الصليبية ، نجردين النصرانية ، ملك الجبال والكرج
والجرجان ، صديق الملوك والسلاطين . وتعريف كلِّ منهما ”ملك الكرج“ .

ثم قال : وقد ذكر القاضي المرحوم شهاب الدين بن فضل الله في المكتبة
المذكورة من التغييرات مالا حاجة إلى ذكره : لأنَّ ما ذكرته هو المستقرُّ في المكتبة
إليه إلى آخر وقت .

قلت : وذلك لأنه في زمن المقر الشهابي بن فضل الله كان مرعى الجانب
بمألاة التتر وأنضمامه إلى جوبان ، كما تقدمت الإشارة إليه ، فكانت المكتبة إليه
إذ ذاك أعلى وأختم ، فلما زالت دولة التتر من إيران وحدث قسوتهم انحطت رتبة
المكتبة إلى ملك الكرج عن هذه الرتبة . ثم قد تقدم في المسالك والممالك
في الكلام على مدينة تفليس أنها من إقليم أران ، وأنها كانت قد فتحها المسلمون .
ثم غلب عليها الكرج وملكوها ، فلو عبر عن صاحبها بتملك تفليس كما كان يعبر عن
المستولى على سيس من الأرمن بتملك سيس ، وعن المستولى على قبرس بتملك
قبرس على ما سيأتي ذكره على الأثر إن شاء الله تعالى .

الثانية — مملكة الأرمن وقاعدتها مدينة ”سيس“ قبل فتحها ، وقد مر
في الكلام على مدينة سيس عند ذكر مضافات حلب ، في الكلام على الممالك الشامية
في المسالك والممالك ذكر حدود هذه البلاد وبيان أحوالها ، وأنها كانت تسمى

(١) جواب لو معلوم أى لكان له وجه .

في زمن الخلفاء بلاد الثغور والعواصم، وأنها كانت بأيدي المسلمين، وأهلها نصارى
 أرمن، وعليهم جزية مقررة يؤدونها إلى الملوك، إلى أن كانت طاعتهم آنحراً لبقية الملوك
 السلاجقة ببلاد الروم، والعمال والشحاني على يلادهم من جهة الملك السلجوقي حتى
 ضعفت تلك الدولة، وسكنت شقاشق تلك الصولة، وانتدب بعضهم لقتال
 بعض، وصارت الكلمة شوري، والرعية فوضى، وشواخ المعافل مجالاً للتخريب،
 والبلاد المصونة قاصية من الغم للذيب، وطمع رئيس النصاري بهذه البلاد حينئذ
 فيها وأستنسر بغائه، وأشدت إنكائه، ورأى سواماً لا ذائد عنه فساقه، ومتاعاً لاحامية
 له فملاً منه أوساقه، فاستولى على هذه البلاد وتملكها، وتحيف مواريث بني سلجوق
 وأستهلكها. وذكر في "مسالك الأبصار" أن كبيرهم كان يسمى قليج بن لاون.

قال في "التعريف" وقد أخذ في أجزيات الأيام الناصرية، يعني (محمد بن قلاوون)
 بلاد ماوراء نهر جاهان وأمها آياس، وكان قد أخذ بعض ذلك [أيام] الملك المنصور
 (لاجين) واستنيب به أستدمر الكرجي، ثم أعيدت إلى الأرمن بمواطاة أستدمر
 حين قتل لاجين وضعفت الدولة. وذكر أنه قرر على الأرمن لملوك الديار المصرية
 قطعة مقررة بلغت ألف ألف ومائتي ألف درهم مع أصناف، ثم حط لهم منها،
 ثم صاروا بعد ذلك بين طاعة وعصيان. وذكر أنه كان لملوك البيت الهولاكوهي
 عليهم حكم قاهر، وله فيهم أمر نافذ، قبل ضعف شوكتهم، ولين قسوتهم، وخلو
 غابهم من قسورتهم. ثم قال: ولو تمكنا من دمشق لمحو آثارها، وأنسوا أخبارها،
 ثم أشار إلى أن ملكها يومئذ صاهر صاحب قبرس ليتقوى به، وأنه مع ذلك أوصى
 سلطاننا صاحب مصر على آبنه بوصية أشهد عليها أهل مملكته، وجعل ذلك وسيلة
 لبقاء دولته، وكتب له تقليد عوضاً عن آبيه وجهاز إليه، وألبس الشريف فلبس

(١) وَقَبْلَ الْأَرْضِ بِهِ وَخَدِمَ . قَالَ فِي "التَّعْرِيفِ" : وَمَنْ مَلَكَ مِنْهُمْ سَمِيَ التَّكْفُورَ ، سَمَةً جَرَتْ عَلَيْهِمْ مُنْذُ كَانُوا وَإِلَى الْآنَ . قَالَ : وَمَلَكَهُمْ مَلَكَ عَرِيقٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ ، يَزْعُمُ أَنْ أَصْلَهُ مِنَ الْبَيْتِ الْقُسْطَنْطِينِيِّ . قَالَ : وَعِنْدِي نَظَرٌ فِي دَعْوَاهُمْ ذَلِكَ : إِذْ كَانَ أَهْلُ ذَلِكَ الْبَيْتِ هُمْ صَالِيَةُ الرُّومِ وَمَعْتَقَدُهُمْ مَعْتَقَدُ الْمَلَكَانِيَّةِ وَالْبَيْتُ التَّكْفُورِيُّ أَرْمَنُ وَمَعْتَقَدُهُمُ مَعْتَقَدُ الْيَعَاقِبِيَّةِ أَوْ مَا يُقَارِبُهُ ، وَبَيْنَ الْمَعْتَقِدِينَ بَعْدَ عَظِيمٍ ، وَبَوْنُ نَاءٍ . وَقَدْ ذَكَرَ فِي "التَّعْرِيفِ" أَنْ اسْمَهُ لِيْفُورِ بْنِ أَوْشِيرٍ . وَذَكَرَ أَنَّ رَسْمَ الْمَكْتَابَةِ [إِلَيْهِ] صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَكْتَابَةُ إِلَى حَضْرَةِ الْمَلِكِ ، الْجَلِيلِ ، الْبَطْلِ ، الْبَاسِلِ ، الْهَامِ ، السَّمِيدِعِ ، الضَّرْغَامِ ، الْغَضَنْفَرِ ، فَلَانَ بْنِ فَلَانَ ، نَخْرِ الْمِلَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ ، ذُخْرِ الْأُمَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ ، عِمَادِ بْنِ الْمَعْمُودِيَّةِ ، صَدِيقِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ .

وهذه أدعية - ذكرها في "التعريف" تناسبه :

وَفَقَّهَ اللَّهُ تَعَالَى لَطَاءً يَكْتَفُهُ ذِمَامُهَا ، وَيَقِيهِ مَصَارِعَ السُّوءِ التِّزَامُهَا ، وَتَجْرِي لَهُ بِالسَّلَامَةِ فِي النَّفْسِ وَالْمَالِ أَحْكَامُهَا .

آخِرُ : وَلَا عِدَمَ مِنْ مِثْنِ الْكَرَمِ الَّذِي أَجَارَهُ ، وَالْأَمْنَ الَّذِي أَمَّنَ جَارَهُ ، وَالْأَمَانَ الَّذِي وَسَّعَ عَلَيْهِ وَجَارَهُ ، وَالْعَفْوَ الَّذِي وَقَاهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ نَارًا وَقُودَهَا النَّاسَ وَالْمَجَارَهُ .

آخِرُ : أَبْقَاهُ اللَّهُ لَوْلَاءِ يُبْدِيهِ ، وَفَرَضَ مِنَ الْخِدْمَةِ يُؤَدِّيهِ ، وَدَيْنٍ فِي ذِمَّتِهِ مِنَ الْوِظِيْفَةِ يَقُومُ بِهِ مَعَ طَرَائِفِ مَا يُهْدِيهِ .

(١) في التعريف بدون خدم .

(٢) في التعريف المطبوع ص ٥٧ ليفون بن أوشين ، ونخشى أن يكون تصحيحاً .

آخر : أراه الله ما يستدفع به من مواضي السيف البلاء إذا نزل ، والسهمري الذي لا يرويه البحر إذا نهل ، والسيل الذي لا يقف في طريقه شيء ولا يمشي على مهل .

آخر : صان الله تعالى بمصانعه من أهل ملته كل قبيل ، وأمن الله بمداراته من خوف جيوشنا المنصورة كل سبيل ، وصد عنه بصدق صداقته بعث جنودنا الذي لا يرد وأوله بالفرات وآخره بالنيل .

آخر : ولا زال يتوقى بطاعته بوادر الأئمة ، وعوادي الخيل موشحة بالأئمة ، وعيث الجيش حيث لا يبقى إلا أحد الأقسام الثلاثة : القتل أو الأسر أو المنه .

آخر : جنب الله رأيه سوء التعكيس ، وشر ما يزين لمثله إبليس ، وأخذ جناب قلاعه وأول تلك الجناب سيس .

والذي ذكره في "التثيف" أنه كان اسمه كستندين بن هتيوم ، وأن رسم المكاتبه إليه على ما كان أمستقر عليه الحال إلى حين الفتح في سنة ست وسبعين وسبعائة ، في قطع العادة : «صدرت هذه المكاتبه إلى حضرة الملك الجليل ، المكرم ، المجل ، المعظم ، المعزز ، الهام ، الباسل ، فلان بن فلان ، عز دين النصرانيه ، كبير الطائفة الصليبيه ، عماد بن المعموديه ، صديق الملوك والسلاطين ، أدام الله نعمته ، وحرس مهجته ، تعلمه كذا وكذا» . وتعريفه «متملك سيس» قال : وكتبت أنا والجماعة إليه بهذه المكاتبه مرات .

قلت : وقد بطلت هذه المكاتبه بفتح سيس حين فتحها قشتمر المنصوري نائب حلب في الدولة الأشرفية «شعبان بن حسين» في التاريخ المقدم ذكره ،

وَأَسْتَقَرَّتْ نِيَابَةٌ فِي رِثْبَةِ نِيَابَةِ طَرَابُلُسَ وَمَا فِي مَعْنَاهَا ؛ ثُمَّ أَسْتَقَرَّتْ تَقْدِيمَةَ عَسْكَرٍ فِي مُضَافَاتِ حَلَبَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي الْمَسَالِكِ وَالْمَمَالِكِ هُنَاكَ . وَإِنَّمَا كَانَ يُقَالُ لَهُ مِمَّا لَكَ سِيسٌ دُونَ مَلِكٍ سِيسٌ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّهَا كَانَتْ أَوْلَى بِيَدِ الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْهَا رَئِيسُ الْأَرْمَنِ الْمُقَدَّمُ ذِكْرَهُ فَلَمَّا كَانَتْ مِنْ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ فِي إِعَادَتِهَا إِلَى يَدِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَسْتَقَرَّتْ فِي جَمَلَةِ الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ .

المقصد الثاني

(في المكتبة إلى ملوك الكفار ببلاد المغرب من جزيرة الأندلس
وما والاها مما هو شمالي الأندلس من الأرض الكبيرة)

قد تقدم في الكلام على المسالك والممالك من المقالة الثانية أن المسلمين كانوا قد أفتحوها جزيرة الأندلس في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وأنها أقامت بأيدي المسلمين إلى رأس السّمان من الهجرة، ولم يبق منها بيد المسلمين إلا غرناطة وما معها من شرق الأندلس ، عرض ثلاثة أيام في طول عشرة أيام . وبقى الجزيرة على سعتها بيد أهل الكفر من نصارى الفرنج ، وأن المستولى على ذلك منهم أربعة ملوك .

الأول - صاحب طليطلة وما معها ، ولقبه الأذفونش : سمى على كل من ملك منهم ، وعامة المغاربة يسمونه الفُنش ، وله مملكة عظيمة وعمالات متسعة ، تشمل على طليطلة ، وقشتالة ، وإشبيلية ، وبلنسية ، وقرطاجنة ، وجيان ، وجليقية ، وسائر أعمالها .

(١) ضبطها ياقوت عن الحميدى بضم الطاء بن رفيع اللامين ثم قال وأكثر ما سمعناه عن المغاربة ضم الأولى وكسر الثانية . وكذلك ضبطه المؤلف فيما تقدم في جزءه . فليتب .

الثاني - صاحب أشبونة وما معناها، وتسمى البرتقال، ومملكته صغيرة واقعة في الجانب الغربي عرّضاً له، تشتمل على أشبونة وغرب الأندلس .

الثالث - صاحب برشلونة، وأرغون، وشاطبة، وسرقسطة، وبلنسية^(١)، وجزيرة دانية، وميورقة .

الرابع - صاحب بيرة : وهي بين عمالات قشتالة، وعمالات برشلونة، وقاعدته مدينة يبلونة، ويقال لملكها ملك البشكنس . ووراء هؤلاء بالأرض الكبيرة صاحب إفرنسة التي هي أصل مملكة الفرنج كما تقدم في الكلام على المسالك والممالك، وملكها يقال له الريد إفرنس . قال في "التعريف" : وهو الملك الكبير المطاع؛ وإنما الأدفونش هو صاحب السطوة، وذكره أشهر في المغرب لقربه منهم، وبعد الريد إفرنس .

والمكاتب منهم ملكان :

الأول - الأدفونش المبدأ بذكره . قال في "التعريف" : وبيده جمهور الأندلس، وبسيوفه فيت جحاجحها الشمس، وهو وارث ملك لذريق . ولذريق هذا الذي أشار إليه في "التعريف" هو الذي آتت عنها المسلمون من يده حين الفتح في صدر الإسلام . قال صاحب "التعريف" : وحدثني رسول الأدفونش بتعريف ترجمان موثوق به من أهل العدالة يسمى صلاح الدين ترجمان الناصري : أن الأدفونش من ولد هرقل المفتوح منه الشام، وأن الكتاب الشريف النبوي الوارد على هرقل متوارث عندهم مصون، يُلف بالديباج والأطلس، ويدخر أكثر من ادخار الجواهر والأعلاق، وهو إلى الآن عندهم لا يُخرج، ولا يُسمح بإخراجه،

(١) هي بلنسية المتقدمة إنييت إلى بلنسية كما بعد .

يُنظَرُ فِيهِ بَعِينَ الْإِجْتِزَالِ ، وَيُكْرِمُونَهُ غَايَةَ الْكِرَامَةِ ، بِوَصِيَّةٍ تَوَارَثَهَا مِنْهُمْ كَابِرٌ عَنْ كَابِرٍ
وَخَلْفٌ عَنْ سَلْفٍ .

قال : وكان الأدفونش من قَوَى طَمَعُهُ فِي بِلَادِ مِصْرَ وَالشَّامِ فِي أُخْرَى الْيَالِي الْأَيَّامِ
الْفَاطِمِيَّةِ . ثُمَّ قَالَ : وَمَكَاتِبَاتُهُ مُتَوَاصِلَةٌ ، وَالرُّسُلُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ مَا تَنْقَطِعُ عَلَى سُوءِ
مَقَاصِدِهِ ، وَخُبْتُ سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ ، أَهْدَى مَرَّةً إِلَى السُّلْطَانِ سَيْفًا طَوِيلًا وَثَوْبًا بِنْدُقِيَا
وَطَارِقَةً طَوِيلَةً دَقِيقَةً ، تَشْبَهُ النَّعْشِ ، وَفِي هَذَا مَا لَا يَخْفَى مِنْ أَسْتِفْتَاكِ بَابِ الشَّرِّ
وَالْتَصْرِيحِ الْمَعْرُوفِ بِالْكَيْلِيَّةِ ، فَكَانَ الْجَوَابُ أَنْ أُرْسَلَ إِلَيْهِ جَبَلٌ أَسْوَدٌ وَحَجْرٌ ، أَيْ
إِنَّ كَلْبَ إِنْ رُبِطَ بِالْحَبْلِ وَإِلَّا رُمِيَ بِالْحَجْرِ .

قال في "التعريف" : ورسم المكاتبه إليه أطال الله بقاء الحضرة السامية ، حضرة
الملك الجليل ، الهمام ، الأسد ، الباسل ، الضرغام ، الغضنفر ، بقية سلف قيصر ،
حامى حماة بنى الأصفر ، المنع السلوك ، وارث لذريق وذرارى الملوك ، فارس
البر والبحر ، ملك طليطلة وما يليها ، بطل النصرانية ، عماد بنى المعمودية ، حامل
راية المسيحية ، وارث التيجان شبيه مريحنا المعمدان ، محب المسلمين ، صديق
الملوك والسلاطين .

دعاء وصدور يليقان به

وكفاه شر نفسه ، وجناه ثمر غرسه ، ووقاه فعل يوم يجر عليه مثل أمسه ، وأراه
مقدار النعمة بالبحر الذي تمنع بسوره وتوقى برسه .

أصدرناها إليه وجند الله لا يمنعه مانع ، ولا يضربهم في الله ما هو جامع ، ولا يبألون
أكتاب يخلقونها أم كتباً ، وجداول تعرض لهم أم بحار لا تقطعها إلا وثبا .

أخسر : ووقاه بنوفقه تلاف المهج . وكفاه بأس كل أسد لم يبيح ، وحما من
سرقته لا يبيل البحر الذي تحصن به تجارها من الزبح .

أصدرناها إليه وأسئنا لا تُرد عن نحر ، وأعنتنا لا تُصد بسور ولو ضرب من وراء البحر .

قلت : وينبغي أن تكون في قطع النصف .

الثاني - صاحب برّحلونة ، وهم في " التثيف " فجعله هو الأدفونش المقدم ذكره . وقال : إنه يلقب أطفونش ، دون حاكم . ثم قال : وهم طائفة الكيتلان ورسم المكاتبه إليه في قطع النصف بقلم الثلث الكبير « أدام الله تعالى بيحة الحضرة الموقرة ، الملك الجليل ، المكرّم ، المبجل ، الخطير ، البطل ، الباسل ، الهمام ، الضرغام ، الريدأرغون ، فلان ، نصير النصرانية ، نخر الأمة العيسوية ، ذنر الملة المسيحية ، حامى الثغور ، ممتلك السواحل والبحور ، عماد المعمودية ، ظهير بابا روميه ، ملاذ الفرسان ، جمال التخوت والتيجان ، صديق الملوك والسلاطين ، صاحب برّحلونة » .

قال في " التعريف " : أما الريد فرنس فلم يرد له إلا رسول واحد ، أبرق وأرعد ، وجاء يطلب بيت المقدس على أنه يفتح له ساحل قيسارية أو عسقلان ، ويكون للإسلام بهما ولاية مع ولاته ، والبلاد مناصفة ، ومساجد المسلمين قائمة ، وإدرات قوميتها دائرة ، على أنه يبذل مائتي ألف دينار تعجل وتحمّل في [كل] سنة ، نظير (٢) دخل [نصف] البلاد التي يتسلمها على معدل ثلاث سنين ، ويطرف في كل سنة بغرائب التحف والهدايا . وحسن هذا كتاب من كتبة القبط ، كانوا صاروا رؤوساً في الدولة بعائم بيض وسراير سود ، وهم أعداء زرق ، يجرعون الموت الأحمر ، وعملوا على تمشية هذا القصد و [ان] سرى في البدن هذا السم ، وتطلب له الدرياق فعز .

(١) مراده الثلث الثقيل .

(٢) أرى زيادة من " التعريف " ص ٦٣ .

وقالوا : هذا مالٌ جليلٌ معجَّلٌ ثم ماذا عسى أن يكون منهم وهم نُقْطَةٌ في بحرٍ،
وحصاةٌ في دَهْنَاءِ .

قال : وبلغ هذا أبي رحمه الله ، فألى أن يُجَاهِرَ في هذا ، ويجاهدَ بما أمكنه ،
ويدافعَ بمهما قدرَ عليه ، ولو لاوى السلطانَ على رأيه إن أصغى إلى أولئك الأفكّة ؛
وقال لى : تقوم معى وتكلم ، ولو خُضبت منا ثيابنا بالدم ، وراسلنا قاضى القضاة
القزوينى الخطيب ، فأجاب وأجاد الاستعداد ؛ فلما بكرنا إلى الخِدمة وحضرنا بين
يدي السلطان بدار العدل ، حضرت الرسل ، وكان بعضُ أولئك الكتبة حاضرا ،
فاستعدَّ لأن يتكلم ؛ وكذلك استعدينا نحن : فما استتم كلامهم حتى غَضِبَ السلطانُ
وحَمَى غضبه ، وكاد ينضمَّ عليهم حطبه ، ويتعجَّلَ لهم عطبه ، وأسكتَ ذلك المنافقُ
بخزيتِه ، وسكتنا نحن ا كُتفَاءً بما بلغه السلطان مما رده بخبيته ؛ فصدَّ ذلك
الشیطانُ وكفى الله المؤمنين القتال ؛ وردت على راميها النصال . وكان الذى قاله
السلطان : والكم أنتم عرقتُم ما لقيتم نوبة دِمياط من عسكر الملك الصالح ، وكانوا
جماعة أكرادٍ ملفقة مجعته ؛ وما كان بعد هؤلاء الترك ؛ وما كان يشغلنا عنكم إلا قتال
التر؛ ونحن اليوم بحمد الله تعالى صلح^(١) [نحن وإياهم] من جنس واحد ما يتخلى بعضه
عن بعض ، وما كنا نريد إلا الابتداء ؛ فأما الآن فتحصلوا وتعالوا ، وإن لم تجوا
فنحن نجيمك ولو أننا نخوض البحر بالخيول ؛ والكم صارت لكم السنة تذكرون بها
القدس ؛ والله ما ينال أحد منكم منه ترابَةٌ إلا ما تسفيه الرياح عليه وهو مصلوب !
وصرخ فيهم صرخة زعزعت قواهم ، وردهم أقبح رد ، ولم يقرأ لهم كتابا ، ولا رد
عليهم سوى هذا جوابا .

(١) الزيادة من "التعريف" .

قلت : فإن اتفق أن يكتب إلى الرّيد إفرنس المذكور فتكون المكاتبه إليه مثل
المكاتبه إلى الأدفونش أو أجل من ذلك .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الرَّيْدَ فَرَنْسَ هُوَ الَّذِي قَصَدَ الدِّيَارَ الْمَصْرِيَّةَ بِمَوَاطَاةِ الْأَدْفُونَشِ : صَاحِبِ
طُلَيْطَلَةَ الْمُقَدَّمِ ذَكَرَهُ ، وَمَلَكُوا دِمِيَاطَ ، وَكَانَتِ الْوَاقِعَةُ بَيْنَهُمْ فِي الدَّوْلَةِ الْأَيُوبِيَّةِ
فِي أَيَّامِ الصَّالِحِ أَيُّوبَ ، وَأَخَذَ الرَّيْدَ فَرَنْسَ وَأَمْسِكَ وَحَبَسَ بِالْدارِ الَّتِي كَانَ يَنْزِلُهَا
نُحْرُ الدِّينِ بْنِ لُقْمَانَ : صَاحِبِ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ ، بِالْمَنْصُورَةِ ، وَرَسِمَ عَلَيْهِ الطَّوَّاشِي
صَبِيحَ ، ثُمَّ نَفَّسَ عَنْهُ ، وَأَطْلَقَ لِأَمْرٍ قَرَّرَ عَلَيْهِ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ جَمَالَ الدِّينِ بْنِ مَطْرُوحَ
أَبْيَاتِهِ الْمَشْهُورَةَ وَهِيَ :

[قُلْ لِلْفَرَنْسِيِّسِ إِذَا جِئْتَهُ * مَقَالَ صِدْقٍ مِنْ قَوْلِ نَصُوحِ
أَتَيْتَ مِصْرًا تَبْتَغِي مُلْكَهَا * تَحْسَبُ أَنَّ الزَّمْرَ يَا طَبْلُ رِيحِ
وَكُلَّ أَصْحَابِكَ أَوْدَعْتَهُمْ * بِحَسْنِ تَدْبِيرِكَ بَطْنُ الضَّرِيحِ
خَمْسِينَ أَلْفًا لَا تَرَى مِنْهُمْ * غَيْرَ قَيْلٍ أَوْ أُسَيْرِ جَرِيحِ
وَفَقَّكَ اللَّهُ لِأَمْثَالِهَا * لَعَلَّ عَيْسَى مِنْكُمْ يَسْتَرِيحُ
أَجْرَكَ اللَّهُ عَلَى مَا جَرَى * أَفْنَيْتَ عِبَادَ يَسُوعَ الْمَسِيحِ
فَقُلْ لَهُمْ إِنْ أَضْمَرُوا عَوْدَةً * لِأَخْذِ ثَارٍ أَوْ لِقْصِدِ صَبِيحِ :
دَارُ ابْنِ لُقْمَانَ عَلَى حَالِهَا * وَالْقَيْدُ بَاقٍ وَالطَّوَّاشِي صَبِيحِ^(١)

(١) بيض لهذه الأبيات في الاصل وقتلاها مما تقدم في ج ٥

المقصود الثالث

(في المكتبة إلى ملوك الكفار بالجانب الجنوبي)

والمكاتب بهذا الجانب منهم ملكان :

الأول - صاحب أمحرًا : ملك ملوك الحبشة ، ولقبه عندهم حطى - بفتح الحاء وكسر الطاء المشددة المهملتين ، سمة على كل من ملك عليهم منهم .

قد تقدم في الكلام على المسالك والممالك في المقالة الثانية أنه نصراني يعقوبي ، يحكم على تسعة وتسعين ملكا ، منهم سبعة مسلمون ، وهم صاحب وفات ، وصاحب دوارو ، وصاحب أرايني ، وصاحب شرخا ، وصاحب هدية ، وصاحب بآلي ، وصاحب دارة ، وأنه لولا أن معتقد دين النصرانية لطائفة اليعاقبة أنه لا يصح تعدد معمودي إلا باتصال من البطريك ، وأن كرسي البطريك كنيسة الإسكندرية فيحتاج إلى أخذ مطران بعد مطران من عنده ، لشمخ بأنفه عن المكتبة ، لكنه مضطر إلى ذلك .

قال في " التعريف " ورسم المكتبة إليه :

أطال الله بقاء الحضرة العلية ، الملك ، الجليل ، الهام ، الضرغام ، الأسد ، الغضنفر ، الخطير ، الباسل ، السמידع ، العالم في ملته ، العادل في مملكته ، المنصف لرعيته ، المستمع لما يجب في أقضيته ، عز الملة النصرانية ، ناصر الملة المسيحية ، ركن الأمة العيسوية ، عماد بني المعمودية ، حافظ البلاد الجنوبية ، متبع الحواريين ، والأخبار الربانيين ، والبطاركة القديسين ، معظّم كنيسة صهيون ، أوجد ملوك اليعقوبية ، صديق الملوك والسلاطين . ويدعى له دعاء مفخما يليق به .

وهذا دعاء وصدر يليقان به، ذكرهما في "التعريف" :
وأظهر فضله على من يدانيه من كل ملك هو بالتاج معتصب، ولكف التجاج
بالعدل منتصب، ولقطع حجاج كل معاند بالحق معتصر أو للحق معتصب .
صدرت هذه المفاوضة إلى حضرته العلية ومن حضرة القدس سراها، ومن
أسرة الملك القديم سراها، وعلى صفاء تلك السرية الصافية ترد وإن لم يكن بها
غليل، وإلى ذلك الصديق الصدوق [المسيحي] اتصل، وإن لم تكن بعثت إلا من
تلقاء الخليل .

ولم يذكر القطع الذي يكتب إليه فيه . أما في "التثقيف" : فإنه ذكر أنه
يُكتب إليه في قطع الثلث بقلم التوقيعات مانصه :

أطال الله بقاء الملك، الخليل، المكرم، الخطير، الأسد، الضرغام، الهام،
الباسل، فلان بن فلان، العالم في ملته، العادل في مملكته، حطى ملك أمحرا، أكبر
ملوك الحبشان، نجاشي عصره، سند الملة المسيحية، عضد دين النصرانية، عماد بني
المعمودية، صديق الملوك والسلاطين، والدعاء، وتعريفه «صاحب الحبشة» .

قال : فإن كانت المكاتبه جوابا، صدر الكتاب إليه بما صورته : ورد كتاب الملك
الخليل، ويذكر بقية المكاتبه . ثم قال : وهذه المكاتبه هي التي استقر عليها الحال عند
ما كتب جوابه في التاسع من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة .



وهذه نسخة جواب كتاب ورد عن صاحب الحبشة من سلطنة الملك المظفر
صاحب اليمن، على الملك «الظاهر بيبرس» رحمه الله، بطلب مطران يقيمهم
البطرك، مما كتب به القاضي محي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله، وهي :

ورد كتابُ الملك، الجليل، الهام، العادل في ملته، حطّى ملك أمّحرا أكبر ملوك
الحبشان، الحاكم على ما هم من البلدان، نجاشي عصره، صديق الملوك والسلاطين،
سلطان الأمّحرا حرس الله نفسه، وبني على الخير أسه، فوقفنا عليه وفهمنا ماتضمنه :
فأما طلب المطران فلم يحضر من جهة الملك أحدٌ حتى تكا نعرف الغرض المطلوب،
وإنما كتابُ السلطان الملك المظفر صاحب اليمن ورد مضمونه أنه وصل من جهة
الملك كتابٌ وقاصد، وأنه أقام عنده حتى يسير إليه الجواب . وأما ما ذكره من كثرة
عساكره ، وأن من حملتها مائة ألف فارس مسلمين ، فالله تعالى يكثر في عساكر
الإسلام . وأما وخم بلاده فالآجال مقدّرة من الله تعالى، ولا يموت أحدٌ إلا بأجله،
ومن فرع أجله مات .

وأعلم أنّ العادة جرت أنه كلما كتبت إليه كتابٌ عن الأبواب السلطانية كتب
قرينه كتابٌ عن البطريك . قال في " التعريف " : ولأوامر البطريك عنده
مالشريعته من الحرمة ، وإذا كتب كتابا فاتى ذلك الكتابُ أول مملكته ، خرج
عميدُ تلك الأرض فحمل الكتابَ على رأسِ علم ، ولا يزال يحمله بيده حتى يُخرجه
من أرضه ، وأربابُ الديانة في تلك الأرض : كالفُسوس والشامسة حوله مشاةٌ
بالأدخنة ، فإذا خرجوا من حدّ أرضهم تلقّاهم من يليهم أبدا كذلك في كلّ أرض
بعد أرض حتى يصلوا إلى أمّحرا، فيخرج صاحبها بنفسه ، ويفعل مثل ذلك الفعل
الأول ؛ إلا أنّ المطران هو الذي يحمل الكتابَ لعظّمته لا لتأبى الملك . ثم لا يتصرف
الملك في أمر ولا نهى ، ولا قليل ولا كثير، حتى ينادى للكتاب ، ويجمع له يوم الأحد
في الكنيسة ، ويُقرأُ والملك واقفٌ ، ثم لا يجلس مجلسه حتى ينفذ ما أمره به .

الثاني - صاحب دُنُقلة . قد تقدّم في الكلام على المسالك والممالك
أن دُنُقلة هي قاعدةُ مملكة النوبة، وأنها كانت في الأصل يكون ملكها من نصارى

النوبة، ومعتقدهم معتقد اليعاقبة، وأنه ربما غلب عليها بعض المسلمين من العرب فلنگها، وقد تقدم ذكر المكاتبه إلى صاحبها إذا كان مسلماً، أما إذا كان نصرانياً فقد ذكر في "التثقيف" أن المكاتبه إليه: هذه المكاتبه إلى النائب، الجليل، المبجل، الموقر، الأسد، الباسل، فلان، مجد الملة المسيحية، كبير الطائفة الصليبية، غرس الملوك والسلاطين، والدعاء، وتعريفه «النائب بدنقله».

المقصد الرابع

(في المكاتبه إلى ملوك الكفار بالجنب الشمالي من الروم والفرنجة على اختلاف أجناسهم، وجميعهم معتقدهم معتقد الملكانية)

وجملة ما ذكر من المكاتبات في "التعريف" و"التثقيف" اثنتا عشرة مكاتبه:

الأولى - مكاتبه الباب، وهو بطريرك الملكية، القائم عندهم مقام الخليفة، والعجب من جعله في "التثقيف" بمنزلة القان عند التتار، والقان إنما هو بمنزلة ملكهم الأكبر، والباب ليس من هذا القبيل، بل إليه أمر الديانة حتى في التحليل والتحريم.

وقد تقدم في الكلام على المسالك والممالك عند ذكر البطاركة أنهم كانوا يُسمون القسيس ونحوه أباً، ويُسمون البطريرك أباً، فأحبوا أن يأتوا على البطريرك بسمة له تميزه عن غيره من الآباء، فاختاروا له لفظ الأب، وأنه يقال فيه الباب والبابا ومعناه أبو الآباء، ثم لما غلب الروم على المملكة، وعلت كلمتهم على اليعاقبة، خصوا اسم الباب ببطريركهم، فصار ذلك علماً عليه، ومقره مدينة رومية على ما تقدم

(١) مراده أن يطلقوا على البطريرك سمة الخ.

هناك . ورسمُ المكتبة إليه على ما ذكره في "التثقيف" ضاعفَ اللهُ تعالى بهجةَ الحضرة السامية ؛ الباب الجليل ، القديس ؛ الروحاني ؛ الخاشع ، العامل ، ياباً رومية ؛ عظيم الملة المسيحية ، قُدوة الطائفة العيسوية ، مملكِ ملوكِ النصرانية ، حافظ الجُسور والخُلجان ، ملاذِ البطاركة والأساقفة والقُسوس والرهبان ، تالي الإنجيل ، معرف طائفته التحريم والتحليل ، صديق الملوك والسلاطين . والدعاء ، وصدرت هذه المكتبة .

قال في "التثقيف" : هذا ما وجدته مسطوراً ولم يكتب إليه شيءٌ في مدة مباشرة ، ولا أدري في أي شيء كان يكتب إليه ولا عرفت تعريفه . ولم يتعرض له المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" جملةً ، ورأيت في بعض الدساتير أنه لم يكتب إليه إلا مرة واحدة ، وأن الكتابة إليه في قطع النصف مع المكتبة المتقدمة .

الثانية - المكتبة إلى ملك الروم صاحب القُسطنطينية . قد تقدم في الكلام على المسالك والممالك أنها صارت آخراً إلى بني الأشكرى ؛ فصار الأشكرى سمة لهم ملكاً بعد ملك . قال في "التعريف" وقد كان قبل غلبة الفرنج ملكاً جليلاً ، يرجع إليه من عبَاد الصليب سائر الملوك ، ويفتقر إليه منهم الغني والصعلوك ؛ وكتب التواريخ مشحونة بأخباره ؛ وذكر وقائعه وآثاره ، وأول من ألبس هامة الله ، وأصار جمعه إلى القلعة ، هارون الرشيد حين أغزاه أبوه المهدي إياه ، فأزال الشمم من أنفه ، وثنى جامع عطفه . فاما غزوات مسلمة بن عبد الملك ويزيد بن معاوية فإنها لم تبلغ فيه حد النكايه ؛ ولا أعظمت له الشكايه ؛ قال : وهذا الملك الآن كان السلطان (أزبك) قد كاد يبتز تاجه ، ويُعقم نتاجه ؛ ويُجَل من جانب البحر المغلق رتاجه ؛ فأحتاج إلى مداراته وبذل له نفائس المال ، وصحب أيامه على مَضض

الاحتمال، وكانت له عليه قطيعةٌ مقرّره، وجملةٌ مالٍ مقدّره؛ ثم عميت علينا بعده منهم الأخبار، وتوتى بالدنيا الإدبار .

ورسم المكتبة إليه على ما ذكره في " التعريف " : ضاعف الله تعالى بهجة الحضرة العالية ، المكرمة ، حضرة الملك ، الجليل ، الخطير ، الهمام ، الأسد ، الغضنفر ، الباسل ، الضرغام ، المعرق ، الأصيل ، المجد ، الأثير ، الأثيل ، البلاوس ، الريدأرغون ، ضابط الممالك الرومية ، جامع البلاد الساحلية ، وارث القياصرة القدماء ، محي طرق الفلاسفة والحكماء ، العالم بأمور دينه ، العادل في مملكه ، معز النصرانية ، مؤيد المسيحية ، أوجد ملوك العيسويه ، مخول التخوت والتيجان ، حامى البحار والخلجان ، آخر ملوك اليونان ، ملك ملوك الشريان ، عماد بنى المعمودية ، رضى الباب بابا رومية ، ثقة الأصدقاء ، صديق المسلمين ، أسوة الملوك والسلاطين . ثم يكتب اسمه هنا ويدعى له ؛ ولم يذكر قطع الورق الذى يكتب إليه فيه .

وهذا دعاء وصدر يليقان به ، أوردهما فى التعريف .

وجعل له من السلامة^(١) يدا لا ترغزعه من أوطانه ، ولا تنزعه من سلطانة ، ولا توجب له إلا استقرارا لتيجانه ، واستقرارا بملكه على مادارت على حصونه مناطق خلجانه ، ولا برحت شمار الود تدنو من أفنانه ، ومواثيق العهد تبوى له مايسر به من إشادة معالم سلفه وشد بناء يونانه : أصدرناها ، وشكره بكاره البحر لا يوقف له على آخر ، ولا يوصف مثل عقده الفاجر ، ولا يكثر إلا قيل : أين هذا القليل من هذا الزاجر .

(١) فى التعريف « مع الإسلام » .

آخِرُ لَهُ : وَنَظْمٌ سَلَكَ ، وَحَمِيٌّ بِحُسْنِ تَأْتِيهِ مُلْكُهُ ، وَكَفَىٰ مُجِبَّهُ هُلْكُهُ ،
وَأَجْرِي بُوْدَهُ رِكَائِبُهُ وَفُلْكُهُ ، وَوَقَاهُ كَذِبَ الْكَاذِبِ وَكَفَّ إِفْكَهُ ، وَأَشْهَدُ عَلَىٰ وَدِّهِ
الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا جَنَّ كَافُورٌ هَذَا كَافُورُهُ وَلَا مَسْكٌ هَذَا مِسْكُهُ .

قلت : هذا الدعاء والصدْرُ وإن أوردته في "التعريف" في جملة الأدعية له
والصدور ، فإنه منحطُ الرتبة عن المكاتبة السابقة ؛ اللهم إلا أن يُخصَّصَ هذا بحالة
مناذرةٍ أو تهديدٍ ، ونحو ذلك .

وذكر في "التثقيف" أن الذي استقرَّ عليه الحال في المكاتبة إليه أنه يُكْتَبُ إليه
في قَطْعِ النَّصْفِ ما نصه : ضاعف الله تعالى [بهجة^(١)] حضرة الملك الجليل ،
المكْرَمَ ، المَبَجَّلَ ، الأَسَدَ ، الخَطِيرَ ، البَطْلَ ، البَاسِلَ ، الهَمَامَ ، الضَّرْعَامَ ، فلان ،
العالم في ملته ، العادل في أهل مملكته ، عزَّ الأمة المَسِيحِيَّةَ ، كبير الطائفة الصَّلِيبِيَّةَ ،
جَمَالِ بنِي المَعْمُودِيَّةِ ، صَمَّصَامِ المُلُوكِ اليُونَانِيَّةِ ، حُسَامِ المَلِكَةِ المَاكْصُونِيَّةِ ،
مالك اليرغلية والاملاحية ، صاحب أمصار الرُّوسِ والعَلَّانِ ، مُعِزِّ اعتقاد الكُرُجِ
والسُّرِيَانِ ، وارثِ الأِسْرَةِ والتَّيْجَانِ ، الحَاكِمِ عَلَى الثُّغُورِ والبُحُورِ والخُلُجَانِ ، الضُّوقِسِ
الأَنْجَالُوسِ الكَمِينُوسِ البَالَالُوعِسِ ، صَدِيقِ المُلُوكِ والسُّلَاطِينِ ؛ ثم الدعاء .
صدرت هذه المكاتبة إلى حضرته تشكراً موالاةً ، (ومن هذه المادة) وتوضَّح
لعلمه السعيد .

ورأيت في بعض الدساتير أنه يختمها بقوله : فَيُحِيطُ بِذَلِكَ عِلْمًا ، والله تعالى
يديم بهجته .

(١) مقتبسة من "التعريف" لصحة الكلام .

قال في "التثقيف" : وتعريفه « ضابط مملكة الروم » وذكر أن هذه المكاتبه هي المتداوله بديوان الإنشاء بين كُتَّابه ، وأنه هو كُتِّب بها إليه ، ولم يتعترض لإيراد المكاتبه التي ذكرها في "التعريف" بل أحال في معرفتها لمن أرادها على النظر فيه .

الثالثة - المكاتبه إلى حُكَّام جَنَوَهَ : وهم جماعة متفاوتو المراتب ، وهم : البودشطا ، والكبطان ، والمشايخ . ورسم المكاتبه إليهم على ما ذكره في "التثقيف" في قطع الثلث :

صدرت هذه المكاتبه إلى حضرة البودشطا والكبطان الجليلين ، المكرمين ، الموقرين ، المبجلين ، الخطيرين ، فلان وفلان ، والمشايخ الأكارب المحترمين ، أصحاب الرأي والمشورة ، الكمنون بجنوه^(١) ، أمجاد الأئمة المسيحية ، أكابر دين النصرانية ، أصدقاء الملوك والسلطين ، ألهمهم الله تعالى رُشدَهم ، وقرن بالخير قَصدَهم ، وجعل النصيحة عندهم . تتضمن إعلامهم كذا وكذا . وتعريفهم «الحُكَّام بجنوه» .

قال في "التثقيف" والذي أستقر عليه الحال آخرا في مفتح سنة سبع وستين وسبعائة إبطال المكاتبه إلى البودشطا والكبطان ، بحكم أنهما أبطالا ، وأستقر [ت مكاتبه] الدوج مكانهما بما نصه :

صدرت هذه المكاتبه إلى الدوج الجليل ، المكرم ، المبجل ، الموقر ، الخطير ، فلان ، والمشايخ ، والباقي على ما تقدم ذكره .

قلت : هكذا هو في "التثقيف" بدال وواو وجيم ، والمعروف إبدال الجيم في آخره كانا على ماسياتي ذكره في الكلام على صاحب البندقية على الأثر .

(١) لعله الخاكون بجنوه .

وأعلم أنه قد ذكر في "التثقيف" أنه كان لصاحب جنوة مُقَدِّم على الشَّوَانِي بِقُبْرَسَ ، وقيل إنه كان بالماغوصة ، وأنه كتب إليه في رمضان جواباً عما ورد عنه في قَطْع العادة مانصه :

وردت مكاتبة الْمُحْتَشِمِ ، الجليل ، المَبْجَلِ ، الموقر ، الاسد ، الباسل ، فلان ، مَجْدِ الملة المَسِيحِيَّةِ ، كبير الطائفة الصَّليبيَّةِ ، غرس الملوك والسلاطين ، ثم الدعاء . وتعريفه «مقدم الشَّوَانِي الجَنَوِيَّةِ بِقُبْرَسَ» .

الرابعة - المكاتبة إلى صاحب البُنْدُقيَّةِ . قال في "التثقيف" : ورسم المكاتبة إليه على ما استقر عليه الحال عند ما كتب إليه جوابه في شهر رجب سنة سبع وستين وسبعائة ، وهو يومئذ مَرَكْرِيَادُو في قطع الثلث :

وردت مكاتبة حضرة الدُّوَجِ ، الجليل ، المَكْرَمِ ، الخطير ، الباسل ، الموقر ، المَفْعَمِ ، مَرَكْرِيَادُو نَحْرِ الملة المَسِيحِيَّةِ ، جمال الطائفة الصَّليبيَّةِ ، دُوجِ البُنْدُقيَّةِ والمانسية ، دوج كرال دين بنى المعمودية ، صديق الملوك والسلاطين ، والدعاء . وتعريفه «صاحب البندقية» : ثم ذكر بعد ذلك نقلا عن خط القاضي ناصر الدين ابن النشائي أنه كتب في الجواب إلى دُوكِ البنادقة :

وردت مطالعة دُوكِ الجليل ، المَكْرَمِ ، المَبْجَلِ ، الموقر ، البطل ، الهمام ، الضَّرغَامِ ، الغَضَنَفَرِ ، الخطير ، مجدِ الملة النَّصْرَانِيَّةِ ، نَحْرِ الأُمَّةِ العيسويَّةِ ، عماد بنى المعمودية ، معزَّ يَابَا رُوميَّةِ ، صديق الملوك والسلاطين ، دُوكِ البنادقة ، وديارقة ، والرُّومَا ، والإصطنبوليَّةِ . ثم قال : ولم يذكر تعريفه ولا قَطْعِ الورق الذي يُكْتَبُ إليه فيه ، ثم نقل عنه أيضا أن المكاتبة إلى دُوكِ البُنْدُقيَّةِ : هذه المكاتبة إلى حضرة المحتشم ، الجليل ، المَبْجَلِ ، الموقر ، المَكْرَمِ ، المَفْعَمِ ، الباسل ، الضَّرغَامِ ، فلان ،

عِزُّ الأُمَّةِ المَسِيحِيَّةِ، جَمالِ الطائِفَةِ العيسويَّةِ، ذُخْرِ المِلَّةِ الصليبيَّةِ، صديقِ الملوِكِ والسلاطينِ . ثم قال : هكذا رأيتُه من غيرِ ذِكرِ تعريفه ولا القَطْعِ الذي يكتب إليه فيه . قال : وما يبعُدُ أَنه غيرُ الأَوَّلِ ولم يزدِ علي ذلك .

قلت : ومقتضى ما ذكره من جميع ذلك أن الدُّوكَ غيرَ المَلِكِ نَفْسِه . علي أن المَكاتِبَةَ الأوَّلِيَّ والثانيَّةَ في الجوابِ متقارِبَتانِ . أما المَكاتِبَةُ الثالثَةُ فمَنحَطَّةٌ عن الأَوَّلَتَيْنِ . علي أَنه قد تقدَّم في الكلامِ علي المسالكِ والممالكِ عند ذِكرِ البندُقيَّةِ نقلاً عن ابنِ سَعِيدٍ أَن مَلِكِ البنادقةِ يقال له الدُّوكُ بضمِ الدالِ المهملةِ وواوِ وكافِ في الآخرِ، وهذا مما يحتاجُ إلى تحريرٍ؛ فإن كان الدُّوكُ هو المَلِكُ فتكونُ المَكاتِبَةُ إليه أَختلَفَتْ باختلافِ الحالِ، أو باختلافِ غَرَضِ الكُتَّابِ، أو عدمِ أَطلاعِهِم علي حَقِيقَةِ الأقدارِ والوقوفِ مع ما يُلْقَى إليهم من المُرَاحِمَةِ في كلِّ وقتٍ وهو الظاهرُ .

الخامسة - المَكاتِبَةُ إلى صاحبِ سَنُوبَ، من سواحلِ بلادِ الرومِ، قبل أن تُفْتَحَ ويستوليَ عليها التُّرُكُ . قال في "التعريف" وهي علي ضَفَّةِ الخَلِيجِ القُسطنطينيَّةِ، ومَلِكها روميٌّ من بيتِ المَلِكِ القديمِ، من أقاربِ صاحبِ القُسطنطينيَّةِ . قال : ويقال إن أباه أَعْرَقَ من آبائه في السلطانِ . قال : ولكن ليس مَلِكُه بَكَبِيرٍ، ولا عددهُ بَكثيرٍ، ويكونُ بينه وبين أمراءِ الأتراكِ حروبٌ، يكونُ في أَكثَرِها المَغْلُوبِ . وذكر أن رسمَ المَكاتِبَةِ إليه مثلُ مَمْلَكِ سِيسِ، فتكونُ علي ما ذكره في مَكاتِبَةِ مَمْلَكِ سِيسِ :

صدرتْ هذه المَكاتِبَةُ إلى حَضْرَةِ المَلِكِ، الجليلِ، البطلِ، الباسلِ، الهَمَامِ، السَّمِيدِ، الضَّرغامِ، الغَضنْفَرِ، فلانِ؛ نَحْرِ المِلَّةِ المَسِيحِيَّةِ، ذُخْرِ الأُمَّةِ النُصْرانيَّةِ، عمادِ بني المَعْمُوديَّةِ، صديقِ الملوِكِ والسلاطينِ .

وهذا دعاء يليق به، ذكره في "التعريف" :

وكفاه شر ما ينوب ، وروح خاطره في الشمال برّياً ما يهب من الجنوب ، ووقاه
سوءَ فعيل يورث الندم وأول ما يقرع السن سنوب .

السادسة - المكتبة إلى صاحب البلغار والسرب . قد تقدم في الكلام على
المكتبات إلى ملوك الإسلام بالجانب الشمالي نقلاً عن "التعريف" ما يقتضى أن
ملكها مسلم ، وذكرت مكاتبته الإسلامية هناك ، وعلى ذلك أقصر في "التعريف"
وتقدم النقل عن "مسالك الأبصار" أنها صارت إلى ملوك النصرانية ، وعليه أقصر
في "التثقيف" وهو المراد هنا .

ورسم المكتبة إليه على ما ذكره في "التثقيف" نقلاً عن ابن النشائي في قطع
الثالث ما نصه :

أطال الله تعالى بقاء حضرة الملك ، الجليل ، المكرم ، المبجل ، الهام ، الضرغام ،
الباسل ، الدوقس ، الأنجالوس ، الكنينوس ، فلان ، عماد النصرانية ، مالك السرب
والبلغار ، نحر الأمة العيسويه ، زحر الملة المسيحية ، فارس البحور ، حامى الحصون
والثغور . والدعاء ، أصدرنا هذه المكتبة ، وتعريفه «صاحب البلغار» .

وأعلم أنه في "التثقيف" بعد أن أورد المكتبة المتقدمة لصاحب السرب والبلغار ،
نقلاً عن ابن النشائي ذكر نقلاً عنه أيضاً أن المكتبة إلى صاحب السرب في قطع
الثالث نظير ممتلك سيس ، فتكون المكتبة إليه على ما تقدم أنه الذي استقر عليه الحال
في المكتبة لممتلك سيس

صدرت هذه المكتبة إلى حضرة الملك ، الجليل ، المكرم ، المبجل ، المعزز ،
الهام ، الباسل ، فلان ، عز دين النصرانية ، كبير الطائفة الصليبية ، عماد بنى

(١) أى البلد التى هى عاصمة ملكه .

المعمودية، صديق الملوك والسلاطين، أدام الله نعمته، وحرس مهجته، تعلمه كذا وكذا، وتعريفه «صاحب السرب» .

ثم قال : ولم أدر هل يجتمعان لشخص واحد تارة فيكون بهما آثان تارة وواحد تارة أم لا . ثم قال : على أنه لو كان الأمر كذلك لكان يتعين أن يذكر مكاتبه صاحب البُلغار وحده مفرداً كما ذكر مكاتبه صاحب السرب وحده مفرداً .

قلت : كلاً الأمرين محتملٌ، فيجوز أنهما كانا مجتمعين لواحد، وأنه كتب تعريفه بالإضافة إلى أحدهما استغناءً به عن الآخر، أو أنه كتب إلى صاحب السرب بمفرده، ولم يحط رتبته في قطع الورق عن رتبة من اجتماعه، ولا يلزم من ذلك أنه كان يكتب لصاحب البُلغار بمفرده لاحتمال أنه لم يكتب إليه شيء حينئذ، وبالجملة فهذا أمر راجع إلى النقل .

السابعة - المكاتبه إلى ملك رُودِس . قال في "التعريف" وهي جزيرة تقابل شطوط البلاد الرومية . قال : وأهلها في البحر حرامية ، إذا ظفروا بالمسلم ، أخذوا ماله ، وأحيوه ، وباعوه أو استخدموه ؛ وإذا ظفروا بالفرنجي ، أخذوا ماله وقتلوه .

ورسم المكاتبه إليه مثل ممتلك سيس ، إلا أنه لا يقال فيه معزاً بابا رومية ، وتختصر بعض ألقابه لأنه دونه ، وحينئذ فيتجه أن تكون المكاتبه إليه :

صدرت هذه المكاتبه إلى حضرة الملك الجليل ، البطل ، الباسل ، السميذع ، فلان ، نخر الملة المسيحية . ذكر الأمة النصرانية ، صديق الملوك والسلاطين ، أونحو ذلك . على أنه في "التعريف" لم يذكر في المكاتبه إلى ممتلك سيس ، معزاً بابا رومية ؛ فلم يكن ليجتاج أن يقول : إلا أنه لا يقال فيه معزاً بابا رومية

وهذا دعاء يليق به، ذكره في "التعريف" وهو
 قَدَّمَ اللهُ لَهُ الْأَعْذَارَ، وَكَفَاهُ قَوَامِعَ الْإِنْذَارِ، وَحَدَّرَهُ عَاقِبَةَ الْبَغْيِ قَبْلَ أَنْ لَا يَنْفَعَ الْإِحْذَارُ .
 آخِرُ : فَكَ اللهُ مِنْ وَثَاقِهِ كُلِّ مَاسُورٍ، وَأَقَالَ كُلَّ غَرَابٍ لَهُ مِنَ الرَّجُوعِ
 وَجَنَاحُهُ مَكْسُورٌ، وَعَصَمَهُ بِالتَّوْبَةِ مِمَّا أَقْتَرَفَ، لَا بِالْبَحْرِ وَلَوْ أَنَّهُ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ، وَسُورِ
 مَدِينَتِهِ وَلَوْ أَنَّهُ مِائَةٌ سُورٍ .

الثامنة - المكتبة إلى صاحب جزيرة المصطكى . قال في "التعريف" : وهي
 جزيرة صغيرة لا تبعد مدى من الإسكندرية، وصاحبها صغير لا في مال ولا في رجال؛
 وجزيرته ذات فحط لا يطير شاربها بزرق، ولا يدرك حالها بضرع؛ إلا أنها تنبت
 هذه الشجرة فتحمل منها وتجلب، وترسى السفن عليها بسببها وتطلب؛ قال :
 وفي ملكها خدمة لرسلنا إذا ركبوا ثبج البحر، وتجهيز لهم إلى حيث أرادوا، وتجهيز
 لهم إذا توجهوا وإذا عادوا . ورسم المكتبة إليه على ما ذكره في "التعريف" كالمكتبة
 إلى صاحب جزيرة رودس المتقدمة الذكر آنفاً وهي :

صدرت هذه المكتبة إلى حضرة الملك الجليل إلى آخر ما تقدم .

وهذه أدعية تليق به ذكرها في "التعريف" دعاءً من ذلك، وفقه الله لطاعته،
 وأنفضه من الولاء بقدر طاقته .

آخِرُ : أَطَابَ اللهُ قَلْبَهُ، وَأَدَامَ إِلَيْنَا قُرْبَهُ .

آخِرُ : لَا زَالَ إِلَى الطَّاعَةِ يُبَادِرُ، وَعَلَى الْخِدْمَةِ أَنْهَضَ قَادِرٌ، وَمَكَانُهُ تَزِمُ
 إِلَيْهِ رَكَابُ السُّفُنِ بِكُلِّ وَارِدٍ وَصَادِرٍ .

التاسعة - المكتبة إلى منمك قبرس . وإنما قيل له منمك قبرس لأنها كانت
 قد فتحها المسلمون؛ ثم تغلب عليها النصارى وملكوها؛ فقيل لمن غلب عليها منمك

ولم يُقَل له ملك ؛ وذكر في "التثقيف" عن القاضي ناصر الدين بن النشائي أن
المكاتبة إليه [مثل] ممتلك سيس ولم يزد على ذلك ؛ وحينئذ فتكون المكاتبة إليه
مثل ما استقر عليه الحال في المكاتبة إلى ممتلك سيس في قطع العادة :

صدرت هذه المكاتبة إلى حضرة الملك ، الجليل ، المكرم ، المبجل ، المعزز ،
الهام ، الباسل ، فلان ؛ عزّ دين النصرانية ، كبير الطائفة الصليبية ، عماد بنى
المعمودية ؛ صديق الملوك والسلاطين ؛ أدام الله نعمته ، وحرس مَهجته . وتعريفه
« ممتلك قبرس » .

قال صاحب "التثقيف" : ولم أقف على مكاتبة إليه ابتداءً ولا جواباً سوى
ذلك ، إلا أنه كتب إليه عن الأمير الجاى اليوسفى عند وقوع الصلح في سنة اثنتين
وستين وسبعائة ، يعنى عند ما كان الجاى أتاك العساكر المنصورة .

العاشرة - المكاتبة إلى ملك مونفراد . ذكر في "التثقيف" أنه كان بها
ابن ملك إصطنبول ، وأنه كتب إليه في سنة ثلاث وثلاثين وسبعائة :

أصدرناها إلى حضرة الملك الجليل ، المكرم ، البطل ، الهام ، الأسد ،
الضّرغام ، فلان ؛ مجد النصرانية ، نجر العيسوية ، عماد بنى المعمودية ، جمال
الطائفتين الرومية والفرنجية ، ملك مونفراد ، وارث التاج ، معزّ الباب ،
أدام الله بقاه ، وحفظه ووقاه ، وأورثه من ابيه تحته وتاجه وولاه ؛ تتضمن
إعلامه كذا وكذا . ثم قال : هذا ما وجدته مسطوراً في رسم المكاتبة المذكورة ،
ولم يكتب إليه شيء في مدة مباشرتي ، ولم أدر ما تعريفه ، ولا في أى قطع يكتب
إليه . قال : والذي يظهر أنه يكتب إليه في قطع العادة ، وأن يكون تعريفه

« ملك مونفراد » .

الحادية عشرة - المكتبة إلى صاحبة نابل . وقد ذكر في "التثيف" أنه كان أسم صاحبها جوانا، وأنه كُتِب إليها في أواخر سنة ثلاث وسبعين وسبعائة ماصورته :

صدرت هذه المكتبة إلى الملكة، الجليلة، المكرمة، المبجلة، الموقرة، المفخمة، المعززة، فلانة، العالمة في ملتها، العادلة في مملكها، كبيرة دين النصرانية، بصيرة الأئمة العيسويه، حامية الثغور، صديقة الملوك والسلاطين . ثم الدعاء، تتضمن إعلاما، وتعريفها «صاحبة نابل» ولم يذكر قطع الورق لمكتبتها، ولا خفاء أنه يكتب إليها في قطع العادة لصغر مقامها .

قلت : فإن ولي مملكها رجل، فينبغي أن يكتب إليه بهذه المكتبة على التذكير أو أعلى من ذلك، لميزة الرجال على النساء . وهؤلاء جملة من تعرض إلى مكاتبته في "التعريف" و"التثيف" من ملوك الكفرة، فإن أتفتت المكتبة إلى أحد سواهم فليقس على من هو مثله منهم . ثم قد ذكر في "التثيف" القنصل بكفا، وذكر أنها جارية في حكم جنوة، وأنه لم يكتب إليه شيء عن المواقف الشريفة، ولا خفاء في ذلك، فإن مقام القنصل دون أن يكتب عن الأبواب السلطانية .

الفصل الخامس

من الباب الثاني من المقالة الرابعة

(في الكتب الواردة على الأبواب الشريفة السلطانية بالديار المصرية؛

من جرت العادة بمكاتبة إليها من أهل المملكة وغيرها من

سائر الممالك المكاتبية عن هذه المملكة؛ وهي نوعان)

النوع الأول

(المكاتبات الواردة عن ملوك المسلمين ، وهي على قسمين)

القسم الأول - في الكتب الواردة عن أهل هذه المملكة ، بالديار المصرية ،
والبلاد الشامية ، ممن يؤهل للمكاتبة إلى الأبواب السلطانية ، من النواب وغيرهم :
من الأمراء ، وأرباب الأقاليم : من الوزراء ، والعلماء ومن في معيّنهم ، وهم على
ضريين :

الضرب الأول

(في المطالعات الواردة عن أكابر أهل الدولة بالديار المصرية

والبلاد الشامية : من النواب ومن في معيّنهم)

قد جرت عادة من يكتب إلى الأبواب السلطانية من أهل هذه المرتبة ، أن
يكتب جميعهم كتبهم في قطع العادة ؛ فإن كان بالديار المصرية فمن الورق البلدي ،
وإن كان بالبلاد الشامية فمن الورق الشامي ، وجميع ذلك في الورق الأبيض ، إلا
نائب الشام ونائب الكرك ، فإنهما قد جرت العادة فيهما بأنهما يكتبان إلى الأبواب
السلطانية في الورق الأحمر الشامي . شيء آخضابه دون سائر أهل المملكة .

ثم قد ذكر في "عرف التعريف" أن الملوك لا يكتب إليهم إلا «يقبل الأرض»
ويُنهى . ويختم الكتاب بما صورته : طالع الملوك بذلك وللآراء العالية مزيد العلو،
أو أنهى الملوك ذلك وللآراء العالية مزيد العلو، والعنوان «الملكي الفلاني» ، مطالعة
الملوك فلان » وحينئذ فالذي جرت به العادة في ذلك أن يتدئ الكاتب فيكتب
فهرست الكتاب في رأس الدرج من جهة وجهه ، في عرض إصبع ، في الجانب الأيمن
« إلى الأبواب الشريفة » وفي الجانب الأيسر « بسبب كذا وكذا » ثم يقبُ الدرج
ويكتب في ظاهره ، بعد ترك ما كتب الفهرست في باطنه ، العنوان ؛ فيكتب :
« الملكي الفلاني » في أول العنوان ، و « مطالعة الملوك فلان » في آخره . ثم بعد ذلك
يقبُ الدرج ، ويترك وصلاً أبيض ، ويكتبُ البسمة في رأس الوصل الثاني بعد
خُلُوها من الجانب الأيمن . ثم يكتبُ تحت البسمة ملاصقاً لها ما صورته
« الملكي الفلاني » بحيث يكون آخر الملكي الفلاني مسامياً لجلالة البسمة ، بلقب
السلطان ، كأنه ينسب نفسه إلى سلطانه . ثم يكتب صورة المكاتبه على سمت البسمة
في سطرٍ ملاصقٍ للملكي الفلاني « يقبل الأرض ويُنهى كذا وكذا » فإن كان ابتداءً
كتب ويُنهى أن الأمر كذا وكذا ، ويأتي بمقاصد المكاتبه : فإن كانت فصلاً
واحداً ذكره وختم الكتاب بآخر كلامه ؛ وإن كان الكتاب مشتملاً على فصول أتى
بالفصل الأول إلى آخره . ثم يخلى بياضاً قدر خمسة أسطر . ثم يسرد الفصول بعد
ذلك فصلاً فصلاً : يخلى بين كل فصلين قدر خمسة أسطر أيضاً ، ويقول في أول
كل فصل « الملوك يُنهى كذا وكذا » وإذا أتى على ذكر السلطان ، قال : خلد الله
سلطانه ، أو خلد الله ظله ؛ أو أتى على ذكر المرسوم الشريف ، قال : شرفه الله
وعظمه ونحو ذلك . وإنا سأل في أمره : قال : والمنعوك بعرض على آراء الشريفة
كذا وكذا . أو إن أفنصت الآراء الشريفة كذا عليها مزيد العلو ولا يقال : يسأل

الصدقات الشريفة، إلا في أمر جليل أو شيء مهم، والعرش أبلغ في الأدب، ولا يلقب أحدا بالجناب والمجلس ومجلس الأمير، وإذا ذكر كبيرا في الدولة كالنائب الكافل، ونائب الشام، أو نائب حلب، أو أمير كبير. قال: إن مملوك مولانا السلطان خاد الله ملكه الأمير فلان الدين فلان الناصري مثلا، كافل الممالك الشريفة، أو نائب السلطنة الشريفة بالمملكة الشامية المحروسة، أو كافل المملكة الشامية المحروسة، أو نائب السلطنة الشريفة بحلب المحروسة، أو الأمير فلان الدين فلان الناصري مثلا، أو القاضي فلان الدين، أو ناظر الجيوش المنصورة بالأبواب الشريفة، وما يجري هذا المجرى، ولا يدعى في المطالعة لأحد. وإذا آتت الفصول إلى آخرها، قال: وقد جهز المملوك بمطالعة هذه مملوكه فلانا السيئي مثلا المائل بها. وإن كان ثم مشافهة، قال: وقد حملته مشافهة يسأل المسامع الشريفة سماعها إن اقتضت ذلك، أو ينهيها إلى المسامع الشريفة إذا رسم له بإنهاها، طالع بذلك، أو أنهى ذلك.

ثم قد جرت عادة النواب بالبلاد الشامية أن يقدموا في صدر المكاتب ما أشتمل على أخبار البلاد الشرقية من مملكة إيران المجاورة لأواحر هذه المملكة: من تجديد أمر، أو حركة عدو، أو حكاية حال مهمة من أحوال تلك البلاد، مثل أن يقال في أول المكاتب، وينهى أن قصاده عادوا من البلاد الشرقية مخبرين بكذا وكذا، ويشرح الحال التي أخبر بها قصاده.

وإن كان الخبر نقلا عن نائب من نواب الأطراف كالرها ونحوها، قال: إن مطالعة نائب فلانة وردت بكذا وكذا، ويذكر ما تضمنته ملخصا. وإن كانت المطالعة جواب مثال شريف ورد فقط، قال: وينهى أن المرسوم الشريف

شرفه الله تعالى وعظمه ورد على المملوك على يد فلان الدين فلان البريدي بالأبواب الشريفة يتضمن ما اقتضته المراسيم الشريفة ، أو ما اقتضته الآراء الشريفة شرفها الله تعالى وعظمها : من كذا وكذا ، ويذكر نص المثال الشريف حرفاً حرفاً . ثم يقال : وتفهم المملوك ما رسم له به ، وقابل المراسيم الشريفة - زاد الله تعالى شرفها - بتكرار تقبيل الأرض والامتثال ؛ وتقدم بكذا ، ان كان الأمر مما نفذ ، أو والذي ينهيه المملوك كذا وكذا إن كان الأمر قد توقف .

ثم إن كان النائب عظيم القدر ككاتب السلطنة الشريفة بالشام أو حلب ، جعل بعد ما بين كل سطرين تقدير رأس إصبع ؛ وإن كان دون ذلك جعل ما بينهما أقل من ذلك حتى ينتهي في أقل الرتب إلى ملاصقة السطور بعضها ببعض .

وإن كانت المطالعة في أمر مهم كاستقرار نائب أو بشارة بفتح أو نحو ذلك ، أتى بجميع الكتاب مسجماً وإلا فلا .

وهذه نسخة مطالعة عن نائب الشام ابتداءً .

يقبل الأرض ، وينهى أنه ورد على المملوك مكاتبه نائب السلطنة الشريفة بحلب المحروسة ، يذكر فيها أن قصاده عادوا من جهة بلاد الشرق ، وأخبروا أن العدو المخدول فلانا قد خرج عليه عدو من ورائه وقصد بلاده فكرر راجعا إليه بعد أن كان قاصداً هذه الجهة ، وأحب المملوك إحاطة الخواطر الشريفة بذلك .

المملوك ينهى أن مطالعة نائب الرحبة المحروسة وردت على المملوك يخبر فيها أن فلانا التركاني قد عاد إلى الطاعة الشريفة ، ولاذ بمراحم الأبواب العالية ، وأنه ما كان حمله على ما وقع منه من عدم المقابلة إلا الخوف من السطوات الشريفة ، وأنه يسأل كتابة أمان شريف له ولجماعته ومن يليه بأن يكونوا أميين على أنفسهم ،

وأموالهم ، وسائر ذات يَدِهِمْ ، وأنه إذا وصل إليه الأمان قصد الأبواب السلطانية ،
وتمثل بالمواقف الشريفة ، وأمثل ما تبرز به الأوامر المطاعة في أمره وأمر جماعته .
والمملوك ينظر ما يردُّ به الجوابُ الشريف في أمره لكاتبِ نائب الرُجبة المحروسة
بما يعتمده في أمره .

المملوكُ يُنهي أنه قد بلغ المملوك أن البحر مشغولٌ بمراكب الفَرَنْج ، ولم يعلم إلى
أى مكان يقصدون ، وقد أخذ المملوك في الاحتراز على السواحل المذكورة بإقامة
المركّزين ، وأمرهم بالاحتراز والاحتفاظ ، وقد عرض المملوك ذلك على الآراء العالية
ليكون ذلك على الخواطر الشريفة ، ويكتب به التواب بالبلاد المجاورة للبحر .

المملوك يُنهي أن الأمير فلانا الفلاني : أحد أمراء الطبلخاناه بدمشق المحروسة
قد توفى إلى رحمة الله تعالى ، والمملوك يسأل الصدقات الشريفة في استقرار أمرته باسم
مملوك مولانا السلطان عز نصره ، ولد المملوك فلان ، إعانة له على الخدمة الشريفة ،
وجبراً لخاطر المملوك ، فإن حسن ذلك بالآراء الشريفة ، وإلا فللرأى العالى مزيد العلو .

المملوك يُنهي أن الأمير فلان الدين فلانا : أمير حاجب بالشام المحروس ، كان
قد برزت المراسيمُ الشريفةُ باستقراره في نيابة صفد المحروسة ، وقد توجه إلى محل
نيابته ، والمملوك يعرض على الآراء الشريفة إن حسن بالرأى الشريف أن يستقر
في الوظيفة المذكورة الأمير فلان الدين فلان : أحد الأمراء الطبلخاناه بدمشق
المحروسة ، فإنه كُفءٌ لذلك ، أو يستقر من تبرز به الآراء الشريفة .

المملوك ينهى أن فلانا : أحد رجال الحلقة المنصورة بدمشق المحروسة ، قد درج
بالوفاة ، وقد كتب المملوكُ مرجةً باسم فلان الدين فلان باستقراره على إقطاعه ،
وجهازها إلى الأبواب الشريفة لتعرض على الآراء العالية . فإن حسن بالرأى الشريف

إمضاؤها وإلا فيستقر على إقطاعه من تبرز المراسيم الشريفة باستقراره، وقد جهز المملوك هذه المطالعة على يد مملوكه فلان إلى الأبواب الشريفة .

طالع بذلك، إن شاء الله تعالى ثم يكمل .



وهذه نسخة مطالعة عن نائب الشام أيضا ، في جواب مكتبة شريفة وردت عليه وهي :

يَقْبَلُ الأَرْضَ وَيُنْهَى أَنْ المَرْسُومِ الشَّرِيفِ - شَرَفَهُ اللهُ تَعَالَى وَعَظَّمَهُ - وَرَدَّ عَلَى المَمْلُوكِ عَلَى يدِ فُلَانِ الدِّينِ فُلَانِ البَرِيدِيِّ ، بِالأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ ، يَتَضَمَّنُ أَنَّ المَرْسُومِ الشَّرِيفِ أَقْتَضَى الإِجْتِهَادَ وَالأَهْتِمَامَ فِي حِفْظِ السَّوَاهِلِ وَالمَوَانِي ، وَإِقَامَةِ الأَيْزَاكِ وَالأَبْدَالِ فِي أَوْقَاتِهَا عَلَى العَادَةِ ، وَإِلْزَامِ أَرْبَابِهَا بِمَوَاطِبَتِهَا ، وَإِلْزَامِ المُنَوِّرِينَ بِالدِّيدَانَاتِ وَالمَنَاطِرِ وَالمَنَاورِ فِي الأَمَاكِنِ المَعْرُوفَةِ ، وَتَعَهُدِ أَحْوَالِهَا وَتَفْقُدهَا ، وَتَقْوِيمِ أَحْوَالِهَا بِحَيْثُ تُقَوِّمُ أَحْوَالَهَا عَلَى أَحْسَنِ العَوَائِدِ وَأَكْمَلِهَا ، وَلَا يَقَعُ عَلَى أَحَدٍ دَرَكٌ بِسَبَبِهَا . وَأَنَّ المَمْلُوكَ يَتَقَدَّمُ بِاعْتِمَادِ مَا أَقْتَضَاهُ المَرْسُومُ الشَّرِيفُ مِنْ ذَلِكَ مَعَ مُضَاعَفَةِ الإِحْتِفَالِ بِذَلِكَ وَالمُبَادَرَةِ إِلَيْهِ . فَوَقَفَ المَمْلُوكُ عَلَى المَرْسُومِ الشَّرِيفِ شَرَفَهُ اللهُ تَعَالَى وَعَظَّمَهُ ، وَتَفَهَّمُ مَارِسِمَ لَهُ بِهِ ، وَقَابَلَ المَراسِيمَ الشَّرِيفَةَ زَادَ اللهُ تَعَالَى شَرَفَهَا بِالأَمْتِثَالِ ، وَتَقَدَّمَ بِاعْتِمَادِ مَا أَقْتَضَتْهُ المَراسِيمُ الشَّرِيفَةُ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَخَذَ فِي حِفْظِ السَّوَاهِلِ وَالمَوَانِي ، وَإِقَامَةِ الأَيْزَاكِ وَالأَبْدَالِ ، وَإِلْزَامِ أَرْبَابِهَا بِمَوَاطِبَتِهَا ، وَإِلْزَامِ المُنَوِّرِينَ بِالدِّيدَانَاتِ وَالمَنَاطِرِ [فقامت الأحوال] عَلَى أَحْسَنِ العَوَائِدِ ، وَجَرَتْ عَلَى أَكْمَلِ القَوَاعِدِ ، وَلَمْ يُكُنْ عِنْدَ المَمْلُوكِ غَفْلَةٌ عَمَّا هُوَ بِصَدَدِهِ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَدْ أَعَادَ المَمْلُوكُ فُلَانَ الدِّينِ فُلَانًا البَرِيدِيَّ المَذْكُورَ بِهَذِهِ المَطالعة : لِيَحْصُلَ الوَقُوفُ عَلَيْهَا . طالع بذلك



وهذه نسخة مطالعة تشتمل على ابتداء وجواب : يقبل الأرض وينهى أنه قد حضر رسول من القان فلان بالمملكة الفلانية [وقصدّه التوجه] إلى الأبواب الشريفة ، والمملوك يعرض على الآراء العالية أمره ، فإن أذن له في التوجه إلى أبوابه الشريفة ، جهزه المملوك إليها على العادة .

المملوك ينهى أن المرسوم الشريف شرفه الله تعالى وعظمه ورد على المملوك على يد فلان الدين فلان المسافر من الأبواب الشريفة ، يتضمن طلب فلان الفلاني ، وحمله إلى الأبواب الشريفة محتفظاً به ، فبادر المملوك ما برزت به المراسيم الشريفة بالامتثال ، وتقدم بطلب فلان المذكور وسلمه إلى فلان الدين المسافر المذكور ، وبعث معه من يحتفظ به في الطريق إلى حين وصوله إلى الأبواب الشريفة .



صورة وضع المطالعة من تواب السلطنة ومن في معانهم ، إلى الأبواب الشريفة

الجانب الأيمن	الطنزة	الجانب الأيسر
إلى الابواب الشريفة		بسبب كذا

العنوان

الملكى الفلانى

مطالعة المملوك

فلان

الصدر

بسم الله الرحمن الرحيم

الملكى الظاهرى مثلاً

يقبل الأرض وينهى أن المرسوم الشريف شرفه الله تعالى وعظمه ، ورد على

المملوك ، على يد فلان الدين فلان البريدى ، ويكفل عليه إلى آخره .

الضرب الثاني

(من المطالعات الواردة إلى الأبواب السلطانية عن أهل المملكة)

المطالعات الواردة من الولاة ومن في معنهم^(١).

(١) بيض له في الأصل بقدر صفحة.

القسم الثاني - في الكتب الواردة على الأبواب السلطانية، عن أهل الممالك الإسلامية المكتوبة عن هذه المملكة. وحالها مختلف باختلاف حال مصطلح أهل البلاد وحال المكتوب عنه في رِفعة القَدْر. وفائدة معرفة ذلك أنه إذا عَرَفَ الكاتبُ مصطلحَ كلِّ مملكةٍ في الكتابة، ظهر له ما هو واردٌ عن ملكها حقيقةً وما هو مفتعلٌ عليه، ولا يخفى ما في ذلك من كبر الفائدة، وعظيم النفع، وأرتفاع قدر الكاتب عند ملكه بإظهار الزَّيف بِمَحْكُ المعرفة.

ومن غريب ما وقع في هذا المعنى أنه وردَ رسولٌ من الشرق، في الأيام الظاهرية الشهيدية برقوق سقى الله تعالى عهده، وأظهر لأهل الطُّرقات أنه رسولٌ من عند طقتمش صاحب بلاد أذربك، ورُفِعَتْ بِطاقته بالقلعة المحروسة بذلك، فأمر السلطانُ النائبَ الكافلَ وأكابر الأمراء بالخروج لملاقاته على القُرب من القاهرة، فخرجوا وتلقَّوه بالتعظيم، على أنه رسولٌ طقتمش خان المقدم ذكره، وأنزل بالميدان الكبير تعظيماً لأمره، فلما عُرِصَ كتابه نظر فيه المقرَّ البدرى بن فضل الله، فعمده الله تعالى برحمته، وهو يومئذٍ صاحب ديوان الإنشاء الشريف، فوجده غيرَ جارٍ على مصطلح كتب القانات في الورق والكتابة، فاستُفسِرَ الرسولُ المذكورُ عن ذلك ونُوقِشَ في قضيته، فأخبر أنه عن الحاكم بالقرم من أتباع طقتمش خان، فأنكر عليه ذلك، وحَطَّ رُتبته عند السلطان وأهل دولته عما كان عليه، وعَلَا بذلك مقدار المقرَّ البدرى بن فضل الله المشار إليه عند السلطان، وشكَّره ما كان من ذلك.

ويشتمل على أربعة مقاصد :

المقصد الأول

(في الكتب الواردة عن أهل الشرق، وفيه أطراف)

الطرف الأول

(الكتب الواردة عن القانات العظام من بني جنكزخان، ولها حالان)

الحال الأولى — ما كان الأمر عليه قبل دخولهم في دين الإسلام .

وكان الأمر يجري في كتابتهم مجرى المخاشنة، والتصريح بالعداوة، ولم أقف على مقادير قطع ورق كتبهم يومئذ ولا ترتيب كتابتها .

وهذه نسخة كتاب كتب به هولانكو بن طوحي، بن جنكزخان، المنتزع العراق من أيدي الخلفاء العباسيين . كتب به إلى الملك المظفر قطز في سنة ثمان وخمسين وسبعمائة، وهو :

من ملك الملوك شرقاً وغرباً القان الأعظم :

بأسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء .

يعلم الملك المظفر قطز الذي هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا إلى هذا الإقليم يتمتعون بأنعامه، ويقتلون من كان سلطانه بعد ذلك .

يعلم الملك المظفر وسائر أمراء دولته وأهل مملكته بالديار المصرية وما حولها من الأعمال، أننا جند الله في أرضه، خلقنا من سخطه، وسلطنا على من أحل عليه غضبه، فسلموا إلينا أموركم تسلموا، قبل أن ينكشف الغطاء فتندموا، وقد عرفتم أننا نحرّبنا البلاد، وقتلنا العباد، فلکم منا الهرب، ولنا خلقكم الطلب،

فما لكم من سُيوفنا خَلاص : خُيولنا سَوابق ، وسُيوفنا قَواطع ، وقلوبنا كالجبال ،
 وعددنا كالرمال ، ومن طلب حَربنا ندم ، ومن قصد أماننا سَليم ، فإن أتم لشَرتنا
 وأوامرنا أطعمتم فلکم مالنا ، وعليکم ما علينا ، فقد أعذر من أنذر . وقد ثبت عندكم
 أننا كُفَره ، وثبت عندنا أنکم الفَجَره ، فأسرِعوا إلينا بالجَواب قبل أن تُضَرم الحَربُ
 نارها ، وترمیکم بِشَرائها ، فلا يَبقى لکم جَاهٌ ولا عِزٌّ ، ولا يعصمکم مِنّا جَبَلٌ ولا
 حِزٌّ ، فما بقی لنا مقصِدٌ سِواکم ، والسلامُ علينا وعليکم ، وعلى من اتبع الهدى ،
 وخشي عواقب الردى ، وأطاع الملك الأعلى .

الحال الثانية - ما كان الأمر عليه بعد دُخولهم في دين الإسلام مع قيام العداوة
 بين الدولتين .

وكان عادتهم في الكتابة أن يُكتب بعد البسملة « بقوة الله تعالى » ثم يُكتب
 بعد ذلك « بإقبال قان فرمان فلان » يعني كلام فلان .
 ولهم في ذلك طريقتان .

إحداهما - أن يُكتب بسم الله سطرًا ، ويُكتب « الرحمن الرحيم » سطرًا
 تحتها ، ويكتب « بقوة الله » سطرًا « وتعالى » سطرًا آخر تحتها ، ثم يكتب تحت
 ذلك في الوسط بهامش من الجانبين « بإقبال قان » سطرًا ، وتحت « فرمان فلان »
 باسم السلطان المكتوب عنه سطرًا آخر .

والطريقة الثانية - أن تُكتب البسملة جميعها سطرًا واحدًا ، ثم يكتب تحت
 وَسَطَ البسملة « بقوة الله تعالى » سطرًا « وميامين الملة المحمدية » سطرًا آخر ،
 ثم يكتب تحت ذلك سطرًا آخر بزيادة يسيرة من الجانبين « فرمان السلطان فلان »
 يعني كلام السلطان فلان .

ولم أقف على قطع الورق الذي كُتِب فيه حينئذ ، والظاهر أنه في البغدادية
الكامل تعظيماً لشأن المكتوب عنه عندهم . وبالجملة فإن الظاهر أن الكتب الواردة
عنه على نمط الكتب الواردة من هذه المملكة إليهم ، جرياً على قاعدة كتاب
هذه المملكة من أن الغالب مضاهاتهم لأكابر الملوك في كتبهم في الهيئة والترتيب
شرقاً وغرباً .

وهذه نسخة كتاب على الطريقة الأولى ، ورد عن السلطان « أحمد » صاحب
مملكة إيران ، من بنى هولاً كُو المقدم ذكره ، وهو أول من أسلم منهم ، كتب به إلى
الملك المنصور « قلاوون » صاحب الديار المصرية ، تغمده الله تعالى برضوانه ،
ورد مؤرخاً بأوسط جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وستمائة ، ورأيت في بعض
الديساتير أنه من إنشاء الفخر بن عيسى الموصلي ، وورد بخطه وهو :

بقوة الله

بسم الله

تعالى

الرحمن الرحيم

بإقبال قان .

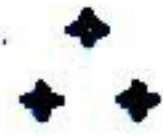
فرمان أحمد .

إلى سلطان مصر ، أما بعد ، فإن الله سبحانه وتعالى بسابق عنايته ، ونور هدايته ،
قد كان أرشدنا في عنقوان الصبا ، ورعان الحدائث ، إلى الإقرار برؤوبيته ، والاعتراف
بوحدانيته ، والشهادة لمحمد ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، بصدق نبوته ، وحسن
الاعتقاد في أوليائه الصالحين من عباده وبريته ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ ﴾
للإسلام ، فلم نزل نميل إلى إعلاء كلمة الدين ، وإصلاح أمور الإسلام والمسلمين ،
إلى أن أفضى إلينا بعد أينا الجليل ، وأخينا الكبير ، نوبة الملك ، فأضفى علينا من

جَلَابِيبِ الطَّافَةِ وَلَطَائِفِهِ ، مَا حَقَّقَ بِهِ آمَانَنَا فِي جَزِيلِ آيَاتِهِ وَعَوَارِفِهِ ، وَجَلَّى هَذِهِ
 الْمَمْلَكَةَ عَلَيْنَا ، وَأَهْدَى عَقِيلَتَهَا إِلَيْنَا ، فَاجْتَمَعَ عِنْدَنَا فِي قُورَيْلِيَّانِ الْمُبَارَكِ - وَهُوَ الْمَجْتَمَعُ
 الَّذِي تُقَدِّحُ فِيهِ الْآرَاءُ - جَمِيعُ الْإِخْوَانِ وَالْأَوْلَادِ وَالْأَمْرَاءِ الْكِبَارِ ، وَمَقَدِّمُو الْعَسَاكِرِ ،
 وَزَعَمَاءُ الْبِلَادِ ، وَأَنْفَقَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَى تَنْفِيزِ مَا سَبَقَ بِهِ حُكْمُ أَخِينَا الْكَبِيرِ ، فِي إِنْفَازِ الْجَمْعِ
 الْغَفِيرِ ، مِنْ عَسَاكِرِنَا الَّتِي ضَاقَتْ الْأَرْضُ بِرُحْبِهَا مِنْ كَثْرَتِهَا ، وَأَمْتَلَتْ الْأَرْضُ رُغْبًا
 مِنْ عَظِيمِ صَوْلَتِهَا ، وَشَدِيدِ بَطْشَتِهَا ، إِلَى تِلْكَ الْجِهَةِ بِهِمَّةٍ تَخَضَعُ لَهَا صَمُّ الْأَطْوَادِ ،
 وَعِزْمَةٌ تَلِينُ لَهَا الصَّمُّ الصَّلَادِ ، فَفَكَّرْنَا فِيمَا تَمَخَّضَتْ زُبْدُ عِزَائِهِمْ عَنْهُ ، وَاجْتَمَعَتْ
 أَهْوَاؤُهُمْ عَلَيْهِ ، فَوَجَدْنَاهُ مَخَالِفًا لِمَا كَانَ فِي ضَمِيرِنَا مِنْ آقْتِفَاءِ الْخَيْرِ الْعَامِّ ، الَّذِي هُوَ عِبَارَةٌ
 عَنْ تَقْوِيَةِ شِعَارِ الْإِسْلَامِ ، وَأَنْ لَا يُصْدِرَ عَنْ أَوْامِرِنَا مَا أَمْكَنَّا إِلَّا مَا يُوجِبُ حَقْنَ
 الدَّمَاءِ ، وَتَسْكِينَ الدَّهْمَاءِ ، وَتَجْرِي بِهِ فِي الْأَقْطَارِ ، رُخَاءُ نَسَائِمِ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ ،
 وَيَسْتَرِيحُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ فِي سَائِرِ الْأَمْصَارِ ، فِي مِهَادِ الشَّفَقَةِ وَالْإِحْسَانِ ، تَعْظِيمًا لِأَمْرِ اللَّهِ ،
 وَشَفَقَةً عَلَى خَلْقِ اللَّهِ ، فَالْهَمْنَا اللَّهُ تَعَالَى إِطْفَاءَ تِلْكَ النَّارِ ، وَتَسْكِينَ الْفِتَنِ النَّارِ ،
 وَإِعْلَامَ مَنْ أَسَارَ بِذَلِكَ الرَّأْيِ بِمَا أُرْشَدَنَا اللَّهُ إِلَيْهِ : مِنْ تَقْدِيمِ مَا يُرْجَى بِهِ شِفَاءُ مِرَاجِ
 الْعَالَمِ مِنَ الْأَدْوَاءِ ، وَتَأْخِيرِ مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ آخِرَ الدَّوَاءِ ، وَأَنْتَا لَا نَحِبُ الْمَسَارَعَةَ
 إِلَى هَرِّ النَّصَالِ لِلنَّصَالِ إِلَّا بَعْدَ إِضْوَاحِ الْمَحْجَةِ ، وَلَا نُبَادِرُهَا إِلَّا بَعْدَ تَبْيِينِ الْحَقِّ
 وَتَرْكِيبِ الْحُجَّةِ ، وَقَوِي عِزْمَتَنَا عَلَى مَا رَأَيْنَاهُ مِنْ دَوَاعِي الصَّلَاحِ ، وَتَنْفِيزِ مَا ظَهَرَ لَنَا بِهِ وَجْهُ
 النَّجَاحِ ، إِذْ كَانَ ، الشَّيْخُ قَدْوَةُ الْعَارِفِينَ « كِمَالِ الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ » الَّذِي هُوَ نِعْمَ الْعَوْنُ
 لَنَا فِي أُمُورِ الدِّينِ ، فَارْسَلْنَاهُ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لِمَنْ [لَبَّى] دُعَاةً ، وَنِقْمَةً عَلَى مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ
 وَعَصَاهُ ، وَأَنْفَدْنَا أَقْضَى الْقَضَاةِ قَطْبَ الْمِلَّةِ وَالْدِّينِ ، وَالْأَتَابِكَ بِسَاءِ الدِّينِ ، الَّذِينَ
 هُمَا مِنْ ثِقَاتِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الزَّاهِرَةِ لِيُعَرِّفُوهُمْ طَرِيقَتَنَا ، وَيَتَحَقَّقَ عِنْدَهُمْ مَا تَطَوَّى عَلَيْهِ
 لِعُمُومِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيلُ نِيَّتِنَا ، وَبَيْنَا لَهُمْ أَنَا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى بَصِيرَةٍ ، وَأَنَّ الْإِسْلَامَ

يُحِبُّ مَا قَبْلَهُ ، وَأَنَّهُ تَعَالَى الْوَقْتُ فِي قُلُوبِنَا أَنْ نَتَّبِعَ الْحَقَّ وَأَهْلَهُ ، وَنُشَاهِدَ أَنَّ عَظِيمَ نِعْمَةِ اللَّهِ لِلْكَافَّةِ بِمَا دَعَانَا إِلَيْهِ مِنْ تَقْدِيمِ أَسْبَابِ الْإِحْسَانِ ، أَنْ لَا يُحَرِّمُوهَا بِالنَّظَرِ إِلَى سَائِرِ الْأَحْوَالِ فَكُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ؛ فَإِنْ تَطَلَّعْتَ نَفُوسُهُمْ إِلَى دَلِيلٍ تَسْتَحْكُمُ بِسَبَبِهِ دَوَاعِيَ الْإِعْتِيَادِ ، وَحُجَّةٍ يَثْقُونَ بِهَا مِنْ بُلُوغِ الْمُرَادِ ؛ فَلْيَنْظُرُوا إِلَى مَا ظَهَرَ مِنْ أَمْرِنَا مِمَّا أَشْتَهَرَ خَبْرُهُ ، وَعَمَّ أَثَرُهُ ، فَإِنَّا أَبْتَدَأْنَا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ بِإِعْلَاءِ أَعْلَامِ الدِّينِ وَإِظْهَارِهِ ، فِي إِيْرَادِ كُلِّ أَمْرٍ وَإِصْدَارِهِ ، تَقْدِيمًا لِنَامُوسِ الشَّرْعِ الْمُحْمَدِيِّ ، عَلَى مَقْتَضَى قَانُونِ الْعَدْلِ الْأَحْمَدِيِّ ، إِجْلَالًا وَتَعْظِيمًا ؛ وَأَدْخَلْنَا السَّرُورَ ، عَلَى قُلُوبِ الْجُمْهُورِ ، وَعَفَوْنَا عَنْ كُلِّ مَنْ اجْتَرَحَ سَيِّئَةً وَأَقْتَرَفَ ، وَقَابَلْنَاهُ بِالصَّفْحِ وَقُلْنَا عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ؛ وَتَقَدَّمْنَا بِإِصْلَاحِ أُمُورِ أَوْقَافِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمَسَاجِدِ وَالْمَشَاهِدِ وَالْمَدَارِسِ ، وَعِمَارَةِ بِقَاعِ الدِّينِ وَالرُّيْطِ الدَّوَّارِسِ ؛ وَإِصْلَاحِ حَاصِلِهَا بِمُوجِبِ عَوَائِدِهَا الْقَائِمَةِ إِلَى مَسْتَحَقِّهَا بِشُرُوطِ وَإِقْفِيهَا ؛ وَمَنْعِنَا أَنْ يُلْتَمَسَ شَيْءٌ مِمَّا اسْتُحْدِثَ عَلَيْهَا ؛ وَأَنْ لَا يَغْيَّرَ أَحَدٌ شَيْئًا مِمَّا قُرِّرَ أَوَّلًا ؛ وَأَمْرِنَا بِتَعْظِيمِ أَمْرِ الْمُحْجَّاجِ وَتَجْهِيزِ وَفْدِهَا ، وَتَأْمِينِ سُبُلِهَا ، وَتَسْيِيرِ قَوَافِلِهَا ؛ وَإِنَّا أَطْلَقْنَا سَبِيلَ التَّجَّارِ الْمُرْتَدِّينَ إِلَى تِلْكَ الْبِلَادِ لِيُسَافِرُوا بِحَسَبِ آخْتِيَارِهِمْ عَلَى أَحْسَنِ قَوَاعِدِهِمْ ؛ وَحَرَمْنَا عَلَى الْعَسَاكِرِ وَالْقِرَاغُولَاتِ وَالشَّحَابِي فِي الْأَطْرَافِ التَّعَرُّضَ لَهُمْ فِي مَصَادِرِهِمْ وَمَوَارِدِهِمْ ، وَقَدْ كَانَ قِرَاغُولٌ صَادَفَ جَاسُوسًا فِي زِيَّ الْفُقَرَاءِ كَانَ سَبِيلُهُ أَنْ يَهْلِكَ ، فَلَمْ نُهْرِقْ دَمَهُ : لِحُرْمَةِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَعَدَّنَاهُ لَهُمْ . وَلَا يَخْفَى عَنْهُمْ مَا كَانَ فِي إِتْفَاقِ الْجَوَاسِيْسِ مِنَ الضَّرْرِ الْعَامِّ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّ عَسَاكِرَنَا طَالَمَا رَأَوْهُمْ فِي زِيَّ الْفُقَرَاءِ وَالنُّسَاكِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ ، فَسَاءَتْ ظُنُونُهُمْ فِي تِلْكَ الطَّوَائِفِ ، فَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَنْ قَتَلُوا ، وَفَعَلُوا بِهِمْ مَا فَعَلُوا ، وَارْتَفَعَتِ الْحَاجَةُ بِحَمْدِ اللَّهِ إِلَى ذَلِكَ بِمَا صَدَرَ إِذْنًا بِهِ مِنْ فَتْحِ الطَّرِيقِ وَتَرَدُّدِ التَّجَّارِ ، فَإِذَا أَمَعْنُوا الْفِكْرَ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ وَأَمْثَالِهَا لَا يَخْفَى عَنْهُمْ أَنَّهَا أَخْلَاقٌ جَبَلِيَّةٌ طَبِيعِيَّةٌ ، وَعَنْ شَوَائِبِ

التكلف والتصنع عريه . وإذا كانت الحال على ذلك فقد ارتفعت دواعي المضرة التي كانت موجبة للمخالفة ، فإنها إن كانت طريقاً للذنب والذود عن حوزة الإسلام ، فقد ظهر بفضل الله تعالى في دولتنا النور المبين ، وإن كانت لما سبق من الأسباب ، فمن يتحرى الآن طريق الصواب ، فإن له عندنا لزلفى وحسن مآب . وقد رفعنا الحجاب ، وأتينا بفضل الخطاب ، وعرفناهم [طريقتنا و] ما عزمنا بنية خالصة لله تعالى على استئنائها ، وحرمتنا على جميع العساكر العمل بخلافها ، لنرضى الله والرسول ، ويلوح على صفحاتها آثار الإقبال والقبول ، وتستريح من اختلاف الكلمة هذه الأمة ، وتجلي بنور الائتلاف ، ظلمة الاختلاف ، والغمة ، ويشكر سابغ ظلها البوادي والحواضر ، وتقر القلوب التي بلغت من الجهل الحناجر . ويعفى عن سالف الجرائر ، فإن وفق الله سلطان مصر إلى ما فيه صلاح العالم ، وانتظام أمور بني آدم ، فقد وجب عليه التمسك بالعروة الوثقى ، وسلوك الطريقة المثلى ، بفتح أبواب الطاعة والاتحاد ، وبذل الإخلاص بحيث تعمر تلك الممالك وتيك البلاد ، وتسكن الفتنة النائرة ، وتعمد السيف البآره ، وتحل العامة أرض الهوينى وروض الهدون ، وتخلص رقاب المسلمين من أغلال الذل والهون . وإن غلب سوء الظن بما تفضل به واهب الرحمة ، ومنع معرفة هذه النعمة ، فقد شكر الله مساعينا وأبلى عذرنا ، ﴿وما كنا معديين حتى نبعث رسولا﴾ والله تعالى الموفق للرشاد والسداد ، وهو المهيم على البلاد والعباد ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة كتاب على الطريقة الثانية ، كتبت به عن السلطان « محمود غازان » صاحب إيران أيضا ، إلى السلطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون » صاحب الديار المصرية وما معها من البلاد الشامية ، وهي :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِقُوَّةِ اللَّهِ تَعَالَى

وَمِيَّامِينَ الْمَلَائِكَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ

فرمان السلطان محمود غازان

لِيَعْلَمَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ، أَنَّهُ فِي الْعَامِ الْمَاضِي، بَعْضُ عَسَاكِرِهِمُ الْمُفْسِدَةُ دَخَلُوا
أَطْرَافَ بِلَادِنَا، وَأَفْسَدُوا فِيهَا لِعِنَادِ اللَّهِ وَعِنَادِنَا، كِمَارِدِينَ وَنَوَاحِيهَا، وَجَاهِرُوا
اللَّهَ بِالْمَعَاصِي فِيمَنْ ظَفِرُوا بِهِ مِنْ أَهْلِهَا، وَأَقْدَمُوا عَلَى أُمُورٍ بَدِيعَةٍ، وَآرْتَكَبُوا
آثَامًا شَنِيعَةً، مِنْ مُحَارَبَةِ اللَّهِ وَخَرْقِ نَامُوسِ الشَّرِيعَةِ، فَأَنْفَعْنَا مِنْ تَهْجُمِهِمْ، وَغَرْنَا
مِنْ تَهْجُمِهِمْ، وَأَخَذْنَا الْحِمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ بِغُذْبَتِنَا إِلَى دُخُولِ بِلَادِهِمْ، وَمُقَابَلَتِهِمْ عَلَى
فَسَادِهِمْ، فَرَكَبْنَا بَيْنَ كَانِ لَدَيْنَا مِنَ الْعَسَاكِرِ، وَتَوَجَّهْنَا بَيْنَ اتَّفَقَ مِنْهُمْ أَنَّهُ حَاضِرٌ،
وَقَبْلَ وَقُوعِ الْفِعْلِ مِنَّا، وَأَشْتَهَارِ الْفِتْكَ عِنَّا، سَلْكَ سَنَنَ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَأَقْتَفَيْنَا آثَارَ
الْمُقَدَّمِينَ، وَأَقْتَدَيْنَا بِقَوْلِ اللَّهِ ﴿لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ وَأَنْفَعْنَا
صُحْبَةَ يَعْقُوبَ السَّكْرِيِّ جَمَاعَةً مِنَ الْقُضَاةِ، وَالْأُئِمَّةِ الثَّقَاتِ، وَقَلْنَا ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ
النَّذْرِ الْأُولَى أَرْفَتِ الْآزِفَةَ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ فَقَابَلْتُمْ ذَلِكَ بِالْإِصْرَارِ،
وَحَكَمْتُمْ عَلَيْكُمْ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالْإِصْرَارِ، وَخَالَفْتُمْ سَنَنَ الْمُلُوكِ، فِي حُسْنِ السُّلُوكِ،
وَصَبَرْنَا عَلَى تَمَادِيكُمْ فِي غَيْبِكُمْ، وَخُلُودِكُمْ إِلَى بَغْيِكُمْ، إِلَى أَنْ نَصَرْنَا اللَّهَ، وَأَرَاكُم
فِي أَنْفُسِكُمْ قَضَاهُ ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ﴾ وَظَنْنَا أَنَّهُمْ حَيْثُ تَحَقَّقُوا كُنَّةَ
الْحَالِ، وَآلَ بِهِمُ الْأَمْرُ إِلَى مَا آلَ، أَنَّهُمْ تَدَارَكُوا الْفَارِطَ مِنْ أَمْرِهِمْ، وَرَتَقُوا مَا فَتَقُوا
بَعْدَهُمْ، وَوَجَّهْنَا إِلَيْنَا وَجْهَ عُدَّتِهِمْ، فَإِنَّهُمْ رُبَّمَا سَيَرُوا إِلَيْنَا حَالَ دُخُولِهِمْ إِلَى الدِّيَارِ
الْمِصْرِيَّةِ، رُسُلًا لِإِصْلَاحِ تِلْكَ الْقَضِيَّةِ، فَبَقِينَا بِدِمَشْقَ غَيْرِ مَشْحُوحِينَ، وَتَثَبُّطًا تَثَبُّطُ
الْمُتَمَكِّنِينَ، فَصَدَّمْنَا عَنْ السُّعَى فِي صِلَاحِ حَالِهِمُ التَّوَانِي، وَعَلَّقُوا نُفُوسَهُمْ عَنِ الْيَقِينِ

بالأمانى، ثم بلغنا بعد عودنا إلى بلادنا أنهم ألقوا في قلوب العساكر والعوام، وراموا
 جبراً ما أوهنوا من الإسلام، أنهم فيما بعد يلقوننا على حلب والفراه، وأن عزيمتهم
 مصر على ذلك لا سواه، فجمعنا العساكر وتوجهنا للقاهم، ووصلنا الفرات مرتقين
 ثبوت دعواهم، وقلنا لعل وعساهم، فما لَمَعَ لهم بارق، ولا ذر شارق، فقدمنا إلى
 أطراف حلب، وعجبنا من تبطيم غاية العجب، وفكرنا في أنه متى تقدمنا بعساكرنا
 الباهرة، وجموعنا العظيمة القاهرة، رُبَّمَا أَحْرَبَ البلادَ مرورها، وبإقامتهم فيها
 فسدت أمورها، وعم الضرر العباد، والخراب البلاد، فعدنا بقياً عليها، ونظرة لطف
 من الله إليها. وها نحن الآن مهتمون بجمع العساكر المنصورة، ومُسْحِدُونَ غِرَارَ
 عزائمنا المشهورة، ومشتغلون بصنع المجانيق وآلات الحصار، وعازمون بعد
 الإنذار ﴿ وما كنا معدّين حتى نبعث رسولاً ﴾ . وقد سيرنا حاملي هذا الكتاب
 الأمير الكبير ناصر الدين على خواجاً، والإمام العالم ملك القضاة جمال الدين موسى
 ابن يوسف، وقد حملناهما كلاماً شافهما به، فلتيقوا بما تقدمنا به إليهما فإنهما
 من الأعيان، المعتمد عليهما في الديوان، كما قال الله تعالى ﴿ فَلَهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ
 فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ فلتعدوا لنا الهدايا والتحف، فما بعد الإنذار من عاذر،
 وإن لم تداركوا الأرض فدماء المسلمين وأموالهم مطلولة بتدبيرهم، ومطلوبة عند الله
 في طول تقصيرهم .

فليمنع السلطان لرعيته النظر في أمره . فقد قال صلى الله عليه وسلم « مَنْ وَلَّاهُ
 اللَّهُ أَمْرًا مِنْ أُمُورِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتْهُمْ ، أَحْتَجِبَ دُونَ
 حَاجَتِهِ وَخَلَّتْهُ وَقَرَّهُ » . وقد أعدر من أنذر، وأنصف من حذر، والسلام على من

(١) نخذ الكين كنع حدها كاشحدها أنظر القاموس .

أتبع الهدى - في العشر الأوسط من شهر رمضان سنة سبعمائة - بجبال الأكراد،
والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا [محمد] المصطفى وآله وصحبه
وعترته الطاهرين .

قلت : وقد تقدم جواب هذين الكتابين في الكلام على المكتبات إلى القانات
ببلاد الشرق من بني جنكرخان فليُنظَرُ هناك .

الطرف الثاني

(في المطالعات الواردة إلى الأبواب السلطانية عن أهل الشرق :
من الملوك والحكام بالبلاد أتباع القانات ومن في معناهم)^(٢)

(١) تقدم له أنه لا يقال العشر الاوسط بل العشر الوسطى أو الوسط قال وبمض النحويين أجازوه
فأ في الجواب على ذلك الرأي .

(٢) ترك في الأصل باقي الصفحة بياضا ولم يكتب عن هذا الطرف شيئا .

الطرف الثالث

(في رسم المكاتبات الواردة عن صاحب اليمن إلى هذه المملكة)

ومادة مكاتبتِه أن يحدو حدو الديار المصرية ، فيما يكتب إليه عنها ، فيبديء
المكاتبة بلفظ : أعز الله تعالى أنصار المقام الشريف ، العالى ، المولوى ، السلطانى ،
الفلانى بلقب السلطنة ؛ ثم يقول أصدرها من مكان كذا ، ويذكر المقصد ، ويختم
بالدعاء ونحوه ، ويكتبون في قطع الشامى الكامل بقلم الثلث .

وهذه نسخة كتاب عن الملك الأشرف « إسماعيل » صاحب اليمن ، إلى الملك
الظاهر « برقوق » صاحب الديار المصرية ، في شهر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة ،
على يد القاضى برهان الدين المحلى ، تاجر الخصاص ، والطواشى آفتخار الدين فاجر
دوادار الملك الأشرف صاحب اليمن المذكور ، وهو :

أعز الله تعالى أنصار المقام الشريف العالى السلطانى الظاهرى ، وزاده
فى البسطة والقُدرة ، وضاعف له مواد الاستظهار والنظر العزيز ، وجعل الظفر مقرونا
برايته أينما يمت ما بينهما تميز ، ومحبوباً إلى عساكره المنصورة حيث توجهت
وقفع بركة أيامه كل مقفل ممتنع بأمرٍ وجيز ، ولا زال ممتثل الأوامر والمرايم ،
رافلاً فى أردان العز والمكارم ، ممدوداً على الأمة [منه] ظل المراحم ، بمنه وكرمه .

أصدرها إليه من زُبدة زبيد المحروسة مُعربة عن صدق وآلته ، متمسكةً بوثيق
أسباب آلائه ، ناشرةً طيب شأنه ، مترجمةً ناظمةً لمتنور الكتاب الكريم الظاهرى
الوارد على يد المجلس العالى البرهانى ، بتاريخ ذى الحجة عظم الله بركايتها ؛ سنة
سبع وتسعين وسبعمائة ، أحسن الله خاتمتها ؛ فتلقيناه باليدى ، ووضعناه على الرأس
والعين ، وأستدللنا به على شريف همته ، وصفاء مودته ، وتأكيد أخوته ، وسألنا الله

تعالى أن يمتعنا ببقاء دولته القاهرة، وينشر في المشارق والمغرب أعلامه الزاهره؛
 ففضضنا ختامه، فوجدنا فيه من نشر السلم الأريج أذكاه، ومن أنوار ما مجه القلم
 الشريف ما يتجل منه نوار الربيع وبهائه، فانشرحت به الصدور، وتزايد به السرور؛
 وقزت به الأعين، وكثر التهجد به لما استعذبت الألسن؛ وأمثلنا المرسوم الشريف
 في تعظيم المجلس العالي ذي الجلالين؛ برهان الدين إبراهيم بن عمر المحلى، ومراعاته
 في جميع أموره وسرعة تجهيزه؛ على أنا نجله ونجله، ونوجب حقه ولا نجهله، فهو
 عندنا كما كان في عهد الوالد المرحوم الملك الأفضل، بل أمكن وأفضل، فهو لدينا
 المكين الأمين؛ وجهزنا له المتجر السعيد الظاهري، وبرزت مراسمنا إلى النواب
 بشفر عدن المحروس أن لا يعترض في عسور ونول، وحملناه على ظهور مرآكبنا عزيزا
 مكرما، وعرفناه أن لا يصرف على الحمل السعيد ولا الدرهم الفرد، وذلك قليل منا
 لأجل غلمان بابكم الشريف شرفه الله تعالى وعظمه؛ وجهزنا الهدية السعيدة المباركة
 المتقبلة، صحتته هو والأمير الأجل الكبير الأفتخارى : آفتخار الدين فاجر الدوادار،
 وصارت بأيديهما بأوراق مفصلة، للمقام الشريف والأمرء الأجلء الكبراء، وصحبتهما
 نفر من المعلمين البازدارية، برسم حمل الطيور للصيد السعيد، والمهتارية للصافيات
 الحيات. على أنا لو أهدينا إلى جلال المقام الشريف الظاهري أعز الله أنصاره
 بمقدار همته الشريفة العاليه، ورتبته المنيفة الساميه، لاستصغرت الأفلاك الدائره،
 والشهب السائره، وأستقلت السبعة الأقاليم تحفه، والأرض وما أقلتة طرفه، ولم
 نرض أن نبعث إليه الأنام ممالك وخولا، ونجني إليه ثمرات كل شئ قبلا، ولو رام
 محب المقام هذه القضية، لقصر عنه حوله، ولم يصل إليه طوله، ولكنه يرجع
 إلى المشهور، بين الجمهور، فوجدنا العمل يقوم مقام الاعتقاد، وليس على المستمر

(١) لعله "الاعتقاد يقوم مقام العمل" أو "العمل يقوم مقامه الاعتقاد" تأمل .

على الطاعة سوى الاجتهاد ، والمخلص في الولاء محمول على قدرته لا على ما أراد ؛ فوثق بهذه القضية ، وأنفذ إلى المقام الشريف على يد موصولها هذه الهدية ؛ راغبا إلى إنعامه في بسط عذره ، وحمله على شروط المحبة طول دهره ، وتصريفه بين أوامره الممتثلة ، ومراسيمه المتقبلة . والمسئول الإتحاف بالمهمات والمراسيم الشريفة شرفها الله تعالى وعظمتها .

ونوضح لعلمه الكريم ما أفاء الله به علينا من النصر الذي خفقت بنوده ، وأشرقت سعادته ، وبرقت سيوفه في رقاب المارقين ، وأطردت في راياته المارب فتناولها باليمين ﴿ نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين ﴾ وفتح القلاع والمصانع ، والأستيلاء على المزارع والمزارع ، وأستئصالنا شافة المارقين ، وأسترجاع حصن قاف المحروس بعد طول مكثه تحت يد العرب ، فكم من كمي مقتول ، وأسير مكبول ، وحصان ترك سبيلها ، ورب حصان كثر عليه عويلها ، فخربنا المعادل ، وأطلقنا العقائل ، وأوطنناهم الحميم ﴿ وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ﴾ وغير ذلك ما أرسلنا على يد المجلس البرهاني والأمير آفتخار الدين : فاحر الدوادار ، لقضاء بعض الحوائج الطارئة من الديار المصرية « ألف وأربعمائة وسبعون قطعة من أصناف البهار ، وسبع قطع حرير » والمستمد من إحسان المقام الشريف العالي ، بروز أمره الأشرف العزيز النافذ المطاع ، أنقذه الله تعالى شرقا وغربا ، وأمضاه بعدا وقربا ، في قضاء حوائجها وسرعة تجهيزها وقبولها إلى يمن اليمن ، وعز تميز قريبا .

وبعد ، فإن الجلالة والاحترام بهما دوام الموالاته ، وتوفير الحرمات ، بل هي أعظم الكرامات ، والمسئول من المقام الشريف الظاهري أعز الله تعالى أنصاره ، وضاعف اقتداره ، بروز أمره الأشرف إلى الثواب بمصر المحروسة ،

وثغر الإسكندرية، والشام، بالجلالة والإحترام، لكافة غلماننا الواردين إلى الديار المصرية، ومن أنتسب إلينا من تاجر وغيره، مسافراً كان أو مقبياً، وأن يُعَارَ في مهماته، جلاله تفيماً ظلالمها، ويشمله إقبالها، كما سبق للوالد المرحوم المقدس الملك المجاهد، تغشاه الله برحمته، بل نرجو فوق ذلك مظهرها، إن شاء الله، فتم خطوط ناصرية من السلطان حسن والملك الصالح نخدمنا القدمات، لما أرسلوا إلى الإسكندرية ودمشق، كتب لهم مربعات ومثالات شريفة، ولا غرو أن يبدى المستعطي مافي ضميره إلى المعطي، والأشهار بما بيننا وبين المقام الشريف من الأخوة الممهدة، والمصافاة المؤكده، والمودات المحكمة، والأسباب الثابتة، أوجب ذلك؛ وحسن الظن الجميل نطق به لسان الحال، في هذا الإرسال؛ ولم يخف عن المقام الشريف أن لله عوارف يجذب بها القلوب إليه، ولطائف خفية يستدل بها المحب عليه؛ وتعاطى كأس الوداد، يدل على حسن الاعتقاد؛ ولذلك نطق اللسان، وكتب البنان، بما أقرض على عباده الرحمن؛ فقال في محكم كتابه المبين ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ . ومحب المقام الشريف يقدم الكتاب، ويسأل الجواب، بالإذن الشريف : ليعتمد بعد الله عليه في حج البيت الحرام، عند تيسير الله تعالى لذلك، فقد حسن ظنه بذلك، وركن إليه لقضاء الفرض والتبرك بالمشاعر العظام، فلا زالت أيام المقام الشريف على منابر الدنيا تُنلى، وآيات الشكر لله سبحانه على استقراره في الملك العقيم تُنلى . جميع هذا الخطاب مقدمة الإيجاب بالإذن بالحج، وتفسير المحمل في كل عام، إلى بيت الله الحرام، لحاج اليمن تعذرت عليه الطرقات، ولم يُطبق حمل النفقات، ورجو من الله تعالى أن يفتح بركة أيامه الشريفة، وشمول الفكر الشريف، بحل عقدة هذه الأسباب، إنه هو الكريم الوهاب، بمنه وكرمه .

وأما ما نعتقده من أمانة المجلس البرهاني فإنها متينة ، وشواهدُها من أقواله وأفعاله مُبينه ، خصوصاً في المقام الشريف ، وأسمائه للقلوب بالعبارات اللطيفة ؛ فقد نَظَمَ معاقِدَ الأتلاف ، وتزايد بشرحه الأتس في محاورته والإختلاف ؛ ولولا المهيم الشريف لاستوقفناه عندنا عاماً كاملاً من بعد هذا التاريخ : يُملي علينا آياتِ المقام الشريف ؛ شرفه الله تعالى وعظمه . وعلى لسانه ما يُبديه في المواقف الشريفة شفاها إن شاء الله تعالى .

في سابع جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وسبعائة ، أحسن الله تعالى ختامها ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وباطناً وظاهراً .

قلت : أما إمام الزيدية باليمن فلم أقف له على مكاتبة ، وإن كان المقر الشهابي أب فضل الله قد أشار في كتابه "التعريف" إلى أنه ورد عنه مكاتبة إلى الأبواب السلطانية الناصرية (محمد بن قلاوون) يستجيشه على صاحب اليمن ، والغالب على الظن أن مكاتبته أعرابية ، كما أن إمارته أعرابية : إذ لا اعتناء لأهل البادية وعربان الوادي بفن الإنشاء جملة ؛ وإنما يكتب عنهم بحسب ما يقتضيه حالهم ، على أن فيما يأتون به مقنعا من الفصاحة والبلاغة بكل حال ، إذ عنهم قد علم اللسان وعليهم فيه يُعَوَّل .

الطرف الرابع

(في الكتب الواردة إلى الأبواب السلطانية عن ملوك الهند)

قد تقدم أن المكاتبه إلى صاحب الهند تُشبه المكاتبه إلى القانات العظام بإيران وتوران . وتقدم أن الكتب الواردة عن القانات المذكورين تكون في معنى الكتب الصادرة إليهم في قطع الورق والترتيب ، من حيث إن الغالب جريان العادة

في الأجوبة بأن تكون على نمط الكتب الواردة ، وحينئذ فيكون مقتضى ذلك أن الكتب الواردة من صاحب الهند في هيئة الكتب الصادرة إليه في قطع الورق وغيره ، فتكون في البغدادي الكامل بقلم مختصر الطومار بالطغراء والخطبة المكتبتين بالذهب ، إلى ما يجري مجرى ذلك مما تقدم ذكره في المكاتب إلى القانات .

قلت : ولم أقف على صورة مكتبة من ذلك ولا على نسخة شيء ورد ، لكن قد تقدم في الكلام على المسالك والممالك في المقالة الثانية عند ذكر مملكة الهند أن من جملة ممالك الهند مملكة تُعرف بالسيلان ، وقد رأيت في تذكرة (محمد بن مكرم) التي جمعها في وقائع ديوان الإنشاء بالديار المصرية ، أنه في سنة اثنتين وثمانين وستمائة ، وصل كتاب من صاحب السيلان هذه في صفيحة ذهب رقيقة ، عرض ثلاثة أصابع ، في طول نصف ذراع ، وحوله مدورة (حلقة) داخلها شبيهة بالخوص أخضر ، عليه كتابة تُشبه الخط الرومي أو القبطي ، فطلب من يقرؤه فلم يوجد ، فسئل الرسل عما هو مكتوب فيها . فقيل : إنه سيررسوله رومان ورفيقه ، وقصد أن يسير معهما الهدية إلى الباب الشريف ، فقيل له : ما لهم طريق . فقال لهم : سافروا إلى (هرمز) فحضروا إليها ، وذكروا أن مضمون الكتاب السلام ، والدعاء للسلطان ، وأن بلاد السيلان مضر ، وبلاد مضر السيلان ، وأنه ترك صحبة صاحب اليمن مرة واحدة ، وتعلق بحبة مولانا السلطان خلد الله ملكه ، وسأل أن يحضر رسولاً من عند مولانا السلطان إلى عنده صحبة رسوله ، ورسول آخر إلى عدن ينتظر حضورهم من تلك الجهة على تلك الطريق ، وأن عنده الجواهر والآلي والفيلة والقماش الكثير من البر وغيره ، وكذلك البقم والقرفة وجميع ما يطلب الكارم ، وأن عنده في كل سنة عشرين مركبا يسيرها إليه ، فيطلق مولانا السلطان التجار إلى

البلاد ، وأن رسول صاحب اليمن حضر في هذه السنة يتسلم التّقادِمَ والفيلةَ حتّى يسافروا إلى اليمن فردّه ، ولم يُعطه شيئاً ، وأنه يُعَبِّي التّقادِمَ والفيلةَ إلى أبواب مولانا السلطان ، وأنَّ بمملكة سَيَلان سبعمائة وعشرين قلعةً ، وبها معادنُ الجَوْهر والياقوت ومغاصُ اللؤلؤ . ولم يزد على ذلك . ورأيت في كتاب "الذيل" على تاريخ ابن الأثير نحو ذلك ، وفيه ذكر البلاد التي مرّت عليها رسلُ صاحب السَيَلان في طُرُقها .

المقصد الثاني

(في المكاتبات الواردة عن ملوك الغرب)

والعادةُ الجاريةُ في الكتب الواردة عنهم أن تكونَ على نمط واحدٍ في الورق ، مع تقاربِ الحال في الترتيب ، وتكونُ كتبهم في طومارٍ واحدٍ ، في عرض نحو شبرين ، في طول نحو ثلاثة أشبار ، والبسمةُ بعد بياض نحو شبر وثلاثة أصابع مطبوقة من أعلى الطومار ، وعرض سبعة أصابع مطبوقة عن يمين البسمة ؛ والسطور منحطةُ الأوائل مرتفعةُ الأواخر حتّى يصيرَ البياض الذي في أعلاها في آخر سطرِ البسمة قدرَ شبر فقط ، وبين كلِّ سطرينِ قدرُ عرضِ إصبعٍ ونصفِ إصبعٍ ؛ وكلُّ سطرٍ ينقص عن الذي فوقه قليلاً من جهة اليمين على التدرّج ، حتّى يكون السطرُ الآخر قطعةً لطيفةً في زاوية الطومار التي على اليسار من أسفل ؛ ثم يكتب بحاشية الطومار من أسفله أخذاً من آخر السطر الأخير ، ويكون بين ذلك وبين الكتابة الأصلية قدرُ رأسِ خنصرٍ ، ويتدئ السطرُ الأوّل منها بقطعةٍ لطيفةٍ منحطةٍ الأوّل مرتفعةٍ الآخر ثم السطر الثاني قطعةً أطول من ذلك ، ولا يزال كذلك حتّى يكمل السطر فيكتب أسطراً كاملةً ، إلا أنه في أوّل كلِّ سطرٍ ينقصه قليلاً عن الذي قبله حتّى يكون السطرُ

الأخيراً قدر الأئمة في زاوية الطومار من جهة البسمة ؛ ويكون بين كتابة الأصل وبين كتابة الحاشية قدرُ إصبعين بياضاً إلى سمت البسمة ، أسطراً متضابقةً حتى ينتهي إلى آخر الكلام ؛ ويكتب في آخره بقلم الثلث : وكتب في التاريخ المؤرخ ، ويزاد فيه هاء مشقوقة راجعة إلى الخلف . وفيه جمل :

الجملة الأولى

(في المكتبة الواردة عن صاحب تونس)

وعادة مكاتبته أن تفتتح بلفظ : « من عبد الله الفلاني » بلقب الخلافة الخاص به ، « أمير المؤمنين ابن فلان » . ويقال : في كل من آباه أمير المؤمنين إن كان قد ولي الخلافة ويدعى له « إلى أخينا فلان » ويؤتى بالسلام والتحية ؛ ثم يتخلص بالبعدية إلى المقصد ، ويختم الكتاب .

وهذه نسخة كتاب عن المتوكل على الله أحمد بن أبي عبد الله بن أبي بكر ، إلى السلطان الملك الظاهر (برقوق) صاحب مصر ، جواباً عن كتابه إليه . وهو :

من عبد الله ، المتوكل على الله ، أمير المؤمنين « أحمد » ابن مولانا الأمير أبي عبد الله ، ابن مولانا أمير المؤمنين أبي يحيى أبي بكر ، ابن الأمراء الراشدين ، أعلى الله به كلمة الإسلام ، وضاعف نوافل سيفه من عبدة الأصنام ، وغص عن جانب عزه عيون حوادث الأيام .

إلى أخينا الذي لم نزل نُسأه من إخوانه الكريم ، في ذات الرب الرحيم ، قبلة صفاء لم تُغيرها يدُ بعادٍ ولا أنزاح ، ونثارٍ من حفظ عهده ، والقيام بحق وده ، على ما يؤكّد معرفة الخلوص من لدن تعارف الأرواح ؛ ونبادر لما يبعث القلوب على الإئتلاف ، والأمن بفضل الله من عوائق الاختلاف ؛ وإن شحطت الدار وتناوت

الصُّور والأشباح . ونَعْتَرِفُ بما له من مَزِيدِ الإِعْظَامِ ، يَجَاوِرَةُ البَيْتِ الحَرَامِ ، والقِيَامِ
بِمَا هُنَاكَ مِنْ مَطَالِعِ الوَحْيِ الكَرِيمِ وَمَشَاعِرِ الصَّلَاحِ ، وَنَجْتَلِي مِنْ أَنْوَانِهِ الكَرِيمَةِ
الشَّرِيفَةِ ، وَمَطَالِعِهِ العَالِيَةِ المُنِيفَةِ ، وَجُوهَ البَشَائِرِ رَائِقَةِ الغُرُورِ والأَوْضَاحِ . وَنَسْتَهْدِي
مَا يُسْرِنَا مِنْ أُنْبَاءِهِ ، مِمَّنْ يَرِدُ مِنْ تِلْقَائِهِ ، حَتَّى مِنْ أَنْوَارِ الصَّبَاحِ وَسُفْرَاءِ الرِّيَاحِ ، وَنَبْتَهِلُ
إِلَى اللَّهِ بالدَعَاءِ أَنْ يُخَبِّرَنَا عَنْهُ ، وَيُظَلِّعَنَا مِنْهُ ، عَلَى مَا يُقِرُّ عِيُونَ القُوزِ وَيُشْرَحُ صُدُورَ
النَّجَاحِ - السُّلْطَانِ الجَلِيلِ الطَّاهِرِ ، المَلِكِ الأَعْظَمِ «الظَّاهِرِ» ، جَمَالِ الدِّينِ والدُّنْيَا ،
مُؤَيِّدِ كَلِمَةِ اللَّهِ العُلْيَا ، سَيْفِ المِلَّةِ المَرْهُوبِ المَضَاءِ ، بِيَدِ القَضَاءِ ، وَرُكْنِهَا البَاسِقِ
العَلَاءِ ، فِي أَوْجِ عِزِّهَا المُنْدَاحِ لِلقَضَاءِ ، المَشْهُودِ لَهُ مِنْ لَدُنْ حَلِّ التَّمَائِمِ ، وَلَوْثِ العَامِمِ ،
بِالشَّهَامَةِ الَّتِي تُرْعِبُ الأُنْدَ فِي أَرْجَائِهَا ، وَتَسْتَخْدِمُ لَهُ سَائِرَ الأُمَّمِ : تُرْكِيهَا وَعَرَبِيهَا
وَتَجْمَعُهَا ، المَخْتَارِ لِلقِيَامِ بِحَقِّهِ بَيْنَ عِبَادِهِ ، فِي أَرْضِهِ وَبِلَادِهِ ، الفَائِزِ مِنْ جِوَارِ بَيْتِ اللَّهِ
وَمَقَامِ خَلِيلِهِ ، وَمَشْرِعِ الجَمِيعِ إِلَيْهِ وَتَسْيِيرِ سَبِيلِهِ ، بِمَا أَحْرَزَ لَهُ سَعَادَةَ الدَّارَيْنِ ، وَعِزَّ
المَقَامَيْنِ ، كَوَكَبِ السَّعْدِ الَّذِي شَقِيَتْ بِهِ أَعْدَاؤُهُ ، وَبَدْرِ الدِّينِ الَّذِي اسْتَضَاءَتْ بِهِ
أَنْحَاؤُهُ ، مِيزَانِ العَدْلِ لِإِنصَافِ الحَقُوقِ ، وَشَمْسِ الهُدَايَةِ النُّورِ الغُرُوبِ والشُّرُوقِ ،
(أَبِي سَعِيدِ بَرَقُوقِ) وَصَلَّ اللَّهُ لَهُ رَتَبَةً رَاقِيَةً يَتَّبِعُهَا مَحَلَّهَا ، وَنِعْمَةً بَاقِيَةً يَتَّفِقُهَا ظِلُّهَا ،
وَعِزَّةً وَاقِيَةً تَسِمُ وَجُوهَ أَعْدَائِهِ خَسْفَهَا وَذُلَّهَا ، بِمَنَّةِ وَكْرَمِهِ .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ نَاطِمِ الشَّمْلِ وَقَدِ رَابَ نَثْرُهُ وَشَتَاتُهُ ، وَجَابِرِ الصَّدْعِ وَقَدِ آتَسَعَتْ
عَنِ الجَبْرِ جِهَاتُهُ ، وَرَادَ الأَمْرَ وَقَدِ أَعْيَا ذَهَابُهُ وَفَوَاتُهُ ، وَوَاوَصَلَ الحَبْلَ وَقَدِ آسْتَوَلَى
أَنْقِطَاعُهُ وَأَنْبِتَاتُهُ ، العَالِمِ الَّذِي لَا يُعْزَبُ عَنْهُ مَثْقَالُ ذَرَّةٍ مِمَّا تُكْنَهُ أَرْضُهُ وَسَمَوَاتُهُ ،
الَّذِي قَرَنَ بِالعُسْرِ يُسْرًا ، وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ، فَلَا تُتَحَرَّكُ ذَرَّةٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَلَا يَكُونُ
فِي مُلْكِهِ إِلَّا مَا تُنْفِذُهُ أَحْكَامُهُ وَإِرَادَاتُهُ .

والصلاة والسلام الأکملین ، علی سیدنا ومولانا محمد رسولہ الذی صدعت بالحق آیاتہ ، وقامت بحجة دعواه معجزاته ، ونطقت بأنه رسول الله علی لسان وحیہ الصادق الأمين کلماتہ ، المبعوث بالملة السمحة ، ومن أزکاه حج بیت الله المقدسة أركانه وحجراته ، المعظمة عند الله حرمانه ، المغفورة لمن سبقت له الحسنى بحجہ سیئاته ، وعلى آله وأصحابه الذین قضوا رضی الله عنهم وهم أولیاء دینہ الکریم وولائتہ ، وأنصار حزیه المفلح وحمانه ، ولیوث دفاعه فی صدور الأعداء وکلماته .
والرضا عن الإمام المهدي القائم بهذه الدعوة الموحدية قیام من خلصت لله نیاتہ ، وصدقته فی ذاته دعواته ، وصممت لإظهار دینہ القويم عزمانه ، وصلاة الدعاء لهذا المقام الأحمدي المتوکل الفاروقی ، بنصر تمضی به فی صدور أعدائه شبائتہ ، وعز یطرد به استقلاله وثباته ، وسعد تطیب به أيامه المتصلة وأوقاته ، وتطول به حیاته .

فإننا كتبنا لسلطانکم - كتب الله لکم من إسعاده ما يتكفل بعزّه ونصره ، ويتضمن إطالة زمنه المبارك وعصره ، ويقوم بحفظ قطره الشريف ومصره - من حضرتنا العلية "تونس" - کلاًها الله تعالی ، ووجوه نصر الله العزيز لدينا وضاحة الأسرة متبلجة الصور ، وآيات فتحه المبين والله المنة محكمة السور ، وأحاديث الشکر علی نعمه سبحانه مسلسلة الخبر ، ويشترنا بما من الله به علیکم قد عمل بمقتضاه من تحت إیالنا الکریمية من البشر . وإلى هذا فوجه إلیکم بعد تقرب حب شرعت فی ملة الوفاء قواعده ، وقيل فی عقد الصفاء شاهده ، وأستقل بصلة الخلوص عائده ، وثبت فی مرسوم الصداقة الصادقة زائده ، إعلامکم أنا علم الله من حين أتصل بنا خبرکم الذی جره القدر المقدور ، وجرى به فی أم الكتاب الحكم المسطور ، لم نزل نتوجه إلی

(۱) مراده من تحت حکنا و سیاستنا .

الله تعالى في مظان قبول الدعاء، ورفع النداء؛ بأن يجبركم بفضله من حيث صدع،
ويصلكم بخيره إثر ما قطع، ويعطيكم من نعمته أضعاف ما منع، إلى أن دارك الله
بلطفه وأجاب، وتأذن بفضله في قبول الدعاء بظهر الغيب وهو مستجاب، فرد
عليكم ملككم، وصرف إليكم ملككم، فأخذ القوس باريها، وفوق السهم مقرطها
وراميها، وأنفذ القضايا حكامها ومفتيها، وإذا كان العويل يفضي إلى النجده، والبلأ
يقضي بالجده، والفرج يدافع في صدر الشده، فلا جرم غفر الله للأيام ما أقرت،
لما أنابت وأقرت، وهل هو إلا التخصيص الإلهي أراكم الله من باطن الضراء
سراءكم، وأجزل من جانب الغماء^(١) نعاءكم، والتبر بعد السبك يروق النواظر خلاصة
نضاره، والبدر بعد السرار تتألق أشعة أنواره.

ولما جاءنا بنصركم البشير، وطلع من ثنية الهناء بأحكام السرور إلينا يسير، هرزنا
له أعطاف الأرتياح، وتلقينا منه واردة التهانى والأفراح، وحمدنا الله لكم على ما من به
من الفوز والنجاح؛ ورأينا أن تهنتكم به من فروض المؤكده، وعهودنا المجدده،
وأنه لا يقوم به عنا هنالكم، ويؤدى ما يجب منه بين يدي كرمي جلالكم، إلا من له
من ديار الملوك، قرب الأدب والسلوك؛ فاقتضى نظرنا الجميل أن عيناً له شيخ دولتنا
المستشار، وعلمها الذي في مهماتها إليه يسار؛ فلان.

وقد كان منذ أعوام يتطارح علينا في أن نحلى للحج سبيله، ونبلغه من ذلك مأمولة،
ويد الضنة لا تسمح به طرفة عين، ونفس الإغباط لا تجيب فيه دواعي البين، إلى
أن تعين من تهنتكم الكريمة ما عينه، وسهل شأه علينا وهونه، فوجهناه والله تعالى
يسعد وجهته، ويجعل حجته لقبول الأعمال حجته. وحملناه من أمانة الحب ما يلقي
إليكم، ومن حديث الشوق ما يقص أخباره عليكم، ومن طيب الثناء ما يقص ختامه

(١) الغم والغماء والغمة الكرب والشدة. انظر القاموس.

بين يديكم، وأصحابنا برسم إسطنبولاتكم الشريفة مايسر الحب سبيلها، وأوضح الخلوص دليلها، ورجونا من فضلكم على نزارتها قبولها، إذ لو كانت الملوك تُهادى على قدر جلالها، لما اتسعت لذلك خزائن أموالها، أكنها عنوان الحب السليم، حسب ما اقتضاه الحديث النبوي الكريم .

وفي أثناء شروعنا في ذلك، وسلوكتنا منه أيمن المسالك، وصل إلينا كتابكم الكريم، تعرف النواظر في وجوه بشارته نضرة النعم، فأطلعنا منه على مارق العيون وصفا ونعتا، وعبر للخلوص سبيلا لا ترى القلوب فيها عوجا ولا أمنا، والله هو من كتاب كتب من البيان كائب، وأستأثر بفلك الإجابة فأحرز به سعادة الكاتب، فقسما بالقلم وما سطر! والخبر وما خبر! لو رآه عبد الحميد لتركه غير حميد، أو بصر به أييد لأعاده في مقام بليد، ولو قصص على قس إيايد فصاحته لزلّه عن منبر خطابته بعكاظ، أو سحّب على سحبان وائل ذيل بلاغته لأراه كيف يتولد السحر الحلال بين المعاني الرائقة والألفاظ .

ولما استقرينا من فحواه، وخطابه الكريم ونجواه، تشوقكم لأخبار جهادنا، وسروركم بما يسنيه الله من ذلك ببلادنا، رأينا أن نثخف أسماعكم منه بما قرئت به عين الإسلام، وأثلج صدور الليالي والأيام . وذلك أنا من حين صدر من عدو الملة في الجزيرة ما صدر، حسب ماجره محتوم القدر، لم نزل نبيح لأساطيلنا المنصورة حرمة وحماه، ونطرق طروق الغارة الشعواء ببلادته وقراه، ونكتسح بأيدي الاستلاب ما جمعت بها يدها، إلى أن ذاقوا من ذلك وبال أمرهم، وتعرفوا عاقبة مكرهم .

وكان من جزائريهم المعترضة شجا في حلق الخطار، ومتجشبي الأخطار، وركاب البحار : من الحجّاج والتجار، جزيرة "غودش" وبها من أعداء الله بجم كثير، وجمع

كبير، فأرسلنا عليهم من أسطولنا المنصور غربانا نعقت عليهم بالمنون ، وعرفت المسلمين بركة هذا الطائر الميمون ، وشحنها عددا وعددا ، وأستمددنا لها من الله ملائكة سمائه مددا ، فسارت تحت أجنحة النجاح إليها ، وتحوم إلى أن رمت محالب مراسيها عليها ، فلما نزلوا بساحتها ، وكبروا تكبيرة الإسلام لإباحتها ، بهت الذي كفر ، وودَّ الفرار والحين يناديه أين المفتر ، فلما قضى السيف منهم أوطاره ، وشفى الدين من دماهم أواره ، وشكر الله من المسلمين أنصاره ، عمدوا إلى ما انتطاد السيف من والد وولد ، ومن أخذ إلى الأرض من رجالهم عن المدافعة فلم يعترضه بالقتل منهم أحد ، فجمعوا منهم عددا ينيف بعد الأربعمائة على الأربعين ، وجاءوا بهم في الأصفاد مقرنين ، وأمتلأت بغنائمهم والحمد لله أيدي المسلمين ، وأنقلبوا فرحين بما آتاهم الله مستبشرين ، إلى أن دخلوا حضرتنا العلية بسلام آمين .

فعرناكم بهذا الفتح : لتأخذوا بحظكم من شكر الله عليه ، وتوجهوا في مثله بصالح أديعتكم إليه ، وهو سبحانه وتعالى يُطعمنا ويُطعمكم على ما يسر النفوس ويهنيها ، ويجلو وجوه البشائر ويبيد فيها ، بمنه وكرمه ، والسلام العطر المحيا الجميل المحيا عائداً عليكم ورحمة الله وبركاته .

الجملة الثانية

(في المكاتبات الواردة عن صاحب "تلمسان" من بني عبد الواد)

ورسم مكاتبه فيما وقفت عليه في المكاتب الواردة على صاحب الديار المصرية أن يبتدأ الكتاب بقوله : إلى الحضرة الفلانية حضرة فلان - بالألقاب المعظمة المفخمة ثم يدعى له بما يناسب الحال ، ويؤتى بحطبة ، ثم بالسلام ، ويقع الخطاب في أثناء الكتاب بالإخاء بلفظ الجمع ، ويُختم بالدعاء المناسب .

كما كتب عبد الرحمن بن أبي موسى بن يغمراسن ، إلى السلطان الملك الناصر
(محمد بن قلاوون) في سنة خمس وعشرين وسبعائة :

إلى الحضرة العلية السامية ، السنية ، الماجدة ، المحسنة ، الفاضلة ، المؤيدة ،
المظفرة ، المنصورة ، المالكة ، حضرة السلطان ، الملك ، الجليل ، الفاضل ،
المؤيد ، المنصور ، المظفر ، المعظم ، ناصر الإسلام ، ومُذَلَّ عبدة الأصنام ، الذي
أيده الله بالبراهين القاطعة ، والأنوار المنيرة الساطعة ، الأعلى ، الأوحى ، الأكل ،
الأرفع ، الأتمجد ، الأسمى ، الأسرى ، ذى المجد الظاهر ، والشرف الباهر ، الملك
الناصر ، ابن السلطان ، الملك ، الجليل ، العادل ، الفاضل ، المؤيد ، المظفر ، الأعلى ،
الأوحى ، الأكل ، الأرفع ، الأتمجد ، الأسنى ، الأسمى ، ناصر الإسلام والمسلمين ،
ومُعَلِّي كلمة الموحدين ، المقدس ، المرحوم ، ذى المجد المشهور ، والفخر المنشور ،
والذكر المدخور ، الملك المنصور ، أدام الله علو قدره في الدنيا والآخرة ، وأسبغ عليه
نعمه باطنة وظاهرة ، وجعل وجوه محاسنهم في صفحات الدهر سارة مافره ،
وصفقة أعدائهم خائبة خاسره .

وبعد حمد الله الذى أظهر الأمر العلى الناصرى وأيده ، وبسط في قول الحق
وفعله لسانه ويده ، وستد نحو الصواب منحاه كله ومقصده ، والصلاة التامة المباركة
على سيدنا محمد رسوله المصطفى ، الذى خصه الله بعموم الدعوة وأفرده ، وقرن ذكره
بذكره فأبقاه أبد الدهر وخلده . والرضا عن آله الكرام ، وصحابة الأعلام ، الذين
حفظوا بالتوقير والتعزير مغيبه ومشهده ، وكانوا عند أسبيل السيوف ، ومجال
الحتوف ، عدده المظفر وعدده . والدعاء لذلك المقام الشريف بسعد يطيل في شرف
الدين والدنيا مدده وأمه .

سلامٌ عليكم ورحمةُ الله وبركاته، من أخيكم، البرّيكم، الحريص على تصافيكم،
عبد الرحمن بن أبي موسى بن يغمراسن . وإنا كتبناه إليكم كتب الله لكم أنجح
المقاصد وأرحمها، وأثبتها عزاً وأوضحها، من حصن "نلمسان" حرسها الله تعالى،
ولا ناشئ بفضل الله تعالى إلا ما عود من بسائر نحث جياؤها، ومسار يتناول
إلى المزيد أعتيادها - وإلى هذا أعلى الله كلمتكم، وأمتع المسلمين بطول بقائكم،
فإنا نعرفكم بوصول كتابكم الخطير الأثير، فتلقيناه بما يجب من التكريم والتعظيم،
وتتبعنا فصوله، وأستوعبنا فروعاً وأصوله، وتحققنا مقتضاه ومحصوله، وعلمنا
ما أنطوى عليه من المن والافضال: وأشتمل عليه من التفصيل والإجمال، ومن أعظم
ذلك إذنكم لنا في أداء فرض الحج المبرور وزيارة سيد البشر، الشفيح في المحشر،
الذي وجبت له نبوته، ومثى الغيب عليه مُسدل، وآدم صلوات الله عليه في طينته
مُجدل، وعلم الله أننا لم نزل آمالنا متعلقة بلكم المشاعر الكريمة، وقلوبنا متشوقة
إلى تلك المشاهد العظيمة، فلنا في ذلك نيأت صادقة التحويم، وعزّات داعية
التصميم، وكان بؤدنا لو ساعدنا المقدار، وجرى الأمر على ما نحب من ذلك ونختار،
أن نمتع برؤية المواطن التي تُقرّ أبصاراً، ويُشفي بها إراداً وإصداراً، ولعلّ الله
تعالى ينفعنا بخالص نيأتنا، وصادق طويأتنا، بمنه وكرمه .

وقد وجب شكركم علينا من كلّ الجهات، وأتصلت المحبة والمودة طول الحياة،
غير أنّ في قلوبنا شيئاً من ميلكم إلى غيرنا وأستئناسكم، ونحن والحمد لله أعلم الناس
بما يجب من حقوق ذلك المقام الشريف، ولنا القدرة على القيام بواجبكم، والوفاء
بكريم حقكم، وليس بيننا وبين بلادكم من يُحشئ والحمد لله من كيده، ولا يُبالي بهزله
ولا جدّه، وقد توجه إلى بابكم الشريف قرابتنا الشيخ الصالح الحبيب الأورع
الأكل الزاهد أبو زكريا يحيى ابن الشيخ الصالح المرابط المقدّس المرحوم أبي عبدالله

محمد، بن جرار الوادى، وهو من أهل الدين والخير، وقد شافهناه بما يُقْبِه إلى ذلكم
المقام الشريف من تقرير الودِّ والإخاء، والمحبة والصِّفاء، مما يَعْجِزُ عنه الكتاب،
فالمقام الشريف يَثِقُ إلى قولِهِ ويعامله بما يليقُ ببيته ودينه. وغرضنا أن نَعْرِفُوهُ
بجميع ما يصلحُ لذلكِ المقام الشريف مما في بلادنا، ويصلُكم إن شاء الله في أقرب
الأوقات، على أحسن الحالات، ولكم بذلك علينا المِنَّةُ العُظْمَى، والمزِيَّةُ القُصْوَى،
والله تعالى يُبْقِي ذلكم المقام الشريف محروسَ المذاهب، مشكورَ المناقب، إن شاء
الله تعالى.

الجملة الثالثة

(في المكاتبات الواردة عن صاحب "فاس" إلى الأبواب

السلطانية، بالديار المصرية.)

وعادة كتبهم أن تفتح بلفظ « من عبد الله فلان أمير المسلمين » . وأول من
كتب منهم أمير المسلمين « يوسف بن تاشفين » حين استولى على المغرب، قبل
بني مرين، خضوعاً أن يتلقب بأمر المؤمنين مُضَاهَاةً للخلفاء . وهو :

من عبد الله على أمير المسلمين، وناصر الدين، المجاهد في سبيل رب العالمين،
ملك البرين، ومالك العدوئين، ^(١) أبي سعيد، ابن مولانا أمير المسلمين، المجاهد في سبيل
رب العالمين، ملك البرين، وسلطان العدوئين، أبي سعيد ابن مولانا أمير المسلمين،
المجاهد في سبيل رب العالمين، ملك البرين، وسلطان العدوئين، القائم لله بإعلاء

(١) كذا في الأصل الوحيد وصوابه "أبي الحسن" كما يؤخذ مما تقدم في الكلام على ملوك فاس من
أن علياً هذا يكنى أبا الحسن وأنه ابن السلطان أبي سعيد عثمان ابن السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق
فلعل ما في الأصل من أعمال النساخ فتنبه .

دين الحق ، أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، منح الله التأييد مقامه ، وفَسَّحَ لفتح
مَعَاوِلِ الكُفْرِ وَكَسَرَ بِمُحَافِلِ الصُّفْرِ أَيَّامَهُ .

إلى السلطان ، الجليل ، الكبير ، الشهير ، العادل ، الفاضل ، الكامل ، الحافل ،
الملك ، الناصر ، المجاهد ، المرابط ، المناغر ، المؤيد ، المظفر ، المنصور ، الأسعد ،
الأصعد ، الأرقى ، الأوقى ، ناصر الدنيا والدين ، وقامع البغاة والمعتدين ، مُفِيدِ الأوطار ،
مُيِيدِ الكُفَّار ، هازم جيوش الأرمن والفرنج والكرج والتتار ، مَالِي صُدُورِ البراري
والبحار ، حامى القبلتين ، خديم الحرمين ، غيث العفاه ، عون العناء ، مُصَرِّفِ
الكاتب ، مُشَرِّفِ المَوَاكِب ، ناصر الإسلام ، ناشر الأعلام ، فَخْرِ الأنام ، ذُخْرِ الأيَّام ،
قائد الجنود ، عاقد البُنُود ، حافظ الثغور ، حامى الجمهور ، نظام المصالح ، بقية السلف
الصالح ، ظهير الخِلافة وَعَضُدِهَا ، وَلِيَّ الإِمَامَةِ وَسِنْدِهَا ، عَاضِدِ كَلِمَةِ المُوَحِّدِينَ ، وَلِيَّ
أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ ، أَبِي المَعَالِي (محمد) ابن السلطان ، الكبير ، الجليل ، الشهير ، الشهيد ،
الخطير ، العادل ، الفاضل ، الكامل ، الحافظ ، الحافل ، المؤيد ، المظفر ، المعظم
المبجل ، المكبر ، الموقر ، المعزز ، المجاهد ، المرابط ، المناغر ، الأوحد ، سيف الدين
(قلاوون) أدام الله فضل عزمه الماضى بتأييده ، وأدار الأفلak بتشييد ملكه
الشامخ وتمهيدته ، وطهر أرجاءه من أرجاس المنافقين ، وأدناس المارقين ، بما يُرِيقُ
عليها من دِمَائِهِمْ ، مَا كُلُّ مُتَطَهَّرٍ يُجْزَى عَنْهُ غَسْلُ مَائِهِ أَوْ تَيْمُّ صَعِيدِهِ .

سلامٌ كريم ، طيبٌ عميم ، أريج الشميم ، متضوع النسيم ، تستمد الشمس باهر
سناءه ، ويستعير المسك عطر شذاه ، يَخُصُّ إِخَاءَ كَمِ العَلِيِّ ، وَوَفَاءَ كَمِ الوَفِيِّ ،
ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذى أيد المؤمنين ، على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ، وعرف
الإسلام وأهله من السر العجيب ، والصنع الغريب ، مافيه عبرة للسامعين والنَّاظِرِينَ ؛

حكمة عجزت عن فهم سرها المكتوم ، وقصرت عن كنهها المختوم ، ألباب عبيده
القاصرين . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله الذي أرشد به الحائدين
الحائرين ، وأرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله برغم الجاحدين
الكافرين ، وعلى آله وصحبه الذين هاجروا إليه وبلادهم هجروا ، والذين آووا من أوى
إليهم ونصروا ، والذين جاهدوا في الله فصبروا ، ففازوا بذكر المهاجرين والأنصار
وأجر المجاهدين الصابرين ، وصلة الدعاء لحزب الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها
بفضل لا يزالون معه لأعدائهم قاشرين ، وسعد لا ينفكون له بآمالهم ظافرين ،
ونصر من عند الله وما النصر إلا من عند الله وهو خير الناصرين .

فإنا كتبنا لكم - كتب الله لكم مجدا مديد الظلال ، وعرضا حديد الإلال^(١) ، وسعدا
جديد السربال - من منصوره "تيمسان" حرسها الله تعالى ، والصنائع الربانية تكيف
العجائب ، وتعرف العوارف الرغائب ، وتسنف الأسماع بما تسمعها من إجزال
المُنوح والمواهب ، وتنفوف الرقاع بما تُودعها من أحاديث الفتوح الغرائب ، والحمد لله
على ما يسر من المآرب ، وسهل من المواهب . وإخاؤكم الصادق مبرور الجوانب ،
مأنور المناقب ، مشرق الكواكب ، مُغدق السحاب ، نامي المراتب ، سامي المراقب ،
والله تعالى يُقيه في ذاته ، ويقيه من صرف الدهر وأذاته . وإلى هذا وصل الله
لكم سعدا جديدا ، وجدا سعيدا ، ومجدا حميدا ، وحمدا مجيدا ، فقد وصل كتابكم
الأثير ، المزرى بالمسك الثير ، فاجتلينا منه روضة جادها البيان فأمرعها ، ورادها البنان
فوشعها ، واجتنينا من غصون سطوره ثمرات ودا ما أئنعها ، إنباء عما تلقاه الإخاء
الكريم من قبل الشيخ الأجل ، أبي عبدالله محمد بن الجراح مما عنا تحمل ، وفي إلفائه

(١) جمع آلة بمعنى الحربة .

وأدائه بحضرتكم الكريمة أحسن وأجمل ، وهو ما كان عليه عزم مولاتنا الوالدة
ألقها الله تعالى رضوانه ، وبوأها جنانه : من حج البيت المحرم ، وزيارة [القبر] المعظم
المكرم ، والصلاة بالمسجد الحرام ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم ، وثالثها في شد
الرحال المسجد الأقصى ونعم المغتم ، وقضاء النسك بتلك المناسك والمشاهد ، والتبرك
بتلك المعالم المنيفة والمعاهد ، وما وصف مع ذلك بهذا الجانب الغربي ، ووصف
من أمر قتالنا لكل مارق أبي وكافر حربي ، وما منحنا الله من نصر لقلوب أهل
الإيمان مبهج ، ولصدور عبدة الصلبان مخرج ، وأن الإخاء الكريمة حصل له بذلك
أبهي آتجاج ، وحل منه محل القبول الذي آتجاج له من آتجاج سبيل القصد أنهى
آتجاج ، فعقد العزم على تلقى الوافد من تلقائنا ، والوارد رجاء أداء فرض الحج من
أرجائنا ، بتسهيل سبيله ، وتيسير آتجاجه إلى بيت الله ورسوله ، وأنه متى وقع الشعور
بمقدم المولاة رحمها الله تعالى على بلاده ، وقربها من جهاته المجودة من جود جوده
بعهاده ، يقدم للخروج من يتلقى ركبها ، ويعتمد بالبر والتكريم جابها ، حتى تحمد وجهتها
الشريفة بجبل نظره وإيابها ، وقام عنا بما نوده من برها ، وساهم فيما تقدمه إلى الله عز
وجل من صالح أجرها . وقد قابلنا هذا الفضل من الشكر بأجرله ، ومن البر بأحفاه
وأحفله ، وحصل لدينا بإزائه سليم وده وكريم إخوانه ، من تخلص ولآئه ، وتمحيص
صفاته ، مما لا يزال عهد الأنيق في نهائه ، وعقده الوثيق في آزدياده ونمائه ، وغضنه
الوريق في رونق غلوائه ، ولئن كانت المولاة الوالدة قدس الله روحها ، وبرد ضريحها ،
قد وافت بما قدمت عند الله من صالح العمل ، وماتت على ما أرمته في قصد البيت
الشريف من نية وأمل ، إذ كانت رحمة الله تعالى عليها قد ناهبت لذلك . واعتدت
لسلوك تلك المسالك ، وأداء ما فرض الله من السعاية والمناسك ، وعلى الله إجزال
نوايها ، وعنده نحتسب ما ألمت فآلم من مصابها - فإن لدينا ممن يمت بحرمة المحرم إلينا .

ويلزم بحق التربية علينا ، من يقومُ عندنا مقامها ، ويرومُ من ذلك المقصد الشريف مرّامها ، وسنُوردها إن شاء الله تعالى على تِلْكَ البِقَاع ، ونُوردها من تلْكَ الأقطار والأصقاع ؛ ما يَجْمَلُ بِحُسْنِ نَظَرِكُمْ مورِدُهُ ومُصدَرُهُ ، وَيَطَّابِقُ في جميل أعتنائكم وحَفِيلِ احتفاليكم خبره ومَحَبْرُهُ ، بفضل الله وعونه .

وأما تشوقُ ذلكم الإخاء ، لمواصلة الكتب بسار الأبناء ؛ فإن من أقربها عهداً ، وأعدبها حديثاً يهادى ويهدى ، ما كان من أمر العاق قاتل أبيه ، الحال من إقليم تلمسان وممالكها بالمحلّ النّيبه ؛ وذلك أن أسلافه بنى زيّان ، كانوا قد استولوا على هذه المملكة في سالف الزّمان ، ولم يزل بينهم وبين أسلاف المحتوين على ملك المغرب الأقصى وقائع تُوردهم الحمام ، وتذيقهم الموت الزّوام ، فيدعون المنازعه ، ويعودون للوادعه ، ثم لم يلبثوا ، أن ينكثوا ، ولم يصبروا ، أن يغدروا ، إلى أن كان من حصار عمنا المقدس المرحوم أبي يعقوب قدس الله تربته إياهم ، فأكثر موتهم وكدر محياهم ، وتمادى بهم الحصارُ تسع سنين ، وما كانوا غير شردمة قليلين ، وهنالكم اتصلت بينكما المراسله ، وحصلت الصداقة والمواصله ، ثم حُمّ موته ، وتمّ فوته ، رحمة الله تؤمه ، ورضوانه يشمله ويعمه ، فنفس خناقهم ، وعاد إلى الإبدار محاقهم ، وصرف القائم بعده عنهم الحين ، عما كان هو رحمه الله قد طوعه من بلاد مغراوة وتحين ، فأتسعت عليهم المسالك ، وملكوا ما لم يكن فيه لأوائلهم طمع من الممالك ، لكنّ هذا الخائن وعمه كانا ممن أسارته الفتن ، وعم به فيها غوامر المِحن ، فسلكا مسلك أسلافهما في إذاعة المُهادنه ، والرّوغان عن الإعلان بالمُفاته .

ولما سؤل الشيطان لهذا العاق قتل والده ، والإستيلاء على طارفه وتالديه ، لم يقَدِّم عملاً على إشخاص إرساله بحضرة مولانا المقدس أبي سعيد ، قدس الله

(١) مراده أنه بدأ أول كل شيء ، باشخاص الخ .

مَثَوَاهُ ، وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَأْوَاهُ ، فِي السَّلْمِ رَاغِبًا ، وَلِلْحُكْمِ بِمَوَادِعِهِ طَالِبًا ، فَاقْتَضَى النَّظَرَ الْمَصْلِحِيَّ حِينَئِذٍ مُوَافَقَتَهُ فِي غَرَضِهِ ، وَإِنْ كَانَ بَاطِنُهُ عَلَى مَرَضِهِ ، فَقَوِيَ أَمْرُهُ ، وَضَرِيَ ضُرُّهُ ، وَشَرِيَ شَرُّهُ ، وَوَقَدَ تَحْتَ الرَّمَادِ جَمْرَهُ ، وَسَرَى إِلَى بِلَادِ جِيرَانِهِ الْمُوَحِّدِينَ دَاوَاهُ ، وَطَالَ عَلَيْهِمْ تَضْيِيقُهُ وَأَعْتَدَاوَهُ ، وَأَسْتَشْعَرَ ضَعْفَهُمْ عَنِ مَدَافِعَتِهِ ، وَوَهَنَهُمْ عَنِ مَقَاوِمَتِهِ وَمَنَازِعَتِهِ ، فَبَغَى وَطَغَى ، وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ مِنْ فَوْقِهِ سَقَبَ السَّمَاءِ رَغَا ، وَبَاطِنَ جَمَاعَةٍ مِنْ عَرَبِ أُفْرِيْقِيَّةِ الْمُفْسِدِينَ وَجَرَّوهُ بِجَبَلِ الْأَطْمَاعِ إِلَيْهَا ، وَأَقَامَ عَلَى بِحَايَةِ عَشْرِينَ سَنَةً يَشُدُّ عَلَى بِحَايَةِ الْحِصَارِ ، وَيُسْنُّ عَلَى أَحْوَازِ تُونُسِ الْغَارِ ، حَتَّى كَانَ مِنْ هَزِيمَةِ جَيْشِهِ لِسَاحِبِهَا مَا كَانَ ، بِمَالَةِ مِنْهُمْ وَمِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ وَرَاتِيهِ (؟) كَابْنِ اللَّحْيَانِيِّ ، وَأَبْنِ الشَّهِيدِ ، وَأَبْنِ عِمْرَانَ ، فَادَى ذَلِكَ سَاحِبَهَا السُّلْطَانَ أَبَا يَحْيَى أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ بَعَثَ إِلَيْنَا وَزِيرَهُ فِي طَلَبِ النُّصْرَةِ رَسُولًا ، وَأَوْفَدَ عَلَيْنَا أَعَزَّ وَلَدَهُ أَبَا زَكَرِيَّا فِي إِذْهَابِ الْمَضْرَّةِ عَنْهُ دَخِيلًا ، نَخَاطِبُنَا إِذْ ذَاكَ هَذَا الْخَائِنَ الْعَاقَّ مَبْصُرِينَ ، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ مَذْكُرِينَ ، فَمَا زَادَتْهُ الْمَوْعِظَةُ الْأَشْرَاءَ ، وَلَا أَفَادَتْهُ التَّذَكُّرَةُ إِلَّا بَطْرًا ، وَحِينَ ذُكِّرَ فَلَمْ تَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ، وَفُكِّرَ فَلَمْ يَتَيَسَّرَ لِلْيُسْرَى ، أَمَثَلْنَا فِيهِ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى الْمُرْتَبِّ عَلَى قَوْلِهِ ﴿ وَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى ﴾ فَارْمَعْنَا قَدْعَهُ ، وَأَجْمَعْنَا رَدَّهُ وَرَدْعَهُ . وَفِي أَشْنَاءِ ذَلِكَ وَصَلَّ إِلَيْنَا أَيْضًا سُلْطَانُ الْأَنْدَلُسِ مُسْتَفِيئًا عَلَى النَّصَارِيِّ أَعْدَاءِ اللَّهِ جِيرَانِهِ عَلَى طَاغِيَتِهِمْ ، الْمِصْرِيُّ عَلَى عِدَاوَتِهِ وَعِدَاوَتِهِمْ ، بِفَهْمِنَا مَعَهُ وَلَدْنَا عَبْدَ الْوَاحِدِ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ مِنَ الْأَبْطَالِ ، وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِمَا كَفَّاهُمْ مِنَ الطَّعَامِ وَالْعُدَّةِ وَالْمَالِ ، فَاجَازَ مِنْ سَبْتَةِ إِلَى الْخِضْرَاءِ بَحْجَلًا ، وَلَمْ يُقَدِّمَ عَلَى مَنَازِلَةِ جَبَلِ الْفَتْحِ عَمَلًا ، وَكَانَ هَذَا الْجَبَلُ الْخَطِيرُ شَأْنُهُ مِنْذُ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ الْعَدُوُّ قَصَمَهُ اللَّهُ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَسِتِّينَ شَجَا فِي لَهَوَاتِ أَهْلِ الْعُدُوَّتَيْنِ ، وَغُصَّةً لِنُفُوسِ السَّاكِنِينَ بِالْجِهَتَيْنِ ،

(١) المقام للاضممار .

لإطلائه عليهما، وإرساله جوارح جواريه إليهما، تخطف من رام العبور ببحر الزقاق، وما يقرب الملجأ إلى هذا المعقل المستقر من اللحاق، فكم أرملة وأيتم، وأنكل وأيم - فأحاطت به العاديات السوايح برأ وبحرا، وأذاقت من به من أهماج الأعلاج شرا وحضرا، إلى أن أسلموه للمسلمين قهرا وقسرا، ومنح الله حزبه المؤمنين فتحا ونصرا، وسمع الطاغية الغادر إجابة الله تعالى بأمره، فطار بما قدر عليه من حشوده وجنوده إلى إغائته ونصره، فوصله بعد ثمانية أيام، من تسليمه للإسلام، فنزل بجياله ورجله إزاءه، وأقسم بمعبوده لا يبرح فناءه، حتى يعيد إليه دينه، أو يلقى منونه دونه، فاكذب الله زعمه، وأوهن عزمه، وأحنت يمينه، وأقلع بعد شهرين وأيام مدبجا، وأسرع العود إلى مستقره وأسأله كيف نجا، وكان ذلك سبب إنايته للسلم وأتقياده، وإجابته لترك ما كان له على أصحاب "غمرناطة" من معتاده، وكانوا يعطونه ما ينيف على الأربعين ألفا من الذهب في العام، ضريبة الزمهم الطاغية أداءها في عقد مصالحته أي إلزام، فسمناه تركها وإسقاطها، والزمناء فيما عقدناه له من السلم أن يدع اشتراطها، والحمد لله الذي أعز بنا دين الإسلام، وأذل رقاب عبدة الأصنام، وقد آعتينا بتحصين حصن هذا الجبل تميها لها وتكميلا، وأبتدأنا من تحصين أسواره وأبراجه بما يقدو على جبينه تاجا وإكليلا. وكنا في هذه المدة التي جرت بها هذه الأحوال، وعرت فيها هذه الأهواء والأهوال، منازلين أخانا الممتنع "بسجلماسة" من بعض بلاد القبلة، ومحاولين من إزاحة ضره، والإراحة من شره، مافيه الصلاح والفلاح على التفصيل والجملة، لعنايته في الفساد، ودعايته إلى العناد، ومعاضدته صاحب "تلمسان"، ومساعدته على البغي والعدوان، فسهل الله أفتاحها، وعجل من صنائه الجميلة منها مباحها، وذلك بعد تسليم جبل الفتح بثلاثة أشهر ونصف، ويسر الله تعالى في ذلك من بدائع الصنائع ما يقصر عنه كل نعت ووصف.

وفي خلال تلك المنازله ، وحال تلك المحاولة ، لاحت للنائن التلمساني فرسه ، جرع
 منها غصه ، إذ ظن أنا عنه مشغولون ، وفي أمرٍ ماعرض من سجالها (١) وجبل الفتح
 معتملون ، فخرج من بلده على حين غفلة بالعزيمة والجد ، إلى حصن ماوررت الذي
 هو بين بلاده وبلادنا كالحده ، فوجد هناك ولدنا الأسعد تاشفين ، في ثلثة من
 بني مرين ، آساد العرين ، فلما نذروا به ثاروا إليه مسرعين ، فنكص على عقبه ،
 ولم ير له جنة أوقى من هربه ، وداد لذلك ثابته ، فلم تكن عساكرنا عن طرده وانيه ،
 بل ردت في الحافره ، وأنشدته بلسان حاها الساخره :

إن عادت العقرب عدنا لها * وكانت النمل لها حاضره

ولما فرغنا والحمد لله من تلك الشواغل ، وأرغنا من الخائن التلمساني ترك ما هو
 فيه من إثارة الفتن واغل ، فأعرض وأشاح ، وما لاحت عليه مخيلة فلاح ، نهدينا
 نحو أرضه ، لتجزيه بقرضه ، بجيوش يضيق عنها فسيح كل مدى ، وخيول تذر
 الأكم للحوافر سجدا ، تقض على الأقران أمثال الأجادل ، وتقض الجنادل من
 حوافرها بأصلب من الجنادل ، فكلفنا بتسلم منازلنا منزلا فتنزلا ، وتسئم معاقله معقلا
 شعقلا ، وجل رعاياه تقر بفضلنا ، وتفتر من جوره إلى عدلنا ، ومن تمسك منهم بجبله ،
 أو سلك من الغي في سبله ، قاده السيف برغمه ، وأستزله على حكمه ، والنفوس مع ذلك
 يؤمهم ، والإحسان يشملهم ويعمهم ، حتى لم يبق إلا معقله الأشب ، ومنزله الذي
 رأى أنه عن عين الشوايب محتجب ، قد شمع أنفا حيا ، وصاح كفا للثريا ، ولم يرض
 لهامته عمائم إلا الغائم ، ولا لأنامل شرفاته خواتم . إلا النجوم العواتم ، فنزلنا بساحه ،
 وأقبلنا على كفاحه ، وجعلنا نقدفهم من حجارة المجانيق ، بأمثال النيق ، ومن كيزان
 النفط الموقده ، بأمثال الشهب المرصده ، ومن السهام العقاره ، بأمثال العقارب

(١) كذا في الأصل باهمال الحروف ولعله مصحف عن بنزرت تأمل

الحراره ؛ حتى غدت جذرائهم مهدومه ، وجسومهم مكلومه ؛ وثغور شرفاتهم
 في أفواه أبراجهم مهتومه ؛ وظلت الفعلة كسيدة إزاء أبراجهم أبراجا ، وتمهد منها
 لتسوير أسوارهم أدرجا ؛ وللعاول في أسانلها إعوال ، وللعواسل على أعاليها أعمال ،
 وللأشقياء مع ذلك شدة وجلد ، وعدة وعدد ، وحدة ولدد ، يقابلون حميه ؛ وينازلون
 بنفوس أبيه ، وحجارة المجانيق تشدح هامهم ، وبنات الكائن تزلزل أقدامهم ؛ وهم
 في مثل ذلك لازمون إقدامهم ، إلى أن آستدت أزمته فلم يجدوا لها من فارح ،
 وأحاطت بهم الأوجال من خارج ؛ وهدمت أبراجهم الشواهد ، وردمت حفائرهم
 والحنادق ؛ وأخذت الكجاة ، في العروج ، إلى البروج ، والحماة ، في السباق ، إلى الأنفاق ،
 والرماة ، في النضال ، بالنصال ، فمن مرتقي سلما ، غير متقي مؤلما ، ومشتغل بالنقب ،
 غير محتفل بشابور الحجارة المنصب ؛ وأفرج المضيقي ، وأنتهج الطريق ؛ وأقتحمته
 أطلاب الأبطال ، وولحته أقبال القبائل وولى الأشقياء الأدبار ، وعادوا بالفرار ،
 وبدت عليهم علامات الإذبار ؛ وسابقوا إلى الأبواب ، فكان مجيهم من أقوى
 الأسباب ، وقتل منهم الزحام ، من أساره الهدم والحسام ؛ فتملكا مادارت عليه
 الأسوار الخارجة : كفرار السبع والملعب ، وجميع الجنان والعروش التي ما أنفك الشقي
 يجتهد في عمارتها ويتعب ؛ وأعلنا بالنداء أن كل من جاءنا هاربا ، ووصل إلينا تائبا ،
 منحناه العفو ، ومحونا عنه الهفوب ؛ وأوردناه من إحساننا الصفوب ؛ فتبادروا عند ذلك
 يتساقطون من الأسوار ، تساقط جنيات الثمار ؛ فرادى ومثنى ، آيين إلى الحسنى ؛
 فيسعهم الصفح ، ويحسبهم المن والمنح .

ولما رأى الخائن قلة من بقي معه ، وشاهد تفرق من ذلك الموقف جمعه ؛ أمر
 بسراح من في قبضته وسجنه ، وأعتقدم عوننا له فكانوا أعون شيء على وهيه ووهنه ،
 وأعتمد الناس في بقية يومهم السور لتوسع أنقابه ، وتتحرق أبوابه ؛ إلى أن جنهم

الليل ، وحقّ منهم بالأعداء الويل ؛ ولزم كلُّ مكرهه ، ولم يكن الليل ليحجبه من عمله ولا يحجزه ؛ وبات الفرار إلينا يهربون ، ومن كل نفق يتسربون ؛ فلما ارتفع الضياء ، ومنع الضحاء ، أمرنا ولدنا : يعقوب وعبد الواحد ، ووزيرنا القاعدله بالمرأصد ، بأن زحفوا إليها ، مع أطلابنا تحت راياتنا المنصورة عليها ؛ فرجفت قلوبهم ، ووجبت جوبهم ؛ ولم يكن إلا كلاً حتى أمطيت تلك الصهوه ، وتسنمت فيها الذروه ، وتسنمت بيد العنوه ، وفصمت عراها عروة عروه ، وأنزلوا من صياصيمهم ؛ وتمكنت يد القهر من نواصيمهم ، وحقّت عليهم كلمة العذاب من معاصيمهم ؛ وفر الشقي إلى فناء داره ، في نفر من ذويه وأنصاره ؛ وفيهم ولداه مسعود وعثمان ، ووزيره موسى ابن علي معينه علي البغي والعصيان ؛ وعبد الحق بن عثمان الخائن الغادر ، وابن أخيه العامل بعمله ثابت بن عامر ، فتكنفهم هنالك أولياء دولتنا عليه ، فأوردوهم ويوسف ولد الشقي السالب حياض المنيه ، ونيدت بالعرأء أجسامهم ، وتقدمنا للحين ، بأن يمدّ علي الرعية ظلّ التامين ؛ ويوطأ لهم كنف التهديئة والتسكين ، ويوطد لهم مهاد العافية ، وتكف عنهم الأكف العادية ، حتى لا تمتد إليهم كف منهب ، ولا يلتفت نحوهم طرف مستلب ؛ ومن آتهب شيئاً أمر برده ، وصدّ عن قصده - وكلّ لنا والحمد لله بالاستيلاء على هذا القطر جمع البلاد ، الداخلة في ولاية بني عبد الواد ؛ ونسخت منها دولتهم ، ومحييت من صحيفتها دعوتهم ؛ وعوض الرعايا من خوفهم أمناً ، ومن شومهم يمناً ؛ وشملتهم كلمتنا الراقية ، المنصورة بكلمة الله الباقية ؛ وفي ذلك معتبر لأهل اليقين ، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

والحمد لله على هذه النعمة التي أفاضت على النعم جلالاً ، والصنيعة التي بهرت الصنائع جمالاً ؛ وأضفت على المسلمين من الصلاح والعافية سربالاً . وقد رأينا من حقّ هذا الإتمام الجسيم ، والصنع الرائق الوصيم ؛ أن نتبع العفو بعد المقدرة ،

(١)
بالإحسان لمن أسلف لنا غمطه أو شكره ؛ [فمننا] على قبائل بني عبد الواد، وأضفينا
عليهم صنوف الملابس نساء ورجالا ، وأوسعنا لهم في العطاء مجالا ، وأفعمنا لهم
من الجبأ سجالا ، وأقطعنا لهم من بلاد المغرب حاطها الله تعالى ما هو خير
من بلادهم ، وحبوناهم منها بما كفل بإحساب مرادهم ، وإخصاب مرادهم ،
وخلطناهم بقبائل بني مرين ، وحطناهم بانحاد الكلمة من تقول المتقولين ، وتزوير
المزورين ؛ وأعددنا منهم لأوان الجهاد أوفر عدد ، وأعدنا من فرسانهم ورجاهم
لقطعان الأعدى أكبر مدد ؛ وأزِيل عن الرعايا بهذه البلاد الشرقية إضرهم ، وأزيج
عنهم بتوخي العدل فيهم جورهم ووزرهم ؛ وخففنا عنهم ما آد من المغارم ، وهاد
من المكارم ؛ فانشرحت صدورهم ، وصلحت أمورهم .

والحمد لله الذي نل محال الباغين ومجالم ، وأورثنا أرضهم وديارهم وأموالهم ،
وأخذهم بما احتقبوا من المآثم ، واكتسبوا من الجرائم واستحلوا من المحارم ؛
وأباحوا من المسكرات ، وأذاعوا من المنكرات ، وطالما أصبح ربهم معيدن
الفسوق ، وموطن العقوق ، ومقطن إضاعة الحقوق ، لاسيما في أيام المسرور بهناته ،
المغرور بما سبوا له الشيطان وأملأ له من ترهاته ، المشهور بقتل أبيه ، المأثور
من مثالبه ومعاييه بما لم يأت الدهر له بشييه ، ولقد طبقت الآفاق معاصيه ،
وبلغت أخبار خيائته من باطراف المعمور وأقاصيه ، ولكن الله تعالى أملأ له
ليكثر ما نمه ، حتى إذا شاء أخذه أخذ القرى وهي ظالمه .

والحمد لله الذي طهر بأيدينا هذه الأرجاء من أرجاسه ، ورحص عنها بأيدينا
أوضار أدناسه وأنجاسه ، وأتاح لأهلها بهلاك هذا المرید المراد ، وأراح منه ومن شيعته

(١) بصر في الأصل لهذه الكلمة وقد اقتبسناها من المتام .

(١) البلاد والعباد ، ولو لم يكن إلا مانال الحجَّاج من تعنيته وتعدّيه ، وطال عليهم من تعرّضه لهم وتصديته ، حتى حجز عن الحجاز الشريف قُصَّاده ، وحجر بقطع السبيل عن بيت الله الحرام من أراده ، فكم سلب الحجَّاج ، وسدَّ عليهم المسالك والفجاج ، وفرّق فريقهم ، وعوّق طريقهم . والآن بحمد الله حقَّت الحقائق ، وارتفعت العوائق ، وصحَّ العليل ، ووضَّح السبيل ، وتسهَّل المرام ، وتيسَّر القصد إلى البيت الحرام ، مكانُ ترده الزوار عليكم أرسالا ، ووفود الأبرار للسلم خفانا ونقالا ، يأتون من كلِّ فج عميق ، ويقضون ما يقضون من مناسكهم ، آمين في مسالكهم ، إلى البيت العتيق ، وهكذا أيضا خلا وجهنا لجهاد الروم ، ولإعداد من يغزونها في عُقر دارهم للقصد المروم ، وأن نجدد من هذا العمل بجزيرة الأندلس حماها الله تعالى ما لسلفنا بها سلف ، ونبدد من شمل عباد الصليب ما خلّفهم بفضل الله تعالى خير خلف ، فعمل الجهاد ، بهذه البلاد ، هو الفضيلة التي لنا الله سبحانه ذخرها ، والحسنة التي في صحائف أعمالنا سطرها ، وبجيوشنا المنصورة عزَّ دين الإسلام بهذا المغرب الغريب ، وبسيوفنا المشكورة والله المشكور ذلَّ بها الصليب ، أوزعا الله تعالى شكر الآله ، وأمتنا بتواتر نعمائه ، بمنه وفضله .

وأنهينا لعليكم الكريم هذه الأنباء السارة ، والآلاء الدّارة : لما ذكرتم من تشوقكم لإستطلاعها ، وسطرتم من تشوقكم لإستماعها ، ولعلمنا أنكم تُسرون بقطع دابر الباغين ، وتتبشرون بحسم أدواء الطاغين ، وتؤثرون الإخبار بإتلاف الكلمة على أعداء الله الكافرين إيثار الحامدين لفعل الله تعالى في إظهار دينه الشاكرين . لا زلتم تُسرّع نحوكم البشائر ، وتفرّع بذكركم المنابر ، وترفع لأجتلاء آثار أمركم الستائر ،

(١) لم يذكر في الكلام جواب لونه ، ولكنه معنوم أي تكفى تأمل .

وَأَسْجَلَاءُ أَخْبَارِ سِيرَتِكُمُ الْبَاهِرَةِ النَّوَظِرِ، وَتُجْمَعُ لِسَجَايَاكُمْ السَّنِيَّةِ الْعَلَاءِ، وَمَزَايَاكُمْ
الْعَلِيَّةِ السَّنَاءِ، ثَوَاقِبُ الْمَنَاقِبِ وَقَوْلُ خَيْرِ الْمَفَاحِرِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَالسَّلَامُ الْأَتَمُّ،
الْأَضْوَعُ الْأَتَمُّ، يُخَصُّ إِخَاءَكُمْ الْأَوْفَى، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

قلت : جواب هذا الكتاب [تقدم] في الكلام على المكاتبات عن الأبواب
السلطانية في المكاتبات إلى الملوك .



وهذه نسخة كتاب ورد من أبي الحسن المريني صحبة الهدايا، والحرّة الحاجة
في شهر رمضان المعظم سنة ثمان وثلاثين وسبعائة، ونصه بعد البسملة :

من عبد الله على أمير المسلمين ، ناصر الدين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ،
ملك البرين ، مالك العدوتين ، ابن مولانا أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب
العالمين ، ملك البرين ، وسلطان العدوتين ، أبي سعيد ، ابن مولانا أمير المسلمين ،
المجاهد في سبيل رب العالمين ، ملك البرين ، وسلطان العدوتين ، أبي سعيد^(١) ،
ابن مولانا أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، ملك البرين ، وسلطان
العدوتين ، أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، منح الله التأييد مقامه ، وفسح
لفتح معاقل الكفر وكسر جحافل الصفر أيامه .

إلى السلطان الجليل ، الكبير ، الشهير ، العادل ، الفاضل ، الكامل ، الكافل ،
الملك ، الناصر ، المجاهد ، المرابط ، المؤيد ، المنصور ، الأسعد ، الأصعد ، الأرق ،
الأوفى ، الأتجد ، الأتجد ، الأنعم ، الأضخم ، الأوحد ، الأوفى ، ناصر الدين ، عاضد
كلمة المسلمين ، محيي العدل في العالمين ، فاتح الأمصار ، حازم ملك الأقطار ، مفيد

(١) تقدم في ص ٨٧ من هذا الجزء التنبيه على سلسلة نسب أبي الحسن فتنبه .

الأوطار، مُبِيد الكُفَّار، هازِمُ جُيوش الأَرَمَن والفرنج والكرج والتتار، خادِم
 الحرمين، نَعِيث العُفَّاء، غَوِث العُنَّاء، مُصَرِّف الكُتَّاب، مُشَرِّف المَوَاكِب، ناصر
 الإسلام، نَاشِر الأَعْلَام، نَجْر الأَنَام، ذُنْحِر الأَيَّام، قائِد الجُنُود، عاقِد البُنُود، حافظ
 الثُّغُور، حائِط الجُمهور، حامِي كَلِمَةِ الموحِّدين، أبى المَعَالى، مُحَمَّد بنِ السُلطان،
 الجليل، الكبير، الشهير، الشهيد، الخطير، العادل، الفاضل، الكافل، الكامل،
 الحافظ، الحافل، المؤيِّد، المَكْرَم، المَبْجَل، المَكْبَر، الموقَّر، المعزَّر، المعزَّر، المجاهد،
 المرابط، المُتَاغِر، الأُوْحِد، الأَسْعِد، الأَصْعِد، الأُوْفَى، الأَنْفَم، الأَضْمَم، المقدس،
 المرحوم، الملك المنصور، سيف الدنيا والدين، قَسِيم أمير المؤمنين، أبى الله مُلْكًا
 موصول الصَّوْلَة والأَقْتِدَار، تَحْمِي الحَوْزَة حاميًا للديار، حميد المائِر الماثورة والآثار،
 عزيز الأولياء في كلِّ موطن والأنصار.

سلامٌ كريم، زالك عَمِيم، تُشْرِقُ إشراقَ النهارِ صَفْحَاتُهُ، وتَعْبُقُ عن شَذَا الرُوضِ
 المِعْطَارِ نَفْحَاتُهُ، يُخْصُّ إِخَاءَكُم العَلِيَّ، ورحمة الله وبركاته .

أما بعد حمد الله الذي وَسَّعَ العِبَادَةَ مِنَّا جَسِيماً، وَفَضَّلَنَا جَزِيلاً، وَأَهْمَمَهُمُ الرِّشَادَ
 بِأَنْ أَبْدَى لَهُمْ مِنْ آثَارِ قُدْرَتِهِ، عَلَى مَقْدَارِ وَحْدَتِهِ، بُرْهَانًا وَاضِحًا وَدَلِيلًا، وَأَلْزَمَ أُمَّةَ
 الإسلامِ، حَجَّ بَيْتِهِ الحَرَامِ، مِنْ أَسْتِطَاعِ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَجَعَلَ تَعْظِيمَ شَعَائِرِهِ مِنْ تَقْوَى
 القُلُوبِ، وَمَثَابَاتِ مَحَطِّ الأَوْزَارِ وَالدُّنُوبِ، فَمَا أَجْرَلِ نِعْمَتِهِ مَنِيلاً، وَأَجْمَلَ رَحْمَةِ رَبِّهِ
 مَقِيلًا، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ المِصْطَفَى مِنْ أَفْضَلِ العَرَبِ
 فَصِيلَةً، فِي أَكْلِ بَقَاعِ الأَرْضِ فَضِيلَةً، وَأَكْرَمِيهَا جَمَلَةً وَتَفْصِيلًا، المَحْتَبَى لِحَتْمِ الرِّسَالَةِ .
 وَحَسْمِ أَدْوَاءِ الضَّلَالَةِ، فَأَحْسَبُ اللهُ بِهِ النُّبُوَّةَ نَتْمًا وَالرِّسَالَةَ تَكْيِيلًا، المَخْصُوصِ بِالحَوْضِ
 المَوْزُودِ، وَالمَقَامِ المَحْمُودِ، يَوْمَ يَقُولُ العَظَامُ (يَا رَبِّ لَيْتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا، المَبُوءِ

من دار هجرته ، ومقرّ نُصْرته ، محلاً ما بين بيته ومنبره فيه روضةٌ من رياض الجنة لم
 يزل بها نزيلاً ، والرضا عن آله الأبرار ، وأصحابه الأخيار ، الذين فضلتهم سابقةُ
 السعادة تفضيلاً ، وأهلتهم العناية [بأمر الدين إلى أن يُوسِعُوا الأحكامَ برهاناً ودليلاً ،
 فإننا نحيط علم^(١)] الإخاء الأعزّ ما كان من عزم مولاتنا الوالدةِ قدس الله روحها ،
 وتورّضَ رِيحها ، على أداء فريضة الحجّ الواجبه ، وتوفية مناسكه اللازبه ، فاعترض
 الحما ، دون ذلك المرام ، وعاق القدر ، عن بلوغ ذلك الوطر ، فطوى كتابها ،
 ونجّل إلى مقرّ الرحمة بفضل الله مآبها ، وعلى الله أجرها ، وعنده يُحتسبُ ذُرّها ،
 وإن لدينا من نوجب إعظامها ، وتقييمها بحكم البرّ مقامها ، وعزمها إلى ما أمّته
 مصروف ، وأملها إلى ما كانت أمته موقوف ، وهى محلّ والدتنا المكرّمة ، المبرورة ،
 الأثيرة ، الموقرة ، المجلّة ، المفضّلة ، المعززة ، المعزرة ، المعظمة ، المطهرة ، أسنى
 الله مكاتبها ، وسنى من هذا القصد الشريف لبانتها ، وقد شيّعناها إلى حجّ بيت
 الله الحرام ، والمثول بحول الله تعالى ما بين زمزم والمقام ، والفوز من السلام ، على
 ضريح الرسالة ، ومثابة الجلاله ، بنيل السؤل والمرام : لتظفر بأملها المرغوب ، وتتفرّ
 بعد أداء فرضها لأكرم الوجوب .

وحيث شخص لذلك الغرض الكريم ، موكبها ، وخلص إلى قصد الحرم العظيم ،
 مذهبها ، والكرامة تُلحّفها ، والسلامة إن شاء الله تكفّفها ، أصحابناها من حور
 دولتنا وأحظيائها ، ووجوه دعوتنا العلية وأوليائها ، من اخترناه لهذه الوجهة الحميدة
 الأثر ، والرحمة السعيدة الورد إن شاء الله تعالى والصدر ، من أعيان بني مرّين أعزّمهم
 الله تعالى والعرب ، وأولاد المشايخ أولى الديانة والتقوى المثلين دلاء القرب ، إلى

(١) في الأصل وأهلتهم العناية الإخاء الخ ولا يخفى ما فيه . ولعله سقط من قلم الناصح شيء . فزدنا ما بين

التريعين لا على أنه هو الساقط بل ليرتبط الكلام نوع ارتباط تأمل .

عَقْدَ الْكَرْبِ ، وَكُلَّ مِنْ لَهُ أَثْرَةٌ مَشْهُورَةٌ ، وَشُهْرَةٌ بِالْمَرْأَى الرَّاحِمَةِ وَالسَّجَايَا الصَّالِحَةِ
 مَأْتُورَةٌ ، وَقَصْدُهُمْ مِنْ أَدَاءِ فَرِيضِ الْحَجِّ قَصْدُهَا ، وَوَرُدُّهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ
 مَنَهْلِ بَرَكَاتِهِ الْجَمَّةِ وَرُدُّهَا ، وَهَكَذَا سِيرْنَا مِنْ تُخَفِ هَذِهِ الْبِلَادِ إِلَيْكُمْ مَا تَيَسَّرَ فِي الْوَقْتِ
 تَسِيرُهُ ، وَإِنْ تَعَذَّرَ فِي كَثِيرٍ مِمَّا قَصَدْنَاهُ وَلِهَذَا الْفَرِيضُ أُرْدِنَاهُ تَسِيرُهُ ، لِطُولِ الْمَغِيبِ
 عَنِ الْحَضْرَةِ ، وَالشُّغْلِ بِتَمْهِيدِ الْبِلَادِ الَّتِي فَتَحَهَا اللَّهُ عَلَيْنَا فِي هَذِهِ السَّفَرِ ، وَعَيْنًا
 لِإِيرَادِهَا لَدَيْكُمْ ، وَإِيفَادِهَا عَلَيْكُمْ ، أبا إِسْحَاقَ ابْنَ الشَّيْخِ أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنِ عَثْمَانَ
 السُّوَيْدِيَّ ، وَأَمِيرَ الرِّكْبِ الْحَسَنَ بْنَ عِمْرَانَ وَغَيْرَهُمْ ، كَتَبَ اللَّهُ سَلَامَتَهُمْ ، وَيَمِّنُ
 ظَعْنَهُمْ وَإِقَامَتَهُمْ . وَمَقَامُ ذَلِكَ الْإِخْوَةِ الْكَرِيمِ يُسَنِّيْ لِهِمْ مِنَ الْيُسْرَى وَالتَّسْهِيلِ الْقَصْدَ
 وَالسُّوْلَ ، وَيَأْمُرُ نُوَّابَ مَالِهِ مِنَ الْمَمَالِكِ ، وَقَوَّامَ مَا بَهَا مِنَ الْمَسَائِكِ ، لِتُكَلَّلَ الْعِنَايَةُ بِهِمْ
 مِنَ الْمَسْرَى وَالْقُقُولِ . وَمَعْظَمُ قَصْدِنَا مِنْ هَذِهِ الْوَجْهَةِ الْمُبَارَكَةِ إِيْصَالُ الْمُصْحَفِ الْعَزِيزِ
 الَّذِي خَطَطْنَاهُ بِيَدِنَا ، وَجَعَلْنَاهُ ذَخِيرَةً يَوْمًا لَعْدَا ، إِلَى مَسْجِدِ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا ، وَعَصْمَةِ
 دِينِنَا وَدُنْيَانَا ، مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِطَيْبَةِ زَادَهَا اللَّهُ تَشْرِيفًا ، وَأَبْقَى عَلَى
 الْأَيَّامِ نَحْرَهَا مُنِيفًا ، رَغْبَةً فِي الثَّوَابِ ، وَحِرْصًا عَلَى الْفَوْزِ بِحَظِّ مَنْ أَجْرَ التَّلَاوَةِ فِيهِ
 يَوْمَ الْمَأْتِ .

وَقَدْ عَيْنًا بِيَدِ مَحَلِّ الْوَالِدَةِ الْمَذْكُورَةِ فِيهِ ، كَرَّمَ اللَّهُ جَبْهَتَهَا ، وَيَمِّنُ وَجْهَتَهَا ، مِنْ
 الْمَالِ مَا يُشْتَرَى بِهِ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ الْمُحَوَّطَةِ مِنَ الْمَسْتَعْلَاتِ مَا يَكُونُ وَقْفًا عَلَى الْقِرَاءَةِ
 فِيهِ ، مُؤَبَّدًا عَلَيْهِمْ وَعَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ فَوَائِدُهُ وَمَجَانِيهِ . وَالْإِخْوَةِ الْكَرِيمِ يَتَلَقُّ
 مِنَ الرُّسُلِ الْمَذْكُورِينَ مَا إِلَيْهِمْ فِي هَذِهِ الْأَغْرَاضِ الْقِيَانِ [وَيَأْمُرُ] بِاحْتِضَارِهِمْ لِأَدَائِهِمْ
 بِالْمَشَافَهَةِ مَا لَدَيْهِمْ أَوْ عَيْنَاهُ ، وَيُوعِزُّ بِإِعَانَتِهِمْ عَلَى هَذَا الْفَرِيضِ الْمَطْلُوبِ ، وَيُسِّرُّ لَهُمْ
 أَسْبَابَ التَّرْصُلِ إِلَى الْأَمَلِ وَالْمَرْغُوبِ ، وَشَأْنُهُ الْعَوْنُ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، وَلَا سِيَّمَا

ما كان من أمثال هذا إلى مثل هذه السُّبُل الواضحة ؛ وشكراً بآدابكم موطد الأساس ،
مطرد القياس ، متجدد مع الحظّات والأنفاس ؛ والله يصل للإخاء العلى نُصرة أيامه ،
ويوالى نُصرة أعلامه ؛ ويبقى الثغور القصية ، والسُّبُل السرية ، منوطة بنقضه
وإبرامه ، محوطة بمعاوضة أسيافه وأقلامه ، والسلامُ الكريمُ العميم ، يخص إخوانكم
الأعزّ ، ورحمةُ الله وبركاته - وكتب في يوم الخميس المبارك الخامس والعشرين
من ربيع الأول عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة .



وهذه نسخة كتاب عن السلطان عثمان بن أبي العباس المريني ، في العشر الأوسط^(١)
من شبان سنة أربع وثمانمائة ، وهو :

من عبد الله وولّيه : عثمان أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، سلطان
الإسلام والمسلمين ، ناشر بساط العدل في العالمين ، المقتدى بآثار آبائه الكرام ،
المقتفى سنتهم الحميدة في نُصرة الإسلام ، المعجل نفسه العزيزة في التهم بما قلده
الله من أمور عباده ، وحيطة تُغوره وبلادده ، سيف الله المسلول على أعدائه ، المنتشر
عدله على أقطار المعمور وأنحائه ، ظلّ الله تعالى في أرضه ، القائم بسنته وفرضه ،
عماد الدنيا والدين ، علم الأئمة المهتدين ، ابن مولانا السلطان المظفر التان الخليفة
الإمام ، ملك الملوك الأعلام ؛ فاتح البلدان والأقطار ، ممدد الأقاليم والأمصار ، جامع
أشنت الحامد ، ملجأ الصادر والوارد ؛ الملك الجواد ، الذي حلّت محبته في الصدور
محلّ الأرواح في الأجساد ؛ أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ؛ أبي العباس
ابن مولانا أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، أبي سالم ، ابن مولانا

(١) جرى على طريقة بعض النحاة وإن كان الاكثر أنه يقال العشر الوسطى أو الوسط .

أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، أبي الحسن ، ابن مولانا أمير المسلمين ،
المجاهد في سبيل رب العالمين ، أبي سعيد ، ابن مولانا أمير المسلمين ، المجاهد في سبيل
رب العالمين ، أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، وصل الله تعالى أسباب تأييده
وعضديه ، وقضى باتصال عرف تجديد سعده ، وأناله من جميل صنعه ما يتكفل
بتيسير أمره وبلوغ قصده .

إلى محل أخينا الذي نُؤثر حق إخائه الكريم ، ونُثني على سلطانه السعيد ثناء الوليِّ
الحميم ، ونشكر ماله فينا من الحبِّ السليم ، والودِّ الثابتِ المُقيم ، السلطانِ الجليل ،
الماجدِ الأصيل ، الأعزَّ الخطيرِ المَئيل ، الشهيرِ الأجدِّ الأرفع ، الهامِ الأمتع ،
السرى الأرضي ، المجاهدِ الأَمْضي ، الأوحِدِ الأَسْنِي ، المكينِ الأَمْحِي ، خديمِ
الحرمين الشريفيين ، حائزِ الفَخْرينِ المُنِيفين ، ناصرِ الدُّنيا والدِّين ، مُجْبِي العَدلِ
في العالمين ، الأجدِّ ، الأودِّ ، المكينِ ، الأخلصِ ، الأفضلِ ، الأكلِ ، أبي السَّعاداتِ
فَرَجِ ، ابنِ السلطانِ الجليل ، الأعزَّ المَئيلِ ، الخطيرِ الأصيلِ ، الأرفعِ ، الأجدِّ ،
الشهيرِ ، الهامِ ، الأوحِدِ ، الأَسْنِي ، الأَسْرِي ، الأَرْضِي ، المَجَاهِدِ ، الأَمْضِي ، خديمِ
الحرمين الشريفيين ، حائزِ الفَخْرينِ المُنِيفين ، الأفضلِ ، الأكلِ ، المبرورِ ، المقدمِ ،
المرحومِ ، أبي سعيد (برقوق) بن أنص ، وصل الله تعالى لسلطانه المؤيدِ جَدًّا
لا يُعْجَمُ عودُهُ ، وعِزًّا لا يَمِيلُ عُمودُهُ ، ونصرًا يملأ قُطرَهُ بما يَنْصُ بِهِ حَسودُهُ ،
وعَضُدًا يأخذ بزمام أمله السنِّي فيسوقه ويقوده .

سلامٌ عليكم ورحمةُ الله وبركاته .

أما بعد حمد الله على سُبُوغِ نعمائه ، وترادفِ لُطفِهِ وآلائِهِ ، الذي عَرَّفَنَا مِنْ وَلائِكُمْ
الكَرِيمِ ما سَرَّنا مِنْ أَطْرادِ أَعْتِباتِهِ ، وأبْهَجِ الثُّفُوسِ والأَسْماعِ مِنْ صَفاءِ وَلائِهِ ،

ومواصلة صفائه ، والصلاة والسلام الأكلين على سيدنا ومولانا محمد خاتم رسله
 وأنبيائه ، ومبلغ رسالاته وأنبيائه ، صاحب المقام المحمود ، والحوض المورود ، واللواء
 المعقود ، فأكرم بمقامه وحوضه ولوائه ، والرضا عن آله وصحبه وأوليائه ، الذين
 هم للدين بدور أهدائه ونجوم أفتدائه ؛ وصلة الدعاء لمقامكم الكريم بدوام عزه
 وأعتلائه ، وأقبال النصر المبالغ في أحتفاله وأحتفائه ، وحياطة أنحائه وأرجائه ،
 وتأييد عزماته وآرائه .

فإنا كتبنا إليكم كتب الله لكم سعدا سافرا ، وعزما ظافرا ، من حضرتنا العلية
 بالمدينة البيضاء كلاًها الله تعالى وحرسها ، ونعم الله سبحانه لدينا واكفة السجال ،
 وولأوه جل جلاله سابغ الأذيال ، وخلافتكم التي نزعى بعين البرجوانبها ، ونقتفى
 في كل منقبة كريمة سيرها الحميدة ومداهبها - وإلى هذا وصل الله سعدكم ووالى
 عضدكم ، وكتبنا هذا يقرر لكم من وداينا ماشاع وذاع ، ويؤكد من إخلاصنا
 إليكم ما نتحدث به الشمار فتوعيه جميع الأسماع ؛ وقد كان انتهى إلينا حركة
 عدو الله وعدو الإسلام ، الباغي بالاجتراء على عباده سبحانه بالبؤس والانتقام ،
 الآخذ فيهم بالغيث والفساد ، الساعى بجهده في تهديم الحصون وتخريب البلاد ،
 وتعرفنا أنه كان يعلق أمله الخائب بالوصول إلى أطراف بلادكم المصريه ، وأنتهاز
 الفرصة على حين غفلة من خلافتكم العلية ، والحمد لله الذى كفى بفضله شره ، ودفع
 نقمته وضره ، وأنصرف ناكصا على عقبيه ، خائبا من نيل آربه . ولقد كنا حين سمعنا
 بسوء رأيه الذى غلبه الله عليه ، وما أضمر نخلق الله من الشر الذى يجده فى أحراه
 ظلّه يسعى بين يديه [عزمننا على] أن نمدكم من عساكرنا المظفرة بما يضيق عنه
 الفضا ، ونجهز لجهتكم من أساطيلنا المنصورة ما يمدد فى إمداد المناصرة ويرتضى ؛

فالمحمد لله على أن كفى المؤمنين القتال ، وأذهب عنهم الأوجال ، ويسر لهم الأعمال ،
وهياً لخلافكم السنية وللمسلمين ، هناءً يتضمن السلامة لكم ولهم على تعاقب الأعوام
والسنين .

وبحسب مالنا فيكم من الود الذي أسست المصافاة ببيانها ، والحب الذي أوضح
الإخلاص برهانه ، وقع تخيرنا فيمن يتوجه من بابنا الكريم لفصيل مجمله ، وتقرير
مالدينا فيه على أتم وجه الاعتقاد وأكمله ، على الشيخ ، الأجل ، الشريف ، المبارك ،
الأصيل ، الأسنى ، الحظي ، الأعز ، الحاج ، المبرور ، الأمين ، الأحفل ، الأفضل ،
الأكل ، أبي عبد الله محمد ، أن الشيخ الأجل ، الأعز ، الأسنى ، الأوجه ، الأنوه ،
الأرفع ، الأجد ، الآثر ، الأزهي ، الشريف ، الأصيل ، المعظم المشيل ، الأشهر ،
الأخطر ، الأمثل ، الأجل ، الأفضل ، الأكل ، المرضي ، المقدس ، المرحوم
أبي عبد الله محمد ، بن أبي القاسم ، ابن نفيس الحسني العراقي ، وصل الله تعالى
سعادته ، وأحمد على حضرتكم السنية وفادته ، حسب ما يفى بشرح ما حملناه نقله ،
ويكمل بايضاحه لديكم يقظته وبهله ، إن شاء الله تعالى ، وهو سبحانه وتعالى يديم
سعادتكم ، ويحفظ مجادتك ، ويسني من كل خير إرادتكم ، والسلام عليكم ورحمة
الله وبركاته .

الجملة الرابعة

(في عادة الكتب الواردة عن صاحب الأندلس)

والرسم في ذلك أن يكتب «الأبواب الشريفة» ويصفها ، ثم يقول : «أبواب
السلطان الفلاني» ويصفه ، ويذكر ألقابه ، ثم يدعوله ، ثم يقول : «سلام كريم»
ويصفه ، من فلان ، ويذكر السلطان المكتوب عنه ، ثم يقول : أما بعد حمد الله ،

ويأتي بـجُطبة في المعنى نـشتمل على التـحميد، والتـصلة على النبي صلى الله عليه وسلم، والرّضا عن الصحابة رضـى الله عنهم؛ ثم يقول: فإنـا كتبنا اليكم، ويأتي على مايناسب المقام، ثم ينخرط في سـلك المقصود إلى آخره ويختـم بالدعاء.

وهذه نسخة كتاب كُتب به عن أمير المسلمين السلطان أبي عبد الله محمد بن أبي الحجاج يوسف بن نصير بن الأحمر، صاحب غرناطة - من الأندلس، إلى السلطان الملك الأشرف "شعبان بن حسين" ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون، إنشاء الوزير أبي عبد الله بن الخطيب، صاحب ديوان إنشائه، يشير فيه إلى حادثة القرنج بالإسكندرية، الواقعة في سنة سبع وستين وسبع مائة، إلا أنه وهم في لقبه الملوكي فلقبه المنصور. وهي:

الأبوابُ الشريفةُ التي ^(١)تَعْنُو لِعِزَّةِ قَدْرِهَا الأبوابُ، وتَعْتَرِي إلى تَسَبُّ عَدْلِهَا الحِكْمَةُ والصَّوَابُ، وتُنَادِيهَا الأَقْطَارُ البعيدةُ مَفْتَحِرَةً بولائها، واصله السبب بعلامتها، فيصْدُرُ بما يَشْفِي الجوى منها الجَوَابُ؛ فإذا حَسُنَ منابٌ عن أئمة الهدى، وسَبَّاقُ المَدَى، كان منها عن عُمومة النبوة النَّوَابُ؛ وإذا ضَمَّتْ على العُفَاة بغيرها أثوابُ الصَّلَاتِ، ضَمَّتْ منها على الكعبة المقدسة الأثوابُ - أبوابُ السلطانِ الكبيرِ، الجليلِ الشهيرِ، الطاهرِ، الظاهرِ، الأوحدِ، الأُسعدِ، الأُصعدِ، الأُجمدِ، الأُعلَى، العادلِ، العالمِ العاَمِلِ، الكاملِ، الفاضلِ، الكافِلِ؛ سلطانِ الإسلامِ والمسلمينِ، رافعِ ظلالِ العَدْلِ على العالمينِ؛ جمالِ الإسلامِ، عَلمِ الأعلامِ، نَجْمِ اللَّيالي والأَيامِ، ملكِ البرين والبحرينِ، إمامِ الحرمينِ، مؤمِّلِ الأُمصارِ والأَقطارِ، وعاصِبِ تاجِ الفَخَّارِ، هازِمِ القَرْنَجِ والتُّركِ والتتارِ، الملكِ المنصورِ أبي الفُتُوحِ شَعْبَانَ، ابنِ الأميرِ،

(١) في الريحانة ج ١ ص ١٠٣ "تفتح".

الرفيع المجاهد ، الكريم البنوة والولادة ، الطاهر الظاهر ، الكبير ، الشهير ، المعظم ،
 المجدد ، الأسمى ، الموقر ، الأعلى ، نقي الملة ، سيف الأمة ، تاج الإمارة ، عز
 الإسلام ، جمال الأيام ، قمر الميادين ، أسد أجمة لدين ، سمام الطغاة والمعتدين ،
 المقدس ، المظفر ، الأمير أبي علي حسين ، ابن السلطان الكبير ، الشهير ،
 ملك الإسلام والمسلمين ، والد السلاطين ، [سيف خلافة الله في العالمين ، ولي
 أمير المؤمنين ، وظهير الدين] ^(١) سلطان الحج والجهاد ، وكاسي الحرم الأمين ،
 قابع المعتدين ، قاهر الخوارج والمتمردين ، ناصر السنة ، محيي الملة ، ملك البرين
 والبحرين ، مقيم رسوم الحرمين الشريفين ، العادل ، العالم ، العامل ، الطاهر ،
 الظاهر ، الأسعد ، لأصعد ، الأوحد ، الأعلى ، المنصور ، المؤيد المعان ، المرفع ،
 المعظم ، المبجل ، المؤمل ، المجاهد ، المرابط ، الغازي ، أبي عبد الله محمد بن قلاوون ،
 الصالحى أبقاه الله ، وقلق الصباح يشهد بكاله ، وخدمة الحرمين الشريفين طراز
 مذهب على حلة أعماله ، ومسورات الإسلام ، آمنة على طول الأيام ، من إهماله ،
 ولا زال رثا للدين الحنيف ، تراحم على مستلمه الشريف ، شفاء أماله .

سلام كريم ، برعميم ، كما استودعت الرياض أسرارها ، صدر النسيم ، وأرسلت
 مطالع الفجر أنهارها ، من بحر الصباح الوسيم ، يسرى من الطيب ، والحمد المظيل
 المطيب ، فى الصوان الكريم ، ويقف موقف الأدب والفهامه ، بما استحفظ
 من الأمانة إلى محل الإمامه ، وقوف الحفيظ العليم ، يعتمد مشاريع تلك الأبواب
 الشارعة إلى الفضل العميم ، المقابلة لديمام وسائل الإسلام بالصذر المشروح ، والبر
 المنوح ، والقلب السليم - من معظم سلطانه ، ومجل شأنه ، المنفخر بالانتظام فى سلك

(١) الزيادة من "الريحانة" ج ١ ص ١٠٤ .

خُلصانه ، أمير المسلمين بالأندلس ، عبد الله الغالب بالله ، محمد بن يوسف بن إسماعيل
ابن فرج بن نصر ، بلغه الله من رضاه أفضى سوله ، وأعانه على جهاد عدو الله
وعدو رسوله .

أما بعد حمد الله جاعل قِلادة الإسلام ، على الدوام ، آمنة من الإتحرام ، والإنتثار ،
مفصلة النظام ، بخرز المآثر العظام ، والآثار . معترف أهلها ، في حزن البسيطة وسهولها
عوارف الصنع المثار ، وإقالة العثار . القوى العزيز الذي لا يغالب قدره بالإحتشاد
والاستنكار ، ولا يبذل غيبه المحجوب ، بعد ما عين حكمه الوجوب ، في خزائن
الاستنثار ، حتى تظهر خبيثة عنايته بأوليائه ، المعترفين بالائه ، بادية للأبصار ، فيما
قرب وبعد من الأعصار ، ورحمته عند الاستغاثة به والانتصار ، في مختلف الأقطار
والأمصار . الولي الذي لا تُكدر هبات فضله شروط الاعتصار ، ولا تشين خطب
حمده ضرائر الأقتصار والاختصار .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله نُحبة الاكوان ، وسرّ الدهور والأزمان ،
وفائدة الأدوار . نور الله المتميز باختصاصه ، وأستصفائه واستخلاصه ، قبل خلق
الظلمات والأنوار . ورحمته الوارفة الشاملة ، الهامية الهامله ، على الهضاب والوهاد
والنجد والأغوار . أقرب عوالم الشهادة والخلق ، إلى حضرة الحق ، على تعدد الرتب
وتفاضل الأطوار . منقذ الناس من البوار ، ومبوءهم من جوار الله خير الحوار .
نبي الرحمة والجهاد والغوار . المنصور على الأحزاب عند ما استداروا بمشوى نبوته على
الأطم والأسوار دور السوار . الواعد عن ربه بظهور دينه الحق على الأديان فهما
أوقدوا نار الحرب تكفل الله لهم بإطفاء النار وإنجاد الأوار .

والرضا عن آله وأصحابه حمة الدمار ، ومقتحمي الغمار ، وباذلي كرائم الأموال من
دونه ونفائس الأعمار ، القائمين في سماء ملته للاهتداء بسنتهم ، والإقتداء بسنتهم .

مَقَامَ النُّجُومِ الْهَادِيَةِ وَالْأَقْصَارِ ، مَا صَقَلَتْ مَدَاوِسُ النَّسِيمِ سُيُوفَ الْأَنْهَارِ ، وَتَجَلَّ
الْوَرْدُ مِنْ تَبَسُّمِ الْبَهَارِ ، وَغَازَلَتْ عَيُونُ زَهْرِ الْمَجْرَّةِ عَيُونَ الْأَزْهَارِ ، وَطَرَدَ أَدْهَمُ اللَّيْلِ
أَشْهَبَ النَّهَارِ .

وَالدُّعَاءِ لِتِلْكَ الْأَبْوَابِ ، الْمُتَعَدِّدَةِ الْحِجَابِ ، الْمَعُودَةِ بِاجْتِلَاءِ غُرْرِ الْفَتْوحِ ، وَالْمَطَامِعِ
الْمَشِيدَةِ الْمَصَانِعِ عَلَى الْعِزِّ الْمُنُوحِ ، وَالْأَوَاوِينَ ، الْمُؤَيَّدَةِ الدَّوَاوِينَ ، بِالْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ ،
بِإِعْلَاءِ الْمَظَاهِرِ وَالصُّرُوحِ ، وَإِنَارَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِأَهْلَةِ تِلْكَ السُّرُوحِ سَاحَاتِ تِلْكَ
السُّرُوحِ ، وَلَا زَالَتْ أَفْلَامُ بَشَائِرِهَا تَأْتِي عَلَى سُورَةِ الْفَتْحِ بِأَكْمَلِ الشُّرُوحِ .

فَإِنَّا كَتَبْنَا لِمَنَابِتِكُمُ السُّلْطَانِيَّةَ دَارِ الْعِزِّ الْأَحْمَى ، وَالْمُلْكَ الْأَشْرَفِ الْإِسْمَى ،
وَالصِّبْتِ الْبَعِيدِ الْمَرْمَى ، كَتَبَ اللَّهُ لَهَا مِنْ عِمَائِيهِ - وَقَدْ فَعَلَ - أَوْفَرَ مَقَاسِمِ النُّعْمَى ،
وَجَعَلَ غَيْثَ نَوَائِلِهَا الْأَمْثَى ، وَحَظَّ جَلَالَهَا مِنْ اللَّهِ الْأَثْمَى ، وَدَامَتْ كَوَاكِبُ سُعُودِهَا
تَمَرِّقُ جَلَابِيبَ الظُّلْمَا ، وَأَخْبَارَ بِأُسْهَا وَجُودِهَا ، وَسَعَادَةَ وَجُودِهَا ، تُهْدِيهَا عَلَى الْبُعْدِ
رُكَّابُ الدَّأْمَا ، وَتَرْفِرُ بِرِيَّاحِ آرْتِيَّاحِهَا أَجْنِحَةُ بَنَاتِ الْمَا ، مِنْ مَنْزِلِنَا الْمُحْبُورِ ،
بِسَعَادَةِ سُلْطَانِكُمُ الْمَنْصُورِ ، وَخِزْيِ عِدْوَةِ الْمُدْحُورِ ، بِحَمْرَاءِ غُرْنَاطَةَ : دَارِ مَلِكِ الْجِهَادِ
بِجَزِيرَةِ ثَغْرِ الْأَنْدَلُسِ ، وَآلِي اللَّهِ عَنْهَا الدِّفَاعِ ، وَأَنَارَ بِمَشْكَاتِ نُورِهِ الَّذِي وَعَدَ بِإِتْمَامِهِ
الْأَعْلَامَ مِنْهَا وَالْأَيْفَاعِ ، وَوَصَلَ لَهَا بِشَرَفِ مَخَاطِبَتِكُمُ الْإِرْتِفَاعِ وَالْإِنْتِفَاعِ ، حَتَّى تَشْفَعَ
بِتَهَانِيكُمُ الْأُونَارِ وَتُوتِرَ الْأَشْفَاعِ ، وَآلَاءِ اللَّهِ لَدَيْنَا ، بِنِعْمَةِ دِينِ الْإِسْلَامِ عَلَيْنَا ،
قَدْ أَنْجَلَتِ اللِّسَانَ الشُّكُورَ ، وَإِنْ أَسْتَنْفَدَتِ الرُّوَّاحَ وَالْبُكُورَ ، وَالثَّقَّةُ بِاللَّهِ فِي هَذَا
الثَّغْرِ الْغَرِيبِ قَدْ كَثُرَتْ الْعِدَدُ الْمَنْزُورِ ، وَالْحَقُّ الصَّرِيحُ قَدْ كَافَحَ الزُّورَ ، وَالتَّوْطِينَ عَلَى
الشَّهَادَةِ قَدْ شَرَحَ الصُّدُورَ ، وَأَقْتَطَعَ فِي الْجَنَّةِ الْمَنَازِلَ وَالدُّورَ ، وَالْمَعْرِفَةُ بِمَقَامِ تِلْكَ
الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ عَقِيدَةٌ لَا تُبَدَّلُ ، وَأَدْوَاخُ عِلَائِهَا حَمَائِمُ الْحَمْدِ بِهَا تَهْدَلُ ، وَمَحَافِلُ

ثانها تتراكم في سمائها الألوّة والمندل؛ [والحال ما علمتم : بحر راحر الأمواج ، وعدو
 وإفر الأفواج^(۱)] وحرم لولا آتقاء الله مقتحم السّياج ؛ وحياد ضمّرتها مصابرة الهياج ،
 وداء على الأيام متوقّع الأهتياج ، وعدد إلى الإصراخ والإنجاد عظيم الأحتياج ؛
 فالنفوس إلى الله تُجهز وتُسَلِّم ، والصّبيان في المكاتب تُدرّب على مواقف الشهادة
 وتُعلّم ، والألسنة بغير شعار الإسلام لاتنيس غالباً ولا تتكلم ، إلا أن عادة الخبير
 اللطيف ، تخفيف الذعر المطيف ، ونصر النزر الضعيف ، على عدد التضعيف ؛
 والحال تُرجى بين الحرب والسلم ، والمكالمة والكلم ، وتأميل الخبر ، وأرتقاب عاقبة
 الصبر ، على حماة الدبر .

وإلى هذا فإننا أتصل بنا مارامت الروم من المكيدة التي كان دفاع الله من دونها
 سداً ، والملائكة جُداً ، والعصمة سُورا ، والروح الأمين مددا منصوراً ، وأنها
 استنفدت الوسع في أحشادها ، حتى ضاقت البلج عن أعوادها ، وبلغت المجهود
 في استنفادها ، حتى غص كافر البحر بكفارها ، يصيح بهم التائب ، وبذمهم
 الصليب ، وقد سؤل لهم الشيطان يكاد تغر الإسكندرية شجا صدورهم ، ومرمى
 آمال غرورهم ، ومحوم قديمهم ، ومتعلل غريمهم ، ليتموا تغر الإسلام بصدمتها ،
 ويقودوا جنائب الساحل في رمتها ، ويرفعوا عن دينهم المعتره ، ويتلقفوا في القدس
 كرة الكثرة ؛ ويقلصوا ما امتد من ظلال الإسلام ؛ ويثيموا^(۲) سيوف التغلب على
 الشام ؛ ويحولوا بين المسلمين وبين محط أوزارهم ، وحجهم ومزارهم ، وبيت ربهم
 الذي يقصدونه من كل فج عميق ، ويركبون إليه نهج كل طريق ، وقبر نبيهم الذي
 يُطفئون بزيارته من الشوق كل حريق ، ويكحلون الجفون بمشاهدة آثاره عن بكاء

(۱) الزيادة من الريحانة وهي لازمة كما لا يخفى .

(۲) شام السيف عمده واسله ضد . والمراد هنا المعنى الثاني كما لا يخفى .

وشهيق ، وشوقٍ بذلك الحبيبِ خَلِيق . وَيَقْطَعُوا حَبْلَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى لَا يَبْقَى بَلُوغٌ
 فَرِيقٌ وَلَا غَرَضٌ تَشْرِيقٌ ، وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ، وَبِدِمَائِهِمْ مُشِيطٌ ، وَبِعِبَادِهِ
 بَصِيرٌ ، وَلِدِينِهِ الْحَقُّ وَلِيٌّ وَنَصِيرٌ ، (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ
 لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) . فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ صَمَّأَ جَرَادُهُمْ ، وَخَلَصَ
 إِلَيْهَا مُرَادُهُمْ ، وَفَاضَ عَلَيْهَا بِحَرَمِهِمْ ، وَعَظُمَ مِنَ الْمَحَاوِلَةِ أَمْرُهُمْ ، حَتَّى آسَرَ الشَّرْكَ
 بَعْضَ أَسْوَارِهَا ، وَنَالَ النَّهْبُ مُسْتَطَرَفَ دِيَارِهَا ، وَظَنَّتْ أَنَّهَا الْوَهْيَةُ الَّتِي لَا تُرْفَعُ ،
 وَالْمُصِيبَةُ الَّتِي غُلَّتْهَا لَا تُنْقَعُ ، وَأَشْتَعَلَ الْبَاسُ ، وَذُعِرَ النَّاسُ ، وَأَرَى الشَّدَّةَ مَنْ
 تَدَارَكَ بِالْفَرَجِ ، وَأَعَادَ إِلَى السَّعَةِ مِنَ الْحَرَجِ ، وَأَنْشَأَ رِيحَ النَّصْرِ عَاطِرَةَ الْأَرْجِ ، وَنَصَرَ
 حَرْبَ الْإِسْلَامِ مَنْ لَا غَالِبَ لِمَنْ يَنْصُرُهُ ، وَحَصَرَ الْعَدُوَّ مَنْ كَانَ الْعَدُوُّ يَحْصُرُهُ ، وَظَهَرَ
 الْحَقُّ عَلَى الْبَاطِلِ ، وَالْحَالِي بَزِينَةَ اللَّهِ عَلَى الْعَاطِلِ ، فَفَرَجَ الْعَدُوَّ الْخَاسِرَ عَمَّا حَاذَرَهُ
 وَالسُّيُوفُ تَرَهَّقُهُ حَيْثُ تُفِيهِ ، وَالسَّهَامُ تُثَبِّتُهُ وَتَفِيهِ ، وَغُرْمَاءُ كَرَّةِ الْإِسْلَامِ تَسْتَقْضِي
 مِنْهُ دِينَهَا وَتَسْتَوْفِيهِ ، وَالْحِزْبُ قَدْ جَلَّ سَبَالَهُ لِلْمُصْهَبِ ، وَحِنَاءُ الدَّمَاءِ قَدْ خَضِبَتْ
 مَشِيخَتَهُ الشُّهْبِ ، وَالغَلْبُ قَدْ أَخْضَعَ رِقَابَةَ الْغُلْبِ ، فَكَمْ مِنْ غَرِيقٍ أَرَدَتْهُ دُرُوعُهُ ،
 لَمَّا حَشَى بِالرُّوعِ رُوعُهُ ، وَطَعِينٍ نَظَمَتْ بِالسَّمْهَرِيِّ ضُلُوعُهُ ، فُغْلِبُوا هُنَالِكَ وَأَنْقَلَبُوا
 صَاغِرِينَ ، وَأَحَقَّ اللَّهُ الْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ وَقَطَعَ دَائِرَ الْكَافِرِينَ ، وَ (كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ
 غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) . فَأَيُّ رَحْمَةٍ مَنْشُورَةٍ ضَمَّتْ عَلَى
 الْإِسْلَامِ ظِلَالُهَا ، وَخِطَّةٍ نَعْمَةٍ أَسْعَى نِطَاقُهَا وَرَحْبُ مَجَالُهَا ، وَبِحُلِيِّ صَنِيعَةٍ رَاقٍ
 عُيُونَ الْمُؤْمِنِينَ جَمَالُهَا ، فَاهْتَرَّتْ بِهَا الْأَرْضُ وَرَبَّتْ ، وَبِشُكْرِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ أُعْرِبَتْ ،
 وَاسْتَبَشَّرَتِ النَّفُوسُ ، وَذَهَبَ الْبُؤْسُ ، وَضَفَا بِمِنَّةِ اللَّهِ الْبُؤْسُ ، وَظَهَرَتْ عَنَاءُ اللَّهِ
 بِمَقَامِكُمْ ، وَإِقَالَةَ عَثْرَةِ الْإِسْلَامِ فِي أَيَّامِكُمْ ، فَمَا كَانَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ لِيُضِيعَ لَكُمْ خِدْمَةَ

(١) صمأ عليهم كمع طع أظفر القاموس في باب المهموز .

الحرمين ، وإنها للوسيلة الكبرى ، والذريعة إلى سعادة الدنيا والأخرى ؛ وهي
عهدة الله التي يَصُونُها من كل أهتِضام ، وقِلادته التي ما كان يتركها بغير نظام .
وكان من لطائف هذا الفتح الذي أبزَل البشري ، وأوسع أعلام الإسلام نشرًا ،
ورُوده بعد أن سُفِيت العله ، ونُصرت المله ، وبعد أن جفا الدهر وتجانف ، وعادى
ثم صافى ، وهجر ووافى ، وأمراض ثم عافى ؛ فلو ورد مُقدمه قبل تاليه ، ونقده متأخرًا
عن كاليه ، أو كانت أواخره بعيدًا ما بينها وبين أواليه ، لأوحشت الظنون وساءت ،
وبلغت الهموم من النفوس ماشاءت ؛ فإن الإسلام كالجسد يتداعى كله لتألم بعضه ،
ويتساهم إخوانه في بسطه وقبضه ، وسماؤه مرتبطة بأرضه ، ونقله متعلق بفرضه ،
فالحمد لله الذي خفف الأثقال ، وألهم حال الضر الانتقال ، وسوغ في الشكر المقال ،
وزاروا قال ، وجمع بين إيقاظ القلوب ، وإنالة المطلوب ، وأن وجد العدو طعم
الإسلام مرًا فما ذاقه ، وعوده صُلبا فما أطاقه ، ورفع عن طريق بيت الله ماعاقه ،
وقاد إليكم في بيوتكم فضل الجهاد وساقه [ورد المكر السيئ على العدو وأحاقه ^(١)]
فما كانت هذه المكيدة إلا داهية للكفر طارقه . ونكثة لعصب التثليث عارقه ،
ومُعجزة من آثار النبي الشريف لهذا الدين المنيف خارقه ؛ واستأصلت للعدو المال ،
وقطعت الآمال ، وأوهنت اليمين والشمال . فبادرنا عند تعرف الخبر ، المختال من
أثواب المسرة في أبهى الخبر ، المهدي أعظم العبر ، إلى تهنئتك تطير بنا أجنحة
الارتياح ، مبارية للرياح ، وتستفزنا دواعي الأفراح ، بحسب الود الصراح ؛ وكيف
لا يسر اليسار يمينه [والوجه بجبينه ، والمسلم بدينه ، وخاطبناكم مهنيين ولولا العوائق ^(١)]
التي لا تبرح ، والموانع التي وضحت حتى لا تُسرح ، ومكيدة هذا العدو الذي يأسوبه
الدهر ويجرح ، لم تجتر بإعلام القلم ، عن أعمال القدم ، حتى نتشرف [بالورود على

(١) الزيادة من "الريحانة" .

(۱) تلك المثابة الشريفة، وامتاز بزيارة الأبواب المنيفة، فنقضى [الفرض تحت رعيها، وبركة سعيها، لكن المرء جنيب أمله، ونية المؤمن أبلغ من عمله، فهيننا بما خولكم الله من ظفر شهدت برضا الله مراسمه، وأفترت عن ثغور العناية الربانية مباسمه، وتوفرت لديكم مواهبه ومقاسمه، ويهني البيت المقدس مكان فضل الله ومنه . وسلامة مجته، ويهني الإسلام عصمة ثغره المؤشر، وطهارة كتابه المنشر، وجمال عنوانه، وقفل صوانه، وباب إيوانه : مرقا القسطاط، ومركز لواء الرباط، ومحط رحال الإغباط، ومتخير الإسكندر عند البناء والإختطاط . ومما زادنا بيجنا بهذا الفتح، وسرورا زائدا بهذا المنع، ما تحققنا أنه يثير من شفقة المسلمين لهذا القطر الذي لا يزال يطرقه ما طرق الإسكندرية على مر الأيام، وتجلب عليه برا وبحرا عبدة الاصنام، بحيث البر موصول، والكفر بكثرة العدد يصول، ونيران الحوار [مترابية للعيان، والفرايح القليلة] متوسطة بين مختلف النحل والأديان، والعدد لا ينسب، والصريح إلا من عند الله لا يحسب، فتنجدنا بالدعاء السنة فضلائه، وشهيمنا خواطر صالحيه وأوليائه، والله لا يقطع عن الجميع عوائد آلائه، ويعرفنا بركة أنبيائه، وينصرنا في أرضه بملائكة سمائه .

وقد كانت أتصل بنا في هذه الأيام الفارطة الذخر الذي ملاء اليد استكثارا، وانخلد اعتدادا واستظهارا، والهيم نغارا، وأضاء القطر أنوارا : جوابكم الكريم يسم من نفحاته شذا الإذخر والجليل، وتلمس من خلال حاناته بركات الخليل، وتقرى الوجوه به أنار المعاهد، وتلمح من ثنايا وفادته بوارق الفوائد، فأكرم به من وافد مخطوب، وزائر مرقوب، صدعنا به في حفل الجهاد انتحاء وأفتخارا، ثم صنه

(۱) الزيادة من الريحانة .

في كرائم الخزائن آقتاءً للخلف وأدخارا ، وجعلنا قرآه سُكراً معطارا ، وثناءً يبقى
 في الخافقين مطارا ، ودعاءً يُعلي الله به لمقامكم السنّي في أوليائه مقدارا ، ويجهز به
 لمُدرككم كما فعل أنصارا ، ويثيبكم الجنة التي لا يرضى السعداءُ بغيرها قرآرا ،
 والله تعالى يجعل لأفلاك الهناء على مخاطبة مقامكم الرفيع العلاء مدارا ، ويُقيم الشكر
 ألزم الوظائف لحقكم أبتدارا ، والثناء أولى ماتحلى به مجدكم شعارا ، ويُبقيكم للإسلام
 رُكنا شديدا ، وظلا مديدا ، وسماءَ مدرارا ، ما استأنفتِ البدورُ إبتدارا ، وعاقبَ الليلُ
 نهارا ، والسلام .

المقصود الثالث

(في رسم المكاتبات الواردة عن ملوك السودان ؛ وفيه ثلاثة أطراف)

الطرف الأول

(في المكاتبات ^(١) إلى صاحب مالى)

وهو المستولى على التكرور وغانة وغيرهما ، وهي أعظم ممالك السودان المسلمين
 مملكة ، ولم أقف لأحد منهم على صورة مكتبة إلى الأبواب السلطانية ، إلا أن المقر
 الشهابي بن فضل الله في كتابه "مسالك الأبصار" عند الكلام على هذه المملكة
 تعرض لذكر سلطانها في زمان الملك الناصر «محمد بن قلاوون» وهو منسى موسى ؛
 وذكر أنه ورد منه كتاب يُمسك لنفسه فيه ناموساً ولم يورد نسخته .

(١) كذا في الأصل ولعله « المكاتبات الواردة من صاحب مالى » كما يقتضيه التقسيم فتنبه .

الطرف الثاني

(في المكاتبات الصادرة عن صاحب البرنو)

ورسم مكاتبته أن تُكْتَبَ في ورق مربعٍ بخطِّ نخطِ المغاربة : فإن فضل من المكاتبه شيءٌ كُتِبَ بظاهرها ، وتُفْتَحَ المكاتبه بِخُطْبَةٍ مَفْتَحَةٍ بِالْحَمْدِ ، ثم يَخْلُصُ إلى المقصدِ بَعْدِيَّةً ، ويأتى على المقصدِ إلى آخره ، ورأيتُه قد ختمَ مكاتبته إلى الأبواب السلطانية بقوله : والسلامُ على من اتبع الهدى . وكأن ذلك جهلٌ من الكاتب بمقاصد صناعة الإنشاء ، إذ لا يهتدون إلى حقائقها .

وهذه نسخة كتابٍ ورد على الملك الظاهر « أبو سعيد برقوق » ووصل في شهر سنة أربع وتسعين وسبعمائة ، صحبة ابن عمه ، مع هديةٍ بعث بها إلى السلطان بسبب ما يذكر فيه من أمر عرب جذام المجاورة لهم ، وهي في ورق مربع ، السطر إلى جانب السطر ، بخطِّ مغربي ، وليس له هامشٌ في أعلاه ولا جانبه ، ونبتة الكتاب في ظهره من ذيل الكتاب وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

الحمد لله الذي جعل الخطَّ ترأسلاً بين الأبعد ، وترجماً بين الأقارب ، ومصاحفةً بين الأحباب ، ومؤنساً بين العلماء ، وموحشاً بين الجهال ، ولولا ذلك لبطلت الكلمات ، وفسدت الحاجات . وصلواتُ الله على نبينا المصطفى . ورسولنا المرتضى ، الذي أغلق الله به باب النبوة وختم ، وجعله آخر المرسلين بشيراً ونذيراً . وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، مانحاً الورق ، وما عاقب الشروق الأصيل . ثم بعد ذلك أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، رضي الله عنهم أجمعين .

من المتوكل على الله تعالى ، الملك ، الأجل ، سيف الإسلام ، وربيع الأيتام ،
الملك المقدم ، القائم بأمر الرحمن ، المستنصر بالله المنصور في كل حين وأوان ،
ودهير وزمان : الملك ، العادل ، الزاهد ، التقى ، النقي ، الأتجد ، الأتجد ، الغشمشم ،
نخراالدين ، زين الإسلام ، قطب الجلالة ، سلالة الكرماء ، كهف الصدور ، مصباح
الظلام ، أبو عمرو عثمان الملك ، ابن إدريس الحاج أمير المؤمنين المرحوم ، كرم الله
ضريحه ، وأدام ذرية هذا بملكه - هذا اللفظ وارد على [لسان] كاتبنا لآلنا ولا نخرف -

إلى ملك مصر الجليل ، أرض الله المباركة أم الدنيا .

سلام عليكم أعطر من المسك الأذفر ، وأعدب من ماء الغمام واليم ، زاد الله ملككم
وسلطانكم ، والسلام على جلسائكم وفقهائكم وعلمائكم ، الذين يدرسون القرآن والعلوم ،
وجماعتكم ، وأهل طاعتكم ، أجمعين .

وبعد ذلك ، فإننا قد أرسلنا إليكم رسولنا ، وهو ابن عمي ، اسمه إدريس بن محمد
من أجل الجائحة التي وجدناها ، وملوكنا ، فإن الأعراب [الذين] يسمون جذاما
وغيرهم قد سبوا أحرارنا : من النساء والصبيان ، وضعفاء الرجال ، وقرابتنا ، وغيرهم
من المسلمين . ومنهم من يشركون بالله ، يمارقون للدين ، فغاروا على المسلمين
فقتلوهم قتلا شديدا ، لفتنة وقعت بيننا وبين أعدائنا ، فبسبب تلك الفتنة قد قتلوا
ملكنا ، عمرو بن إدريس الشهيد ، وهو أخونا ابن أبننا إدريس الحاج ، بن إبراهيم
الحاج ، ونحن بنو سيف بن ذي يزن ، و [الذي] قبيلتنا ، العربي القرشي ، كذا
ضبطناه عن شيوخنا . وهؤلاء الأعراب قد أفسدوا أرضنا كلها ، في بلد برنو كافة
حتى الآن . وسبوا أحرارنا وقرابتنا من المسلمين ، ويبيعونهم لجلاب مصر والشام
وغيرهم ، ويختمون ببعضهم ، فإن حكم مصر قد جعله الله في أيديكم من البحر إلى
أسوان ، فإنهم قد اتخذوا متجرا ، فتبعثوا الرسل إلى جميع أرضكم ، وأمرائكم ،

ووزرائكم، وقضائكم، وحكامكم، وعلمائكم، وصواحب أسواقكم، ينظرون ويبحثون
ويكشفون، فإذا وجدوهم فليترعوهم من أيديهم، وليبتلوهم، فإن قالوا نحن أحرار ونحن
مسلمون فصدقوهم ولا تكذبوهم؛ فإذا تبين ذلك لكم فاطلقوهم ورددوهم إلى حريتهم
وإسلامهم، فإن بعض الأعراب يُفسدون في أرضنا ولا يُصلحون، فإنهم الجاهلون
كتاب الله وسنة رسولنا، فإنهم يزینون الباطل، فاتقوا الله واخشوه ولا تحذلوهم
يُسترقوا ويأعوا. قال الله تعالى ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر﴾. ونال الله تعالى لنبيه عليه السلام ﴿فأحكم بينهم
بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم﴾. وقال الله تعالى ﴿ولو لا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لفسدت الأرض﴾. وكان عليه السلام يقول: «السلطان ضل الله في الأرض
ياؤى إليه كل مظلوم». وقال: «المؤمنون كالبنين يسد بعضهم بعضا إلى يوم
القيامة». وقال: «المؤمن أخو المؤمن لا يظلمه ولا يسلمه» إلى آخره. وفي الحكمة:
ومن الفرائض الأمر بالمعروف على كل من بسطت يده في الأرض (أراد به السلاطين)
وعلى من تصل يده إلى ذلك (أراد بذلك القضاة والحكام والأمراء) فإن لم يقدر
فلسانه، (أراد بذلك الفقهاء والعلماء) وإن لم يقدر فقلبه، (أراد بذلك عامة
المسلمين) أطال الله بقاءكم في أرضكم. فازجروا الأعراب المفسدين عن دعرهم،
قال الله تعالى ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع الحسنيين﴾ وقال عليه
السلام: «كلكم راجع وكلكم مستول عن رعيته». وقال في الحكمة: لولا السلطان
لأكل بعضهم بعضا. وقال تعالى لنبيه داود عليه السلام ﴿يادأود إنا جعلناك خليفة
في الأرض فأحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين
يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ والسلام على من
آتبع الهدى - ولم يؤرخ.

الطرف الثالث

(في المكاتب الصادرة عن ملك "الكائيم" ولم أقف له على مكتبة إلا انه يُشبه أن تكون المكتبة عنه نظير المكتبة عن صاحب "البرنو" فإنه على قُرب من مملكته والله أعلم

المقصد الرابع

(في الكتب الواردة من الجانب الشمالي، وهي بلاد الروم) قد تقدم ذكر المكتبة إلى أمراءها، وأن كبيرهم الذي صار أمرهم إليه وأنقادوا إلى طاعته الآن هو ابن عثمان صاحب برسا^(١).

النوع الثاني

(من المكاتب الواردة إلى هذه المملكة الكتب الواردة عن ملوك الكفار، وهي على أربعة أضرب)

الضرب الأول

(الكتب الواردة عن ملوك الكرج^(٢))

الضرب الثاني

(الكتب الواردة عن ملوك الحبشة^(٣))

والعادة فيها أن ترد في قطع^(٣) باللسان^(٣) ولم أظفر بصورة مكتبة في هذا المعنى إلا مكتبة واحدة وردت على الملك الظاهر بيبرس، ضمن كتاب إلى صاحب اليمن، وصاحب اليمن أرسله إلى دننا فيما وقفت عليه في بعض المصنفات، وهو:

(١) لم يذكر في الأصل نموذجاً من المكتبة ولا ترك لها بياضاً كالعادة فتنبه.

(٢) لم يذكر لها نموذجاً ولم يتكلم على رسمها كغيرنا. (٣) بياض، في الأصل.

أقل الممالك يقبل الأرض ، ويُنهي بين يدي السلطان الملك الظاهر ، خلد الله ملكه ، أن رسولاً وصل إلى من وإلى قوص ، بسبب الراهب الذي جاءنا ، فنحن ما جاءنا مطران مولانا السلطان ونحن عبيده ، فيرسم مولانا السلطان للبطريرك [أن] يجهز لنا مطراناً يكون رجلاً جيداً عالماً ، لا ينجي ذهباً ولا فضة ، ويرسله إلى مدينة "عوان" . وأقل الممالك يسير إلى نواب مولانا الملك المظفر : صاحب اليمن ما يلزمه ، وهو يسير إلى نواب مولانا السلطان ، وما كان سبب تأخير الرسل عن الحضور إلى [ما] بين يدي مولانا السلطان إلا أنني كنت في سكار (؟) والملك داود قد توفى ، وقد ملك موضعه ولده ، وعندي في عسكري مائة ألف فارس مسلمين ، وأما النصارى فكثير لا يحصون ، والكل غلمانك وتحت أمرك ، والمطران الكبير يدعو لك والخلق كلهم يقولون آمين ، وكل من يصل من المسلمين إلى بلادنا نكون له أقل الممالك ، ونحفظهم ونسفرهم كما يحبون ويختارون ، وأما الرسول الذي سفروه فهو مريض . وبلادنا ونجمه . أي من مريض لا يقدر أحد يدخل إليه ، وأي من شم رائحته فيمرص فيموت . ونحن نحفظ كل من يأتي من بلاد المسلمين . فسيروا مطراناً يحفظهم .

قلت : وقد تقدم الجواب عن هذا الكتاب من كلام القاضي محي الدين بن عبد الظاهر ، في الكلام على الكتب السادرة عن الأبواب السلطانية إلى أهل الجانب الجنوبي من أهل الكُتْم ، ولكن الكتاب المذكور يخالف ما تقدم هناك من ادعائه العظمة ، وأنه لولا اضطرابه إلى أخذ المطران من بطريرك الديار المصرية لكان يسمع بنفسه عن المكتبة ، ولعل ذلك كان في الزمن المتقدم .

الضرب الثالث

(الكتب الواردة عن ملوك الروم، ورأس النكل صاحب القسطنطينية)

وقد وقفت على كتاب ورد منه في السابع والعشرين من صفر سنة أربع عشرة وثمانمائة في درج ورق فرنجي في نحو عشرين وصلاً قطع النصف، والبياض في أعلاه وصل واحد، وفي أسفله وصلان، وله هامش عن يمينه وهامش عن يساره، كل منهما تقدير إصبعين، ومقدار ما بين السطور متفاوت: فأعلاه بين كل سطرين أربعة أصابع مطبوقة، ثم بعد تقدير ثلث الكتاب بين كل سطرين قدر ثلاثة أصابع، ثم بعد ذلك بين كل سطرين قدر إصبعين، ثم بعد ذلك بين كل سطرين قدر ثلاثة أصابع إلى آخر الكتاب، والقلم في غاية [الدقة ب] قلم الرقاع الدقيق، وفي آخره ثلاثة أسطر وقطعة بالحمرة بقلم أجل من الأول قليلاً.

وهذه نسخة كتاب معربة بترجمة بطرك الملائكية، بحضور سيف الدين سيف^(١) الترمجان، وهي:

المعظم، المجدد، المبجل، الضابط، السلطان، الكبير، سلطان مصر ودمشق وحلب وغيرها، الملك الناصر (فرج) ابن السلطان الكبير المرحوم الظاهر (برقوق) المحبوب إلى العزيز أكثر من أولاد مملكتي.

يُحِيطُ علمه أني ومملكتي طيبون بنعمة الله تعالى، وكذلك تكون - إن شاء الله تعالى - سلطنتك المجددة طيبة في خير، وأن المحبة والموادة لم تزل بين والدك المرحوم وبين والدي إلى آخر وقت. ونحن بحمد الله قد تزايدت محبتنا على ذلك وتكاثرت،

(١) لعله سودون الآتي بعد في الضرب الرابع.

وتؤكد أيضا المحبة بيننا وبين سلطنتك المعظمة إلى الأبد ، فإن ذلك واجب ، وتردد رُسُلِكُمْ بكتُبِكُمْ إلينا ، وكذلك رُسُلُنَا بكتُبِنَا إلى مُلْكِكُمْ ؛ وكان قَصْدُنَا أن نجهز إليكم رسولا لكنَّ الفتنَ في بلادنا ، وما بلغنا من سفر مولانا السلطان من تحت مملكته ، ولم نعرف إلى أيِّ مكانٍ توجه ، أوجب تأخير ذلك ؛ وأنَّ حاملَ هذا الكتاب المتوجه به إلى السلطان المعظم المسمى (سورمش) التاجر من اسطنبول هو من جهتنا ، وله عادة بالتردد إلى مملكتكم المعظمة ، ونحن نعلم أن سلطنتك تُحِبُّ الطيور الكواهي ؛ فجهزنا لكم صحبة المذكور خمس كواهي وبازدار ، ليكونَ نظركم الشريف عليهم ، وكذلك على البطاركة والنصارى والكنايس على حُكْمِ مَعْدَلَةِ السلطان ومحَبَّتِهِ ، والوصية بهم ، ومعاونتهم ورعايتهم وإجراؤهم على جاري عواندهم ، من غير تشويش على ما أليفوه من إنصافكم أولا وآخرا لأجل محبتكم لنا ومحبتنا ، واستمرار العناية بهم ، مع أن البطاركة عرَّفونا أن مولانا السلطان يُبرز مرسومه بمراعاتهم ، والإحسان إليهم ، ولم يزلوا داعين له شاكرين من معدلته ، ونُضَاعِفُ شكرنا من إحسانكم على ذلك ، وتكونوا ان شاء الله تعالى طيبين ، والمحبة متزايدة في أيامكم وأيامنا ، ومهما كان لمولانا السلطان بمملكنا من أطواع ، فيرسمُ يعرِّفنا بها ونبادرُ بذلك .

والذي باخره بالحمرة علامة الملك مضمونها (مانويك المسيحي بنعمة الله ، ضابط مملكة الروم البلاووغس) .

(١) كذا في الأصل ومراده من خدم أو حاجات .

الضرب الرابع

(الكتب الواردة من جهة ملوك الفرنج بالأندلس، والجهات الشمالية،

وما والى ذلك)

والعادة فيها أن تكتب باللسان الفرنجى، وعادة الكتب الواردة عنهم جملة أن تكتب في فرخة ورق فرنجى مربعة على نحو مقدار الفرخة البلدى أو دونها، بأسطر متقاربة، باللسان الفرنجى وقلمه، ثم يطوى طياً مسطحاً ويعنون في وسطه، ويطوى من جهتي الأوقل والآخري حتى يصير العنوان ظاهراً من الطي، ثم يحرز ويختم بسحاة، ويختم عليه بطمغة في شمع أحمر على نحو ما تقدم في الكتب الواردة عن ملوك الغرب، فاذا ورد على الأبواب السلطانية فكُتِّمته، وترجم بترجمة الترحمان بالأبواب السلطانية وكتب تعريبه في ورقة مفردة وألصقت به بعد كتابة الجواب من التعريب على ما تقدم ذكره في مقدمة الكتاب.

وهذه نسخة كتاب وارد من دوج البنادقة ميكائيل، على يد قاصده نقولا البندقي في سادس عشر صفر المبارك سنة أربع عشرة وثمانمائة، ترجمة شمس الدين سقري، وسيف الدين سودون، الترجمة بالأبواب الشريفة، في فرخة ورق فرنجى مربعة متقاربة السطور، وهو:

السلطان المعظم، ملك الملوك «فرج الله» ناصر الملة الإسلامية، خلد الله سلطانه.

يقبل الأرض بين يديه نقولا دوج البنادقة^(١)، ويسأل الله أن يزيد عظمته: لأنه ناصر الحق ومؤيده، وموئل الممالك الإسلامية كلها. وينهى ما عنده من الشوق

(١) تقدم قبل بأسطر أن اسمه ميكائيل وأن اسم رسوله نقولا. فتنبه

والمحبة لمولانا السلطان، وأنه لم تزل أكابر التجار والمحتشمين والمترددين من الفرنج إلى الممالك الإسلامية شاكرين من عدل مولانا السلطان وعلو مجده، وتزايد الدعاء ببقاء دولته، وقد رغب التجار بالتردد إلى مملكته الشريفة بواسطة ذلك، ولأجل الصلح المتصل الآن بيننا والمحبة.

وأما غير ذلك، فإنه بلغنا ما اتفق في العام الماضي من حبس العسرى ثغر دمياط المحروس، وأن مولانا السلطان مسك قنصل البنادقة والمحتشمين من التجار بثر الإسكندرية المحروس، وزجرهم بالحديد، وأحضرهم إلى القاهرة، وحصلت لهم البهدة بين جنوسهم والضرر والقهر الزائد، وكسر حرمتنا بين أهل طائفتنا، فإن الذي فعل مع المذكورين إنما فعل معنا، وتعجبنا من ذلك: لأن طائفتنا لم يكن لهم ذنب، وهذا مع كثرة عدل مولانا السلطان في مملكته، ومحبتنا له، ومناداتنا في جميع مملكتنا بكثرة عدله، وبمحبته لطائفتنا، وإقباله عليهم، وقولنا لجميع نوابنا: إنهم يكرمون من يجدونه من مملكة مولانا السلطان ويراعونه ويحسنون إليه، والمسئول من إحسانه الوصية بالقنصل والتجار وغيرهم من البنادقة، ومراعاتهم وإكرامهم والإقبال عليهم، والنظر في أمورهم إذا حصل ما يشبه هذا الأمر، ومنع من يشاكلهم لتحصل بذلك الطمأنينة للتجار، ويترددوا إلى مملكته.



وهذه نسخة كتاب ورد من كبطان الماغوصة والمستشارين بها، في ثامن عشر صفر المبارك سنة أربع عشرة وثمانمائة، ترجمة شمس الدين سنقر وسيف الدين سودون التبرجانيين بالأبواب الشريفة، وهو:

الملك المعظم، ملك الملوك، صاحب مصر المحروسة، الملك الناصر، عظم

الله شأنه.

يَقْبَلُ الأَرْضَ بَيْنَ أَيْدِيهِ الكِبْطَانُ وَالمُسْتَشَارُونَ ، وَيُنْهَوْنَ أَنَّهُمْ آتَاءَ اللَّيْلِ دَاعُونَ
 بِطَوْلِ بَقَائِهِ ، مَجْتَهِدُونَ فِي آسْتِمْرَارِ الصُّلْحِ وَالمَوَدَّةِ الَّتِي لَإِيْشُوْبُهَا كَدَّرَ بَيْنَ القَوْمِونِ (؟)
 وَبَيْنَ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ ، وَأَنَّ فِي هَذَا الوَقْتِ تَمَّ حَرَامِيَّةُ غِرَابٍ يَتَحَرَّمُونَ بِأَطْرَافِ هَذِهِ
 البِلَادِ ، وَالمِينِ الإِسْلَامِيَّةِ ، وَنَحْنُ لَمْ نَزَلْ نُشْحِطْهُمْ بِالمِرَاكِبِ وَالأَغْرِيَّةِ ، وَنَمْنَعُهُمْ
 مِنْ ذَلِكَ جُهْدَنَا وَقُدْرَتَنَا ، حَتَّى إِنْ صَارَ أَحَدًا صَارَ لَا يَجْسُرُ عَلَى الدَّخُولِ إِلَى مِينَا
 المَاغُوصَةِ جَمَلَةً كَافِيَةً ، مَعَ أَنَّنَا كُنَّا خَلَصْنَا فِي المَدَّةِ المَاضِيَةِ مِنَ الحَرَامِيَّةِ المَذْكُورِينَ
 خَمْسَةً وَعِشْرِينَ نَفَرًا مِنَ المُسْلِمِينَ ، وَأَكْرَمْنَا سَبِيلَهُمْ [وَعَزَمْنَا أَنْ ^(١) نَجْهَزَهُمْ
 إِلَى دِمِيَاطٍ أَوْ إِلَى ثَغْرِ الإِسْكَندَرِيَّةِ .

وَأَمَّا غَيْرَ ذَلِكَ ، فَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ بَرَطْلَمَا أَوْسَقَ لِلوَاقِفِ الشَّرِيفَةِ صَابُونًا فِي مَرَاكِبِهِ ،
 وَكَانَ قَصْدُهُ أَنْ يَهْرُبَ بِذَلِكَ ، فَلِلْحَالِ عَمَّرْنَا مَرْكَبًا كَبِيرًا ، وَأَخَذْنَا بَرَطْلَمَا المَذْكُورَ
 بِالمَحَارِبَةِ ، وَأَحْضَرْنَا إِلَى المَاغُوصَةِ ، وَعَهَدْنَا بِطَرُوقِ المَرْكَبِ إِلَى شَخْصٍ يُسَمَّى
 (أَرْمَانِ سَلِيُورِيُونِ) وَهُوَ رَجُلٌ مُشْكُورِ السَّيْرَةِ ، وَقَلْنَا لَهُ إِنَّهُ يَتَوَجَّهُ إِلَى خَازِنِ الصَّابُونِ
 المَذْكُورِ وَيَسْتَشِيرُهُ إِنْ كَانَ يُوسِقُ شَيْئًا مِنَ الأَصْنَافِ لِمَوْلَانَا السُّلْطَانِ ، وَيَجْهَزُهُ إِلَى
 أَى مَكَانٍ اخْتَارَهُ لِيَسْلِمَهُ لِيَدٍ مِنْ تَبَرُّزِهِ المَرَاسِيمِ الشَّرِيفَةِ بِتَسْلِيمِهِ ، فَلِيَفْعَلْ ، وَهَذَا
 القَوْلُ كُلُّهُ يَكُونُ دَلِيلًا عِنْدَ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ عَلَى صِدْقِ الوَلَاءِ وَالتَّمَسُّكِ بِالصُّلْحِ ،
 وَالمَسْئُولِ مِنَ الصَّدَقَاتِ الشَّرِيفَةِ الإِقْبَالِ عَلَى التُّجَّارِ الجَنَوِيَّةِ الَّذِينَ عِنْدَ مَمْلَكَتِهِ ،
 وَكُفِّ أَسْبَابَ الضَّرَرِ عَنْهُمْ ، وَيُنْشَرُ مَعْدَلَتُهُ عَلَيْهِمْ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَدِيمُ بَقَاءَهُ بِمَنَّةِ وَكْرَمِهِ .

(١) فِي الأَصْلِ « وَعَتِيْبَاهَا نَجْهَزُهُمْ » .

الفصل السادس

[من الباب الثاني] من المقالة الرابعة

(في رسوم المكاتبات الإخوانيات - وهي جمع إخوانية، نسبة إلى الإخوان، جمع أخ - والمراد المكاتبات الدائرة بين الأصدقاء . وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في رسوم إخوانيات السلف من الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين ، وهي في الغالب لا تخرج عن ضربين)

الضرب الأول

(أن تفتتح المكاتبه باسم المكتوب عنه)

وكان رسمهم فيه أن تفتتح المكاتبه بلفظ « من فلان إلى فلان ، سلام عليك ، إني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو » فلما كانت خلافة الرشيد وأمر أن يزد هنا في السلطانيات « وأسأله أن يصلي على سيدنا محمد عبده ورسوله » كما تقدم في موضعه ، جرى الكتاب في الإخوانيات على ذلك أيضا ، وكان الخطاب يجري بينهم في ذلك بأنا ، وأنت ، ولي ، ولك ، وعندي ، وعندك ، وما أشبه ذلك من ألفاظ الخطاب ، وكانت خاتمه الكتب عندهم بالسلام .

الضرب الثاني

(أن تفتتح المكتبة باسم المكتوب إليه : تفخياً لأمره ، وتعظيماً لشانه)
 وكانت رسمهم في ذلك أن يفتتحوا المكتبة بلفظ « إلى فلان من فلان ، سلامٌ
 عليك ، فإنني أحمدُ اليك الله الذي لا إله إلا هو » وبقية الكتاب على ما تقدم في الضرب
 الأول في الخطاب والختام وغيرهما .

الطرف الثاني

(في رسوم الإخوانيات المحدثّة بعد السلف ، وفيه ثلاثة مقاصد)

المقصد الأول

(في رسوم إخوانيات أهل المشرق ، وفيه أربعة مهابيع)

المهيب الأول

(في صدور الأبتدآت ، وهي على أساليب ^(١))

الأسلوب الأول - أن تفتتح المكتبة بالدعاء ، وعليه أقصر أبو جعفر النعاسُ
 في كتابه " صناعة الكتاب " وكان على رأس الثلثانة في خلافة الرازي ؛ وقد تقدم
 في الكلام على مقدمات المكاتب نقلًا عن " مواد البيان " أن الأدعية كانت
 في الزمن الأول تُستعمل فيما يتعلق بأمر الدين : مثل قولك : أكرمه الله ، وحفظه الله
 ووفقه ، وحاطه ، وما أشبه ذلك ؛ فعُدل عنها قَصداً للإجلال والإعظام إلى الدعاء
 بإطالة البقاء ، وإدامة العِزِّ ، وإسباغ النعمة ، ونحو ذلك : مما يتنافس فيه أبناءُ

(١) لم يذكر منها إلا الأسلوب الأول ونبه على أن النحاس أقصر عليه فتنبه .

الدينيا، جريا على عادة الفرس . ثم رتبوا الدعاء على مراتب : فجعلوا أعلاها الدعاء بإطالة البقاء ، ثم بإطالة العمر ، ثم بالمد في العمر ، وكذلك سائر المكاتبات على ما تقدم بيانه هناك .

ثم هو على ستة أضرب :

الضرب الأول

(المكاتبه من المرعوس إلى الرئيس ؛ وهو على صنفين)

الصنف الأول

(المكاتبه إلى الأمراء)

قد ذكر النحاس أنه يقال في افتتاح مكاتباتهم : أطال الله بقاء الأمير، فإذا أردت أجل ذلك كله، كتبت : أطال الله بقاء الأمير في أعز العز وأدوم الكرامة والسرور والغبطة، وأتم عليه نعمه في علو الدرجة، وشرف من الفضيلة، ونتاج من الفائدة، ووهب له السلامة والعافية في الدنيا والآخرة، وبلغ بالأمير أفضل ما تجرى إليه همته، وتسمو إليه أمنيته، أو بلغ بالأمير شرف العاجل والآجل، وأجزل له ثواب الآخرة .

ثم قال : ومن الدعاء له : أطال الله بقاء الأمير في عز قاهر ، وكرامة دائمة ، ونعمة سابعة ، وزاد في إحسانه إليه ، والفضيلة لديه ، ولاأخلى مكانه منه .
قال : ومنه أطال الله بقاء الأمير ، وأدام عزه وتأييده ، وعلوه وتمكينه ، وكبت عدوه .

ثم ذكر أدعية أخرى للأمراء عن الفضل بن سهل . منها - أطال الله بقاء الأمير .
وممكن له في البسطة وتزايد النعمة ، وزاد من الكرامة والفضيلة ، والمواهب

الجليله ، في أعزِّ عزِّ وأدوم سلامة ، وأسبَل عافية - ومنها - أطال الله بقاء الأمير ، وأدام له الكرامة مرغوباً إليه ، وزاد في إحسانه لديه ، وأتمَّ نعمته عليه ، ووصل له خير العاجل يجزى الآجل .

الصنف الثاني

(المكاتبة إلى القضاة)

وقد قال النحاس : إنه يدعى للقاضي بمثل ما يدعى به للأمر ، غير أنه يجعل مكان الأمير القاضي ، إلا أن الفضل بن سهل قال : يدعى لقاضي القضاة : أطال الله بقاء القاضي ، وأدام عزِّه وكرامته ، ونعمته وسلامته ، وأحسن من كل جميل زيادته ، وألبسه عفوً وعافيته . وإنه يدعى له أيضاً : أطال الله بقاء القاضي في عزِّ وسعادة ، وأدام كرامته ، وأحسن زيادته ، وأتمَّ نعمته عليه في أسبغ عافية ، وأشمل سلامة . قال : وقال غير الفضل : إن الكفء يكتب كفاه ومن كان خارجاً من نعمته : أدام الله بقاءك أيها القاضي .

الضرب الثاني

(المكاتبة من الرئيس إلى المرءوس : كالمكاتبة عن الوزير وقاضي القضاة)

وغيرهما ، والخطاب في جميعها بالكاف)

قال النحاس : وهي على مراتب ، أعلاها في حق المكتوب إليه أطال الله بقاءه وأدام عزِّك وأكرمك ، وأتمَّ نعمته عليك ، وإحسانه إليك وعندك ، ودونه « أطال الله بقاءك ، وأعزِّك وأكرمك ، وأتمَّ نعمته عليك وعندك » . ودونه « أدام الله عزِّك ، وأطال بقاءك ، وأدام كرامتك ، وأتمَّ نعمته عليك ، وأدامها لك » .

(٩)

ودونه « أعزك الله ، ومد في عمرك ، وأتم نعمته عليك ، وما بعده على توالى الدعاء ^(١) الذى تقدم » . ودونه « أكرمك الله وأبقاك ، وأتم نعمته عليك ، وأدامها لك » . ودونه « أن تسقط وأدامها لك » . ودونه « أبقاك الله وحفظك وأتم نعمته عليك ، وأدامها لك » . ودونه « أن تسقط وأدامها لك » . ودونه « حفظك الله وأبقاك ، وأمتع بك » . ودونه « عافانا الله وإياك من سوء » .

قال في "صناعة الكتاب" : هذا إذا جرى الأمر على نسبه ولم تتغير الرسوم ، وإلا فقد يعرض أن يكون في الدولة من هو مقدم على الوزير أو مساوى به فتتغير المكاتبه ، فقد كان عبد الله بن سليمان (يعنى وزير المعتضد) يكتب أبا الجيش (يعنى خمارويه بن أحمد بن طولون) : أطال الله بأخى بقاءك إلى آخر الصدر ، للمصاهرة التى كانت بين أبي الجيش وبين المعتضد ولأن المعتضد كناه . ثم قال : فإن كان الرئيس غير الوزير ، فربما زاد في مكاتبته زيادة لمن له محل : فيزيده ويكتبه بزيادة التأييد ودوام العز . قال : ويدعى للنقهاء : أدام الله بقاءك فى طاعته وسلامته وكفايته ، وأعلى جدك وصال قدرك ، وكان لك ومعك حيث لا تكون لنفسك . أو : أدام الله بقاءك فى أسر عيش وأنعم بال ، وخصك بالتوفيق لما يحب ويرضى . وحباك برشده ، وقطع بينك وبين معاصيه . أو : أطال الله بقاءك بما أطال به بقاء المطيعين ، وأعطاك من العطاء ما أعطى الصالحين . أو : أكرمك الله بطاعته ، وتولاك بحفظه ، وأسعدك بعونه ، وأيدك بنصره ، وجمع لك خير الدنيا والآخرة برحمته ، إنه سميع قريب . أو : تولاك من يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، وكان لك من هو بالمؤمنين رؤوف رحيم . أو : أكرم الله عن النار وجهك ، وزين بالتقوى تجلك . أو : أكرمك الله بكرامة تكوّن بك فى الدنيا عزاً ، وفى الآخرة من النار حرزاً .

الضرب الثالث

(المكاتبة إلى النظراء، والمخاطبة فيه بالكاف)

قال في "صناعة الكتاب" وأعلى ما يكتب في ذلك (يعنى بالنسبة إلى المكتوب إليه) ياسيدى «أطال الله بقاءك وأدام عزك وتأييدك إلى آخر الصدر». ودونه «أطال الله ياسيدى بقاءك». ودونه «ياسيدى وأحى أطال الله بقاءك». ودونه «أدام الله يا أحى بقاءك».

الضرب الرابع

(المكاتبة إلى الأبناء، والخطاب فيه بالكاف)

قال في "صناعة الكتاب" يكتب الرجل إلى ابنه : بأبي أنت ، أو : فإدراك أبوك . أو : مات قبلك . أو : أسأل الله عز وجل حفظك وحياتك ورعايتك . أو : أرشدك الله أمرك . أو : أحسن البلاغ بك . أو : بلغ الله بك أفضل الأمل ، وأتم السرور بك ، وجعلك خلفا صالحا ، وبقية زاكية .

الضرب الخامس

(المكاتبة إلى الفتيان، والخطاب فيه بالكاف)

قال النحاس : يدعى لهم : صرف الله السوء عنك ، وعن حظي منك . أو : أطال الله بقاء النعمة عليك وعلى فيك . أو : جعلت أنا وطاري وتالدي فإدراك . أو : ملأني الله إخوانك ، وأدام بقاءك . أو : أستودع الله عز وجل ما وهب لي من خلقتك ، ومنحني من أخوتك ، وأعزني به من موتك . أو : حاط الله حظي منك ،

وأحسن المدافعة عنك . أو : ببقائك مُتَّعت ، وفقدك مُنِعت . أو : نفسى تَفْدِيكَ ،
والله يُبْقِيكَ ، وَيَقِينِي الأَسْوَءَ فَيْكَ . أو : مَلَّانِي اللهُ النِّعْمَةَ بِبِقَائِكَ ، وَهَنَّانِي مَا مَنَحَنِي
مِنْ إِخَائِكَ . أو : أَبْقَى اللهُ النِّعْمَةَ لِي بِبِقَائِهَا لَكَ ، وَبَلَّغْتُهُا بِكَ . أو : وَفَّرَ اللهُ حَظِّي
مِنْكَ ، كَمَا وَفَّرَ مِنَ المِّكَارِمِ حَظَّكَ . أو : مَلَّانِي اللهُ بِبِقَائِكَ ، كَمَا مَنَحَنِي إِخَاكَ .
أو : دَافَعَ اللهُ لِي وَلِلْمِكَارِمِ عَنِ حَوْبَائِكَ ، وَأَمْتَعَنِي بِبِقَائِكَ ، وَجَمَعَ أَمَلِي فَيْكَ بِجَمْعِهِ
المِّكَارِمَ لَكَ . أو : زَادَكَ اللهُ مِنَ النِّعْمِ حَسَبَ تَزِيدِكَ فِي البِرِّ لِإِخْوَانِكَ ، وَبَلَّغَ بِكَ
أَمَلَهُمْ كَمَا بَلَّغَ بِهِمْ أَمَالَهُمْ فَيْكَ .

الضرب السادس

(المكاتبة إلى النساء)

قد ذكر النحاس أنهن يُكَاتِبْنَ عَلَى نَظِيرِ مَا تَهْتَمُّ مِنْ مَكَاتِبَةِ الرَّئِيسِ وَالمَرْءِوسِ
وَالنَّظِيرِ ، غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي الأَصْطِلَاحِ مِنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ لَا يُقَالُ فِي مَكَاتِبَتِهِنَّ وَكَرَامَتِكِ
وَلَا وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ، وَلَكِنْ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ لَدَيْكَ ، وَلَا فَضْلَهُ عِنْدَكَ ، وَلَا سَعَادَتَكَ ،
وَلَا فَعَلْتُ وَلَا أَنْ تَفْعَلِي ، وَلَكِنْ يُقَالُ : إِنْ رَأَيْتِ أَنْ تَمُنِّيَ بِذَلِكَ مَنَّتِ بِهِ ، وَمَا
أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الكَلَامِ عَلَى مَقَدِّمَاتِ المَكَاتِبَاتِ بَيَانُ كَرَاهَتِهِنَّ لِذَلِكَ .

قلت : ثم راعى الكُتَّابُ فِي تَعْظِيمِ المَكْتُوبِ إِلَيْهِ أَنْ عَدَّلُوا عَنْ خِطَابِهِ بِالكَافِ
عَنْ نَظِيرِ خِطَابِ المُوَاجِهَةِ إِلَى مَعْنَى الغَيْبَةِ ، فَقَالُوا : لَهُ ، وَإِلَيْهِ ، وَعِنْدَهُ ، وَنَحْوَ ذَلِكَ
وَخِصُّوا الخِطَابَ بِالكَافِ بِأَدْنَى المَرَاتِبِ فِي حَقِّ المَكْتُوبِ إِلَيْهِ . عَلَى أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ
مِنْ كَلَامِ النِّحَاسِ إِنْكَارُ ذَلِكَ عَلَى مَنْ أَعْتَمَدَهُ مَحْتَجًّا عَلَيْهِ بِأَنَّهُ لَا أَعْظَمَ مِنَ اللهِ تَعَالَى
مَعَهُ أَنَّهُ يُقَالُ فِي الدُّعَاءِ يَا اللهُ وَنَحْوَ ذَلِكَ .

(١) كذا في الأصل ولعل مراده وغير الكاف من ضمير خطاب المواجهة إلى الخ .

وقد ذكر ابن حاجب النُّعمان في كتابه "ذخيرة الكتاب" أدعيةً مرتبةً على الغيبة، وقال: أعلاها «أطال الله بقاءه، وأدام تمكينه وأرتقاءه، ورفعته وسنائه، وكبت عدوه». . ودونه «أطال الله بقاءه، وأدام تأييده، وعُلاه وتمهيدَه، وكبت عداه». . ودونه «أطال الله بقاءه، وأدام تأييده وحرس حوِّبائه». . ودونه «أطال الله بقاءه، وأدام تأييده ونُعماه». . ودونه «أطال الله بقاءه، وأدام نُعماه». . ودونه «أطال الله بقاءه، وأدام عزَّه». . ودونه «أطال الله بقاءه، وأدام توفيقه وتسديده». . ودونه «أطال الله بقاءه، وأدام سَدَّاده وإرشاده». . ودونه «أطال الله بقاءه، وأدام حِرَاسته». . ودونه «أدام الله تأييده». . ودونه «أدام الله توفيقه». . ودونه «أدام الله عزَّه وسنائه». . ودونه «أدام الله عزَّه». . ودونه «أدام الله حِرَاسته». . ودونه «أدام الله كرامته». . ودونه «أدام الله سلامته». . ودونه «أدام الله رعايته». . ودونه «أدام الله كفايته». . ودونه «أبقاه الله». . ودونه «حَفِظَه اللهُ». . ودونه «أعزَّه اللهُ». . ودونه «أيدَه اللهُ». . ودونه «حَرَسَهُ اللهُ». . ودونه «أكرمه اللهُ». . ودونه «وقفه اللهُ». . ودونه «سأمه اللهُ». . ودونه «رَعَاهُ اللهُ». . ودونه «عافاه اللهُ». وعلى معنى الغيبة يقال في الدعاء أطال الله بقاء الأمير . أو بقاء القاضي . أو بقاء سيدي . أو بقاء مولاي، وما أشبه ذلك في كلِّ رتبة بحسبها .

وأعلم أن الداهيين من الكُتَّاب إلى إجراء المخاطبة في المكاتبه على معنى الغيبة كما هو طريقة ابن حاجب النُّعمان وغيره، يعبرون عن المكتوب إليه بلقبه الخاص : كالوزير، والأمير، والحاجب، والقاضي، وما أشبه ذلك، وذكره بالسيادة وما في معناها، مفضلين لفظ الجمع، كسيدنا ومولانا على لفظ الإفراد كسيدي ومولاي، وينعتون المكتوب إليه بالجليل أو الحاجب الجليل، ويجعلون الإفراد دون ذلك في الرتبة فيقولون: سيدي، أو مولاي الأمير الجليل، أو الحاجب الجليل،

(١) لعله كالحاجب الجليل . ان لم يكن زاندا من قلم الناسخ .

ونحو ذلك . ثم توسَّعوا في ذلك بفعلوا الدعاءَ متوسِّطاً كلامَ الصدرِ على القُربِ من
الابتداء، مقدِّمينَ بعضَ كلامِ الصدرِ عليه، ومؤخِّرينَ بعضه عنه . مثل أن يقال
في المكتابة بَشُكْرٍ : إذا كان الشُّكْرُ - أطال الله بقاء سيدنا الأمير فلان - ترجمانَ النِّيَّةِ ،
ولسانَ الطَّوِيَّةِ ، وشاهدَ الإخلاصِ ، وعُنوانَ الإختصاصِ ، وسبباً إلى الزِّيادَةِ ،
وطريقاً إلى السَّعادَةِ ، وكانت معارفه قد أحاطتْ بمعادِنه ، واستولتْ على محاسِنه ،
فألْسُنُ آثارِها مع الصَّمْتِ أفصحُ من لسانِه ، وبيانها مع الجُودِ أبلغُ من بيانه ،
ونحو ذلك . ثم أحدثوا أصطلاحاً آخرَ أضافوه إلى الاصطلاحِ الأوَّلِ ، فقدموا على
الدعاء لفظ «كاتبنا» أو لفظ «كاتبِي» رُتَبَةً دُونَ رُتَبَةٍ ، مثل أن كتبوا : كاتبنا - أطال
الله بقاء الأمير - ونحنُ على أفضلِ ما عوَدَنا اللهُ من انتظامِ الأمورِ وسَدَادِها ، وأستقامتِها
بحضرتنا وأطرادها . أو كاتبِي - أطال الله بقاء مولاي الحاجب - عن سلامةٍ يَنفَعُها
فقدك ، وينتَقِصُها فِرَاقُك ، وما يجري مجرى ذلك . وربما أبدلوا لفظ كاتبنا أو كاتبِي
بلفظ كتبتُ بصيغةِ الفِعلِ ، وربما آبتدءُوا بلفظ أنا ونحوه . ثم خرج بهم الاختيار
إلى مصطلحاتٍ أصطلحوها عليها مع بقاء بعضِ المصطلحِ القديمِ : نخطبوا بالحضرة
تارةً ، وبالخدمة تارةً ، وبالمجلسِ أُخرى ، فكتبوا : كاتبِي - أطال الله بقاء حضرةِ سيدنا
الوزير، أو سيدنا الأمير، ونحو ذلك ، أو أسعد الله الحضرة ، أو أسعد الله الخدمة ،
أو ضاعف الله جلالَ الخدمة ، أو أعزَّ الله أنصارَ الخدمة . وربما كتبوا : صدرتْ
هذه الخدمة إلى فلان . وقد يكتبون : صدرتْ هذه الجملةُ ، إلى غير ذلك من
تفنناتهم التي لا يسعُ استيعابها ، ولا يمكنُ اجتماعُ متفرِّقها .

قلت : وبالجملَةِ فضبطُ صدورِ الإخوانِيَّاتِ وابتدائها على هذا المصطلحِ
غيرُ ممكنٍ لاختلافِ مذاهَبهم في ذلك ، والذي تحصَّلَ لي من كلامِ النحاسِ

وَأَبْنُ حَاجِبِ النِّعْمَانِ ، وَتَرْسُلُ أَبِي إِسْحَاقَ الصَّابِي ، وَالْعَلَاءِ بْنِ مُوَصَّلَايَا ، وَأَبِي الْفَرَجِ
الْبَيْغَاءِ ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْكُتَّابِ الْمُجِيدِينَ أَنَّ الْغَالِبَ فِي الْمَكَاتِبَاتِ الدَّائِرَةِ بَيْنَ أَعْيَانِ
الدُّوَلِ عَلَى سَبْعَةِ أَسَالِيْبٍ :

الأسلوب الأول

أَنْ تَفْتَحَ الْمَكَاتِبَةَ بِالْدَّعَاءِ

كَمَا كَتَبَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي إِلَى الصَّاحِبِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ عَبَّادٍ بِالشُّكْرِ وَالتَّشْوِيقِ .

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيِّدِنَا الصَّاحِبِ الْجَلِيلِ ، فِي سَلَامَةِ دُنْيَا وَدِينِ ، وَنَفَازِ أَمْرٍ وَتَمَكِينِ ،
وَتَمَامِ عِزٍّ وَتَأْيِيدِ ، وَثَبَاتِ وَطَآءَةِ وَتَمَهِيدِ ، وَعُلُوِّ قَدْرِ وَسُلْطَانِ ، وَتَعَاظِمِ خَطَرٍ وَشَانِ ،
وَتَوْلَاةِ فِي نَفْسِهِ وَأَوْلِيَاةِ بِأَحْسَنِ مَا عُرِفَ وَأُفِّ ، مِنْ نِعَمِ دَارَةِ الْحَلَبِ ، مَتَفَرِّعَةٍ
الشُّعْبِ ، مَحْمِيَّةِ الْجِهَاتِ وَالْجَوَانِبِ ، مَحْجُوبَةٍ عَنِ النَّوَائِبِ وَالشَّوَائِبِ ، وَأَرَاهُ فِي حُسَادِ
فَضَائِلِهِ ، وَكُفَّارِ فَوَاضِلِهِ ، مَا عَوَّدَهُ فِيهِمْ مِنْ شَقَاءِ جُدُودِهِمْ ، وَفُلُولِ حُدُودِهِمْ ، وَحُلُولِ
النِّكَالِ بِهِمْ ، وَإِثْبَاتِ الْعِصْمَةِ مِنْهُمْ . وَجَعَلَ حُكْمَهُ قُطْبًا لِمَدَارِ الْأَفْلَاقِ ، وَنَهْجًا
لِمَجَارِي الْأَقْدَارِ ، فَلَا يَنْزِلُ مِنْهَا مَحْبُوبٌ مَطْلُوبٌ إِلَّا تَوَجَّهَ إِلَيْهِ وَنَحَاهُ ، وَلَا مَحْذُورٌ إِلَّا
أَعْرَضَ عَنْهُ وَتَحَامَاهُ ، ثُمَّ كَانَ بَرُّوسٍ مَعَانِدِيهِ حُلُولُهُ ، وَبِرِّقَابِهِمْ إِحَاطَتُهُ ، وَفَوْقَ
ظُهُورِهِمْ تَحْمَلُهُ ، وَعَلَى صُدُورِهِمْ مَجْتَمِعُهُ ، أَمْرًا جَزْمًا قَضَاهُ اللَّهُ لَهُ وَخَصَّهُ بِهِ ، وَأَعْطَتْهُ
الْأَيَّامُ عَلَيْهِ عَهْدَ أَمَانِيهَا ، وَأَمَرَّتْ لَهُ بِهِ عَقْدَ ضَمَانِيهَا ، عَاطِفَةً عَلَيْهِ بِطَاعَتِهَا وَمُؤَاتَاتِيهَا ،
مُغْضِيَةً لَهُ عَنْ نَوَائِبِهَا وَنَبَوَاتِيهَا ، وَحَقِيقٌ عَلَيْهِ جَلُّ أَسْمِهِ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ بِهِ ، وَيَسْمَعَ
هَذَا الدَّعَاءَ فِيهِ ، إِذْ كَانَ مَرْفُوعًا إِلَيْهِ فِي أَوْفَرِ عِبَادِهِ فَضْلًا ، وَأَغْمَرَهُمْ نَيْلًا ، وَأَجْرَهُمْ
أَدْبَا ، وَأَكْثَرَهُمْ حَسْبًا ، وَأَعْمَلَهُمْ بِطَاعَتِهِ ، وَأَوْلَاهُمْ بِإِحْسَانِهِ وَمَعُونَتِهِ ،

كتبت هذا الكتاب أطال الله بقاء سيدنا صاحب الجليل ، ثم آنخرط في سلك مقصده إلى آخره .

الأسلوب الثاني

أن يتوسط الدعاء صدر الكتاب بعد الأبتداء بكلام مناسب للحال .
 كما كتب أبو إسحاق الصابى أيضا عن بعض الأمراء إلى أمير آخر، مبشرا بفتح :
 ومن أعظم النعم - أطال الله بقاء مولانا الأمير الجليل - خطرا ، وأحسنها أثرا ،
 نعمة سگنت ثوره ، وأطفأت قوره ، وعادت على الناس بحمیل الصنع ، وجيل النفع ،
 ونظام الأمور ، وصلاح الجمهور ، فتلك التي يجب أن يكون الشكر عليها مترادفا ،
 والاعتداد بها متضاعفا ، بحسب ما أزلت من المضره ، وجددت من المسره ،
 وأماطت من المحذور ، ونشرت من المأمول : وحقيقى على الناس أن يعرفوا حقها ،
 ويوفوها من حمد الله قسطها ، ويتجزؤه وعده الحق في أدائها ، وإطالة الإمتاع بها ،
 والحمد لله على أن جعلنا ممن يعرف ذلك ويهتدى إليه ، ويعتقده وينطوى عليه ،
 ويؤدى فرض الاجتهاد في الاستدامة والاستراحة منه ، وأن خصنا من هذه النعم
 بذوات الفضل السابغ ، والظلل الماتع ، الجامعة لكبت العدو ومساءته ، وابتهاج الولي
 ومسرته ، وهو المسؤل جل اسمه وعز ذكره ، أن لا يسلبنا ما البسناه من سرايلها ،
 وأجرناه من فضل ذيوها ، وعودناه من جلاله أقدارها ، وتعاضم أخطارها ، ولا يعدمنا
 معونه منه على بلوغ أقصى الوسع في الاعتداد بها ، ومُنْتَهَى الطوق في البشر لها ،
 بمنه وطوله ، وقوته وحوله .

وقد عرف مولانا الأمير فلان ما كان من كذا وكذا ، ثم أتى على ذكر الفتح إلى آخره .

الأسلوب الثالث

أن يُفْتَحَ الكِتَابُ بلفظ « كتابي » كما كتب الصابى عن الوزير أبى عبد الله الحسن بن سعدان ، إلى نحر الدولة بن بويه فى إشارة فتح .

كتابى - أطال الله بقاء مولانا الأمير الجليل نحر الدولة - ومولانا الملك السيد صمصام الدولة وشمس الملة ، جارٍ على أفضل حال ، جمع الله بينهما فى تمام عز و نصر ، ونفاذ أمرٍ ونهى ، وعلو كلمة ورأى ، وسبوغ موهبة ونعمة ، وشكر الله يستريد من فضله ، ويستدير المادة من طوله ، وأنا جارٍ فيما أحمله من أعباء خدمتهما ، وأتولاه من تعاضم شئونهما ، على أجمل ما عود الله وزراء هذه المملكة المناصحين لها ، وأولياؤها المحامين عنها ، من هداية إلى مرآشد الأمور ، وتوفيق لصواب التدبير ، والحمد لله رب العالمين ، وقد كان كذا وكذا .

الأسلوب الرابع

أن يُفْتَحَ الكِتَابُ بلفظ « كتبت » كما كتب الصابى إلى صاحب الجيش فى تعزية :
 كتبت - أطال الله بقاء سيدنا صاحب الجيش - والعين عبرى ، والكبد حرى ، والصبر مسلوب ، والعزاء مغلوب ، بالفجيجة فى سيدى فلان نصر الله وجهه ، وكرم منقلبه ، التى هدت الجلد ، وفنت فى العضد ، وبسطت عذر الجزوع ، وهجنت حلم الحليم ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وإلى أمره صائرون ، وعند الله نحتسبه غصنا ذوى ، وشهاباً خباً ، وعلق مِضْنَةً علقته به أيدى النوائب ، وتحيرته سهام المصائب ، وقارنت بين قلوب الأبعاد والأقارب ، والخواص والعوام فى التألم لفقده والإستحاش لمصرعه ، والكتابة لوقوع المحذور به ، وعز على أن يجرى لسانى بهذا القول ، ويدي بهذا الخط ، إلى آخر المكاتبة .

الأسلوب الخامس

أن يُفْتَحَ الكِتَابُ بِالْحِطَابِ : كما كتب صاحبُ ديوان الإنشاء في زمن المسترشد عن نفسه ، إلى شجاع الدولة وزير دمشق ، بعد هلاك زَنْكِي بن أقسُنُقُر .

أيها السيدُ الرئيسُ المحامي عن سِرْبِهِ ، والذي قَصَّرَ إلَّا في المَعَالِي ، رَبُّ نَاءٍ بِجِسْمِهِ وهو دَانٍ بقلبه ، وغريب إذا نسبتَ وأمير على دِمَشْقٍ مطاع في صحبه ، وله بالعِراقِ إخوانٌ من حِزْبِهِ ، إلى آخر المكاتبة .

الأسلوب السادس

أن تُفْتَحَ المِكاتِبَةُ بلفظ : «أنا» كما كتب الصَّابِي عن نفسه إلى الأثير أبي الحسن يَهْنَهُ بِعِيدٍ .

أنا - أطل الله بقاء سيدنا الأستاذ الأثير - أحاولُ الخِدمةَ له والقُرْبَةَ منه منذُ وَصَلْتُ إلى العسْكر المنصور ، فيعترضُ دُونَ ذلك عَوَارِضٌ يجرى بها المقْدمور ، إلى الحين الموقَّتِ المسطور ؛ وقد عَلِمَ مِنِّي وشهِرَ عني كذا وكذا ، إلى آخر الكتاب .

الأسلوب السابع

أن تُفْتَحَ المِكاتِبَةُ بلفظ « صدرت » أو « أُصدِرَت » كما كتب صاحبُ ديوان الإنشاء في زمن المسترشد عن نفسه إلى أبي الفرج سعد بن محمد تشوقًا .

صدرت هذه الجملةُ إلى فلان ، ولواعجُ الأشواقِ إليه متضاعفةٌ مترادفةٌ ، وأستمرار الصَّبْرِ على البُعدِ عنه قد رثَّ قُوَاهُ ، ووهن عُرَاهُ ، وأعوْزنا وُجدانه إذ عنتَ ذِكْرَاهُ ،

وإن كان ذكره سَمِيرَ الخاطر، وتُجَاهَ الناظر، والغريم المُلَازِم، الذي يستحقُّ غالبه اللبيبُ الحازم، إلى آخر الكتاب .

المهيبُ الثاني

(في الأجوبة على هذا المصطلح ، وهي على ضربين)

الضرب الأول

أن يُفتَّحَ الجواب بما يُفتَّحُ به الابتداء ثم يقع التعرُّضُ بعد ذلك لوصول الكتاب والجواب عنه : إما ملاصقًا لأوَّلِ الابتداء ، وإما بعد كلامٍ طويل .
فأما ما هو متصل بأوَّلِ الابتداء، فكما كتب الصابي .

كتابي - ووصل كتابُ مولاي وفهمته ، وجلَّ عندي قدره وموقعه ، وسكنتُ إلى مادَّلٍ عليه من سلامته ، وسألتُ الله أن يُسبِّغَ عليه ظلَّها ، ويملِّه نعمه كلَّها ،
فأما ما ذكره من كذا وكذا، إلى آخر الكتاب .

وأما ما هو بعد كلامٍ طويل ، فكما كتب الصابي أيضا عن نفسه إلى الصاحب ابن عباد .

كتابي - أطل الله بقاء مولانا الصاحبِ الجليلِ كافي الكُفاه - وليس من جارحةٍ إلا ناطقةٌ بشكره وحمده ، ولا في الدهرِ جراحةٌ إلا عافيةٌ بفضله ورفده ، وأنا مستمرُّ له على دعاءٍ : إن خلوتُ من أن يكونَ عائداً لصلاحي ، ورأيتُنا لجنَّاحي ، لآلترِمنه عن الأحرارِ العائشين في نَدَاهُ ، المستظِلِّين بِدَرَاهِ^(١) ، فكيف وأنا أوَّلُ ساهرٍ في مرَّابعه ،

(١) الذرى ما يستكن فيه الانسان والظل راجع ج ١٨ من اللسان .

ووارِدٍ لشرائعه، وأحوالى جاريةً على استقامة أقوى أسبابها تصرف الأيام على آرائه،
 واتباعها إثارةً فى أوليائه وأعدائه، والحمد لله رب العالمين، قضاءً لحقه وأقتضاءً
 لمزيدة، وأستدامةً للنعمة عنده، التى استحصفت فى أيدينا سعتها، وسالت علينا
 شعابها، وغمرتنا سجاها، وتفتيات لنا ظلالها، وما يزال بين رغبة مولانا الصاحب الجليل
 كافى الكفاة - أدام الله علوه، وكبت عدوه، فى عبده ورغبة عبده إليه سر مكنون
 فى الصدور، ومستور تحت الضلوع، فهما يتناجيان به على بعد الدار، ويلتقيان
 عليه بالأفكار، فإن تطلع من حجاب القلوب، وشد من ظهور الغيوب، فإن ظهوره
 يكون من جهته فى تفحات الإنعام، ومن جهتي فى ثمرات الكلام. وقد وصل كتابه
 المخطوط بكرمه لا بقلمه، إلى صنيعة المائل بين يديه بهمة لا بقدمه، فلم يستطع
 أن ينهض من الفكر، إلا بقدر ما يرى ساحة من الكفر، ويبلغه إلى آخر الاجتهاد
 والعذر، وأسأل الله أن يطيل بقاءه للإفضال المأخوذ منه، والفضل المأخوذ عنه،
 والعلم الذى يزخر به بحره، والفخر الذى يسحب له ذيله، والعز الذى ضرب عليه
 رواقه، والسلطان الذى ألقى إليه استحقاقه، والأمر والنهى اللذين يحويهما ترانا
 وأكتسابا، إذا حواهما غيره غلولا وأغتصبا، بمنه وطوله، وقد كان كذا وكذا.

الضرب الثانى

(أن يفتح الجواب بلفظ «ورد أو وصل» ونحوهما)

كما كتب الصابى عن الوزير أبى عبد الله بن سعدان فى جواب كتاب ورد عليه .
 وصل كتابك - أطل الله بقاءك - وفهمته، وأدى فلان ما تمنله عنك ووعيته،
 وأزدت به بصيرة فى سدادك ومعرفةك، وفضلك وحصافتك، واجتماع الأدوات
 الجميلة فىك، الداعية إلى إعلاء محلك، وحميد حالك، والثقة بك، والإستقامة إليك،

وأنهيتُ ذلك إلى مولانا الملكِ فلان ، فأصغى إليه مستمعاً ، وأوجبَ لك به حقاً متضاعفاً ، وأمرني بكذا وكذا إلى آخر مراده .

وكما كتب أبو الفرج البيهقي في جواب كتاب :

ورد كتابك مشافهاً من البرِّ ، ومؤدياً من الفضل ، ومتحملاً من المنن ، ما تجاوز الإنصاف إلى الإسراف ، وقرن الإكرام بالإنعام ، ولم أدر أيُّ المنح به أشكر ، ولا بأيِّ العوارف له أعترف : أبما تحمله من جميل نيته ، أم ما أدنى من جليل مخاطبته ، أم ما ناجتني به فوائد ملاطفته ، أم ما اعتمدني من حلاوة مفاوضته ، إلى غير ذلك من الوصول إلى النعمة التي لا أطاؤها بشكر ، ولا أقاومها بمنة اعتداد : وهو ابتداءه إياي من المكاتبة بما أحرز به على عادته قصب السبق ، وزاد على الرغبة مبرهنات وبصايق الودِّ مخبراً ، وإلى البسط دليلاً ، وعلى مستأنف الخدمة بالمواصلة باعناً ، ووجدته أيده الله قد فعل كذا وكذا .

المهيع الثالث

(في خواتم الإخوانيات على هذا المصطلح)

وأعلم أنه لم يكن لهم ضابط للاختامات ، ولا ما يقتضى ملازمة اختتام معين لصدر معين ، بل ذلك موكول إلى رأى الكاتب لا يراعى فيه غير علو الرتبة وهبوطها ، حيث تفاوتت رتب الاختامات عندهم .

ثم الاختامات لديهم على أنواع شتى .

منها - الاختتامُ باستمحة الرأى ، وهو على مراتب : أعلاها « ولمولانا علو الرأى في ذلك » كما كتب الصابى في خاتمة كتاب : ولمولانا علو الرأى في تشریف خادمه

بالقبول، والتقديم بإعلامه بالوصول، واستخدامه بما يتعلق بآرابه وأوطاره - ومن نظائر ذلك وأشكاله - إن شاء الله تعالى .

ودون ذلك - الأختتام بلفظ « فإن رأى كذا وكذا فعل » كما كتب الصابي في خاتمة كتاب بشارة بفتح، فإن رأى سيدي أن يعرفني موقع هذه البشري منه، ومقابلتها بالشكر الواجب عليها، ويتقدم بإشاعتها في نواحيه وأعماله، ليكتب الله به عدوه وعدونا، ويكاتبني بما أتطلعته من أحواله وأخباره، وأتعمد إسعافه به من مآربه وأوطاره، فإنني أعتده شريكاً لنا مساهماً، وخليطاً مفاوضاً، فعل إن شاء الله تعالى .

ودونه « فرأيت في كذا وكذا » كما كتب أبو الفرج البيهقي في خاتمة كتاب في الحث على مواصلة الكتب، فرأيت في إيناسنا بكتبت متضمنة ما نؤثره من أنيساطك، ونعلمه من أخبارك، موقفاً إن شاء الله تعالى .

وقد تقدم في الكلام على أصول المكاتبات لأي معنى كان فرأيت دون فإن رأيت .

وذكر ابن حاجب النعمان أن أعلى المراتب « وللآراء العالية فضل السمو ومزيد القدرة . ودونه « ولرأى المجلس الفلاني فضله وسموه » . ودونه « ولرأى الحضرة الفلانية فضله » . ودونه « ورأى حضرة مولانا أسمى » . ودونه « ورأى حضرة مولاي العالی » . ودونه « ورأيه موقفاً » . ودونه « ورأيه السيد » . ودونه « ورأيه الأرشد » . ودونه « والمؤثر كذا » . ودونه « فأحب أن يفعل كذا » . ودونه « ويجب أن يفعل كذا » . ودونه « فافعل كذا من غير مخالفة » . ودونه « واحذر المخالفة » .

ومنها - الإختتام بالدعاء، كما كتب الصابى خاتمة كتاب « وأسأل الله أن يطيل بقاءه ، ويصل إياه ، ويحفظه بعيدا وقريبا ، ويرعاه غائبا وحاضرا .

ومنها - الإختتام بطلب مواصلة الكتب، كما كتب الصابى فى خاتمة كتاب؛ وأنا أسأله أن يواصلني بكتبه، مضمنة أخباره الطيبة، وأمره الممثل، وأوطاره ومهماته، معتمدا بذلك، إن شاء الله تعالى .

ومنها - الإختتام بترك التكليف بالمكاتبة فى غير الضرورى، كما كتب الصابى فى آخر مكاتبة، وما أطلب سدى بالمكاتبة إلا عند الحاجة العارضة؛ فإنه يفيدنى بها جميلا أشكره، ويستفيد منى سعيًا يحمده، فأما ماعدًا ذلك مما يشغل أوقات راحته، ويسد فرج خلوته، فإننى أستغنى منها استغفاء المتقرب إليه، المؤثر لما خف عليه؛ وله فيما سألت فضل النظر فيه، والإسعاف به، إن شاء الله تعالى .

ومنها - الإختتام بالتحذير من المخالفة، كما كتب الصابى فى خاتمة كتاب إلى جماعة بتحصيل قوم : وليكتب كل واحد منهم بخبر من عسى أن يظفر به من هؤلاء، أو يقف على موضعه، أو ينتهى إليه شئ من خبره، وليحذر من التقصير فى ذلك . إلى غير ذلك من الإختتامات التى لا تحصى كثرة .

وقد ذهب كثير من الكُتَّاب [إلى عدم تفضيل بعض الإختتامات على بعض] على أن^(١) ابن حاجب النعمان قد قال فى "ذخيرة الكُتَّاب" إن أعلى ذلك بالنسبة إلى المكتوب إليه : ولأراء الفلانية فضل السمو ومزيد القُدرة . ودونه « ولرأى المجلس الفلانى فضله وسموه » . ودونه « ولرأى الحضرة الفلانية فضله » . ودونه « ورأى حضرة سيدنا أسمى » . ودونه « ورأى حضرة مولاي العالى » . ودونه « ورأيه

(١) اقتبسنا هذه الجملة من المقام وأضفناها لتتم الكلام وعبارة ابن حاجب النعمان تقدمت فى الصفحة قبل فتنه .

مَوْفَقًا . . ودونه « ورأيه السَّيد » . ودونه « ورأيه الأرشد » . ودونه « والمؤثر كذا » . ودونه « فأحبُّ كذا » . ودونه « ويجبُ أن يفعل كذا » . ودونه « وسبيله أن يعتمد كذا » . ودونه « فافعل كذا » . ودونه « فافعل كذا من غير مخالفة » . ودونه « وأحذر المخالفة » .

المهيع الرابع

(في عُنوانات الكتب على هذا المصطلح ، وفيها أربعة أحوال)

الحالة الأولى - أن يكون العنوان من الرئيس إلى المرئوس ، قد ذكر في "صناعة الكتاب" أن العُنوانات من الوزير والقاضي وغيرهما من الرؤساء على تسع مراتب :

(الأولى) أن يكتب في الجانب الأيمن « لأبي فلان أطال الله بقاءه وأعزه » ، وفي الجانب الأيسر « من فلان بن فلان » باسم الوزير وأسم أبيه إن لم يكنه الإمام ؛ فإن كناه ، كتب « من أبي فلان » ، والقاضي في معنى ذلك .
(الثانية) أن يكتب في الجانب الأيمن « لأبي فلان أطال الله بقاءه » فقط ، ويكتب الأسم^(١) ولا يكتب وأعزه .

(الثالثة) أن يكتب في الدعاء للمكتوب إليه ، أدام الله عزه .

(الرابعة) أن يكتب أعزه الله .

(الخامسة) أن يكتب أشكره الله وأدام كرامته .

(١) أي أسم الوزير في الجانب الأيسر وقوله ولا يكتب وأعزه أي في الدعاء للمكتوب إليه الذي هو

في الجانب الأيمن فتنبه .

(السادسة) أن يُكْتَبَ أكرمهُ اللهُ، وفي ذلك يُكْتَبُ اسمُ الوزير في الجانب الأيسر .

(السابعة) أن يُكْتَبَ أبقاه اللهُ، ولا يذكر اسمُ الوزير في هذه المرتبة وما بعدها .

(الثامنة) أن يكتب حِفْظَهُ اللهُ ولا يُكْتَبُ اسمُ الوزير .

(التاسعة) أن يكتب عافاه اللهُ .

وعلى نحو ذلك جرى أمرُ حَاجِبِ النُّعْمَانِ في "ذخيرة الكتاب" فقال : إنه يُبْدَأُ في الجانب الأيمن بذكر المكتوب إليه ونُوعِيهِ وَكُنْيَتِهِ وَاسْمِهِ وَأَسْمِ أَبِيهِ وَنَسَبِهِ المشهور من ناحيته أو قبيلته أو بلده ؛ ثم يذكر المكتوب عنه في الجانب الأيسر بِاسْمِهِ وَأَسْمِ أَبِيهِ ؛ فإن كان الكتابُ عن الوزير ، ذكر كُنْيَتَهُ في الجانب الأيسر ، إن كان الإمام أمره أن يكتب مَتَكْنِيًّا أو مَتَلَقَّبًا .

وقد سبق في الكلام على أصول المكاتبات في أول الباب الثاني من هذه المقالة أن من السلف من كره لأبي فلان وقال : الصواب أن يُكْتَبَ إلى أبي فلان . قال في "صناعة الكتاب" ويكْتَبُ : لأبي الحسن ؛ فإن أعدت الكنية في الناحية الأخرى رفعت فقلت أبو الحسن على بن فلان على المبتدأ والخبر أو على إضمار مبتدأ ، وإن شئت خفضت على البدل ، فإن لم تُعد الكنية كان الخفض أحسن فقلت لأبي الحسن ؛ ثم قال : وإن كتبت إلى رجلين كنية كل منهما أبو الحسن ، كتبت لأبوي الحسن إذا لم يكن لهما ولدٌ يقال له الحسن ، فإن كان لكل منهما ولد يقال له الحسن ، جاز أن يكتب لأبوي الحسنين . قال : والاختيار أن يكتب لأبوي الحسن أيضا ، لأنَّ المعنى للذين يقال لكل واحد منهما أبو الحسن . ويجوز أن يكتب إلى الرجلين اللذين يكنيان بأبي الحسن : لأبي الحسن بفتح الباء وكسر الياء على لغة

من قال جاءني أبك ، والأصل فيه لأبين الحسن سقطت النون للإضافة ، ويكتب في الجميع لأبي الحسن بكسر الباء ، الأصل لأبين بكسرها أيضا ، سقطت النون للإضافة على لغة من قال : جاءني أبوك^(١) يعني بضم الواو ، ويجوز أن يكتب لرجل كنيته أبو الحسن لأباً الحسن على لغة القصر ، كما يقال لفتى الحسن .

قال في " ذخيرة الكتاب " وإن كان الكتاب إلى آتين وكأيتهما مختلفة : كأبي جعفر ، وأبي منصور ، وأبي بكر ، كتبت آباء جعفر ومنصور وبكر . وإن كانت كآيتهم متفقة مثل أن تكون كنية كل منهم أبو جعفر كتبت آباء جعفر .

الحالة الثانية - أن يكون العنوان من المرعوس إلى الرئيس . قد ذكر « النحاس » عن الفضل بن سهل أنه إذا خوطب الكُفء يجعلني الله فداءك بالصدر الكامل ، فأحسن دُعائه للعنوان ، أعزّه الله وأطال بقاءه ؛ وذكر أنه إذا كوتب بأعزّه الله فأجمل العنوان مد الله في عمره . قال في " صناعة الكتاب " ولا يتكفى الرجل في كُتبه ، إلا أن تكون كنيته أشهر من اسمه فيتكفى على نظيره ، ويتسمى لمن فوقه ؛ ثم يلحق المعروف بأب فلان ، أو المعروف بأبي فلان . قال : ويكتب : من أخيه ، إن كانت الحال بينهما تُوجب ذلك .

الحالة الثالثة - أن يكون العنوان من الرجل إلى آبنه ومن في معناه ، قد ذكر النحاس أنه يُعنون إليه من فلان بن فلان إلى فلان بن فلان ، ثم قال : وكذا كبير الإخوة والرجل إلى أهل بيته .

(١) كذا في الأصل ولم نعثري كتب النحو على هذه اللغة ولعله تحريف من الناصح والأصل جاءني أبك

يعني بضم الباء فتأمل .

(٢) لعله إلى آتين فأكثر وكآيتهم تأمل .

الحالة الرابعة - أن يكون المكتوبُ إليه امرأةً . قال في "صناعة الكتاب" :
 إن كان المكتوبُ إليه أمَّ الخليفة ، كتب : للسيدة أم فلان أمير المؤمنين ، وإن
 كانت امرأة الخليفة وكان ابنها معهودًا إليه بالخلافة ، كتب للسيدة أم فلان وليَّ
 عهد المسلمين ، وإن كانت امرأة رجل جليل ، كتب للحرة أم فلان ، ولا يكتب
 اسمها ، ويدعو لها بالدعاء الذي يكون خطابها به .

هذا ما كان الحال عليه في زمن النحاس في خلافة الراضى وما حوَّطها .

وقد ذكر ابن حاجب النعمان في "ذخيرة الكتاب" ، أن الحال تغير عن ذلك عند
 تغير المكاتبات إلى المجلس العالى ، والحضرة السامية ، وما يجرى مجرى ذلك ، ثم قال :
 فعلى هذا إذا كتب إلى المكتوب إليه بالمجلس العالى أو أسامى ونعوته ، فيجب
 أن يكتنى عن نفسه بالملوك أو مملوكه أو العبد أو الخادم . وإذا كتب : الحضرة
 السامية أو العالمة ونعوتها ، فيجب أن يكتنى عن نفسه الخادم أو خادمها أو عبدها .
 وإذا كتب : حضرة سيدنا ونعوتها ، فيجب أن يكتنى عن نفسه خادمها أو خادمه
 وعبدها أو عبده . وإذا كتب : حضرة مولانا ونعوته ، فيجوز أن يكتنى عن نفسه ماشاء
 من ذلك . قال : وفي الكتابة إلى النظير لا ضابط لعنوانه كما لا ضابط لمكاتبته ،
 بل له أن يكتنى عن نفسه بما شاء مما تقدم ذكره .

ثم قال : وإن كانت المكاتبَةُ من الرئيس إلى المرءوس ، فيجب أن يكتنى : حضرة
 الفلانى بغير مولاى - ودونه : الفلانى بغير حضرة ، وكنيته ونعوته وأسمه وأسم أبيه ،
 ويكتنى عن نفسه ما يختار أن يكتبه الرئيس إلى المرءوس مما هو معروف مشهور ، ويزيد
 في اسمه وأسم أبيه ألفاً ولاماً ، إن كانا مما يجوز أن يُزادا [فيهما] ، وإذا كتب المرءوس
 إلى الرئيس وكتنى عن نفسه بما كتنى ، فيجب أن يحذف من اسمه وأسم أبيه الألف

واللام . قال : وللرئيس أن يكتب عن نفسه بما شاء من الكفايات التي تليق بمنصبه وأسمه وأسم أبيه ونعته المقترن بأمر المؤمنين ، مثل ناصر أمير المؤمنين ، وحسام أمير المؤمنين ، وما أشبه ذلك .

المقصد الثاني

(في [رسوم] إخوانيات أهل المغرب)

وعادتهم فيها أن يكون الخطاب فيها خطاب المواجهة ، مثل : أنت ، وأنا ، ولك ، وعندى ، وعندك . وربما خاطبوا الواحد بجمع تعظيماً للكتوب إليه ، كما يعبر عن المتكلم الواحد بنون الجمع تعظيماً له . قال ابن شيث في "معالم الكتابة" ولا يعرف ذلك لغيرهم ، وربما وقع الخطاب عندهم على الغيبة أيضاً ، وفيه جملتان :

[الجملة الأولى]

(في مفتحات المكاتبات على اصطلاحهم ، وفيها مهيعان)

المهيع الأول

(في آبداء المكاتبات ، وهي على طرق)^(١)

منها — أن تفتتح المكتبة بالدعاء : إما بطول البقاء كما كتب عبد الله بن طاهر : أطال الله بقاء سيدي الأعلى ، ومفرعي في الجلى ، متممة عليه النعم ، ميسرة لديه المهيم ، أقول بدءاً أيديك الله : لقد أعشى الناظرين سنك ، كما أعيأ الطالبين مسعك ، ولئن فت الجميع ، لقد أبدعت الصنيع ، فلا غاية لمجد إلا وأنت آتياها ، ولا ذروة لعز

(١) بيض لذلك في الأصل وزدناها من نظيرتها الآتية .

إلا ومن ظَبَاكَ بَانِيهَا ؛ لَكَ الْهُدَى وَالنَّاسُ ضُلَّالٌ ، وَفِي يَدَيْكَ الضُّوْءُ وَالْكُلُّ أَغْفَالٌ ؛
وَإِنِ الْأَمْرَ كَذَا وَكَذَا .

وكما كتب أبو المطرف بن عميرة : أطال الله بقاء الأخ السرى الكريم ، الحرى
بالتقديم والتعظيم ؛ أوحِدِ فُرْسَانَ الْإِحْسَانِ ، وَوَاوَحِدِ عِقْبَانَ الْبَيَانِ ؛ وَلَا زَالَ قَلَمُهُ جَالِيَّ
بِدَائِعِ السَّحْرِ ، جَالِبَ بَضَائِعِ الشَّحْرِ ، مَغْبُوطَ السَّبْقِ ، عِنْدَ كَلَالِ جِيَادِ الْكَلَامِ ، مَبْسُوطَ
الرِّزْقِ ، فِي حَالِ إِمْلَاقِ الْأَقْلَامِ ، إِنْ ذُكِرَتْ - أَبْقَاكَ اللَّهُ - الْبَلَاغَةُ فَمِنْ عَلَى مَوْرِدِهَا
يُسَاجِلُكَ ، أَوْ قِيلَ فِي شَرِيْعَتِهَا بُنِيَتْ عَلَى نَحْسٍ فَإِنَّمَا هِيَ أَنَا مَلِكٌ ، صَفْوُهَا مَتَفَجَّرَ
مِنْ مَعِينِكَ ، وَشَاوَهَا لَا مَطْمَعَ فِيهِ لِغَيْرِ يَمِينِكَ ، وَشَاوَهَا تَسْتَوْفِيهِ فِي هَيْئَةٍ مَتَمَهَّلٌ ،
وَجَنَاهَا تَرَعَاهُ بَعِزَّةٌ أَحْيَى مُهَلِّهَلٍ ، فَقَدْ صرَّتْ أَمَامَ أُمَّتِهَا ، لَا بَلَّ إِمَامَ أُمَّتِهَا ، وَالرَّاضِعَ
لِرِسْلِهَا ، بَلَّ الْوَاضِعَ لِأَصْلِهَا . فَهِنِئًا لَهَا أَنْ كُنْتَ سَابِقَ غَايَتِهَا ، وَسَائِقَ رَايَتِهَا ، وَبُشْرَى
لْمُهْرَقِ وَشْتَهُ يَرَاعُكَ ، وَمَشْتَهُ يَرَاعُكَ ، لَقَدْ أُوتِيَ مِنَ الْحُسْنِ مَا تَشْتَرِيهِ الْقُلُوبُ
بِحَبَاتِهَا ، وَتَشْتَبِيهِ النُّفُوسُ أَكْثَرَ مِنْ حَيَاتِهَا ؛ وَإِنِ الْأَمْرَ كَذَا وَكَذَا .

وإما بالبقاء المجرد .

كما كتب أبو محمد بن عبد البر ، إلى بعض أرباب الأعلام :

أَبِيَّ اللَّهِ الشَّيْخَ فِي عِزَّةٍ تَالِدَةٍ طَارِفِهِ ، وَسَعَادَةٍ لَا تَزَالُ طَارِقَةً بِكُلِّ عَارِفِهِ ؛ وَلَا زَالَ
قَاصِدُهُ مَحْيَاً مِنْ رِفْدِهِ بَرُوضِ نَاضِرٍ ، وَمُحَوِّمًا مِنْ مَجْدِهِ عَلَى مَسْرَةٍ سَمِعَ وَقْرَةَ نَاضِرٍ ؛
وَالْأَمْرَ كَذَا وَكَذَا .

وإما بالدعاء للحضرة .

كما كتب أبو زيد الفازارى :

أَبِي اللَّهِ حَضْرَةَ السَّيِّدِ نَاضِرَةَ أَدْوَاجِ السَّعْدِ ، عَاطِرَةَ أَفْوَاحِ الْمَجْدِ ، سَاكِبَةَ أَنْوَاعِ
الْجَدِّ ، صَائِبَةَ سِهَامِ الْجَدِّ ، وَلَا زَالَتْ مَغْشِيَةَ الْجَنَابِ ، بَوْفِدِ الْجَدِّ ، مَوْشِيَةَ الْإِهَابِ ،
بُسُودَدِ الْحَفْدِ . الظَّلُّ إِذَا رَحِبَ ، اَزْدَحَمَ عَلَيْهِ الضَّاحُونَ ، وَالْوَرْدُ إِذَا عَدُبَ ،
اَزْدَلَفَ إِلَيْهِ الْمُتَمَاحُونَ ، وَظَلَّ الْحَضْرَةَ الْمَكْرَمَةَ كَثِيفُ الْأَفْيَاءِ ، وَوَرِدَهَا مُغْنِي عَنْ وَسَائِطِ
الْأُرْشِيَةِ وَالِدَّلَاءِ ، فَلَا غَرَوَ أَنْ تُضْرَبَ إِلَيْهَا أَسْجَادُ الْإِبْلِ ، وَتَغْصَّ بِالْوُفُودِ عَلَيْهَا أَفْوَاهُ
السُّبُلِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُعِينُ الْحَضْرَةَ الْمَكْرَمَةَ عَلَى الْأَيْدِي تُسَوِّغُهَا ، وَالْأَمَالَ تَبَلِّغُهَا ،
بِمَنَّةٍ . وَإِنَّ الْأَمْرَ كَذَا وَكَذَا .

وإما بالدعاء للمحلِّ .

كما كتب أبو المطرف بن عميرة في صدر شفاعته .

أَبِي اللَّهِ الْمَحَلَّ الْأَعْلَى حَرَمًا يَتَحَمَّاهُ الْأَنَامُ ، وَعَلَمًا تَتَضَاءَلُ لَهُ الْأَعْلَامُ ، وَلَا زَالَتِ
أَرَاؤُهُ النَّاجِحَةُ ، تَسْتَمِدُّهَا الْعُقُولُ وَالْأَفْهَامُ ، وَمَسَاعِيَهُ الصَّالِحَةُ ، يَشْكُرُهَا اللَّهُ
وَالْإِسْلَامُ . إِنَّ مَجْدًا سَامِيَّ الْكَوَاكِبِ بِمَثْوَاهِ ، وَسَارِيَّ الْغُرِّ السَّوَاكِبِ فِي جَدْوَاهِ ؛
لِدَايِعِ إِلَى آسْتِلَامِ كَفِّهِ عَلَيْهِ ، وَإِلِاسْتِهَامِ عَلَيْهِ وَصَفِهِ الَّذِي لَهُ حَقِيقَةُ الْأَوَّلِيَّةِ ؛ وَكَيْفِ
لَا وَقَدْ أَجَارَ مِنَ الدَّهْرِ الْمُخِيفِ ، وَصَارَ قِبْلَةً كُلِّ دَاخِلٍ تَحْتَ التَّكْلِيفِ ؛ يُعِيدُ مَتَى
أَخْطَاهَا صَلَاةَ الْأَمَلِ ، وَيَرَى الْأَجْتِهَادَ فِي طَلِبِهَا مِنْ رَاحَةِ الْعَمَلِ ؛ وَإِنَّ الْأَمْرَ
كَذَا وَكَذَا - إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الدَّعَاءِ .

ومنها - أن تفتتح المكاتبة بلفظ « كتابي » كما كتب أبو المطرف بن عميرة إلى
بعض العلماء .

كتابي إلى سيدي - حفظه الله مقبلاً وسائراً ، وأنقاه لفرر البيان ساحراً ، وعن وجه
الإحسان سائراً ؛ وَلَا زَالَتْ آدَابُهُ تُشْرِقُ وَتُرُوقُ سَاهِرًا ، وَمَحَاسِنُهُ كَالشَّمْسِ إِذَا لَمْ

يَلْقَى نَوْرها سائِرا - من فلانة - والوَدَّ رَوْضَةً مَطْلُوله ، وَرِحْمٌ مَوْصُوله ؛ خَلَصَ من القلب إلى حَبَّتِه ، وَأَخْتَصَّ مِنْه بما ليس لأحدٍ من أَحِبَّتِه ؛ وَأَنَارَ شَوْقا على قَدْرِه ، وَهَوَى نَوَى في صَدْرِه ؛ وَأَسْفَأَ على عَهْدٍ أَصْبُو إلى ذِكْرِه ؛ فَاتَ ، وَرَدَّ الْفَائِتَ يَعْسُرُ ، وَقَصُرَ ، وَأَيامُ السُّرورِ تَقْصُرُ ؛ كَأَنما كان قِراءَةَ سَطْرٍ ، أو إِغْفاءَةَ بَحْرٍ ؛ أو زِيارَةَ مُجْتازٍ ، أو عِبارَةَ ذِي إِيجازٍ . فَمَنْ لَنَا بِذَلِكَ الأَرَجِ الذِّكْرِ ، والأَرِيحِيِّ يَرْتاحُ لما يَنْتَحِرُ ، أو يَنْحِى ، وَمتى نَفُوزُ بِنِ يَنْحِتُ من صَخْرٍ ، وَيُزْرِى بِأَبى صَخْرٍ ، وَيَعْرِفُ من بَحْرِ ، وَيَجْرى مَعَ أبى بَحْرٍ ؛ وَيَجْمَعُ إِسنادَهُ بين الجامعِ والمُسْنَدِ ، وَيُنشِدُ من بدائعِ حَفِظِه ما يُؤَثِّرُ في المُسْنَدِ ، شَجْرَةَ عِلْمٍ تُؤْتِي كُلَّ حينٍ أَكْلَها ، وَمِزْنَةَ فَضْلِ تَجوُدٍ ما نَحْشَى بُجْلَها ، وَضالَّةً أَدِيبٍ يَقِلُّ لها أن يُجْعَلَ القارِئُ جُعْلَها ، فَاتَ عَنَّا ، فَاتَعَبَ وَعَنَى ، فَهَلْ مَعِينٌ على دِواءِ إِنْ نَحْنُ لُسَعْناءُ ، أَوْ سَبِيلٌ إلى ما يَفِيدُنَا من الكِلامِ فَنَحْنُ في حُرُوفِ تَجِيءٍ بِغَيْرِ مَعْنى ، وَإِنْ الأَمْرُ كَذا وَكَذا .

ومنها - أن تفتح المكاتبه بلفظ : كتبت .

كما كتب أبو زيد الفازازى .

كُتِبْتُ - كَتَبَ اللهُ لِلأَخِ الأَبْرِّ الأَوْفى ، وَالفاضِلِ الذِّى آثارُ ماثِرِه لا تَنْحِفُ ، مَجْدًا هَامِيَ الرَّبابِه ، سَامِيَ الرَّبابِه ، وَذَكَرا مَتَحَلًّا بِالإِطالَةِ وَالإِطابِه ، وَقَرَنَ أَعْمالَه بِالقُبُولِ وَدَعَوَاتِه بِالأَسْتِجابِه - من مَكَانِ كَذا ، وَلا جَدِيدَ بَيْنَ اللهِ تَعالَى إِلاَّ صُنْعُه الْجَميلُ ، وَلُطْفُه العَرِيضُ الطَويلُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالَمينَ ، حَمْدًا يُؤمِّنُ آلاءَه من التَّغْييرِ وَالتَّبْدِيلِ ، وَالأَمْرُ على كَذا وَكَذا .

(١) القارت أجف المسك وأجوده .

ومنها - أن تفتح المكتبةُ بكنايةٍ عن المكتوب إليه من لقب ونحوه .

كما كتب أبو المطرف بن عميرة لبعض الرؤساء .

الجنابُ الرِّياسِيُّ أدام اللهُ أَعْتَلَاءَهُ، وَحَرَسَ مَجْدَهُ وَسَنَاءَهُ .

صدرت هذه الخدمةُ إليه من فلانة، ولا مَزِيدَ على ما يَجِبُ لجلاله من التعظيم،

ولفضله من التقديم، ولا لآلئِهِ من الشُّكرِ العميم، وإنَّ الأمرُ كذا وكذا .

وكما كتب أبو بكر بن عيسى شافعياً في أنصاري .

السيدُ العِمَادُ، والمَاجِدُ الجَوَادُ، والمَلْجَأُ المَنِيعُ المَرِيعُ لمن يَرْتَاعُ أو يَرْتَادُ، أدام اللهُ

عَلَاءَهُ، وضاعف عندهُ آلاءَهُ، بذُرِّ الجَمَلَةِ الشَّرِيفَةِ، وفرع الدَّوْحَةِ المُنِيفَةِ، من

آل قَيْسِ الجُودِ، وقيلُ بَنِي قَيْلَةَ الباذِلينِ المَوْجُودِ، أولئك الذين عَزَّ المَهاجِرُونَ

بِإِخَائِهِمُ وَسَخَائِهِمُ، فلا غرَوا أن تَكَلَّفَ الألسِنَةُ بِمَدْحِهِ، وتُمدَّ الأيْدِي إلى مَنَحِهِ،

ويُصدَّرُ بِاسْمِهِ تَارِيخُ الأَجْدَادِ فَهُوَ أَحَقُّ مَفْتَحِهِ، والأمرُ كذا وكذا .

وكما كتب أبو المطرف بن عميرة، عن الأمير أبي جميل زيان، إلى الأمير

أبي زكريا بن إسحاق .

الأميرُ الأَجَلُّ الهامُّ الأَعْلَى حرسَ اللهُ مَقَامَهُ، وأَسْعَدَ أَيَّامَهُ، وظاهرَ بالنُّصْرَةِ

مُضَاءَهُ وَأَعْتِزَامَهُ، راسخُ شَرَفِ النِّجَارِ، ثابتُ أَصْلِ الفَخَّارِ، مستَهْلُ آلاءِ السُّحْبِ

العِزَّارِ، والعُيُونِ إليه سامِيَهُ، والهَمَمِ إلى مالِدِيهِ مَتْرَامِيَهُ، والصدورُ بالأَمَلِ فيه تُشْرَحُ،

والنفوسُ الحُرَّةُ إلى أَسْتِرْقَاقِهِ تَطْمَحُ، ولا غرَوا والكَرَمُ من بَعْضِ شِيَمِهِ، والغِنَى

من فَضْلِ دِيَمِهِ - أن يَسِيرَ إليه في البرِّ والبَحْرِ كُلِّ ذِي رَغْبَةٍ، وتترامى نحوهُ رِكائبُ

الرِّجَاءِ من كلِّ تُرْبَةٍ . ومخاطبتنا هذه إلى مجلسه أيدى اللهُ عَمَّا نَعْلَمُهُ من كَبِيرِ قُدْرِهِ،

وَنُوجِبُهُ لَعَالِي أَمْرِهِ، ونُبَيِّحُ بِهِ من طَيِّبِ خَبْرِهِ، وجميلُ ذِكْرِهِ، والأمرُ كذا وكذا .

وكما كتب أبو الحسن بن شلبون :

العماد المذخر، والملاذ الذي بولائه أفخر، جعل الله قدره عالياً، ودهره بحاسنه
حالياً، ولا زال للنعم قابلاً وللأ [سواء] قالياً، كتبتُ من مكان كذا، والود حليةٌ
يتألق روتقها، وشجرة لا يسقط ورقها، وإنها مغروسة، لا تقبل بذر العوادي،
ومحروسة، لا يقع عليها من يقع في شجر الوادي، والأمر كذا وكذا .

وكما كتب أبو المطرف بن عميرة إلى بعض الفقهاء شافعاً موصياً :

المحل الأعلى - ضاعف الله أنوار هدايته، وأبق على الجميع آثار عنايته - مستودع
الكمال، ومشرع الآمال، ومقعد أرباب السؤال، ومصعد الصالح من الأعمال،
وإن فلانا من أمره كذا وكذا .

وكما كتب ابن أبي الحِصَال :

الشيخ الأجل أدام الله عزه ونعمه، ووصل رفعتة وعلاه بتقواه، مجل قدركم،
وملترم برم وشكركم، العارف بحقكم، فلان، فكتب يعظمكم كتب الله لكم خيراً
مستمراً، ورضاً على ما ترضونه ثابتاً مستقراً، من مكان كذا، على الرسم الملتزم من
توفير علائك، والشكر لا لائك، والرب تعالى ينهض بحقكم اللازم الأتزم، ويصل
حراسة مجدكم الأتلد الأقدم، بمنه وفضله، وإن الأمر كذا وكذا .

وأعلم أنه ربما أتى بعد ذكر النعوت بالسلام، ثم بحمد الله تعالى والصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله، ثم الرضا عن الخلفاء الماضين والخليفة القائم .
وعلى ذلك كانت طريقة كتاب دولة الموحدين أتباع «المهدي بن تومرت» كما كتب
أبو محمد بن عبد البر :

الشيخ الأجل، أدام الله عزته، ووصل كرامته ورفعته . مجلُّ قدره، وملتزم بره
وشكره، المسرور بما يجريه إحسانه من طيب ذكره .
سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد حمد الله العظيم ، والصلاة على سيدنا محمد رسوله الكريم ، وعلى آله -
والرضا عن الإمام المعصوم مهديه ، وعن خلفائه الأئمة الراشدين - والدعاء لسيدنا
الخليفة الإمام أمير المؤمنين ، ابن الأئمة الخلفاء أمراء المؤمنين ، بالنصر الأعز ،
والفتح الأتم الأوفى ، فكتب كتب الله لكم مجدا لا يهى شرفه ، وسعدا لا يهين
طرفه ، من فلانة - حرسها الله - ولا ناشئ عن الله تعالى وعميم لطفه إلا الخير
الأكل ، والصنع الأجل ، والحمد لله رب العالمين كثيرا ، وإن الأمر كذا وكذا .

قلت : وعلى هذه الطريقة كانت كتابة أبي عبد الله بن الخطيب : كاتب ابن
الأحرر بالاندلس على القرب من زماننا .

ومنها - أن تفتح المكتبة بالخطاب ، إمام مع حذف ياء النسب أو مع إثباتها .
أما مع حذفها ، فكما كتب أبو المطرف بن المثنى :

سَيْدِي وَمَفْخَرِي ، وَعِصْمَتِي وَوَزْرِي ، وَرُكْنِي وَعِمَادِي ، وَذَخِيرَتِي
وَعَتَادِي ، أَبْقَاكَ اللَّهُ نَاهِجًا سُبُلَ الْمَكَارِمِ وَالْمَعَالِي ، مُؤَقِّ حَوَادِثَ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي .
كُتِبِي أَعَزَّكَ اللَّهُ عَنْ عَهْدِ حَسَنِ لَكَ قَدْ أَحْكَمْتَ مَعَاقِدَهُ ، وَوَدَّ مَحْضُ فَيْكِ قَدْ صَفَتْ
مَوَارِدَهُ ، وَنَفْسُ تَرْتَاخِ لَذِكْرِكَ ، وَلِسَانُ لَاهٍ بَيْنَ مَحَاسِنِكَ وَعُلَاكَ ، قَدْ أَنْفَسَ فِي نَشْرِ
فَضَائِلِكَ مِيدَانَهَا ، وَفَاقَ فِي وَصْفِ فَوَاضِلِكَ بَيَانَهَا ، فَهِيَ تَنْظِمُ عُقُودَ مَجْدِكَ ، عَلَى أَجْيَادِ
شُكْرِكَ ، وَتَحُوكُ مِنْ بُرُودِ تَقْرِيطِكَ وَشَائِكَ ، خِلْعًا لِمَجْدِكَ وَسَنَائِكَ ، وَشَيْهَا الذِّكْرُ
الْحَاطِرِ ، وَطِرَازُهَا التَّرْفِيعُ وَالتَّوْقِيرُ ، تَكْسِرُ عَصَبَ عَدْنٍ ، وَتُعْفَى عَلَى وَشَى الْيَمَنِ ؛

وَتَطَّلِعُ مِنْ رِيَاضِ أَخْلَاقِكَ ، فِي مَنْابِتِ أَعْرَاقِكَ ، مَا يُزِرِّي بِنَسِيمِ الْمِسْكِ تَضْوَعُ
عَرَفَهُ وَأَنْتَشَارَهُ ، وَيُرِيِّي عَلَى حُسْنِ النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ طَوَالِحُ أَزْهَارِهِ وَأَنْوَارِهِ ، وَأَخْلَقَ
بِمَنْ جَمَعَ اللَّهُ الْعَالَمَ فِيهِ ، وَحَرَسَ مَعَاهِدَ الْبِرِّ بِكَرِيمِ مَسَاعِيهِ ، أَنْ لَا تُعْزِي خَلَّةً نَبِيلَةً إِلَّا
إِلَيْهِ ، وَلَا تُقْصِرَ مَنَقِبَةٌ جَلِيلَةً إِلَّا عَلَيْهِ ، وَلَا تُؤَثِّرُ مَأْثَرَةٌ نَفِيسَةً إِلَّا عَنْهُ ، وَلَا تُقْتَبَسُ
سِيرَةٌ جَمِيلَةٌ إِلَّا مِنْهُ ، وَاللَّهُ تَقَدَّسَ اسْمُهُ يَحْيَى هَذِهِ الْأَوْصَافَ الْبَدِيعَةَ ، وَالْحِلَالَ
الرَّفِيعَةَ ، مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ وَنَوَازِلِ الْغَيْرِ ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهَا يَدَهُ ، وَيَصْرِفُ عَنْهَا مَعْرَةَ
كُلِّ خَطْبٍ وَشَدِّهِ ، بِحَوْلِهِ وَطَوْلِهِ ، وَيَكُونُ الْأَمْرُ كَذَا وَكَذَا .

وَأَمَّا مَعَ إِثْبَاتِ يَاءِ النَّسَبِ ^(١) ، فَكَمَا كَتَبَ أَبُو الْمَطْرَفِ بْنُ الدَّبَّاحِ إِلَى بَعْضِ الْأُدَبَاءِ
عِنْدَ وِرْوَدِهِ إِلَى بِلَادِهِ :

يَا مَوْلَايَ ، وَسَيِّدِي ، الْعَظِيمِ شَأْنُهُ وَأَمْرُهُ ، الْعَالِي صِيتُهُ وَذِكْرُهُ ، وَمَنْ أَبْقَاهُ اللَّهُ
فِي عِزٍّ لَا تَنْقِصُ عُرَاهُ ، وَحِرْزٍ لَا يُسْتَبَاحُ حِمَاهُ ، لَمْ أَزَلْ - أَبِي اللَّهِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ -
تَسْمُوبِي إِلَى الْكِتَابَةِ هِمَّةً ، وَتَرَامِي بِي إِلَى الْبَلَاغَةِ عِزْمَةً ، حَتَّى تَذَلَّتْ لِي صِعَابُهَا
فَامْتَطَيْتُ ، وَتَسَهَّلَتْ لِي حُزُونُهَا فَارْتَقَيْتُ . وَلَمَّا رُفِعَتْ لِي عَنْ غَرَائِبِهَا الْأَسْتَارُ ،
وَعَلِمْتُ مِنْ غَوَامِضِهَا الْأَسْرَارُ ، وَفُرْتُ بِالْمَعْلَى مِنْ سِهَامِهَا ، وَالْمَوْفُورِ مِنْ أَقْسَامِهَا ،
جَعَلْتُ بِأَيِّ أُمَّتِهَا أُمَّتٌ وَأَهْتَدِي ، وَإِلَى أَيِّ رُؤْسَائِهَا أَنْتَسِبُ وَأَعْتَرِي ، نَاطِرًا فِي ذَلِكَ
إِلَى شَائِعِ الْأَخْبَارِ ، وَمُتَدَاوِلِ الْآثَارِ ، فَوَجَدْتُ الْأَلْسِنَةَ إِذَا تَنَاوَلَتْ صِفَةَ سِوَاهُ ، تَحَلَّتْ
بَعْضَ حِلَالِهِ ، أَوْ أَرْقَتْهُ إِلَى رُتْبَةٍ مِنَ الْعُلِيَاءِ ، تَمَثَّلَتْ بِهِ فِي الرَّفْعَةِ وَالسَّنَاءِ ، ثُمَّ تُفْرَدُ
أَعْرَهُ اللَّهُ دُونَهَا بِالْفَهْمِ الْمَتِينِ ، وَالْعِلْمِ الْمَشْهُورِ ، وَالْحِلْمِ الْمَتَعَارِفِ ، وَالْفَضْلِ الْمُتَوَاصِفِ ،
وَالرُّتْبَةِ السَّامِيَةِ ، وَالْجَلَالَةِ الْمَتَنَاهِيَةِ . فَكَلَّمَا رَأَيْتُ مُحَاسِنَ مَجْدِهِ يُجَلُّ ، وَسُورَ فَضْلِهِ

(١) لم تثبت فيه ياء النسب كما هو ظاهر فتأمل .

تُتلى، هَمَّتْ أَنْ أُطِيرَ إِلَى حَضْرَتِهِ بِجَنَاحِ الْإِرْتِيَّاحِ، وَأَرْكَبَ إِلَى أَفْقِهِ نَوْرَهُ اللهُ أَعْنَاقَ
الرِّيَّاحِ، وَالْأَيَّامُ تُقَطَّعُ بِمَصَائِبِهَا، وَتَقَيَّدُنِي بِأَحْدَاثِهَا وَبِحَوَائِبِهَا، حَتَّى قَضَى اللهُ أَنْ
يَرِدَ هَذَا الْأَفْقَ فَأَفْرَخَ الْأَمَلَ بِغَيْرِ نَصَبٍ، وَأَنَالَ الْبُغْيَةَ بِغَيْرِ طَلَبٍ :

وَلَيْسَ الَّذِي يَتَّبِعُ الْوَبْلَ رَائِدًا * كَمَنْ جَاءَهُ فِي دَارِهِ رَائِدُ الْوَبْلِ

ومنها - أن تفتتح المكتبة بالتحية والسلام .

كما كتب أبو المطرف بن عميرة :

تُحْصِ الْآبِنَ مَحَبَّةً وَمِقَّةً، وَالْعِبَادَ أَعْتَادًا بِجَانِبِهِ وَثِقَةً، حَفِظَ اللهُ نَجَابَتَهُ، وَجَعَلَ
لِدَاعِي السِّيَادَةِ تَلِيَّتَهُ وَإِجَابَتَهُ، تَحِيَّةُ الْإِجْلَالِ وَالتَّكْرِمِ، وَالْمَوَدَّةُ الْخَالِصَةُ الْمَتَحَكِّمَةُ،
وَرَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى وَبَرَكَاتُهُ، مِنْ مَكَانِ كَذَا، وَالْوُدُّ كَلْفٌ، وَالْعَهْدُ بِالصَّوْنِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ
مَكْتَنَفٌ، وَتِلْكَ الذَّاتُ السَّنِيَّةُ ذَخِيرَةٌ جَلِيلَةٌ، وَأَمَلٌ لَا تُنْحَطِي مِنْهُ نَحِيلُهُ، وَهَبَةٌ يُكْذِبُ
مَعَهَا أَنْ يُقَالَ الْآيَّامُ بِنَحِيلِهِ . وَكَمَا نَظَنُّ أَنْ بِنَاءَ الْكَرَمِ صَمٌّ صَدَاهُ، وَمَرَبَعُ الْفَضْلِ
عَاصِبٌ بَرْدَاهُ، وَغَائِبٌ عَنِ الرَّشْدِ أَدَاهُ، وَنَقُولُ : مَا كُلُّ مَنْ أَعْدَتُهُ الْعَيْلَةُ عُيْلُهُ،
وَمَتَى يَفْطِنُ عَمِيرٌ عَمْرًا وَبِحِيلِهِ، فَكَمَا بِكِفَاتِهَا، وَهَلْ سِوَى قَيْسٍ لِرِحَى الْعُجُوزِ عَدِمَتْ
جَدَاتِهَا، حَتَّى تَمَثَّلَ هَذَا الْمَجَاهِدُ مِنْ طَرْفِهِ، الْمُسْتَقْبِلُ آثَارَ سَلْفِيهِ، حَفِظَ اللهُ الْأَلْفَاظَ
وَالْأَلْسِنَةَ، وَحَمَلَةَ الْأَقْلَامَ وَالْأَسِنَّةَ .

وكما كتب أبو زيد الفازاري .

السَّلَامُ الْكَرِيمُ الْعَمِيمُ، عَلَى الشَّيْخِ الَّذِي أَثْبَتَ عَلَى وُدِّهِ فَلَا أُتَحَوَّلُ، وَأَطْنَبُ
فِي حَمْدِهِ فَلَا أُسْتَعِيرُ وَلَا أُتَأَوَّلُ، وَأَتَعَلَّلُ بِذِكْرِهِ عِنْدَ عَدَمِ مَرَاتِهِ وَلَا أَمْرِيًّا أَتَعَلَّلُ بِهِ
فَلَانُ - أَدَامَ اللهُ رِفْعَتَهُ، وَحَرَسَ مِنَ الْأَسَاءِ مُهْجَتَهُ . كَتَبَ أَخُوكُمْ، الْبَرُّ بِكُمْ، الشَّقِيقُ

(١) كذا في الأصل ولم تنف عليه في غيره بعد البحث .

إليكم، الشاكر لمحاسنكم، المسرور بما سمعته من صلاح أحوالكم، فلان، ولا جديد
بمن الله تعالى إلا الخير والحمد لله كثيرا والأمر كذا وكذا .

ومنها - أن تفتتح المكاتبة بالكناية عن المكتوب عنه .

كما كتب ابن أبي الحصّال إلى بعض الكُتاب يسأله حاجة :

معظم الشيخ الأجلّ أبي فلان، ومجّله المكبرّ له فلان، أعلى الله قدركم، وأوزع
أوليائكم شكركم، أياديكم أدام الله كرامتكم أو كف من الغمام، ونعمكم ألزم للأعناق
من أطواق الحمام، وإن وليكم ومعظمكم يحتاج إلى كذا وكذا .

ومنها - أن تفتتح المكاتبة بلفظ من فلان .

كما كتب [بعضهم] من فلان، إلى الشيخ الحافظ الأكرم أبي فلان : أدام الله
كرامته بتقواه، فالكاتب إليكم كتب الله لكم أحوالاً صالحه، وخيراتٍ عليكم غادية
رائحه، من موضع كذا، والبركات متوافره، والخيرات متظاهره، والحمد لله تعالى،
وإن الأمر كذا وكذا .

ومنها - أن تفتتح المكاتبة بلفظ إلى فلان .

كما كتب بعضهم إلى والده .

إلى مولاي المعظم وأبي، المتكفل بتعليمي وحسن أدبي، أبقاه الله ناظرًا إلى
بعين رضاه، وأعانني على الجرى في بره على حكم الشرع القويم ومقتضاه، من ابنك
المعظم لك، بل عبدك، المتطلع إلى ما يصل من الأبناء الكريمة من عندك، المواسل
المسعى في شكرك وحمدك، فلان : بأبي كتبتك كتب الله لكم ليانا من العيش
وخفضا، وجمع بعد الافتراق بعضًا منا وبعضًا، ويسر لي بطوله ومثته أن يصفح
عني وأن يرضى . من موضع كذا، ولا جديد إلا نعم من الله عز وجل تراوح

وَتُغَادِي، وَتَجْرِي الخَوَاتِمُ مِنْهَا عَلَى حُكْمِ المَبَادِي، وَشَوْقٌ إِلَيْكُمْ يَعْمُرُ أَحْنَاءَ ضُلُوعِي
وَفُؤَادِي، وَيَحْسِمُ عَنِّي قَطِيعِي دَمْعِي المَتُونِ وَسَهَادِي، وَاللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ يَلْسِرُ أَنْقِضَابَ
غُرْبَةِ النَّوَى، وَيُرِيحُ النُّفُوسَ مِنْ مُحْرِقِ اللُّوعَةِ وَلاَعِجِ الجَوَى، وَالْأَمْرُ كَذَا وَكَذَا.

المهيبع الثاني

(في الأجوبة)

(وهي على ما تقدم في أجوبة المشاركة من أنها على ضربين)

الضرب الأول

(أن يفتح الجواب بما يفتح به الابتداء، ثم يقع التعرض

إلى وصول الكتاب، وذكر الجواب عنه)

كما كتب أبو عمرو الباجي :

وَعَدُّكَ الكَرِيمُ - أَدَامَ اللهُ عَزَّكَ - دِينَ، وَقَضَاؤُهُ شَرَفٌ وَزَيْنٌ. وَمِثْلُكَ مِنْ تَحَلَّى
بِمَحَاسِنِ الشِّيمِ، وَزِلْحَمَ فِي السِّيَادَةِ بِالمُنْكَبِ العَمَمِ، وَحَفِظَ العَهْدَ لِمَا أُضِيعَ، وَأَشْتَرَى
المَجْدَ بِمَا بِيَعُ، وَالتَّرَمَ لِلوَفَاءِ شَرْطًا لِأَيُفْسَخَ، وَرَأَاهُ شَرْعًا لِأَيُنْسَخَ، وَوَصَلَ كِتَابُكَ العَزِيزُ
فِي مَعْنَى كَذَا وَكَذَا.

الضرب الثاني

(أن يفتح الجواب بورود الكتاب ووصوله ابتداء)

كما كتب ابن أبي الخصال :

وَرَدَ كِتَابُكَ فِي أَمْرِ فُلَانٍ يَفْرِضُ الحَمَلَ عَلَيْهِ فِي النُّفُوزِ لِوَجْهَتِهِ، وَالتَّقَدُّمَ إِلَى رُبَّتِهِ،
وَلَيْسَ عِنْدِي إِلا عَوْنٌ وَإِنْجَادٌ، وَطَاعَةٌ وَأَتْقِيَادٌ، غَيْرَ أَنَّ فِي الأَمْرِ كَذَا وَكَذَا.

الجملة الثانية

(في خواتم المكاتبات على اصطلاحهم ، وهي على أساليب)

منها - أن يُختم الكتاب بالسلام المجرد عن الدعاء .

كما كتب أبو عمرو الباجي في خاتمة كتاب :

وأقرأ عليك سيدي ، وأسنى عُددي ، أجزَل السلام وأحفظه ، وأتمه وأكمله .

ومنها - أن يُختم بالدعاء .

كما كتب أبو المطرف بن الدبّاع في خاتمة كتاب :

والله لا يُخلى مولاي من عبدٍ يسترِّقه ، ومنم يُنعم عليه [بما] يستحقُّه ، وجميل يُؤليه ، وصنع يُسديده ، بمنه وجميل صنعه .

ومنها - أن يُختم بذكر التودد والمحبة .

كما كتب أبو جعفر الكاتب في آخر كتاب :

وإن لم يكن لي من الحقِّ ما لا أتبسّط به عليه ، فلي من الودِّ ما أمّت به إليه ، فحسى به سلماً إلى فضلك ، وذريعةً إلى مجدك ، إن شاء الله تعالى والسلام .

ومنها - أن يُختم باستماعة النظر في أمرٍ المكتوب عنه .

كما كتب أبو المطرف بن المثني في خاتمة كتاب :

ولك الطول العام ، والفضل الزاهر ، في اعتبار أمرى ، وتحقيق خبرى ، والسلام ؛ إلى غير ذلك من الخواتم التي تستدعيها المكاتب وتستوجبها المقاصد ، وفيما ذكر من الصدور والخواتم ابتداءً وجواباً مقنع لمن تأمل ، والله المستعان في الأمر كله .

المقصد الثالث

(في الإخوانيات المستعملة بالديار المصرية، وفيه ثلاثة مصطلحات)

المصطلح الأول

(ما كان الأمر عليه في الدولة الطولونية وماقاربه مما جرى عليه ابن عبد كان وغيره، وفيه ثلاثة مهايغ)

المهَيِّعُ الأول

(في الصدور، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(الابتدآت، ولهم فيه أساليب)

الأسلوب الأول

(أن تفتح المكتبة بالدعاء، وعليه غالب كتابتهم، وهي على أنماط)

منها - الدعاء بطول البقاء وما في معناه .

كما كتب ابن عبد كان في صدر مكتبة : أطال الله بقاءك ، ففي إطالته حياة الأنام وأنس الأيام والليالي ، وأدام عزك ، ففي إدامته دوام الشرف ونمو المعالي ؛ وأتم نعمته عليك فإنها نعمة حلت محل الاستحقاق ، ونزلت منزلة الاستيجاب ، ووقفت على من لا تتركه الآلاء مكانه ، ولا تترك الفواضل محله .

وكما كتب : عمر الله بك الأزمنة والدهور ، وآنس بقاءك الأيام والشهور ، وأمتع بدوام عزك السعداء بحفظهم منك .

ومنها - الدعاء بدوام النعمة .

كما كتب : أسبغ الله عليك نعمة الراهنة بنعمة المستظفر، وصانها لديك بإيزاع الشكر عليها ، فلم أرو الله الحمد نعمة قصدت مستقرها ، وتوخت وليها ، وتمنت كفوها ، إلا نعمتك أكسبت أولياءها عزاً ونصرة ، وملأت أعداءها ذلةً وغضاضة ، وتمكنت بمحل الصيانة والرعاية ، وخيمت بمسقر الشكر والحمد .

ومنها - أطراح الدعاء بدوام النعمة لتقيدها بموجباتها منها .

كما كتب : قد كفى الله عز وجل مؤونة الدعاء ، لنعمتك بالثناء : لأنها توخت لديك محلها ، فحلت بفنائك ساره ، مطمئنة قاره ، تستوثر مهادها قبلك . وتستهي مواردها عندك ، ولم تزل تائقة إليك ، متطلعة نحوك بما أستجمع لها فيك : من لطيف السياسة وحسن الاحتمال لأعباء المغارم ، فهناكها الله متصلة البقاء بطول مدة بقائك ، ومتحلية بحسن فنائك ، فلا زلت لعوارف النعم مستدعياً ، وللشكر بالزيادة فيها ممترياً ، وبدوام الحمد لردفها مستمرياً .

ومنها - الدعاء يجعل فداك .

كما كتب : جعلني الله فداك ، فإن في ذلك شرفاً في العاجل ، وذخراً العقبى في الآجل ، وخير تراثٍ لمخلفي من بعدى . دعاء أخلصته إليه ، وصدقته الطوية .

ومنها - استكراه الدعاء بالتفدية .

كما كتب : إن قلت في كُتبي إليك : جعلني الله فداك ، فأكون قد بخستك حظاً إحسانك إلي ، وحق مفترضك علي : لأنها نفس لا توازن ساعة من يومك ، ولا توازي طرفة من دهرك . وإنما يفدى مثلك بالأنفس التي هي أنفس من الدنيا وأعرض من أقطار الأرض .

ومنها - تَفْدِيَةُ النِّعْمَةِ إِعْظَامًا لَهَا :

كما كتب : جعلني الله فِدَاءَ نِعْمَتِكَ الَّتِي عَلَتْ ذِرْوَةَ سَنَامِهَا ، وَفَاضَتْ دِرَّةُ سَمَائِهَا ، فَعَمَّرْتَ أَقْطَارَ الْآمِلِينَ ، وَنَضَّرْتَ جَنَابَ نَاحِيَةِ الْمُعْتَمِدِينَ .

ومنها - الدِّعَاءُ بِصَلَاحِ الدُّنْيَا وَغِبْطَةِ الْآخِرَةِ :

كما كتب : أَسْعَدَكَ اللهُ بِعَوَاقِبِ قَضَائِهِ وَقَدْرِهِ ، وَوَهَبَ لَكَ الصَّلَاحَ فِي دِينِكَ وَالسَّلَامَةَ فِي دُنْيَاكَ .

ومنها - الدِّعَاءُ بِكَبْتِ الْعَدُوِّ :

كما كتب : مَكَّنَ اللهُ يَدَكَ مِنْ نَاصِيَةِ عَدُوِّكَ بِالصَّوْلَةِ عَلَيْهِ ، وَمَنْ زِمَامَ وِلَايِكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَبَلَّغَكَ مِنْ كِلْتَا الْحَالَتَيْنِ مَا يُبْنِي عَلَى تَأْمِينِكَ ، وَيُوفِي عَلَى تَمْنِيكَ .

ومنها - الدِّعَاءُ الْمَشْتَرَكُ بَيْنَ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ وَالْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ :

كما كتب : أَدَامَ اللهُ أُنْسِيَّ بِحَيَاتِكَ ، وَحَرَسَنِي مِنَ الْغَيْرِ فِي نِعْمَتِكَ ، وَأَكْرَمَنِي بِصِيَانَةِ أَيَّامِكَ وَوَلِيَالِيكَ ، وَأَعَزَّنِي بِذُلِّ عَدُوِّكَ وَقَمَعِ حَاسِدِيكَ .

ومنها - الدِّعَاءُ بِطَيْبِ الْحَيَاةِ :

كما كتب : عِشْ أَطْيَبَ الْأَعْمَارِ ، مُوَفًِّ مِنْ سُوءِ الْأَقْدَارِ ، مَبْلُغًا نِهَآيَةَ الْأَمَالِ ، مَغْبُوطًا فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ ، لَا يَنْقُضِي عَنْكَ حَقُّ عَارِفَةٍ حَتَّى تُجَدِّدَ لَكَ أُخْرَى أَجَلٌ مِنْهَا ، وَلَا يَمُرُّ بِكَ يَوْمٌ مِنَ الْأَيَّامِ إِلَّا كَانَ مُؤَمَّنًا عَلَى أَمْسِهِ مَقْصَرًا عَنْ فَضْلِهِ غَدَهُ .

(١) لله موفيا تأمل .

ومنها — الدعاء باقتضاء العدل والإنصاف :

كما كتب : جعلك اللهُ مَنْ يَنْظُرُ بَعَيْنِ الْعَدْلِ ، وَيَنْطِقُ بِلِسَانِ الْقِسْطِ ، وَيَزِنُ بِقِسْطِاسِ الْحَقِّ ، وَيَكِيلُ بِمِيزَانِ الْإِنْصَافِ .

ومنها — الدعاء بإيزاج الشكر .

كما كتب : وَصَلَ اللهُ لَكَ كُلَّ نِعْمَةٍ يُنْعِمُهَا عَلَيْكَ مِنَ الشُّكْرِ بِمَا يَكُونُ لِحَقِّهَا قَاضِيًا ، وَلِلزَّيْدِ إِلَيْهَا دَاعِيًا ، وَمِنَ الْغَيْرِ مُؤَمِّنًا ، وَلِلسَّلَامَةِ مُوجِبًا .

ومنها — الدعاء للحاج بالبلاغ .

كما كتب : أَوْطَأَكَ اللهُ فِي مَسِيرِكَ أَوْثَرَ الْمَطَايَا ، وَخَوَّلَكَ فِيهَا نَوَيْتَهُ أَسْبَغَ الْعَطَايَا ، وَأُورِدَكَ الْهِدَايَةَ إِلَى كَرِيمِ الْمَشَاهِدَةِ وَزَكَّى الْمَوَاقِفِ وَأَوْلَاهَا بِالرُّزْفَةِ الْمُقْبُولَةَ ، وَالقُرْبَةَ الْمَأْمُولَةَ .

ومنها — الدعاء للمسافر .

كما كتب : جَعَلَكَ اللهُ فِي حِفْظِهِ وَكَنْفِهِ ، وَأَحَاطَكَ بِحَيْطَتِهِ ، وَجَعَلَ سَفْرَكَ أَيْمَنَ سَفَرٍ عَلَيْكَ ، وَرَجَعَ لَكَ بِدَرْكِ الْحَاجَةِ ، وَبُلُوغِ الْأَمَلِ ، وَنُجْحِ الطَّلِبَةِ ، وَنَيْلِ السُّؤْلِ .

ومنها — الدعاء بالعافية من المرض .

كما كتب : مَسَحَ اللهُ مَا بَيْنَكَ ، وَعَادَ بِالرِّعَالِ عَلَيْكَ ، وَعَجَّلَ الشِّفَاءَ لَكَ ، وَمَحَّصَ بَلْوَاكَ .

ومنها — الدعاء للولادة .

كما كتب : أَجْرَى اللهُ بِالْخَيْرِ يَدَكَ ، وَصَمَّا (؟) بِالْعِزِّ طَرْفَكَ ، وَأَوْطَأَ كُلَّ مَكْرَمَةٍ قَدَمَكَ ، وَأَطَالَ إِلَى كُلِّ غَايَةِ هِمَمِكَ ، وَبَلَّغَكَ أَقْصَى مَحَبَّتِكَ .

ومنها - الدعاء في الأضحية بقبول النُك .

كما كتب : جعلك الله بقبول النسيكة والقربان ، فائزاً بالأجر والرضوان ، مُخلصاً لله بالإيمان ، في السر والإعلان ، مؤدياً لما أقرض عليك ، شاكراً لإحسانه إليك .
ومنها - الدعاء بالهناء في الأعياد .

كما كتب : عرّفك الله في هذا العيد المبارك من السلامة وعمومها ، والعارفة وشموها ، والعارفة وسبوغها ، والحيّاة وكماها ، والحماية وجمالها ، أفضل . اعرفك في ماضي أعيادك ، وسالف أعوامك .
ومنها - الدعاء بدفع النوائب .

كما كتب : كان الله جارك من فجائع الدهر ونوبه ، ووليّ إنعام النعمة فيما آتاك من فضله ، وتطول عليك من حسن الحياطة لما تولّك والذّب عمّا أفادك .

الأسلوب الثاني

(أن تفتح المكاتبه بلفظ : كتابي أو كتبت)

فأما كتابي ، فكما كتب ابن عبد كان : كتابي إليك ، وأنا أستعيب الأيام فيك ، وأصانع الزمان في تقرّيبك ، وربّع الحوار الذي كنا نسكن تحت ظلاله ، ونتفياً بروق جماله ، بأجلّ تحفه ، وأيسر ألفه ، وأعدب مشاهدته ، وأصدق مشافهته ، ولعل أن يرتاح فيشعب صدعا ، ويؤلف جمعا .

وأما كتبت ، فكما كتب ابن عبد كان أيضا ، كتبت وأنا من حين الصبابة إليك ، وإرزام الشوق نحوك ، وأليم التشوق إليك ، ولايح اللوعة بك ، على ما سأله الله أن يرحم ضعفي ويتصدق عليّ برويتك ، ويهب لي النظر إلى وجهك وجمال غرّتك ، التي هي حليف الجدّل ، ونزهة الأمل .

الأسلوب الثالث

(أن تُفْتَحَ المَكَاتِبُ بِالْحِطَابِ بَأَنَا)

كما كتب : أنا من جُملة صَنَائِعِكَ ، وحَفَظَةِ ودَائِعِكَ ، وشَكَرَةِ إِحْسَانِكَ ،
متى تَصَرَّفْتُ في البلادِ ، فأنا المَعْرُوفُ بِمَعْرُوفِكَ ، والعائِشُ بِجَدْوَاكَ ، وأنتَ مَتَرَعٌ
هَمَّتِي وَقُرَّةٌ عَيْنِي ، ومَدَارٌ أَمَلِي ، ومَحَلٌّ رَجَائِي .

الضرب الثاني

(الأَجْوِبَةُ)

وَأبتدأوها إما كما في الصُّدُورِ الأَبْتِدَاءَاتِ كما تَقَدَّمُ ثم يَقَعُ التَّعَرُّضُ لَوُصُولِ الكِتَابِ ؛
وإما بأن تُصَدَّرَ بَوُصُولِهِ وهو الأَكْثَرُ .

كما كتب ابن عبد كان : وَصَلَ كِتَابُكَ فَدَفَعَ تَبَارِيحَ الشُّوقِ ، وَقَمَعَ كَابَةَ البَيْنِ ،
وَأطفَأَ لَهيبَ الحُرْقَةِ ، وَبَرَّدَ حَرَّ الصَّبَابَةِ .

وكما كتب : وَصَلَ كِتَابُكَ مُشْتَمِلاً من أنواعِ البرِّ ، عَلَيَّ ما يَقْصُرُ في جَنْبِ أَيْسَرِهِ
أَعْظَمُ الشُّكْرِ .

وكما كتب : وَصَلَ كِتَابُكَ المَصَدَّرُ بِجِوَاهِرِ لَفْظِكَ ، وَبِدَائِعِ مَعَانِيكَ ، وَمَحاسِنِ
نَظْمِكَ ؛ مُسْتودِعاً ما لا يُقَدَّرُ عَلَيَّ حَمْدُهُ وشُكْرُهُ إِلَّا بِالإِعْتِرافِ بالعِجْزِ عَنْهُ ؛ وما
أشبه ذلك .

المهيمع الثاني

(في خواتم الكتب)

وكان اختتامُ المكاتبات عند أهل هذا المصطلح على ما تقدم في مكاتبات أهل
المشرق من استماعة الرأي : إما بلفظ فإن رأيت :

كما كتب ابن عبد كان : فإن رأيت أن تأتي فيه مؤتلفاً، ما لم تزل تأتيه سلفاً، فعلت .
وإما بلفظ فرأيتك .

كما كتب : فرأيتك فيه بما أنت أهله ، فإن الرأي [الذي] أنت أهله ، فوق
ما يلتمسه المسرف في همته ، والمتبسط في أمنيته .

وكما كتب : فرأيتك في ذلك بما تقضي به الحق وتصل به الذمام ، وتحفظ به
الحرمة وتصدق به الأمل ، وتقتعد به الصنعة ، وتستوجب به الشكر .

المهيمع الثالث

(في عنوانات الكتب)

ومصطلحهم فيه على نحو ما تقدم في مكاتبات أهل المشرق : من كتابة إلى فلان
من فلان ، أو من فلان إلى فلان .

فأما ما يكتب إلى فلان من فلان . فكما كتب ابن عبد كان : للسيد الذي
استعبد الأحرار بفضله .

وكما كتب : لمن قرُّبه يمن وسعادةً ، ونأيه نكد ومحنة .

وأما ما يكتب من فلان . فكما كتب : من صريع الشوق إليه ، وأسير الرقبة عليه .

وكما كتب : ممن لا يمتنى الحير إلا له ، إذ كان لا يناله إلا به .

المصطلح الثاني

(من مصطلحات الديار المصرية ما كان عليه الحال في الدولة الأيوبية)

مما جرى عليه القاضي الفاضل ومن بعده . وهو على قسمين)

القسم الأول - الأبتداء : وليس لمصطلحهم ضابط في الأبتداء ولا في الترتيب في الرفعة والضعة ، بل أفتاحاتهم في ذلك متباينة .

فمن ذلك الأفتتاح بالدعاء ، وهو أكثر ما يقع في مكاتباتهم ، والغالب في ذلك الدعاء للمجلس ، كما كتب القاضي الفاضل إلى العماد الأصفهاني : أدام الله أيام المجلس التي لحسنات المدلّ مديله ، ولعثرات المقلّ مقليله ، ولمعاطف العزّ مئيله ، ولمقاطف الفوز مئيله ، ولقداح الجدوى مجيله ، ولا زالت الآراب بمكارمه باجحه ، والآراء بمراسمه ناجحه ، ومتاجر المفخر بمولاته راجحه ، وأيدي الآمال لآياديه بمصافاته مصاحفه ، وأرواح أوليائه بروح آلائه في مواطاة أعظياته عابقه فائحه ، وأدعية الداعين لآيامن آيامه ، المدعين لعهود إنعامه ، طيبة صالحه .

ومن ذلك أفتاح العماد الأصفهاني في اعتذار تأخر المكاتبات : إن تأخرت مكاتباتي ، فإن العذر معلوم ، والأجر محتوم ، والقلم مضدود ، واللحم مسدود ، والبدل محصور .

إلى غير ذلك من أساليبهم المشهورة التي لا يسع أستيعابها ، ولا حاجة إلى الإمعان في ذكرها .^(١)

(١) لم يذكر القسم الثاني وهو قسم الكلام على الخواتم ولم يترك له بياضا نعم يفهم ذلك مما تقدم في الكلام على الخواتم العمومية فنبه .

المصطلح الثالث

(من مصطلحات الديار المصرية في الإخوانيات، ماجرى عليه الاصطلاح في الدولة التركية، مما رتبته القاضي حمى الدين بن عبد الظاهر، والشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، والمقر الشهابي بن فضل الله، ومن جرى مجراهم: من فضلاء الكتاب إلى زماننا، مما هو دائر بين أعيان المملكة وأكابر أهل الدولة: من نواب السلطنة وسائر الأمراء والوزراء، ومن في معانهم: من أعيان الكتاب ومن نهج نهجهم من أرباب الوظائف)

وفيه مهيئات:

المهيئع الأول

(في رتب المكاتبات المصطلح عليها)

وقد اختلفت مقاصدهم في ترتيبها اختلافا متقاربا في الزيادة والنقص والتقديم والتأخير، مع مراعاة أصول المراتب. وها أنا أذكر ما استقر عليه الحال من ذلك، وأنبه على ماخالفه من ترتيبهم المتقدم الذكر: لتحصّل الإحاطة به، ويعلم ماجرى عليه أهل كل عصر منهم مما لعل مختارا يختاره، أو ينسج على منواله؛ منها على وهم من وهم في شيء من ذلك.

وأعلم أنهم قد بنوا هذا النوع من الإخوانيات على قاعدتين، تتعين معرفتهما قبل الخوض في رتب المكاتبات:

القاعدة الأولى — فيما يتعلق بورق هذه المكاتبات.

قد جرت العادة أن تكون جميع هذه المكاتبات: من الأعلى إلى الأدنى، ومن الأدنى إلى الأعلى، ومن النظر إلى النظر، في ورق قطع العادة دون ما فوقه من مقادير

قَطَعَ الورق المتقدمة الذكر ، غير أن أعيان أهل الديار المصرية يكتبون في الورق المِصرى ، وأعيان أهل الشام يكتبون في الورق الشامي : لكثرة وجوده عندهم ، والمعنى في ذلك أن كُتِبَ السلطان الصادرة عنه إلى جميع أهل المملكة من الثواب وغيرهم في هذا القطع ، فلا جائز أن تَعْلُوَ مكاتبة أحد منهم على مكاتبة السلطان في ذلك .

ثم قد أصطلحوا على أن يكون في أعلى المكاتبة عن كل أحد من أعيان الدولة قبل البسمة وصل واحد بياضا ، إذ كان أقل ما يجعل بياضا في كُتِبَ السلطان وصلين فاقصروا على وصل واحد ، كي لا يساويه غيره في ذلك . وأصطلحوا أيضا على أن لا تنقص المكاتبات المذكورة عن ثلاثة أوصال : الوصل الأبيض في أعلى المكاتبة على ما تقدم ، ووصلان مكتوبان : إذ لو نقص عن ذلك ، لخرج الكتاب في القصر عن الحد فيزدري ، أما لو دعت الضرورة إلى الزيادة على الثلاثة لزيادة الكلام فلا مانع منه . وأصطلحوا على أن يترك للكتاب حاشية بيضاء تكون بقدر ربع الدرّج على ما تقدم ذكره في غير هذا الموضع .

القاعدة الثانية - فيما يتعلق بخط هذه المكاتبات ، وكيفية أوضاعها .

قد أصطلحوا على أن جميع هذه المكاتبات تكتب بقلم الرقاع على ما تقدم ذكره في الكلام على قطع الورق [من] أن لقطع العادة قلم الرقاع . وأصطلحوا أيضا على أن تكون كتابة البسمة في أول الوصل الثاني من المكاتبة ، وأن يكون تحت الجلالة من البسمة لقب المكتوب عنه المضاف إلى ملكه أو أميره ، فإن كان المكتوب عنه من أتباع السلطان كثواب السلطنة وغيرهم من الأمراء والوزراء ومن في معناتهم من رؤساء الكُتّاب السلطانية ، كتب الملك الفلاني - بلقب ملكه السلطان ؛ مثل الملك الظاهري ونحو ذلك كما في هذه الصورة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَلِكِ الظَّاهِرِيّ

وإن كان المكتوبُ عنه من أتباع الأُمراء كاستدّار أميرٍ ونحوه، أنتسب في كتابته إلى لقب أميره الخاصِّ مما يُضَاف في التلقب إلى الدّين ؛ فإن كان أميره لقبه سيفُ الدّين مثلاً، كتَبَ بدلَ المَلِكِ الفلانيّ : السيفيّ ؛ وإن كان لقبُ أميره ناصر الدّين كتب الناصريّ ؛ وإن كان لقبه علاء الدّين كتب العَلّائيّ ؛ ونحو ذلك . وإذا كتب تحتَ الجلالة من البسملة المَلِكِ الفلانيّ ونحو ذلك ، جعل ما قبله في السطر بياضاً وما بعده بياضاً ، ويكون ذلك قطعةً من سطر مفردةً بذاتها . وأصطلحوا على أنه كلما دقَّ القلمُ وتقرّبتِ الأسطُرُ، كان أعلى في رتبة المكتوبِ إليه ، وكلما غلظَ القلمُ وتباعدتِ الأسطُرُ كان أنزلَ في رتبة المكتوبِ إليه . وأصطلحوا على أن في الرتبة العليّة من المكاتبات يكون السطرُ الأوّل من المكاتبَةِ تلوَ المَلِكِ الفلانيّ وما في معناه ملاصقاً له ، وفيما دونَ ذلك من المكاتبات يُتركُ بياضٌ يسير ، ولا يكتَبُ فيه شيءٌ ؛ وكأن المكتوبَ عنه يقولُ للمكتوبِ إليه هذا محلُّ العلامة ، ولكنّي قد تركت الكتابة فيه وكتبت بحاشية الكتاب تأديباً معك ورفعةً لقدرك ؛ وفيما دونَ ذلك يُتركُ بياضٌ أوسعُ من ذلك ويكتَبُ فيه المكتوبُ عنه علامته على ما سيأتي بيانه في مواضعه إن شاء الله تعالى . وأصطلحوا على أنه بعد انتهاء الكلام في المكاتبَةِ يكتَبُ ”إن شاء الله تعالى“ في خطّه ؛ ثم يكتَبُ التاريخُ في سطرين : اليومُ والشهرُ في سطر ، والسنةُ في سطر ؛ ثم تكتبُ الحمدُ والصلاةُ على النبيّ صلّى الله عليه وسلم في سطر ؛ ثم الحسبَةُ في سطر على ما تقدّم بيانه في الكلام على الفَوَاحِ والحوَاطِمِ في المقالة الثالثة .

وليعلم أن هذه المكاتبات على قسمين :

القسم الأول - الابتداءات ، وهو على أربع درجات سبق توجيه ترتيبها في الكلام على أصول المكاتبات ، في أول هذه المقالة

الدرجة الأولى - [المكاتبة] بتقيل الأرض ، وهي أعلاها رتبة بالنسبة إلى المكتوب إليه .

وأعلم أن كثيراً من كتّاب الزمان يظنون أن المكاتبة يقبل الأرض من مخترعات كتّاب الدولة التركية ، بل بعضهم يظن أنها من مخترعات المقرّ الشهابي بن فضل الله وليس كذلك ، بل المكاتبة بذلك كانت موجودة في أواخر الدولة العباسية ببغداد ، ثم سرت إلى الديار المصرية في أوائل الدولة الأيوبية ، فاستعملت بعض الاستعمال ، والمكاتبة بذلك موجودة في كلام القاضي الفاضل في بعض المكاتبات الملوكية ، ومن ذلك ما كتبه به عن نفسه إلى السلطان « صلاح الدين يوسف بن أيوب » في صدر كتاب تهنئة بمولود :

المملوك يقبل الأرض بالمقام العالی الناصري ، نصر الله الإسلام بمقامه ، وأهلك أعداء الحق بانتقامه ، ولا أعدم الأمة المحمدية عقد الزامه ، بكفالتها ومضاء اعترامه . ثم توسع فيه الكتاب بعد ذلك حتى كاتب به الآحاد بعضهم بعضاً ،

وقد رتبوا المكاتبة بتقيل الأرض في المصطلح المستقر عليه الحال على خمس مراتب :

المرتبة الأولى - الإتيان بالإنها بعد يقبل الأرض من غير تعرض لذكر دعاء ولاثناء ، مع مراعاة الاختصار وعدم السجع وتقارب السطور ، مثل أن يكتب بعد البسمة ولقب المكتوب عنه الذي تحت البسمة :

يُقْبَلُ الْأَرْضَ وَيُنْهَى كَيْتَ وَكَيْتَ ، وَسؤالُ الْمَمْلُوكِ مِنَ الصَّدَقَاتِ الْعَمِيمَةِ بِرُوزِ
 الْأَوَامِرِ الْعَالِيَةِ بِكَيْتَ وَكَيْتَ ، أَوْ وَالْمَمْلُوكِ يُعْرَضُ عَلَى الْآرَاءِ الْعَالِيَةِ كَيْتَ وَكَيْتَ ،
 وَنَحْوِ ذَلِكَ . وَيَخْتَمُّ الْكِتَابَ بِقَوْلِهِ : أَنْهَى ذَلِكَ ، أَوْ طَالَعَ بِذَلِكَ ، وَاللَّارَاءَ الْعَالِيَةَ مَزِيدُ
 الْعُلُوِّ ، وَيَعْبَرُ عَنِ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ فِي خِلَالِ الْمَكَاتِبَةِ بِالْمَمْلُوكِ . وَيَخْتَلِفُ الْحَالُ فِي خِطَابِ
 الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ : فَإِنْ كَانَ مِنْ أَرْبَابِ السُّيُوفِ وَهُوَ نَائِبُ سُلْطَنَةِ خُوطِبَ بِمَوْلَانَا
 مَلِكِ الْأَمْرَاءِ عَزَّ نَصْرُهُ أَوْ عَزَّ اللَّهُ أَنْصَارَهُ ، وَإِنْ كَانَ أَمِيرًا غَيْرَ نَائِبِ سُلْطَنَةِ ،
 خُوطِبَ بِمَوْلَانَا الْمُخْدُومِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَقْتَضِيهِ الْحَالُ ، وَإِنْ كَانَ وَزِيرًا رَبِّ سَيْفِ
 خُوطِبَ بِمَوْلَانَا الْوَزِيرِ ، وَإِنْ كَانَ وَزِيرًا رَبِّ قَلِمٍ ، خُوطِبَ بِمَوْلَانَا الصَّاحِبِ ،
 وَرَبِّمَا قِيلَ مَوْلَانَا الْوَزِيرِ ، وَإِنْ كَانَ قَاضِيًا خُوطِبَ بِمَوْلَانَا قَاضِيِ الْقَضَاةِ ، وَإِنْ كَانَ
 عَالِمًا كَبِيرًا ، خُوطِبَ بِمَوْلَانَا شَيْخِ الْإِسْلَامِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ مَشَائِخِ الصُّوفِيَةِ ، خُوطِبَ
 بِمَوْلَانَا شَيْخِ الشُّيُوخِ . وَعَلَى ذَلِكَ بِحَسَبِ الْمَرَاتِبِ وَالْوِظَائِفِ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ رَأْيُ
 الْكَاتِبِ بِمَا يُنَاسِبُ الْحَالَ .

وَالعنوانُ فِي هَذِهِ الْمَكَاتِبَةِ : الْفُلَانِيّ . مَطَالَعَةُ الْمَمْلُوكِ فُلَانٌ ، وَيَعْبَرُ عَنِ ذَلِكَ : بِالْفُلَانِيّ
 بِمَطَالَعَةٍ . وَقَدْ يَعْبَرُ عَنِ ذَلِكَ عَنِ نَفْسِ الْمَكَاتِبَةِ . وَصُورَتُهُ : أَنْ يَكْتُبَ فِي رَأْسِ ظَاهِرِ
 الْمَكَاتِبَةِ مِنَ الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ « الْفُلَانِيّ » بِاللَّغَبِ الْخَاصِّ بِالْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ، كَالسَّيْفِيّ ،
 وَالنَّاصِرِيّ ، وَالشَّمْسِيّ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ مَمْتَدًّا إِلَى نَحْوِ رُبْعِ عَرْضِ
 الدَّرَجِ ، وَتَحْتَهُ فُلَانٌ بِمَا يَقْتَضِي تَعْرِيفَهُ مِنْ وَظِيفَةٍ أَوْ شَهْرَةٍ . فَإِنْ كَانَ نَائِبَ سُلْطَنَةِ
 كَتَبَ تَحْتَ الْفُلَانِيّ : مَوْلَانَا مَلِكِ الْأَمْرَاءِ بِالْمَكَانِ الْفُلَانِيّ . وَإِنْ كَانَ وَزِيرًا كَتَبَ :
 مَوْلَانَا الْوَزِيرِ بِالْمَكَانِ الْفُلَانِيّ . وَإِنْ كَانَ قَاضِيًا قَضَاةً ، كَتَبَ : مَوْلَانَا قَاضِيِ الْقَضَاةِ

(١) لعله وقد يعبر بذلك عن نفس الخ تأمل .

المرتبة الثانية - أن يأتي بعد « يقبل الأرض » بذكر الدعاء دون الشاء مع تقارب الأسطر أيضا واجتناب السجع . وقد أصطلحوا في هذه المكاتبه على أن يكتبوا تحت البسملة مع لقب المكتوب عنه الذي هو الملكى الفلانى ونحوه لقب المكتوب إليه : كالسيفى ونحوه ، على سمت الملكى الفلانى من الجهة اليمنى مع بياض بينهما ، بحيث يقع بعض اللقب فى حاشية الكتاب ، وبعضه تحت أول البسملة على هذه الصورة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الملكى الظاهرى

السيفى

ثم يأتى بصورة المكاتبه بعد ذلك . ويختلف الحال فى هذه المكاتبه باختلاف حال المكتوب إليه ، فإن كان نائب سلطنة ، كتب « يقبل الأرض وينهى بعد رفع الأذعية الصالحة ، أو بعد آتبهاله إلى الله تعالى بالأذعية الصالحة ، تقبلها الله تعالى من المملوك ومن كل داغ مخلص ، ببقاء مولانا ملك الأمراء ، أو بدوام أيام مولانا ملك الأمراء ، وخلود سعادته ، ومزيد تأييده ، وعلو درجاته فى الدنيا والآخرة ، بمحمد وآله : أن الأمر كيت وكيت ، والمملوك يسأل الصدقات العقيمة ، أو الصدقات الكريمة ، أعز الله تعالى أنصارها بروز الأوامر المطاعة بكيت وكيت . ثم يقول : والمملوك مملوك مولانا ملك الأمراء وعبد بابه ونشأ إحسانه ، ويسأل تشریفه بمراسمه وخدمه ، أو والمملوك يستعرض المراسم الكريمة ، وانخدم العالية ، ليأدر إلى امثالها ، والقوز بقضائها ، أو والمملوك مملوك الأبواب العالية ونشؤها وغلأمها ، ويسأل دوام النظر الكريم عليه فى أحواله كلها ، ونحو ذلك مما يقتضيه الحال ، وقد جهز المملوك

بهذه المكتبة فلاناً أو مملوكه فلانا . فإن كان قد حمل كلامَ مشافهةً ، قال : وحمله من المشافهة ما يسأل الصدقةَ عليه بسماعه والإصغاءِ إليه ونحو ذلك . ثم يقول : طالعِ بذلك والرأى العالى أعلاه الله تعالى أعلى . وإن كان المكتوب إليه أميراً غير نائبِ سلطنة ، كتب « بدوام أيام مولانا المخدوم » بدل مولانا ملك الأمراء . وإن كان قاضياً ، كتب « ببقاء مولانا قاضى القضاة ، أو بدوام أيام مولانا قاضى القضاة » . وإن كان من مشايخ الصوفية ، كتب « ببقاء مولانا شيخ الشيوخ » ونحو ذلك ، وبقى المكتبة على ما تقدم بحسب ما يقتضيه الحال . والعنوانُ في هذه المكتبة « الأبوابُ الفلانية ، مطالعةُ المملوك فلان » ويعبر عن ذلك بالأبواب بمطالعة ، ويختلف الحال في ذلك باختلافِ حالِ المكتوبِ إليه : فإن كان المكتوب إليه نائبِ سلطنة ، كتب : الأبوابُ الكريمةُ ، العالمةُ ، المولويةُ ، الأميريةُ ، الكبيرةُ ، المالكيةُ ، المخدوميةُ ، الكافليةُ ، بلقبه الخاص كالسيفية ونحوها ، أعلاها الله تعالى فلان الفلانى ، باسمه وشهرته . وإن كان المكتوب إليه أميراً غير نائبِ سلطنة أسقط منه الكافلية . وإن كان وزيراً ربّ سيف ، كتب بعد الأميرية : الوزيرية . وإن كان وزيراً ربّ قلم ، أسقط الأميرية ، وكتب قبل الفلانية الصاحبية . وإن كان من رؤساء الكُتّاب ممن فى معنى الوزراء : ككتّاب السرّ ، وناظر الخاص ، وناظر الجيش ، ونحوهم ، أبدل لفظ الأميرية والوزيرية بالقاضوية . وإن كان قاضياً حُكْم ، أتى مع القاضوية قبل الفلانية بالحاكمية . وإن كان من مشايخ الصوفية أبدل القاضوية بالشيخية ونحو ذلك .

وصورته أن يكتب الألقاب من أول عَرْض الدَّرَج سطرًا إلى آخر المالكية ، ويخلّى بياضًا فى آخر السطر بقدر رُبْع الدَّرَج ، ثم يكتب المخدومية الفلانية فى أول

السطر الثاني مُلاصقًا للأول ، ثم يُحلى بياضًا يسيرًا ، ثم يكتب : أعلاها الله تعالى ، ثم يُحلى بياضًا يسيرًا ، ثم يكتب « فلان الفلاني » تحت آخر السطر الأول ؛ ثم يكتب في آخر الدَّرج من الجهة اليسرى بعد خلوِّ بياض « مطالعة المملوك فلان » ثلاثة أسطر على ما تقدم في العنونة بالفلاني بمطالعة كما في هذه الصورة :

الأبوابُ الكريمةُ ، العالِيَةُ ، المولويةُ ، الأميريةُ ، الكبيرةُ ، المالكيةُ ، مطالعة
المخدوميةُ ، السيفيةُ أعلاها الله تعالى أمر دَوَادار الظاهري المملوك
فلان

والعلامة « المملوك فلان » بقلم ضئيلٍ مُسامتٍ يقبلُ كما في المكتبة قبلها .

قال في « التثقيف » : وبهذه المكتبة يُكتب عن أكابر أمراء الديار المصرية إلى نائب الشام وحلب فيما أُظنُّ .

قال : وكذلك كان يكتب المقرُّ العلاءيُّ بن فضل الله كاتب السرِّ الشريف إلى المشار إليه ، يعني نائبَ حلب ، إلا أنه كان يكتب له العلامة أسفل الكتاب دونَ أعلاه .

قلت : وعلى هذا يكون للعلامة في هذه المكتبة رُتبتان ، إن عظمه ، كتب له العلامة على سُمْتٍ يقبلُ ، وإلا ففى أسفل الكتاب ، ومن ثم ذكرت قولَ صاحب « التثقيف » هنا وإن كان محله رُتَب المتكاتبين على ما سيأتي ذِكره في موضعه إن شاء الله تعالى .

المرتبة الثالثة — أن لا يكتب في أول المكتبة عن يمين أسنل البسمة الفلاني ويأتي بذكر الدعاء والثناء مسجوعًا ؛ مثل أن يكتب بعد البسمة ولقب المكتوب عنه الذي هو المَلِكُ الفلاني : يقبل الأرض ، ويُنبهى بعد رَفَعِ دعائه ، وإخلاصه في محبته وولائه ، وأعترافه بإحسان مولانا وجزيل آلائه ؛ أن الأمر كيت وكيت ؛

والمملوك يسأل إحسان مولانا، أو صدقات مولانا، أو إحسان المخدم، أو صدقاته في كِتَ وكِتَ ، ثم يقول : والمملوك فهو مملوك مولانا ومُجِبُّهُ ، والداعي لإحسانه ، ويسأل تشريفه بمراسيمه وخدمه ، وقد جهز المملوك بهذه العبودية فلانا ، أو مملوكه فلانا ، وحمّله من الدعاء والولاء ما ينهيه من لسانه ، ويُعرب عنه بيانه ، أو وقد حمّاه المملوك ما يقوم عنه به في إنهائه ، من رصف الأديعة ، ووصف الأثنية ، والمملوك يسأل الإصغاء إليه ، والتشريف بالمراسيم العالية والمخدم الكريمة : ليفوز بإقبالها ، ويأدر إلى أمثالها . طالع بذلك ، أو أنهى ذلك ، أو والمملوك يستعرض المراسيم العالية ، والمخدم الكريمة المتواليه : ليتشرف بقضائها ، ويتشوف إلى إمضائها .

صدر آخر : وينهى بعد رفع الأذعية ، وبث المحامد والأثنية ، والمؤالاة التي يحمل منها على الألوية ، أن الأمر كِتَ .

آخر : وينهى بعد رفع دعائه الذي لا يفتر لسانه عن رفعه ، ولا يخفى إن شاء الله إبان نفعه ، وأبتهاله الذي يرفع السحب ، وشوقه الذي يهدي النجب ، أن الأمر كِتَ وكِتَ .

آخر : وينهى بعد دعائه المقبول ، وشوقه الذي لا يحول عنه ولا يزول ، وسلامه الذي يعجز عن شرحه القلم ويضعف عن حمّاه الرسول .

آخر : وينهى بعد دعاء يرفعه بالغدو والآصال ، وولاء لا يتغير مادامت الأيام والليال ، وثناء أطيب من عرف الروض إذا مرّ عليه نسيم الشمال ، أن الأمر كِتَ وكِتَ .

آخر : وينهى بعد رفع الدعاء . ونصب لواء الولاء . وجر ديول الفخر بالانتساب إلى عبودية مولانا والاعتناء . أن الأمر كِتَ وكِتَ .

آخِرَ : وَيُنْهَى بَعْدَ دَعَائِهِ الْمَرْفُوعِ ، وَثَنَائِهِ الَّذِي هُوَ كَالْمَسْكَ يَضُوعٌ ، وَشُكْرِهِ الَّذِي يُسْمَعُ مِنْهُ وَيُسْمَعُ أَطِيبٌ مَسْمُوعٌ ، أَنَّ الْأَمْرَ كَيْتَ وَكَيْتَ .

وَالْعُنْوَانُ لِهَذِهِ الْمَكَاتِبَةِ «الْأَبْوَابُ الْفَلَانِيَّةُ» بِغَيْرِ مَطَالَعَةٍ ، وَيَخْتَلِفُ الْحَالُ فِيهِ : فَإِنْ كَانَ الْمَكْتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَرْبَابِ السُّيُوفِ وَهُوَ نَائِبُ سُلْطَنَةٍ ، كَتَبَ «الْأَبْوَابُ الْكَرِيمَةُ ، الْعَالِيَةُ ، الْمُؤَلَوِيَّةُ ، الْأَمِيرِيَّةُ ، الْكَبِيرِيَّةُ ، السَّيْدِيَّةُ ، الْمَالِكِيَّةُ ، الْمَخْدُومِيَّةُ ، الْكَافِلِيَّةُ ، الْفَلَانِيَّةُ ، أَعْلَاهَا اللَّهُ تَعَالَى» ثُمَّ يَقَالُ : نَائِبُ السُّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ الْمَحْرُوسَةِ ؛ أَوْ كَافِلِ الْمَمْلَكَةِ الْفَلَانِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ ؛ وَبَاقِي عُنْوَانَاتِ أَرْبَابِ الْوِظَائِفِ : مِنْ أَرْبَابِ السُّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي الْعُنْوَانَةِ بِالْأَبْوَابِ بِمَطَالَعَةٍ .

وَصُورَةٌ وَضَعَهُ أَنْ يَكْتُبَ «الْأَبْوَابُ الْكَرِيمَةُ إِلَى آخِرِ الْكَافِلِيَّةِ» مِثْلًا سَطْرًا وَاحِدًا مِنْ أَوَّلِ عَرَضِ الدَّرَجِ إِلَى آخِرِهِ ؛ ثُمَّ يَكْتُبُ «الْفَلَانِيَّةُ أَعْلَاهَا اللَّهُ تَعَالَى» فِي أَوَّلِ السَّطْرِ الثَّانِي مَلَاصِقًا لَهُ ؛ ثُمَّ يَتْرِكُ بِيَاضًا قَدْرَ رَأْسِ إِبْهَامٍ ؛ ثُمَّ يَكْتُبُ فِي آخِرِ السَّطْرِ الثَّانِي «كَافِلِ الْمَمَالِكِ الشَّرِيفَةِ الْفَلَانِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ» كَمَا فِي هَذِهِ الصُّورَةِ :

الْأَبْوَابُ الْكَرِيمَةُ ، الْعَالِيَةُ ، الْمُؤَلَوِيَّةُ ، الْأَمِيرِيَّةُ ، الْكَبِيرِيَّةُ ، السَّيْدِيَّةُ ، الْمَالِكِيَّةُ ، الْمَخْدُومِيَّةُ ، الْكَافِلِيَّةُ ، السَّيْفِيَّةُ ؛ أَعْلَاهَا اللَّهُ تَعَالَى

كَافِلِ الْمَمَالِكِ الشَّرِيفَةِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ

وَالْعَلَامَةُ فِي ذَيْلِ الْكِتَابِ مُقَابِلَ تَحْتِ الْبَسْمَلَةِ بِقَلَمِ الرَّقَاعِ «الْمَمْلُوكُ فُلَانٌ» وَكَأَنَّهِمْ لَمَّا أَنْحَطَّتْ رُتْبَةُ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ عَنْ أَنْ تُكْتُبَ الْعَلَامَةُ إِلَيْهِ عَلَى سَمْتِ «يَقْبَلُ» لِيَكُونَ فِي مَعْنَى الْقِصَّةِ كَمَا تَقَدَّمَ ، أَخَذَ الْمَكْتُوبُ عَنْهُ فِي التَّنَازُلِ إِلَى آخِرِ الْمَكَاتِبَةِ تَوَاضِعًا لِلْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ وَتَأْدُبًا مَعَهُ .

قَالَ فِي «التَّحْقِيفِ» وَبِذَلِكَ كَانَ يُكْتُبُ عَنِ الْأَمِيرِ يَلْبُغَا الْعَمْرِيِّ : يَعْنِي الْخَاصِصِكِيَّ وَهُوَ أَتَابِكُ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَى نَائِبِ الشَّامِ وَحَلَبَ .

قال : وكذلك كتب بعده إلى المذكورين : الأمير منكلي بغا ، والأمير الجاى ،
وتُواب السلطنة بالديار المصرية .

المرتبة الرابعة - أن يأتى بصدر المكاتبه على ماتقدم فى المكاتبه قبلها من
الابتداء بيقبل الأرض وينهى بعد رفع دعائه وما فى معناه على ماتقدم من غير فرق :
ولا يختلف الحال فى الصدر ولا فى متن الكتاب ، والعنوان «الباب الكريم» ولا يكون
إلا بغير مطالعة . فإن كان المكتوب إليه من أرباب السيوف ، كتب «الباب
الكريم ، العالى ، المولى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ،
المالكي ، المخدمى ، الفلانى ، أعلاه الله تعالى ، فلان الفلانى - باسم المكتوب إليه .
وإن كان من أرباب الأقلام أو غيرهم فعلى ماتقدم فى «الأبواب بمطالعة» من إبدال
الأميرى بالقضائى ، أو الشيخى ، وزيادة قاضى الحكم الحاكم قبل الفلانى .

وصورة وضعه : الباب الكريم - بالألقاب المتقدمة إلى آخر المالكي سطرًا
واحدًا من أول عرض الدرج إلى آخره ، ثم يكتب المخدمى الفلانى أعلاه الله تعالى
فى أول السطر الثانى ، ويترك بياضًا ، ثم يكتب فلان الفلانى باسم المكتوب إليه
أو شهرته كما فى هذه الصورة :

الباب الكريم العالى ، المولى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، المالكي .
المخدمى ، السيفى ، أعلاه الله تعالى
بهادر أمير اخور الأشرفى .

تنبيه - كل ما كان العنوان فى الباب الكريم ، كان العنوان فى للمسافر «المخيم»
بدل الباب . وبقى الألقاب على حالها كما نبه عليه فى «التثقيف» وغيره ، والعلامة
فى آخر المكاتبه مقابل حسبي الله ؛ إذ لما كانت العلامة فى أسفل الكتاب مقابل

تحت الحَسْبِلَة كانت العلامةُ فيما فَوْقَ ذلك أنزَلَ في رُتْبَة المكتوب إليه وأعلى
في رُتْبَة المكتوب عنه .

المرتبة الخامسة - يُقْبَلُ الأرض بالمقر الشريف . والرسمُ فيه أن يترك بعد
البسمة وما تحتها من الملكى الفلانى قدرَ سطر أو سطرين بياضاً ، ثم يكتب يقْبَلُ
الأرض بالمقر الشريف ، ويختلف الحال فيه : فإن كان المكتوب إليه من أرباب
السُّيوف ، كتب « يقْبَلُ الأرض بالمقر الشريف ، العالى ، المولوى ، الأميرى ،
الكبرى ، العالى ، العادلى ، المؤيدى ، الذخرى ، الظهيرى ، المسندى ، الزعيمى ،
المالكي ، المخدومى ، الفلانى ، أعزَّ الله تعالى أنصاره ، وأعلى مناره ، وضاعف مباره ،
ويُنْهَى بعد وصف محبته ، وبث أثنيته ، كيت وبيت ، والمسئول من إحسانه
كيت وكيت » وربما كتب : « والمملوك يسأل كيت وكيت » كما فى المكاتبات
السابقة ، أو « والمملوك يسأل تشريفه بمراسمه وخدمه ، والله تعالى يُديم عليه
سوايغ نعيمه » .

دعاء آخر لهذه المكاتبه : أعزَّ الله تعالى أنصاره ، وأدام أنتصاره ، وجعل
على غايات النجوم اقتصاره ، ويُنْهَى .

آخر : لازلن الرقابُ لمهابته خاضعه ، والركابُ به فوق النجوم واضعه ،
وأجنته السيوف بمضاربه من ماء الأعداء راضعه ، ويُنْهَى .

آخر : لازلن أعلامه مُشرفه ، وأقلامه مُصرفه ، وأيامه بطيب ثنائه بين
الخافقين معرفة .

آخر : لازلن الدنيا ببقائه مجمله ، والعليا لارتقائه مؤمله ، والنعم
على اختلافها جواهر مكله ، ويُنْهَى .

قلت وربما أتى بصورة الإنهاء مسجوعة أيضا، مثل أن يكتب : وَيُنْهَى بعد
نَعْبْدَهُ بِوَلَائِهِ ، وقيامه بحقوق آلائه . أو وَيُنْهَى بعد دعاء يقوم بوظائفه ، وولاء يتردى
بمطارفه . أو وَيُنْهَى بعد رَفَعِ أَدْعِيَتِهِ ، وقَطَعَ العُمُرَ في مَوَالِيهِ وِعُبُودِيَّتِهِ ، ونحو ذلك .
وعلى ذلك جرى في " عرف التعريف " إلا أن الغالب في كتابة أهل الزمان
إهماله . والعنوان إن قصد تعظيمه : البابُ العالى - بألقاب الباب الكريم
في المكتبة قبلها ، إلا أنه يُحذف منها الكريم . وإن لم يُقصد تعظيمه فالمقرُّ الشريف
بالألقاب التي في صدر الكتاب . وصورة وضعه في الباب العالى على ما تقدم
في الباب الكريم : أن يأتى به في سطرَيْنِ كاملين من أول عَرَضِ الدَّرَجِ إلى آخره ،
كما في هذه الصورة :

المقرُّ الشريف ، العالى ، المولوى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، الذخرى ، الظهيرى ،
المسندى ، الزعيمى ، المالكى ، المخدومى ، السيفى ، أعزَّ الله تعالى أنصاره أمير حاجب بالشام المحروس
والعلامة في هذه المكتبة « المملوك فلان » بقلم الرقاع ، بأسافل الكتاب ، مقابل
إن شاء الله تعالى .

وأعلم أن هذه المراتب الخمس هي الدائرة في المكتبات بين كُتَّابِ زماننا بمملكة
الديار المصرية وما جرى على نهجها ، والمعنى في ترتيبها على هذا الترتيب أنه في المرتبة
الأولى منها حُذِفَ الدعاء والثناء المقتضيان للدلالة من المكتوب عنه على المكتوب
إليه ، وأقتصر على السير من الكلام دون الكثير الذى فيه سامة المكتوب إليه
وإضجاره ، عند قراءة الكتاب ، وعُنوانت بالفلانى كالسيفى ونحوه ، من حيث
إنه لَقَبٌ مؤدِّ إلى رِفْعَةٍ ، وأتى فيه بمطالعة المملوك فلان ، إشارة إلى التصريح بالرقِّ
والعبودية من المكتوب عنه للمكتوب إليه مع إقامته في مقام الرِّفْعَةِ بذكر لقبه
المؤدى إلى رِفْعَةٍ قدره - وفي المرتبة الثانية أتى فيها بالفلانى داخل المكتبة دون

العنوان فكانت أنزل مما قبلها : من حيث إن العنوان ظاهرٌ وباطن المكاتبة خفيٌ والظاهر المؤدى إلى الرفعة أعلى من الخفي من ذلك ، وأتى بالدعاء فكانت أنزل رتبةً من التي قبلها لما تقدم من أن الدعاء فيه معنى الدالة ، واجتنب فيه السجع من حيث إن في الإتيان به تفصيلاً على المكتوب إليه ، وعنون بالأبواب إشارة إلى شرف محل المكتوب إليه من حيث الإشعار بأن له أبواباً يوقف عليها ، وجعلت دون المرتبة الثانية من حيث إن العنونة في المرتبة الأولى باللقب المؤدى إلى الرفعة مع دلالة على الذات . وفي الثانية عنون بالأبواب الموصلة إلى محل الشخص ، ولا يخفى أن ما دل على نفس الشخص أعلى مما هو موصل إلى محله ، وأتى فيها بمطالعة المملوك فلان إشارة إلى التصريح للمكتوب إليه بالرق والعبودية كما تقدم في المرتبة الأولى - وفي المرتبة الثالثة حذف منها الفلاني المؤدى إلى الرفعة من داخل المكاتبة فكانت أنزل من التي قبلها فأتى فيها بذلك ، وأتى بالدعاء مسجوعاً فكانت أنزل مما قبله لما في السجع من التفصيح على المكتوب إليه ، وأسقط من عنوانه مطالعة المملوك فلان فكانت أنزل من حيث إنه لم يقع فيه تصريح برق وعبودية كما في المرتبة الأولى والثانية - وفي المرتبة الرابعة بقى الصدر على حاله وعنون فيها بالباب بلفظ الإفراد ، فكانت أنزل مما قبلها ، من حيث إن الإفراد دون الجمع بدليل أنه بعض من أبعاضه - وفي المرتبة الخامسة قيل يقبل الأرض بالمقر ، يعني مقر المكتوب إليه ، فكانت أنزل مما قبلها من حيث إشعار ذلك بالقرب من محله بخلاف يقبل مطلق الأرض فإنه لا ينحصر في ذلك ، ثم إن عنونت بالباب العالی مجرداً عن الكريم ، كانت أنزل مما عنون فيه بالكريم لما جرى عليه الاصطلاح من رفعة رتبة الكريم العالی

(١) لعله دون المرتبة الأولى ، ومراده أن العنونة بالأبواب أقل من العنونة بالألقاب للعللة التي ذكرها .

(٢) مراده - يقبل الأرض بغير أن تقيم بالمقر .

على العالى المجرد عن الكريم ، على ما تقدم في الكلام على الألقاب في المقالة الثالثة ، وإن عُنوت بالمقرّ الشريف فهي على أنحطاط الرتبة عما قبلها من حيث إشعاره بقرب المحلّ من المكتوب إليه . على أن في عنونة هذه المكتبة بالمقرّ الشريف نظراً ، فإن أعلى مراتب الأبتداء في المكتبة بالدعاء هي الدعاء للمقرّ الشريف ، وهو بعد تقبيل الباسط والباسطة واليد على ما سيأتي ذكره في الدرجة الثالثة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

فربما التبس عنوان هذه بعنوان تلك قبل فضاها ، والوقوف على صدرها هل هو مفتتح يقبل الأرض بالمقرّ أو بالدعاء للمقرّ ، إلا أن كتاب الزمان قد رفضوا المكتبة بالدعاء للمقرّ الشريف واقتصروا على الدعاء للمقرّ الكريم ، إذ كان هو أعلى ما يكتب به عن السلطان لأكابر أمراء المملكة على ما تقدم ذكره في الكلام على مكاتبات السلطان إلى أهل المملكة في المقالة الرابعة .

قلت : وفي الدساتير المؤلفة في الإخوانيات في الدولة التركية في الزمن السابق ما يخالف بعض هذا الترتيب ، فجعل في " عرف التعريف " أعلى المراتب يقبل الأرض وينهى كيت وكيت ، والعنوان « الفلاني بمطالعة » على ما تقدم ذكره في الترتيب السابق . ودونه : الصدر بعينه ، والعنوان « الأبواب بمطالعة » . ودونه : كذلك والعنوان « الأبواب » بغير مطالعة . ودونه : « يقبل الأرض بالمقرّ الشريف ، والعنوان إما الباب العالى أو المقرّ الشريف » .

وفي دستور يعزى لبعض بني الأثير أن أعلى المراتب يقبل الأرض وينهى كيت وكيت على ما تقدم . ودونه . « يقبل الأرض ويدعو مثل يقبل الأرض وينهى بعد رفع دعائه الذي لا يفتّر لسانه عن رفعه ، ولا يخفى إن شاء الله إبان

نَفَعَهُ . . ودونه : « يَقْبَلُ الْأَرْضَ وَيَدْعُو لَهَا ، مِثْلُ : يَقْبَلُ الْأَرْضَ حَمَاهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ الزَّمَانِ ، وَآكْتَنَفَهَا بِالْأَمَانِ ، مِنْ صُرُوفِ الْحَدَثَانِ ، وَلَا زَالَتْ مِحْطٌ وَفُودَ الْجَدَا ، وَكَعْبَةَ قُصَادِ النَّدَا ، وَيُنْهَى كَيْتَ وَكَيْتَ » . ودونه « يَقْبَلُ الْأَرْضَ وَيَصِفُهَا ، مِثْلُ أَنْ يَكْتُبَ : يَقْبَلُ الْأَرْضَ الَّتِي هِيَ مُلْجَأُ الْعَفَاةِ ، وَمَلْتَمَّ الشَّفَاةِ ، وَمَحَلُّ الْكَرَمِ الَّذِي لَا يَنْجِبُ مَنْ اقْتَفَاهُ ، وَمَقْصِدُ الرَّاجِي الَّذِي إِذَا عَوَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ ، وَيُنْهَى كَيْتَ وَكَيْتَ » . ودونه « يَقْبَلُ الْأَرْضَ وَيَدْعُو لَهَا ، مِثْلُ أَنْ يَكْتُبَ : يَقْبَلُ الْأَرْضَ لِأَزَالَتْ مُحْرُوسَةَ الرَّحَابِ ، هَامِيَةَ السَّحَابِ ، فَسِيحَةَ الْجَنَابِ ، لَمَنْ أَنْابَ ، وَيُنْهَى كَيْتَ وَكَيْتَ » .

وجرى في "التثقيف" على الترتيب المتقدم في المرتبة الأولى والثانية والثالثة والرابعة على ما تقدم في المراتب الخمس السابقة، وجعل المرتبة الخامسة يقبل الأرض مع وصفها على ما تقدم في الدستور المنسوب لبعض بني الأثير مع العنونة بالباب العالي، وجعل يقبل الأرض بالمقر الشريف مرتبة سادسة مع العنونة بالباب العالي أو المقر الشريف .

وفي غير هذه الدساتير ما يخالف بعض ذلك في الترتيب والتقديم والتأخير؛ وفي بعض الدساتير بعد تقبيل الأرض تقبيل العتبات، مثل أن يكتب : يَقْبَلُ الْعَتَاتِ الْكَرِيمَةَ ، لِأَبْرَحَتِ مَطْلَعِ السُّعُودِ ، وَمَنْبَعِ الْجُودِ ، وَمَهْيَعًا لِلْقَامِ الْحُمُودِ . أو : يَقْبَلُ الْعَتَاتِ الْكَرِيمَةَ ، لِأَزَالَتِ الْأَفْلَاكِ تَمَّتْ بِهَا تَحْفٌ ، وَأَنَّهَا لِنَجُومِهَا إِلَيْهَا بِحَوْضِ الْوَالِدِينَ (؟) تَرْفٌ . أو : يَقْبَلُ الْعَتَاتِ الْكَرِيمَةَ ، لِأَزَالَتِ الْأَمَالِ بِهَا مُطِيفُهُ ، وَالسُّعُودِ لَهَا حَلِيفُهُ ، وَسَعَادَتِهَا لِأَسْتِخْدَامِ كُلِّ ذِي إِمَامٍ مُضِيفُهُ .

هذه المرتبة تقدمت قبل بأسطر إلا أن يكون انحطاطها من حيث صيغة الدنا. تأمل .

ولا يخفى أن بعض هذه الاختيارات غير مُحكَّم الأساس، ولا موضوع على أصل يقتضى صحة الترتيب فيه، بل الكثير من ذلك راجع إلى التشبُّه، كلما تقدم متقدم في دولة من الدول أحب أن يؤثر مخالفة غيره، ويجعل له شيئاً يُخدِّثه لينسب إليه ولا يبالي وافق في ذلك غرضاً صحيحاً أم لا، وقيل من يصيب الغرض في ذلك . على أن تقديم بعض هذه المراتب على بعض في العلوِّ والهبوط إنما هو من جهة استحسانه، لو تكلف المتكلف تأخير ما تقدم فيها أو تقديم ما أخر، لأمكنه ذلك .

الدرجة الثانية

(المكاتبه بتقيل اليد، وقد رتبوا ذلك على ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى - يُقبل الباسط الشريف، وهي الأعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه . والرسم فيها أن يترك الكاتب تحت المَلِكِيّ الفلاني بعد البسملة قدر سطرين بياضاً كما في المسألة قبلها، ويختلف الحال في ذلك : فإن كان المكتوب إليه من أرباب السيوف، كتب : يقبل الباسط الشريف، العالى، المولوى، الأميرى، الكبيرى، العالمى، العادلى، المؤيدى، السيدى، المالكى، المخدومى، المحسنى، الفلانى، لزالته ساحته مقبله، وسماحته مؤمله، وينهى بعد وصف خدومه، وثبوت قيامه فيها على قدمه، أن الأمر كيت وكيت، والمسئول من إحسانه كيت وكيت، والله تعالى يحرسه بمنه وكرمه .

دعاء آخر : يليق بهذه المكاتبه، يقال بعد تكملة الألقاب : لزالته نعمه باسطه، وأيامه لعقود الأيام واسطه، وينهى كيت وكيت .

(١) يعنى المرتبة الخامسة .

آخر : لآزال جناح كرمه مبسوطا ، وجناب حرمه من المخاوف محوطا ،
ويُنهي كيت وكيت .

آخر : لآزال يُصرف الأئنة والأسنه ، ويقلد أعناق أعدائه كُلك أجل
وأعناق أودائه كُلك منه ، ويُنهي .

آخر : لآزالت حمائل السُيوف تتسابق إلى بنانه ، وأعقاب الرماح تآوي
إلى أنامله : لُيُمكنها من قلوب أعداء الله يوم طعانه ، ومُتون الخيل متحصنة بعزائم
فيقوى جنانها بجنانه .

آخر : لآزالت رحي حرويه على أعدائه تُدار ، وأسنة رماحه تُادي الأعداء
البِدَار البِدَار ، وجنوده تقاتل سفرة الوجوه إذا قاتل الأعداء في قُرى محصنة أو
من وراء جدار .

آخر : لآزالت أعلام النصر معقودة بأعلامه ، وجواري اليم السعيد معدودة
من خدامه ، وسطور البأس والكرم مُثبتة إما بأقلام الخط من رماحه وإما برماح
الخط من أقلامه .

آخر : لآزالت الأئنة والأسنه طوعَ يمينه وشماله ، والآمال والأحوال
تحت ظلال كرمه وكرم ظلاله ، والسُيوف والأقلام : هذه جارية بعوائد بأسه ،
وهذه جارية بعوائد نواله .

آخر : ولازالت وجوه النصر تترأى في مرناة صفاحه ، وثمار النصر تُجنى
من أغصان رماحه ، ولا برح السُيف والقلم يتباريان في ضرر الأعداء بآسه ونفع
الأولياء بسماحه — وإن كان المكتوب إليه وزيراً رب سيف ، كتب بعد الأميرى
«الوزيرى» — وإن كان وزيراً رب قلم . كتب قبل الفلانى أيضا الصاحبى —

وإن كان من أعيان الكُتَّاب : ككاتب السَّرِّ وناظر الخاصِّ وناظر الجيش وناظر
الدَّولة وکُتَّاب الدَّست ونحوهم ، كتب بدل الأميری القَضائيّ ؛ ثم يكتب للجميع
بعد الوزير أو القضاة ؛ العالمیّ ، العادليّ ، الممهّديّ ، المشيّدیّ ، المالکیّ ،
المخدومیّ ، المحسینیّ ، الفلانیّ ؛ أسبغ الله تعالى ظلاله ومدّها ، وشيّد به مباني الملك
وشدّها ، ووهب الأيام منه هبةً لا تستطيع الليالي ردّها ؛ وينهى كيت وكيت .

دعاء آخر يليق بهذه المكتبة ، يقال بعد تكملة الألقاب ، ولا زالت أقلامه
تُرَوِّع الأسد في آجامها ، وتزيد على الغيوث في أنسجامها ، وتعلم الرِّماح الإقدام
إذا نكصت لإحجامها ، وينهى .

آخر : ولا زالت الدول مشيّدَةً بتصرفه ، مجدّدةً لتصرفه ، مؤيّدَةً بين صرير
القلم وصريره .

آخر : ولا زالت أقلامه تهزأ بالغيوث الهامية ، وأنعامه تفوق على البحار
الطامية ، وموارد إحسانه تأوى إليها الوفود الظامية .

آخر : وأدام القصد لبابه ، ونزول الآمال برحابه ، وصعودها إلى سبحابه .

آخر : لا زال فسيحا للمفاسد جنابه ، مجرّبا للمناجح بابه ، صريحاً في آبتغاء خير
الدنيا والآخرة طلابه — وإن كان من القضاة الحُكَّام ، كتب : يُقبَّل الباسط
الشريف ، العالی ، المولوی ، القضاة ، العالمیّ ، الإمامیّ ، العلّامیّ ، السيّدیّ ،
المالکیّ ، المخدومیّ ، المحسینیّ ، الحاکیّ ، الفلانیّ ؛ أعزَّ الله تعالى أحكامه ،
وجمّل به الدهر وحكامه ، وثبّت به الأمر وزاد إحكامه ، وينهى كيت وكيت .

دعاء آخر يناسبه . يقال بعد تكملة الألقاب : أعزَّ الله تعالى أحكامه وأنفدّها ،
وتدارك به الأمة وأنقذّها ، وأسعف به الملة الإسلامية وأسعدّها ، وينهى .

آخر : نَضَّرَ اللهُ الدِّينَ بِنُورِهِ ، وَسَقَى الْغَنَامَ بِأَقْيَ سُوْرِهِ ، وَحَمَى حِمَى الشَّرْعِ الشَّرِيفِ بِمَا ضَرَبَ عَلَيْهِ مِنْ سُوْرِهِ .

آخر : وَجَمَلَ الدَّهْرَ بِمَنَاقِبِهِ ، وَزَيَّنَ سَمَاءَ الْعِلْمِ بِكَوَاكِبِهِ ، وَلَا زَالَ الزَّمَانُ يَقُولُ لِمَنْصِبِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ بِشَخْصِهِ وَرَأْيِهِ : * عِزُّ يَدُومٌ وَإِقْبَالٌ لِصَاحِبِهِ * .

آخر : وَأَمْضَى بِيَدِهِ سُيُوفَ الشَّرْعِ الَّتِي هِيَ أَقْلَامُهُ ، وَأَعْلَى طُرُوسِ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ فَإِنَّهَا أَعْلَامُهُ ، وَلَا زَالَتْ يَدُ الْقَصْدِ مُشِيرَةً إِلَيْهِ ، وَلَا يَنْعَقِدُ إِلَّا عَلَى ثَنَائِهِ خَنْصِرٌ وَلَا يَنْجَلِي إِلَّا بِهُدَاهِ إِبْهَامٌ .

آخر : وَسَدَّدَ سِهَامَ الْحَقِّ بِأَقْضِيَّتِهِ ، وَشَيَّدَ أَرْكَانَ الشَّرْعِ بِأَبْنِيَّتِهِ ، وَأَيَّدَ الْإِسْلَامَ بِأَقْلَامِ سَجِيَّاتِهِ الْقَائِمَةِ لِلنَّصْرِ مَقَامَ أُلُويَّتِهِ – وَإِنْ كَانَ الْمَكْتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ مَشَائِخِ الصُّوفِيَّةِ ، كَتَبَ : يُقْبَلُ الْبَاسِطُ الشَّرِيفُ ، الْعَالِيُ ، الْمَوْلَوِيُّ ، الشَّيْخِيُّ ، الْإِمَامِيُّ ، الْعَالِمِيُّ ، الْعَامِلِيُّ ، الْخَاشِعِيُّ ، النَّاسِكِيُّ ، الْسَيِّدِيُّ ، الْمَالِكِيُّ ، الْمَخْدُومِيُّ ، الْمُحْسِنِيُّ ، الْفَلَانِيُّ ؛ لَا زَالَ يِقَاتِلُ بِسِلَاحِهِ ، وَيُقَابِلُ فِسَادَ الدَّهْرِ بِصَلَاحِهِ ، وَيَجْلُو دُجَى الظُّلْمَاءِ بِصَبَاحِهِ ، وَيُنْهِى .

آخر : وَنَفَعَ بِبَرَكَاتِهِ فِي الرُّوحَاتِ وَالغَدَوَاتِ ، وَجَمَلَ بِبِقَائِهِ الْمَحَافِلَ وَالْمَلَوَاتِ ، وَبَسَطَ فِي صَاحِ الدُّوَلِ [يَدَهُ] : إِمَامًا فِي مَبَاشَرَتِهِ بِصَالِحِ التَّذْيِيرِ وَإِمَامًا فِي أَنْقِطَاعِهِ بِصَالِحِ الدَّعَوَاتِ .

والعنوان في هذه المكاتبة «الباسط الشريف» بالألقاب التي في صدر المكاتبة على السواء، والدعاء له بأول سبعة من دعاء الصدر أو نحوها، بحسب حال المكتوب إليه ، مثل أن يكتب لمن هو من أرباب السيوف ، أعزَّ اللهُ تعالى نصره ، أو عزَّ

نَصْرُهُ . ولن هو من رؤساء الكُتَّاب : أسبغ الله ظلاله . ولن هو قاضى حُكْم :
أعزَّ الله أحكامه . ولن هو من مشايخ الصوفية : أعاد الله من بركاته .

وصورة وضعه في الورق أن تكتب الألقاب والدعاء والتعريف في سطرين
كاملين من أول عرض الورق إلى آخره ، إلا أنه يفصل بين الألقاب والدعاء
ببياض لطيف ، وبين الدعاء والتعريف ببياض لطيف كما في هذه الصورة .

الباسط الشريف ، العالى ، المولوى ، الأميرى ، الكبرى ، العالمى ، العادلى ، المؤيدى ، السيدى ،
المالكي ، المخدومى الحسينى ، الفلانى أعزَّ الله أنصاره أمير حاجب بحلب المحروسة

وقد ذكر في "عرف التعريف" : أنه إن قصد تعظيمه ، عنونه بالمقر الشريف
بالألقاب المتقدمة على السواء ، ولا تخفى صورة وضعه بعد ما تقدم ، والعلامة
«المملوك فلان» بقلم الرقاع مقابل إن شاء الله كالمكتبة بالمقر الشريف المتقدمة .

(١)
المرتبة الثانية - [يقبل الباسطة الشريفة] والرسم فيها أن يترك تحت الملقى
الفلانى قدر سطرين بياضاً كما في المكتبة قبلها ، ثم يكتب يقبل الباسطة الشريفة
بالتأنيث ، ويجرى الحال في ذلك كما في الباسط - فإن كان المكتوبُ إليه من أرباب
السيوف ، كتب : يقبل الباسطة الشريفة ، العالمة ، المولوية ، الأميرية ، الكبرى ،
العالمية ، العادلية ، المؤيدية الذخرية ، المالكية ، الحسينية ، الفلانية ؛ لزالَتْ سحائبها
مستهلَّة ، ومواهبها للبحار مستقلَّة ؛ ويُنبى كيت وكيت ، والمستمدُّ من محبته كيت
وكيت . وربما قيل والمسئول ، والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه .

دعاء آخر يليق بذلك : لزالَتْ سيوها تملأ الرحاب ، وسيوفها تُسرع
السُّل إلى الرقاب .

(١) زدنا هذه العبارة أخذاً مما سياتى على الأثر ولعلها سقطت من قلم الناسخ تأمل .

آخر : لا زالت خناصر الحمد على فضل بنانها معنوده ، وما أثر البأس والكرم لها ومنها شاهدة ومشهوده ، وبوأت السيف مسيرة القصد إلى مناصرة أعلامها المنضوده .

آخر : ضاعف الله تعالى مواد نعيمها ، وجواد كرمها ، واتصال الآمال بمساقط ديمها .

آخر : لا زالت الآمال لائذة بكرمها ، عائذة بحرمةا ، مستنجدة على جذب . الأيام بسقى ديمها .

آخر : لا زالت رسوم الكرم مقيمها ، ولصنائع المعروف مديمها ، ولا يادى الإحسان متابعه إذا قصرت عن البروق ديمه — وإن كان المكتوب إليه من رءوس الكُتاب كتب بدل الأميري القضائي ، والباقي على ماتقدم ، ثم يدعى له بما يناسبه . دعاء يناسب ذلك : لا زالت السيف خاضعة لأعلامها ، والنجوم خاشعة لكلامها ، والجبال متواضعة لإعلاء أعلامها .

آخر : لا زالت مولاتها فريضة ، وأجنحة أعدائها منهيضة ، ومقل الأسنه إذا خاصمتها ألسنة أعلامها غضيبه .

آخر : أسبغ الله ظلها ، وهنأ بها أمة قرب مبعث زمانها وأظللها ، وهدى الآمال وقد حيرها الحرمان وأضلها .

آخر : لا زال قلمها مفتاح الرزق لطالبه ، والجاه لكاسيه ، والنصر لمستنيب كُتبا عن كتابه .

آخر : لا زال رِفْدُهَا المَطْلُوب ، وسَعْدُهَا المَكْتُوب ، وقلمها المُخاطب في مصالِح الدول والمخطوب .

آخر : بسط الله ظلها ولا قلصها ، وزادها من فضله ولا نقصها ، ولا جرع
كيد حاسدها الظامية إلا غصصها .

آخر : ولا زال عمياً إنعامها ، قديماً وحديثاً ديمها وإكرامها ، قاضية بسعدها
النجوم التي هي خدامها .

آخر : لا زالت بسيطاً ظلها ، مديداً فضلها ، سريعاً إلى داعي الندى والردى
قلمها في المهيات ونصلها - وإن كان من قضاة الحكم زاد مع القاضوى قبل الفلانى
الحاكمى ودعا بما يناسب .

دعاء : أعز الله شأنها ، وأذل من شأنها ، وأغص بأدمع أعدائها الضريجة شأنها .^(١)
دعاء آخر يليق بذلك : ولا زالت الآمال إليها وإفده ، والصلوات عائده ،
ومعاني الفضل عن أخبار معنا زائده .

آخر : لا زالت خناصر الحمد معقودة على فضل بنانها ، وفصل بيانها ، وعوائد
الفضل والكرم شاهدة بالحسين من فضلها وأمتنانها - وإن كان من مشايخ
الصوفية أبدل القضاية بالشيخية وأسقط العادلية والحاكمية ودعاه نحو قوله :
ومتع الإسلام ببقية الصالحه ، وبيض صحائف أعماله التي لأيدى الملائكة الكرام
مُصالحه .

آخر : لا أخل الله من بركات خلواته ، وأعاد من نواى دعواته ، وسواى
درجاته وتوجهاته ، ونحو ذلك .

والعنوان الألقاب التي فى صدر المكاتبه ، والدعاء بالسجعة الأولى من الدعاء
باطنه أو نحوها .

(١) الشأن مجرى الدمع الى العين . قاموس .

وصورة وضعه أن تكتب الألقاب والدعاء والتعريف في سطرين كما تقدم في الباسط كما في هذه الصورة .

الباسطة، الشريفة، العالية، المولوية، الأميرية، الكبيرة، العالمية، العادلة، الذخرية، السندية، الكاملة، المحسنية أعز الله تعالى أنصارها أمير حاجب بحماة المحروسة .
والعلامة « المملوك فلان » بقلم الرقاع في أول الوصل الثالث على القرب من اللصاق .

المرتبة الثالثة - يقبل اليد الشريفة بألقاب الباسطة المتقدمة؛ ثم اليد الكريمة؛ ثم اليد العالية مع حذف الكريمة رتبة بعد رتبة، والألقاب بحالها ويدعى له؛ ثم يقال والمستمد من محبته كيت وكيت؛ والله تعالى يؤيده . والحال في اختلاف بعض ألقابها بالنسبة إلى أرباب السيوف وغيرهم على ما تقدم في الباسطة .

وهذه أدعية لأرباب السيوف في هذه المكاتب

دعاء من ذلك : يقال بعد استكمال الألقاب : لازالت مقبلة البنات، مؤملة الإحسان، مفضلة على أنواء الشحب بكل لسان، وينهى .

آخر : لازالت ترد بالسيف صدور الكائب، وترد الظمأة منها موارد السحاب، وتحدث عن البحر وكم في البحر من العجائب .

آخر : لازالت برّبها مأمونه، وبدبها ممنونه، وأيامها تصبح الأعداء بأستها الزرق المسنونه .

آخر : لا أخلى الله من ودها، ولا قطع وظائف حمدها، ولا قضى مغيبها لأجعل لها ذكرى بعدها .

آخر : لازالت مصالحها تظفر بالمنى ، وتحصل على الغنى ، وتطلق لسانه
بعاطر الثنا .

آخر : لازالت لتقليد المنن سابقة في الجود العدل ، مقسمة في مكارم
التكريم : باطنها للندى وظاهرها للقبل .

وهذه أدعية تناسب أرباب الأعلام

يقال بعد آستيفاء الألقاب : لازالت مستهلة بالندا ، مستقلة بكتب العدا ،
مطلة على النجوم على بعد ما بينهما من المدى .

آخر : لا برحت مفاخرها مفصلة ، ومحبتها في الخواطر ممثلة ، والكواكب
تود لو فارقت فلكتها وأصبحت لديها مسبله .

آخر : لازالت لصحائف الإحسان مسطره ، ولقلوب الأعداء مفاطره ،
ولصنائع المعروف إذا أمسكت الأنواء مفاطره .

آخر : أعلى الله تعالى شأنها ، وضاعف إحسانها .

والعنوان . اليد الشريفة ، أو اليد الكريمة ، أو اليد العالية ، بالألقاب التي في صدر
الكتاب من غير زيادة ولا نقص ، والدعاء بأول سبعة من المدعوبه في صدر الكتاب
أو نحوها ، والتعريف بعد ذلك .

وصورة وضعه في الكتابة أن يكتب سطران على ما تقدم في الباسط والباسطة كما
في هذه الصورة :

اليد الشريفة ، العالية ، المولوية ، الأميرية ، الكبيرة ، العالمية ، العادلية ، الذخرية ،
المالكية ، المحسنة ، الفلانية . أعلى الله تعالى شأنها نائب ملطية المحروسة

والعلامة «المملوك فلان» بقلم التوقيعات، في آخر الوصل الثاني من الكتاب، على القُرْب من موضع لصاقه^(١).

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ رُبَّمَا وُصِفَ التَّقْبِيلُ فِي هَذِهِ الْمَرَاتِبِ بَعْدَ الدُّعَاءِ بِالْأَوْصَافِ الدَّالَّةِ عَلَى زِيَادَةِ التَّأَدُّبِ وَرِفْعَةِ قَدْرِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ، وَعَلَى ذَلِكَ جَرَى فِي «عُرْفِ التَّعْرِيفِ» .
وَقَدْ يَسْتَعْمَلُهُ بَعْضُ كُتَّابِ الزَّمَانِ، وَذَلِكَ مِثْلُ أَنْ يَقُولَ فِي تَقْبِيلِ الْبَاسِطِ بَعْدَ اسْتِعْمَالِ الدُّعَاءِ : تَقْبِيلًا يَحُومُ عَلَى مَنَاهِلِهِ ، وَيَحَلِّقُ نَسْرُ السَّمَاءِ عَلَى مَنَازِلِهِ ؛ أَوْ يَقُولُ : تَقْبِيلَ مَحَبَّةٍ أَخْلَصَ وَوَلَاءَهُ ، وَمَحَبَّةٍ الصَّدْقِ وَفَاءَهُ - أَوْ تَقْبِيلًا يُوَالِيهِ ، وَيُنَظِّمُ لآلِيهِ - أَوْ تَقْبِيلًا يُوَالِيهِ بِهَ الْخِدْمِ ، وَيُودِّدُ لَوْ سَعَى لِأَدَائِهِ عَلَى الرَّأْسِ إِنْ لَمْ تُسْعِفِ الْقَدَمَ - أَوْ تَقْبِيلًا لَا يُرَوَى الْكِرْمُ إِلَّا عَنْهُ ، وَلَا تُسْتَفَادُ الْمَكَارِمُ إِلَّا مِنْهُ - أَوْ تَقْبِيلَ وَارِدٍ عَلَى ذَلِكَ الرَّزَالِ ، رَائِدٍ فِي ذَلِكَ الرُّوضِ الْمَمْتَدِّ الظَّلَالِ - أَوْ تَقْبِيلَ مُسَارِعٍ إِلَيْهَا ، مَزَاحِمٍ عَلَيْهَا .
وَرُبَّمَا أَتَى فِي الْإِنْهَاءِ بِمَا يَلَامُ الْمَقَامَ ، مِثْلُ أَنْ يَقُولَ : وَيُنْهَى بَعْدَ وَصْفِ خِدْمِهِ ، وَتَمَنِّيهِ لَوْ وَقَفَ فِي صَفِّ خِدْمِهِ ؛ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

قلت : وفي بعض الدساتير بعد تقبيل اليد العالية ، يُقْبَلُ يَدَ الْجَنَابِ الْكَرِيمِ ، الْعَالِي ، الْأَمِيرِيِّ ، الْكَبِيرِيِّ ، الْعَالِمِيِّ ، الْمُؤَيَّدِيِّ ، النَّصِيرِيِّ ، الرَّعِيمِيِّ ، الْفَلَانِيِّ ؛ وَبَعْدَ ذَلِكَ : يَخْدُمُ الْجَنَابَ الْكَرِيمَ بِخَوْهَذِهِ الْأَلْقَابِ ؛ وَفِي «التَّقْبِيلِ» يُقْبَلُ يَدَ الْجَنَابِ الْعَالِي ، وَيَخْدُمُ الْجَنَابَ الْعَالِي ، بِدُونِ الْكَرِيمِ ؛ ثُمَّ يَقَالُ بَعْدَ ذَلِكَ وَيُؤَدِّي لِعَلْمِهِ كَيْتَ وَكَيْتَ ؛ وَالْقَصْدُ مِنْ مَحَبَّتِهِ كَيْتَ وَكَيْتَ ؛ فَيُحِيطُ عَلَمًا بِذَلِكَ . وَبَعْضُ الْكُتَّابِ يَسْتَعْمَلُ ذَلِكَ إِلَى الْآنَ ؛ وَهُوَ ذُهُولٌ ، إِذْ سَيَأْتِي فِي أَوَّلِ الدَّرَجَةِ الثَّلَاثَةِ أَنَّ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ الْمَفْتَحَةِ بِالْدُّعَاءِ لِلْمَقْتَرِ الشَّرِيفِ عَلَى الْمَصْطَلَحِ الْأَوَّلِ ، وَلِلْمَقْتَرِ الْكَرِيمِ عَلَى مَا اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ الْحَالُ الْآنَ ؛ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَكَيْفَ يَتَأَثَّرُ أَنْ تَكُونَ مَرْتَبَةً مِنْ مَرَاتِبِ الْجَنَابِ الْكَرِيمِ أَوْ الْجَنَابِ الْعَالِي قَبْلَ الْمَقْتَرِ الشَّرِيفِ أَوْ الْمَقْتَرِ الْكَرِيمِ .

(١) الأظهر من موضع لصاقه .

الدرجة الثالثة

(المكاتبة بالدعاء)

وقد رتبوا المكاتبة بالدعاء على^(١) [ثلاث] مراتب :

المرتبة الأولى - الدعاء للمقرّر ، والرسم فيه أن يُترك بعد «الملكى الفلانى» قدر

عَرْض ثلاثة أصابع بياضاً ، ثم يُؤتى بصُدْر المكاتبة على سَمْت البسْملة .

ويختلف الحال فى ذلك : فإن كان المكتوبُ إليه من أرباب السُّيوف ، كتب

أعزَّ الله تعالى أنصارَ المقرّر الكريم ، العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ،

العادلى ، العونى ، النصيرى ، الفلانى ؛ ثم يُدعى له بما يُناسب ، نحو : ولا زالت

جُيوشه جائله ، وجنوده بين الأعداء وبين مطالبها حائله ، وأولياؤه على صهوات

خيلها لديه قائله ؛ أصدرناها إلى المقرّر الكريم ، تُهدى إليه من السلام أطيبه ، ومن

الثناء أطنبه ؛ وتُبدى لعلمه الكريم أن الأمر كُتِبَ وكُتِبَ ؛ والقصد من أهتامه

كُتِبَ وكُتِبَ ؛ فيحيط علمه بذلك ، والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه .

وهذه أدعيةٌ تُناسب ذلك :

دعاء يليق بذلك : يقال بعد تكلمة الألقاب : وأيد عزائمَه ونصرها ، وأعلى

أعلامه ونشرها ، ودقق فى مقاتل الأعداء حيث تُرورُ الأسننةُ نظرَها ، وينهى .

آخسر : ولا برحتِ الآمالُ بكرمه تعترف ، وبوارق صوارمه لأبصار الأعداء

تختطف .

(١) بياض فى الأصل .

آخر : وأعلى قدره ، وأنفذ أمره ، أصدرناها .

وإن كان من رؤساء الكُتَّاب ، كتب : بسطَ اللهُ ظِلُّ المَقْر . أو أسبغَ اللهُ ظِلَّالَ المَقْرَ الكَرِيم ، العَالِي ، القَضَائِي ، الكَبِيرِي ، العَالِمِي ، العَادِلِي ، المُوَيْدِي ، السَّيْدِي ، السَّنْدِي ، المَالِكِي ، المَخْدُومِي ، المَحْسِنِي ، الفَلَانِي ، وباقي المكاتبه كما في أرباب السيوف .

وهذه أدعيةٌ تناسب ذلك :

دعاءٌ يليق به : ولا زالتِ الأمورُ إليه مفوضه ، ومضاربُ العزِّ إلا عنه مَقْوُضه ، وصحائفُ الحسناتِ بتسويده على أثناءِ الدهرِ مُبَيَّضه ، أصدرناها .

آخر : وصرفَ لسانَ قلمه ، وشرفَ مكانَ قدمه ، وعرفَ من كان يُناوِيه أنه أصبحَ لا يُعَدُّ من خَدَمه .

قلت : وقد ذكر في "عرف التعريف" أن القضاة والحكام لا يدخل لهم في المكاتبه بالمقر ، وعلى ذلك جرى في مشايخ الصوفية . على أنه قد كُتِبَ بذلك . وقد رأيتُ المكاتبه بذلك في بعض الدساتير ، وحينئذ فُكِّتَبُ : أعزَّ اللهُ تعالى أحكامَ المَقْرَ العَالِي ، القَضَائِي ، الكَبِيرِي ، العَالِمِي ، العَلَّامِي ، الإِمَامِي ، المَالِكِي ، المَحْسِنِي ، الحَاكِمِي ، الفَلَانِي ، ويُدْعَى له بما يناسب . مثل : وجدد له إقبالا ، وبلغه من الدارين آمالا ، وأحسن إليه مبدأ ومآلا ، ونحو ذلك . والباقي على نحو ما تقدم .

وهذه أدعيةٌ تناسب ذلك :

لا برحت الشريعةُ مَحْوُطَةً بأقلامه ، مضبوطةٌ بأحكامه ، منوطةٌ بما يُسَيِّدُ مَبَانِيهَا ومَثَانِيهَا من أحكامه ، مؤرَّخةٌ أيامَ سُعودها بأيامه .

آخر : حرس الله بأحكامه سرح المدى ، ولا برحت فتاويه بها يقتدى ،
ويظهر على المناوين والمبتدعين من تجريدها مهندا مهندا .

آخر : لا برحت أنوار فتاويه لأمعته ، وسيوف أقلامها بها قاطعه ، وحدودها
إلى [موارد] أحكام الشريعة المحمدية شارعه .

والعنوان لهذه المكتبة المقر الكريم بنظير ما في الصدر ، والدعاء بأول سبعة
في الصدر من الدعاء .

وصورة وضعه في الورق أن يكتب في سطرين الألقاب والدعاء والتعريف
كما في هذه الصورة :

المقر الكريم ، العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، العونى ،
النصيرى ، الفلانى ، أعز الله تعالى أنصاره . فلان الفلانى

والعلامة « المملوك فلان » بقلم الثلث مقابل السطر الثانى من المكتبة .

المرتبة الثانية : الدعاء للجناب ، وهو على ثلاث طبقات :

الطبقة الأولى - أعز الله تعالى نصرة الجناب الكريم . والرسم فيه أن يترك
تحت « الملكى الناصرى » عرض ثلاثة أصابع بياضا كما في المسئلة قبلها .

ثم إن كان المكتوب إليه من أرباب السيوف ، كتب : أعز الله تعالى نصرة
الجناب الكريم ، العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، العونى ،
الدنخرى ، العضدى ، الفلانى ، ويدعى له ، نحو : وأعلى قدره ، وأنفذ أمره ،
صدرت هذه المكتبة إلى الجناب الكريم ، تُهدى إليه سلاما رائقا ، وثناء عابقا ،
وتوضيح لعلمه الكريم كيت وكيت ، والقصد من اهتمامه كيت وكيت ، فيحيط علمه
بذلك ، والله تعالى يحرسه بمنه وكرمه .

وهذه أدعية تُناسِبُ ذلك .

دعاء منه : ولا زالت عزائمهُ تُعيرُ السُّيُوفَ المَضَاءَ ، وتُعلمُ السَّهَامَ النُّفُودَ
في القَضَاءِ .

آخر : ولا زال جنابُهُ عَرَمًا ، وسحابُهُ مَرَبَعًا ، ورُعبُهُ لا يدعُ من قلوب
الأعداءِ مَوْضِعًا .

آخر : ولا زالت عزائمهُ تُباريُ السُّيُوفَ ، وتَشُقُّ الصُّفُوفَ ، وتُجَارِي
إلى مَقَاتِلِ الأعداءِ الخُتُوفَ ، صدرت .

الذي كان من الكُتَابِ ، كتب : أدام الله تعالى جلالَ الجَنابِ الكَرِيمِ ، العَالِي ،
القَضَائِي ، الكَبِيرِي ، الصَّدْرِي ، الرَّئِيسِي ، العَوْنِي ، الغِيَاثِي ، المَلَاذِي ، الفَلَانِي ،
وغير ذلك من نِسْبَةِ أربابِ السُّيُوفِ .

دعاء : بحرسِ سماءه التي تَغْنِي عن المَصَابِيحِ ، ونِعْمَاهِ التي هي لِلنَّعْمِ
مَفَاتِيحُ .

آخر : وبَلَّغَهُ أَشْرَفَ الرَّتَبِ ، ومَلَأَ بِهِ قُلُوبَ الأعداءِ غَايَةَ الرَّهْبِ ، وشَكَرَ
نَدَى قَلَمِهِ الذي لم يدعُ لِلنَّعْمَامِ إلا فَضْلَ ما وَهَبَ ، صدرت .

وإن كان قاضيًا ، كَتَبَ : أعزَّ اللهُ تعالى أَحكامَ الجَنابِ الكَرِيمِ العَالِي ،
القَضَائِي ، الإِمَامِي ، العَالِمِي ، العَلَامِي ، الأَوْحَدِي ، الفَلَانِي . ويدعوه ، نحو :
ونور بعلمه البصائر ، وسرِّ بِحُكْمِهِ السَّرَائِرَ ، وجعل فيضِ يَمِّهِ مما لا تُودَعُ دُرُّهُ إلا
في الضمائر . والباقي من نِسْبَةِ ما تقدم .

وإن كان من مشايخِ الصُّوفِيَّةِ ، كَتَبَ : أعاد اللهُ تعالى من بَرَكَاتِ الجَنابِ
الكَرِيمِ ، العَالِي ، الشَّيْخِي ، الإِمَامِي ، العَالِمِي ، العَامِلِي ، الوَرَعِي ، الزَاهِدِي ، الفَلَانِي .

وَيُدْعَى لَهُ ، نَحْوُ : وَلَا زَالَ يُقَاتِلُ بِسِلَاحِهِ ، وَيُقَابِلُ فَسَادَ الدَّهْرِ بِصَلَاحِهِ ، وَيُجَلَّى
دُجَى الظُّلْمَاءِ بِصَبَاحِهِ ، صَدْرَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةُ إِلَى الْجَنَابِ الْكَرِيمِ تُهْدَى إِلَيْهِ
سَلَامًا يَزِدَانِ بَعْرَاضٍ بِخِدْمَتِهِ ، وَيَزِدَادُ نَضْرَةَ بِنَظَرَتِهِ .

وَالعنوان لكلِّ منهم بِاللقابِ الصِّدْرِ ، وَالدِّعَاءِ بِأَوَّلِ سَجْعَةٍ مِنْ دَعَائِهِ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .
وَصُورَةٌ وَضَعَهُ أَنْ يَكْتُبَ فِي سَطْرَيْنِ ألقابَهُ وَدَعَائِهِ وَتَعْرِيفَهُ كَمَا فِي هَذِهِ الصُّورَةِ :
الجناب الكريم ، العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ،
النصيرى ، الفلانى ، أعز الله تعالى نصرته فلان الفلانى

وَالعَلَامَةُ « الْمَمْلُوكِ فُلَانٍ » بِقَلَمِ الثَّلَاثِ مَقَابِلِ السَّطْرِ الثَّانِي كَمَا فِي الْمَكَاتِبَةِ
الَّتِي قَبْلُهَا .

الطَبَقَةُ الثَّانِيَةُ — مِنَ الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ : ضَاعَفَ اللهُ تَعَالَى نِعْمَةَ الْجَنَابِ الْعَالِي .
وَالرَّسْمُ فِيهِ أَنْ يَتْرَكَ تَحْتَ الْمَلَكِيَّةِ الْفُلَانِيَّةِ قَدْرَ أَرْبَعَةِ أَصْبَاعٍ بِيَاضًا . ثُمَّ يَخْتَلِفُ الْحَالُ
فِي ذَلِكَ .

فَإِنْ كَانَ الْمَكْتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَرْبَابِ السُّيُوفِ ، كُتِبَ : ضَاعَفَ اللهُ تَعَالَى
نِعْمَةَ الْجَنَابِ الْعَالِي ، الْأَمِيرِي ، الْكَبِيرِي ، الْعَالِمِي ، الْعَادِلِي ، الْمُؤَيَّدِي ، الْعَوْنِي ،
النَّصِيرِي ، الذُّخْرِي ، الْفُلَانِي ، ثُمَّ يَدْعَى لَهُ ، نَحْوُ : وَنَصَرَهُ فِي جِلَادِهِ ، وَأَيْدَهُ
فِي مَوَاقِفِ جِهَادِهِ ، صَدْرَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةُ إِلَى الْجَنَابِ الْعَالِي تُهْدَى إِلَيْهِ سَلَامًا
لَسُّوقًا ، وَشَاءَ يَرُوقُ ، وَتُوضَّحُ لَعَلْمِهِ كَيْتَ وَكَيْتَ ، فَالْجَنَابِ الْعَالِي ، يَتَقَدَّمُ بِكَيْتَ
وَكَيْتَ ، فَيُحِيطُ عِلْمُهُ بِذَلِكَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُؤَيِّدُهُ بِمَنَّةٍ وَكَرَمَةٍ .

دَعَاءٌ آخَرٌ يَنَاسِبُ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةَ : يُقَالُ بَعْدَ اسْتِنْفَاءِ الْألقابِ ، وَلَا زَالَ
عَزَمَهُ مُؤَيِّدًا ، وَعِزَّهُ مُؤَيِّدًا ، وَأَجْتَهَادَهُ وَجِهَادَهُ : هَذَا بَسْرُ الْأَوْلِيَاءِ وَهَذَا يَسُوءُ الْعِدَاءِ ،

صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب العالي تخصُّبه بالسَّلام، والثناء الوافر الأقسام،
وتوضُّع لعلمه كيت وكيت .

آخر : ولا زالت آراؤه كواكبٌ يهتدى بلوامعها ، وتقرأ سورة النصر
في جوامعها ، وتسير كالسحب فترمي الأعداء بصواعقها وتأتي الأولياء بهوامعها .

وإن كان من الكُتاب ، كتب : ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالي ، القضاة ،
الكبرى ، الصُدري ، الرئيسي ، القوامي ، النظامي ، الفلاني ، ثم يدعى له نحو :
ولا زال يُرجى لكلِّ جليل ، ويُؤمل لكلِّ جميل . ويؤهل لكلِّ منهي تقصُّر دونه
أصابع النبل ؛ صدرت هذه المكاتبة ، والباقي على ما تقدم في أرباب السيوف .

وإن كان من القضاة ، كتب : ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالي ، القضاة ،
العالمي ، الفاضلي ، الأوحدي ، الصُدري ، الرئيسي ، الفلاني ؛ ويدعى له نحو :
ودفع عنه الأباطيل ، وأرشد بهداه من الأضاليل .

وإن كان من مشايخ الصوفية ، كتب : أعاد الله تعالى من بركة الجناب العالي ،
الشيخي ، الإمامي ، العالمي ، الكامل ، الورعي ، الزاهدي ؛ ويدعى له ، نحو : ولا زال
تكشَّف به اللأواء ، وتطبُّ به الأدواء . صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب العالي
تهدي إليه سلاماً ، وتفضُّ عن مثل المسك ختاماً ، وتوضُّع لعلمه .

دعاء آخر : فجع الله بدعواته التي لا حاجب لها عن الإجابة ، ولا عارض يمنعها
عن الإصابه ، وأمتع بركاته التي هي أمنٌ للناس ومثابه . صدرت .

والعنوان الألقاب التي في صدر المكاتبة . والدعاء : ضاعف الله تعالى نعمته ؛

ثم التعريف .

وصورة وضعه في الورق أن يكتب في سطرين ألقابه ودعاؤه وتعريفه كما في هذه

الصورة :

الجناب العالى، الأميرى، الكبيرى، العالمى، العادلى، المؤيدى، العونى،
النصيرى، الذخرى، الفلانى . ضاعف الله تعالى نعمته فلان الفلانى
والعلامة «المملوك فلان» بقلم الثلث الثقيل مقابل السطر الأول من المكاتبه .
الطبقة الثالثة — أدام الله تعالى نعمة الجناب العالى وما فى معنى ذلك . والرسم
فيه أن يُترك تحت الملكى الفلانى بحيث يبقى من الوصل الذى فيه البسمله
مايسع سطرين فقط . ثم يختلف الحال فيه .

فإن كان المكتوب إليه من أرباب السيوف ، كتب : أدام الله تعالى نعمة
الجناب العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، المجاهدى ، المؤيدى ، العونى ،
النصيرى ، الذخرى ، الفلانى . ويدعى له ، نحو : وأيد عزمه وأظهره ، وكتب
عدوه وقهره ، صدرت هذه المكاتبه إلى الجناب العالى تهدي إليه سلاما طيبا ، وثناء
مطنبا ، وتوضيح لعلمه كيت وكيت ، فالجناب العالى يتقدم بكيت وكيت ، فيحيط
علمه بذلك ، والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه .

دعاء آخر يناسبه : وموه بجهاده كل سنان ، ونبه بجلاده جفن كل سيف
وسنان . صدرت هذه المكاتبه تحية بسلام بيطيب ، وثناء يهتر غصنه الرطيب ،
وتوضيح لعلمه .

وإن كان من الكُتاب ، كُتب : أدام الله تعالى نعمة الجناب العالى ، القضائى .
والألقاب من نسبة ما تقدم فى ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى . والدعاء ،
نحو : ولا زال قلمه لأبواب الأرزاق فاتحا ، ونجم رفته [لأنواء الفضل مانحا]
صدرت .

(١) بيض فى الأصل لقبية هذه السجعة فاشتقها ليلتم الكلام .

وإن كان من القضاة ، كتب : أدام الله تعالى نعمة الجنب العالی ، والألقابُ
من نسبة ما تقدم في ضاعف الله تعالى نعمة الجنب العالی . والدعاء ، نحو :
ولا أخلى الله أفق الفضل من كوكبه ، ولا مجال الجدال من مركبه . صدرت .
وإن كان من مشايخ الصوفية ، كتب : أدام الله تعالى نعمة الجنب العالی
الشيخى . وبقية الألقاب من نسبة ما تقدم مع ضاعف الله تعالى نعمة الجنب .
والدعاء ، نحو : نفع الله ببركات خلواته التي كم أنجلت عن الرشد ، وبان في مرءاتها
نور الهدى للعباد ، وأنارت إنارة الشمس لإنارة الزناد .
والعنوان بنظير الألقاب التي في صدر المكتبة ، والدعاء أدام الله تعالى نعمته .
وصورة وضعه في الورق أن يكتب في سطرين الألقاب والدعاء والتعريف
كما في هذه الصورة :

الجنب العالی ، الأمیری ، الكبیری ، العالی ، المجاهیدی ، المؤیدی ، العونی ،
النصیری ، الذئری ، الفلانی ، أدام الله نعمته فلان الفلانی
والعلامة «المملوك فلان» تحت البسمة بقلم مختصر الطومار .
المرتبة الثالثة - الدعاء للمجلس ، ويختص بالمجلس العالی ، والبياض فيه تحت
الملكی الفلانی بحيث يبقى من الوصل قدر سطرین كما تقدم في الجنب العالی .
ويختلف الحال فيه .

فإن كان من أرباب السيوف ، كتب : أدام الله تعالى نعمة المجلس العالی ،
الأمیری ، الكبیری ، العالی ، المجاهیدی ، المؤیدی ، الذئری ، العونی ، الفلانی ،
ويدعى له ، نحو : وأيد عزمه ، ووفر من الخيرات قسمه ، صدرت هذه المكتبة
إلى المجلس العالی نهدي إليه سلاماً ، ونوفر له من خير أقساماً ، ووضح لعلمه المبارك

كَيْتَ وَكَيْتَ ، فَالْمَجْلِسُ يَتَقَدَّمُ بِكَيْتَ وَكَيْتَ ، وَيَحِيطُ بِذَلِكَ عِلْمًا . وَاللَّهُ تَعَالَى
يُؤَيِّدُهُ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

وهذه أدعية تليق بهذه المكاتبة .

دعاء من ذلك : وَلَا زَالَ مَشْكُورَ الْأَهْتِمَامِ ، مَوْصُوفَ الْمَحَاسِنِ وَصَفَ الْبَدْرِ
الْتِمَامِ ، مَعْرُوفًا بِجَمِيلِ الْأَثَرِ مِثْلَ مَا تُعْرَفُ مَوَاقِعُ الْغَمَامِ . صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةُ
إِلَى الْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ تُهْدَى إِلَيْهِ سَلَامًا ، وَتُسَدَّدُ لِرَأْيِهِ الصَّائِبِ سِهَامًا ، وَتَوْضَحُ
لِعِلْمِهِ الْكَرِيمِ .

آخِرُ : وَلَا زَالَ سَيْفًا يُدْفَعُ بِحَدِّهِ ، وَيَجْرِي مَاءُ النُّصْرِ مِنْ فِرْنِدِهِ ، وَيَتَنَوَّعُ بِهِ
الظَّفَرُ فَيَقْتُلُ بِتَجْرِيدِهِ وَيُنْحَافُ وَهُوَ فِي غَمْدِهِ .

وَإِنْ كَانَ مِنَ الْكُتَّابِ ، كَتَبَ : أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَةَ الْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ ، الْقَضَائِيَّ ،
الْأَجَلِّيَّ ، الْكَبِيرِيَّ ، الرَّئِيسِيَّ ، الْمَاجِدِيَّ ، الْأَوْحِدِيَّ ، الْأَيْدِيَّ ، الْفُلَانِيَّ ،
وَيُدْعَى لَهُ ، نَحْوُ : وَسَدَّدَ رَأْيَهُ وَوَفَّقَهُ ، وَصَدَّقَ فِيهِ الظَّنَّ وَحَقَّقَهُ ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَ
السَّعَادَةِ ثُمَّ لَأَفَرَّقَهُ . صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةُ إِلَى الْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ تَشْكُرُ مَسَاعِيدهُ ، وَأَهْتِمَامَهُ
الَّذِي بَانَ طَرْفُ النُّجْمِ وَهُوَ يُرَاعِيهِ ، وَتَوْضَحُ لِعِلْمِهِ الْكَرِيمِ .

آخِرُ : وَلَا تَزَعُ عَنْهُ ثَوْبَ سَعَادَتِهِ ، وَلَا غَيْرَ مِنْهُ جَمِيلَ عَادَتِهِ ، وَلَا عَرِفَ سِوَى
بَابِهِ الَّذِي لَوْ كَانَ لَهُ الْحَقُّ فِي جَهَةِ الْأَسَدِ لِأَسْتَعَادَتِهِ . صَدَرَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةُ إِلَى
الْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ تُهْدَى إِلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالشَّنَاءَ الَّذِي تَنْطِقُ بِهِ أَلْسِنَةُ الْأَقْلَامِ ، وَتَوْضَحُ
لِعِلْمِهِ .

وَإِنْ كَانَ مِنَ الْقَضَاةِ ، كَتَبَ : أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَةَ الْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ ، الْقَضَائِيَّ ،
الْكَبِيرِيَّ ، الْعَالِمِيَّ ، الْعَامِلِيَّ ، الْفَاضِلِيَّ ، الْأَوْحِدِيَّ ، الْفُلَانِيَّ ، وَيُدْعَى لَهُ ،

نحو : ولا بَرِحَتْ طُلُبته مَفِيدهَ المَطالِب ، مُورِيَةً المُهدى في الغَيَاب ، قائِمةً أَقلامُ هدايَتِها في ليالى الحَيْرَةِ مَقامَ الكَوَازِب .

آخر : ولا بَرِحَتِ الدنيا مَمطُورةً بَعَمامِهِ ، مَجبُورةً بِدُخولِها تَحْتَ ذِمّامِهِ .

إن كان من مشايخ الصوفية ، كتب : أدام الله تعالى بركة المجلس العالى ،

الشَّيخى ، الإمامى ، العالمى ، العاملى ، العايدى ، الورعى ، الزاهدى ، الأوحدي ،

الفلانى ، ويدعى له نحو : ولا زال نُورُهُ يَسعى بين يديه ، ويدعى باسمه إليه .

آخر : أعاد الله من بركاته على الراعى والرعيّيه ، وجعل خَلواته خَلواتِ كُلِّ

نفسٍ راضيةٍ مَرَضِيَّه ، والباقي على ما تقدّم .

والعنوان الألقاب التى فى الصَّدْر ، والدعاء : أدام الله تعالى نعمته . ثم التعريف .

وصورة وضعه فى الورق أن تُكتب ألقابه والدعاء والتعريف كما فى هذه الصورة :

المجلس العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، العالمى ، المجاهدى ، المؤيدى ،

الدَّخْرِى ، العَوْنى ، الفلانى ؛ أدام الله تعالى نعمته فلان الفلانى

والعلامة « المملوك فلان » بقلم مختصر الطومار تحت الملكى الفلانى ، على ما تقدم

فى المنكاتبه قبلها .

وأعلم أن ترتيب هذه الدرجة على هذه المراتب : من الدعاء بأعزَّ الله تعالى أنصار

المقرِّ الكريم ؛ ثم أعزَّ الله تعالى نُصرةَ الجَنابِ الكَريم ؛ ثم ضاعفَ اللهُ تعالى نعمةَ

الجَنابِ العالى ؛ ثم أدام اللهُ تعالى نعمةَ الجَنابِ العالى ، ثم أدام اللهُ تعالى نعمةَ

المجلس العالى - هو المستقرُّ عليه الحال بين كُتابِ الزمان بالديار المصرية . وجعل

فى "عُرفِ التعريف" أعلى المراتب فى الدعاء : أعزَّ اللهُ تعالى أنصارَ المقرِّ الكَريم ؛

(١) الطلبة من معانيها السفر البعيدة ولعلها المرادة إن لم تكن مصحفة عن طلعه .

ثم أعزَّ الله تعالى نُصْرَةَ الْمُقَرَّرِ الْكَرِيمِ ؛ ثم أعزَّ الله تعالى نُصْرَةَ الْمُقَرَّرِ الْكَرِيمِ ؛ ثم أدام الله تعالى نُصْرَةَ الْجَنَابِ الشَّرِيفِ ؛ ثم أدام الله نُصْرَةَ الْجَنَابِ الْكَرِيمِ ؛ ثم ضاعف الله تعالى نِعْمَةَ الْجَنَابِ الْعَالِي ، وحرسَ الله تعالى نِعْمَةَ الْجَنَابِ الْعَالِي ، مع اختصار الألقاب وحذف بعضها ؛ ثم أدام الله تعالى نِعْمَةَ الْمَجْلِسِ الْعَالِي . وعلى كثيرٍ من ذلك كان الحال جاريا إلى آخر الدولة الأشرافية «شعبان بن حسين» ثم أخذ الناس في التغيير إلى أن صار الأمرُ على ما هو عليه الآن .

قلت : وكانوا في الزمن السالف في الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون» وما والاها لا يأتون مع الْمُقَرَّرِ الشَّرِيفِ ، وَالْمُقَرَّرِ الْكَرِيمِ ، وَالْمُقَرَّرِ الْعَالِي ، وَالْجَنَابِ الشَّرِيفِ ، بأصدرناها ولا بصدرت هذه المكاتبه كما هو الآن ؛ بل بعد الدعاء يقولون مع «أعزَّ الله تعالى أنصارَ الْمُقَرَّرِ الشَّرِيفِ» : المملوكُ يُقَبَّلُ الْبَاسِطَةَ . ثم يأتي بالإِنْهَاء بعد ذلك مثل أن يقول : المملوكُ يُقَبَّلُ الْبَاسِطَةَ الْكَرِيمَةَ الَّتِي هِيَ مَعْدِنُ السَّمَاحِ ، وَمَوْطِنُ مَا يُوهِنُ الْعِدَا مِنْ صَدُورِ الصَّفَاحِ ، وَيُنْهَى . أو يقول : يُقَبَّلُ الْبَاسِطَةَ الْكَرِيمَةَ ، وَيُرْتَعُ مِنْهَا فِي كُلِّ دَيْمَةٍ ؛ وَيُنْهَى . أو والمملوكُ يُقَبَّلُ الْبَاسِطَةَ الشَّرِيفَةَ ، وَيُلْجَأُ إِلَى ظِلَالِهَا الْوَرِيفَةَ ، وَيُنْهَى . ومع «الجناب الشريف» لفظُ «المملوكُ يُخْدَمُ» . ثم يقول : وَيُدَى مِثْلُ أَنْ يَكْتُبَ : المملوكُ يُخْدَمُ بِأَثْنَيْتِهِ ، وَيَفُضُّ عَقُودَ الشُّكْرِ عَلَى أُنْدِيَّتِهِ ، وَيُدَى لِعَلْمِهِ الْكَرِيمِ . أو المملوكُ يُخْدَمُ بِأَثْنَيْتِهِ الَّتِي تَزِيدُ الطَّيْبَ طَيْبًا ، وَتَسْرِى سُرَى السُّحْبِ فَلَاتَدْعُ فِي الْأَرْضِ جَرِيبًا ؛ وَيُدَى لِعَلْمِهِ الْكَرِيمِ . وربما أعاض ذلك بقوله : صدرت هذه الخدمةُ ، مثل أن يقول : صدرت هذه الخدمةُ وسلامها يتضوع ، وثناؤها السافرُ لا يتبرقع .

الدرجة الرابعة

(الابتداء بصيغ مُخْتَرَعَة من صدور مكاتبات الأديعية)

اعلم أن صدور المكاتبات المفتحة بالأديعية يقال فيها بعد الدعاء المعطوف :
أصدرناها أو صدرت هذه المكاتبه ؛ ثم يقال : وتبدي لعلمه أو وتوضح لعلمه .
ومن أجل ذلك جعلت هذه الدرجة دون درجة الافتتاح بالدعاء ؛ لأن هذه فرع
من فروع تلك ، وحينئذ يكون الصدر مُشْتَمِلاً بعد الدعاء على ثلاثة أشياء .

أحدها - [افتتاح] صدور المكاتبه بقوله : أصدرناها أو صدرت .

والثاني - الإشارة إلى المكاتبه بقوله : هذه المكاتبه .

والثالث - الإعلام بما صدرت بسببه المكاتبه . فانتظم من ذلك ثلاث مراتب .

المرتبة الأولى - الافتتاح بصدور المكاتبه ، وفيها طبقتان .

الطبقة الأولى - صدرت والعالى ؛ وهى أن تُفْتَحَ المكاتبه ، بأن يقال : صدرت

هذه المكاتبه إلى المجلس العالى . ويختلف الحال فيها .

فإن كان المكتوب إليه من أرباب السيوف ، كتب : صدرت هذه المكاتبه

إلى المجلس العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، المجاهدى ، المؤيدى ، الذخرى ، الأوحدي ،

الفلانى ، ويدعى له نحو : أدام الله تعالى نعمته ، ووفر من الخير قسمته ، تتضمن

إعلامه كيت وكيت . فالمجلس العالى يتقدم بكيت وكيت ؛ فيعلم ذلك ويعتمده

والله الموفق .

وإن كان من الكُتَّاب ، كتب : صدرت هذه المكاتبه إلى المجلس العالى ،

القضائى ، الكبيرى ، الرئيسى ، الكابلى ، الماجدى ، الأثيرى ، الأوحدي ،

الفلانى ، ويدعى له ، نحو : حرس الله مجده ، وأنجح قصده ؛ والباقي على ما تقدم .

وإن كان من القضاة ، كُتِبَ : صدرت هذه المكاتبَةُ إلى المجلس العالى ،
 القَصَائِي ، الأَجَلِّي ، الإمامِي ، الصَّدْرِي ، الفَقِيهِي ، الكَامِلِي ، الفَاضِلِي ، الفَلَانِي ،
 ويدعى له ، نحو : أيد الله أحكامه ، ووفّر من الخير أقسامه ، والباقي على ماتقدم .
 وإن كان من مشايخ الصوفيّة ، كتب : صدرت هذه المكاتبَةُ إلى المجلس العالى ،
 الشَّيْخِي ، الإمامِي ، العالمِي ، العامِلِي ، الزَاهِدِي ، العَابِدِي ، الوَرَعِي ، الأَوْحَدِي ،
 ويدعى له نحو : أعاد الله من برّكته ، ونفع المسلمين بصالح أدعيته ، والباقي
 على ماتقدم .

والعنوان بالألقاب التي في الصّدر وأوّل سَجْعَةٍ من الدعاء فيه . وتكون الألقابُ
 والدعاء والتعريف في سطرين كما في هذه الصورة :

المجلس العالى ، الأميرِي ، الكبيرِي ، المجاهدِي ، المؤيدِي ، الذُّخْرِي ،

الأوحدِي ، الفلَانِي أدام الله رِفْعَتَهُ فلان الفلَانِي

والعلامة « المملوك فلان » تحت « المَلِكِي الفلَانِي » بقلم مختصر الطومار الثقيل ،
 وربما جعل بعضهم العلامة « أخوه » .

الطبقة الثانية - صدرت والسامِي . وهي أن تُفْتَحَ المكاتبَةُ بأن يقال :
 صدرت هذه المكاتبَةُ إلى المجلس السامِي ، والبياض فيها تحت المَلِكِي الفلَانِي كما
 في المكاتبَة التي قبلها : بحيث لا يبقى من الوصل إلا ما يسعُ سطرين فقط
 على ماتقدم .

ثم إن كان المكتوبُ إليه من أرباب السُّيُوف ، كتب : صدرت هذه المكاتبَة
 إلى المجلس السامِي ، الأميرِي ، الكبيرِي ، المجاهدِي ، العَضُدِي ، الذُّخْرِي ،
 الأوحدِي ، الفلَانِي ، ويدعى له نحو : أدام الله سعده ، وأنجح قصده . ثم يقال :

تتضمن إعلانه كيت وكيت . فالمجلس السامي يتقدم بكيت وكيت ؛ فيعلم ذلك ويعتمده ويبادر إليه ، والله الموفق .

وإن كان من الكُتاب ، كُتِب : صدرت هذه المكاتبَةُ إلى المجلس السامي القضائي ، الأجلّي ، الكيبرى ، الزينى ، الماجدى ، الأثيرى ، الأوحدي ، الفلاني ؛ ويدعى له ، نحو : ضاعف الله تعالى إقباله ، أو أدام الله سعادته ، وبلغه إرادته ؛ والباقي على ما تقدم .

وإن كان من القضاة ، كُتِب : صدرت هذه المكاتبَةُ إلى المجلس السامي ، القضائي ، الصُدري ، الفقيهي ، الإمامي ، العالمي ، الفاضلي ، الكامل ، الأوحدي ، فلان الدين . والباقي من نسبة ما تقدم .

وإن كان من مشايخ الصوفية ، كُتِب : صدرت هذه المكاتبَةُ إلى المجلس السامي ، الشيخي ، العالمي ، العالمي ، الورعي ، الزاهدي ، الأوحدي ، الفلاني ؛ ويدعى له ، نحو : لا أخلاه الله من أنسه ، ولا أبعدَهُ من حضرة قُدسه . والباقي على نحو ما تقدم .

والعنوانُ الألقابُ التي في صدرِ المكاتبَةِ بالسَّجعة الأولى مما فيه من الدعاء والتعريف .

وصورة وضعه في الورق أن يكتب في سطرين كما في هذه الصورة :

المجلس السامي ، الأميري ، الكيبرى ، المجاهدي ، العضدي ، الذخري ،

الأوحدي ، الفلاني . أدام الله سعده فلان الفلاني

والعلامة «أخوه فلان» تحت المَلِكِي الفلاني ، بقلم مختصر الطومار الثقيل .

المرتبة الثانية - الأفتاح بالإشارة إلى المكتبة ، وهي أن يُكْتَبَ : هذه المكتبةُ إلى المجلس السامى بغير ياء في ألقابه ، ويعبر عنه بالسامى بغير ياء ، والبياض فيها تحت الملكى الفلانى متسع أيضا : بحيث لا يبقى من الوصل إلا ما يسع سطرين فقط . ثم إن كان المكتوبُ إليه من أرباب السيوف ، كُتِبَ : هذه المكتبة إلى المجلس السامى ، الأمير ، الأجل ، الكبير ، المجاهد ، المؤيد ، الأوحِد ، الذُحْر ، فلان الدين ، ويدعى له نحو : أدام الله إقباله ، وبلغه آماله ، أو أنجح الله قصده ، وأعذب ورده ، تُعلمه كيت وكيت : فالمجلس يتقدم بكيت وكيت : فيعلم ذلك ويعتمده ويبادر إليه ، والله الموفق .

وإن كان من الكُتَّاب ، كُتِبَ : هذه المكتبةُ إلى المجلس السامى ، القاضى ، الأجل ، الكبير ، الصدر ، الرئيس ، الأوحِد ، ويدعى له ، نحو : أدام الله سعادته ، وبلغه من الخير إرادته ، تُعلمه كيت وكيت . والباقي على ما تقدم .

وإن كان من القضاة ، كُتِبَ : هذه المكتبةُ إلى المجلس السامى ، القاضى ، الأجل ، الكبير ، العالم ، الفاضل ، الكامل ، الأوحِد ، فلان الدين . والباقي من نسبة ما تقدم .

وإن كان من مشايخ الصوفية ، كتب : هذه المكتبة إلى المجلس السامى الشيخ ، الصالح ، الورع ، الزاهد ، فلان الدين ، نفع الله تعالى بركته ، ولا أخلى مجالس الذكر من محاسن سَمِيته وِسْمِيته . والباقي من نسبة ما تقدم .

والعنوان الألقاب التي في صدر الكتاب ، وأول سَجْعَةٍ من الدعاء الذى فيه وتعريفه ، ويكون في سطرين كما في هذه الصورة :

المجلس السامى ، الأمير ، الأجل ، الكبير ، المجاهد ، المؤيد ، الأوحِد ،
الذُحْر ، فلان الدين . أدام الله إقباله فلان الفلانى

المرتبة الثالثة - الأفتاحُ بالإعلام بالقصد ، وهو أن يكتب : يعلم فلان ، وقد تقدم في الكلام على مقدمة المكاتبات من هذه المقالة أن الصواب فيها ليَعْلَمُ بإثبات لام الأمر في أوله ، فحذف كُتِبُ الزمان منها اللام اللازم إثباتها وأجرؤها مُجْرَى الخبر. والرسم فيه أن يُترك تحت المَلِكِي الفلاني بياضٌ : بحيث لا يبقى من الوصل إلا ما يسعُ سطرين كما في المكاتبة قبلها وما قبل ذلك .

ثم إن كان المكتوب له من أرباب السُيوف ، كُتِبَ : يعلم الأمير ، الأجلُّ ، الكبيرُ ، المؤيدُ ، الذنُحْرُ ، المُرتَضَى ، المختارُ ، فلان الدين ، ويدعى له ، نحو : أدام الله عزَّه ، ووفَّر من الخير كثره ، كَيْتَ وكَيْتَ ، فمجلس الأمير يتقدم بكَيْتَ وكَيْتَ ، فيعلم ذلك ويعتمده ويبادر إليه ، والله الموفق بمنه وكرمه .

وإن كان من الكُتَّاب ، كُتِبَ : يعلم مجلسُ القاضي ، الأجلُّ ، الكبيرُ ، العالمُ ، الفاضلُ ، الكاملُ ، الأوحيدُ ، فلان الدين ، كَيْتَ وكَيْتَ ، والباقي من نسبة ما تقدم .

وإن كان من القضاة ، كتب : يعلم مجلس القاضي ، الأجلُّ ، الكبيرُ ، العالمُ ، الفاضلُ ، الكاملُ ، الأوحيدُ ، فلان الدين ، كَيْتَ وكَيْتَ ، والباقي من نسبة ما تقدم .

وإن كان من مشايخ الصُوفية ، كتب : يعلم مجلسُ الشيخ ، الصالح ، الورع ، الزاهد ، الأوحيد ، الكامل ، فلان الدين ، كَيْتَ وكَيْتَ ، والباقي من نسبة ما تقدم .

والعنوان لهذه المكاتبة الألقابُ التي في الصدر والدعاء بأول سبعة مما فيه من

الدعاء والتعريف .

وصورة وضعه في الورق أن يكتب ذلك في سطرين كما في هذه الصورة :

المجلس الأمير ، الأجل ، الكبير ، المؤيد ، الذخر ، المرتضى ، المختار ،

فلان الدين . أدام الله عزه فلان الفلاني

والعلامة تحت البسملة الأسم بقلم مختصر الطومار الثقيل .

قلت : وما يجب التنبيه عليه أن الألقاب المذكورة في صدور المكاتبات
عنواناتها ليست موقوفا عندها ، بل لكل واحد فيها اختيار من تقديم وتأخير ،
وتبديل لقب بلقب ، وزيادة ونقص ؛ إلا أن الزيادة والنقص يكونان على المقاربة ،
مثل زيادة لقب ولقبين وثلاثة ، ونقصها . على أنهم في الزمن السابق كانوا يتعاطون
في الإخوانيات الألقاب المركبة في الصدور والعنوانات فيما يبدأ فيه بالدعاء وما بعد
ذلك إلى آخر المراتب كما هو في السلطانيات .

فإن كان من أرباب السيوف قيل مع الدعاء للمقر الشريف لأرباب السيوف
بعد استيفاء الألقاب المفردة : عز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء في العالمين ،
زعيم الجيوش ، مقدم العساكر ، عون الأمة ، غياث الملة ، مهده الدول ، مسيد
الممالك ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين . ومع الدعاء للمقر الكريم :
عز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء في العالمين ، نصرة الغزاة والمجاهدين ، زعيم
جيوش الموحدين ، عماد الدولة ، عون الأمة ، ذخرملة ، ظهير الملوك والسلاطين ،
سيف أمير المؤمنين ، وعلى ذلك إلى آخر كل مرتبة بحسبها .

وإن كان من رؤساء الكُتاب ، قيل : جلال الإسلام والمسلمين ، سيد الكبراء
في العالمين ، رئيس الأصحاب ، قوام الأمة ، نظام الملة ، مدبر الدولة ، ذخرمالك ،
ظهير الملوك والسلاطين ، وكذلك إلى آخر المراتب كل مرتبة بحسبها . وكذلك القول

في القضاة ومشايخ الصوفية كلُّ أحد منهم بما يناسبه من الألقاب لوظيفته ورتبته .
ثم اقتصروا بعد ذلك على استعمال اللَّقَبِ المضَافِ إلى الملوك والسلاطين ، مثل ظهير
الملوك والسلاطين ونحو ذلك ؛ فحذف كُتَابُ الزمان هذه الألقاب المركبة جملةً
أختصاراً ، وهو مستحسن : لما في ذلك من ميل النفوس إلى الاختصار ، ولتخالف
المكاتبات الصادرة عن السلطان ، فتكون مختصةً بالألقاب المركبة دون غيرها .

القسم الثاني

(من المكاتبات الإخوانيات الدائرة بين أعيان المملكة وأكابر
أهل الدولة ، الأجوبة ؛ وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يُفْتَحُ من ذلك بما تُفْتَحُ به الأبتداءات المتقدمة الذكر)
والرسم فيها أن يكتب صدر الكتاب كما يكتب أن لو كان ابتداءً ، ثم يذكر ورودُ
الكتاب المجاب عنه ، ويُؤتى بالحواب عما تضمنه ؛ وهو على أربع مراتب :
المرتبة الأولى - وهي أعلاها في تعظيم الكتاب الوارد ، أن يعبر عنه بالمثال .
وذلك مع الإبتداء بلفظ يقبل الأرض وينهى كيت وكيت . وصورته أن يقول بعد
كمال الصذر : ورود المثال الكريم العالی أعلاه الله تعالى على الملوك على يد فلان ،
ويذكر ما يليق به من المجلس العالی أو المجلس السامى أو غيرهما ؛ ثم يقول : فقبل
الملوك لوروده الأرض ، وأدى من واجبه الفرض ؛ وتضاعف دعاء الملوك لتأهيله
لغلمانية الأبواب الكريمة ، وأبتهج بوروده ، وحمد الله وشكره على ما دل عليه : من
عافية مولانا ملك الأمراء أعز الله أنصاره - إن كان المثال قد ورد من نائب سلطنة -
أو من عافية مولانا قاضى القضاة - إن كان قاضياً - أو من عافية المخدوم وصحة مزاجه

(١) أى الذى منه وينهى ورود المثال الخ وهكذا فى الآتى .

المحروس . وقابل المملوك المراسيم الكريمة بالأمثال ؛ ففهم ما رسم له به من كيت وكيت ؛ والمملوك لم يكن عنده غفلة ولا إهمال فيما رسم له به . وإن كان ثم فصول كثيرة ، قال : فأما ما رسم له به من كيت وكيت فقد أمثله المملوك ؛ ويجاب عنه . ثم يقول : وأما ما رسم له به من كيت وكيت ، فالأمر فيه كيت وكيت ، حتى يأتي على آخر الفصول ؛ فإذا انتهى إلى آخرها ، قال : وسؤاله من الصدقات العميمة ، إمداده بمراسيم الكريمة وخدمه ، ليفوز بقضائها ، ويبادر إلى أمثالها ؛ والمملوك مملوكه وعبدُ بابه الشريف .

المرتبة الثانية — أن يعبر عن الكتاب الوارد بالمثل العالى بدون الكريم ، وذلك مع الابتداء بلفظ يقبل الأرض وينهى بعد آتته إلى الله تعالى ؛ والابتداء يقبل الأرض بعد رفع دعائه ؛ ويقبل الأرض بالمقر الشريف ؛ ويقبل الباسط الشريف . فأما مع يقبل الأرض بعد آتته ، فالأمر على ما تقدم في جواب المكاتب قبلها ، إلا أنه يقتصر على المثال العالى دون الكريم كما تقدمت الإشارة إليه . وأما مع يقبل الأرض بعد رفع دعائه ، فإنه يقول بعد تكملة الصدر : ورود المثال العالى أعلاه الله تعالى على يد فلان ، فقبله حين قابله ، ووقف على ما تضمنه من كيت وكيت ، وفرح بما دل عليه من عافية المخدم ، وحمد الله تعالى وشكره على ذلك ، وفهم ما أشار إليه من كيت وكيت ؛ ويجاب عنه ، ثم يقول : والمملوك يسأل إحسان المخدم بتشريف المملوك بمهمات ومراسيمه ليفوز بقضائها ، فإن المملوك وقف المالك ؛ طالع بذلك ، والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه ، أو نحو ذلك . وأما مع يقبل الأرض بالمقر الشريف ، ويقبل الباسط الشريف ؛ فإنه يقال ورود المثال العالى أيضا ، وربما قيل ورود مثاله العالى . وقد يقال المشرف الكريم العالى على ما تقتضيه رتبة المكتوب إليه ، ويرتضيه المكتوب عنه ؛ والباقي على نحو ما تقدم .

المرتبة الثالثة - أن يعبر عن الكتاب الوارد بالمشرفة، على التانيث؛ وذلك مع يقبل الباسطة ويقبل اليد. ويختلف الحال في ذلك بحسب المراتب. فيقال: يقبل الباسطة وينهى ورود المشرفة الكريمة. ومع اليد الشريفة، والكريمة، والعالية؛ وفي معنى ذلك يختم إذا كتب بها؛ وكذلك أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم، وإن كان المكتوب عنه يكتفى عن نفسه بنون الجمع المقتضية للتعظيم. ثم يقول: في كل منها نقبلها الملوك حين قابلتها، ووقف على ما تضمنته من محبته ومودته، وفهم ما شرحه من أمر كيت وكيت، ويجاوب عنه؛ ثم يقول: والمستمد من محبته شريف الملوك بمراسمه ومشرفاته وخدمته: ليفوز بقضائها، ويأدر إلى أمثالها؛ فإن الملوك ما عنده عفة فيما يقتضيه رأيه العالی، والله تعالى يؤيده بمنه وكرمه.

المرتبة الرابعة - أن يعبر عن الكتاب الوارد بالمكاتبه. وذلك مع الإبتداء بالدعاء بالفظ: ضاعف الله تعالى نعمة الجنب العالی؛ وأدام الله تعالى نعمة المجلس العالی؛ وما دبرت هذه المكتبة إلى المجلس العالی، أو المجلس السامی؛ أو هذه المكتبة إلى المجلس السامی؛ أو يعلم مجلس. فيقال: وتوضح لعلمه، أو موضحة لعلمه، أو تتضمن إعلامه، أو تعلمه، أو يعلم على حسب المراتب المتقدمة، وورد مكاتبته، فوقفتنا عليها، وأحطنا علماً بما تضمنته من كيت وكيت، ويجاوب عنه؛ ثم يقول: فيتقدم الجنب أو المجلس أو مجلس الأمير ونحو ذلك مما يقتضيه الحال، بإعلامنا بأخباره وضروراته وحواله.

وأعلم أن لكتاب السراجوبة لنواب السلطنة وغيرهم من ترد عليه مكاتباتهم بطلب الملاحظة عند عرض مكاتباتهم على الحضرة السلطانية؛ وتحسين السفارة في ذلك؛ ويقع الخطاب في جواب كل منهم على حسب رتبته.

ففي جوابِ نائبِ السلطان بالشام المحروس يُكتب ما صورته : وَيُنْهَى بعد رَفَعٍ
أَدْعِيَتِهِ الصَّالِحَةِ تَقْبَلُهَا اللهُ تَعَالَى مِنَ الْمَمْلُوكِ وَمِنْ كُلِّ دَائِعٍ مُخْلِصٌ ، بِدَوَامِ أَيَّامِ مَوْلَانَا
مَلِكِ الْأُمَرَاءِ ، أَعَزَّ اللهُ تَعَالَى أَنْصَارَهُ ، وَخُلُودِ سَعَادَتِهِ عَلَيْهِ ، أَنَّ الْمَثَالَ الْكَرِيمَ وَرَدَّ
عَلَى الْمَمْلُوكِ عَلَى يَدِ فُلَانٍ ، فَهَضَّ لَه الْمَمْلُوكُ ، وَأَجْمَلَ فِي تَلْقِيهِ السُّلُوكُ ، وَفَضَّه عَنْ
صَدَقَاتٍ عَمِيمَةٍ ، وَتَفَضَّلَاتٍ جَسِيمَةٍ ، وَفَرِحَ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنْ سَلَامَةِ مَوْلَانَا مَلِكِ
الْأُمَرَاءِ - أَعَزَّ اللهُ أَنْصَارَهُ - وَعَافِيَتِهِ ، وَصِحَّةِ مِرَاجِهِ الْمَحْرُوسِ ، وَتَضَاعَفَ سُرُورُ الْمَمْلُوكِ
بِذَلِكَ ، وَتَزَايَدَ آتِبَاهُ بِهِ ، وَسَأَلَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يُدِيمَ حَيَاةَ مَوْلَانَا مَلِكِ الْأُمَرَاءِ ،
أَعَزَّ اللهُ أَنْصَارَهُ ، وَيُبْقِيَهُ ، وَأَتَتْهُ إِلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ الْإِشَارَةُ الْكَرِيمَةُ فِي مَعْنَى تَجْهِيزِ
الْمَشَارِ إِلَيْهِ إِلَى خِدْمَةِ الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ بِمَا عَلَى يَدِهِ مِنَ الْمَكَاتِبَةِ الْكَرِيمَةِ ، وَمَا رَسَمَ بِهِ
مِنَ الْقِيَامِ فِي خِدْمَتِهَا وَعَرَضَهَا بَيْنَ يَدَيْ الْمَوَاقِفِ الشَّرِيفَةِ شَرَّفَهَا اللهُ تَعَالَى وَعَظَّمَهَا ،
وَقَابَلَ الْمَمْلُوكُ الْإِشَارَةَ الْكَرِيمَةَ بِالْأَمْتَالِ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَبَادَرَ إِلَى مَا رَسَمَ بِهِ ،
وَقَدْ عَرَّضَ الْمَمْلُوكُ الْمَكَاتِبَةَ الْكَرِيمَةَ عَلَى الْمَسَامِعِ الشَّرِيفَةِ ، وَكُتِبَ الْجَوَابُ الشَّرِيفُ
عَنْ ذَلِكَ بِمَا سَتُحِيطُ بِهِ الْعُلُومُ الْكَرِيمَةُ ، وَعَادَ بِذَلِكَ إِلَى خِدْمَةِ مَوْلَانَا مَلِكِ الْأُمَرَاءِ
أَعَزَّ اللهُ أَنْصَارَهُ . وَالْمَمْلُوكُ مَمْلُوكُ مَوْلَانَا مَلِكِ الْأُمَرَاءِ عَزَّ نَصْرُهُ ، وَمُحِبُّهُ الْقَدِيمُ ،
وَالْمُعْتَرِفُ بِإِحْسَانِهِ وَصَدَقَاتِهِ ، وَيَسْأَلُ تَشْرِيفَهُ بِالْمَهْمَاتِ وَالْخِدْمِ ، أَنَّهُ يَذْكُرُ ، إِنْ شَاءَ
اللهُ تَعَالَى .

وفي جوابِ بَقِيَّةِ النَّوَابِ بِالْمَمَالِكِ الشَّامِيَةِ : كُنُوبِ السُّلْطَنَةِ بِحِمَاةٍ وَطَرَابُلُسٍ وَصَفَدٍ
وَالكَرْكِ ، وَمَقَدِّمِ الْعَسْكَرِ بَغْزَةَ ، يَكْتُبُ : وَيُنْهَى بعد رَفَعٍ دُعَاةً ، وَإِخْلَاصَهُ فِي مَحَبَّتِهِ
وَوَلَائِهِ ، وَأَعْتَرَفَهُ بِإِحْسَانِ مَوْلَانَا وَآلَائِهِ ، أَنَّ الْمَثَالَ الْعَالِيَّ - أَعْلَاهُ اللهُ تَعَالَى -
وَرَدَّ عَلَى الْمَمْلُوكِ عَلَى يَدِ فُلَانٍ ، فَتَقَبَّلَهُ الْمَمْلُوكُ ، وَأَحْسَنَ فِي تَلْقِيهِ السُّلُوكُ ، وَفَرِحَ بِمَا دَلَّ
عَلَيْهِ مِنْ عَافِيَةِ مَوْلَانَا وَسَلَامَتِهِ ، وَصِحَّةِ مِرَاجِهِ الْمَحْرُوسِ ، وَحَمْدِ اللهِ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ ،

وَأَنْتَهَى إِلَى مَا أَشَارَ إِلَيْهِ : مِنْ تَجْهِيزِ الْمَطَالَعَةِ الْكَرِيمَةِ إِلَى الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ ، شَرَفَهَا اللَّهُ تَعَالَى وَعَظَّمَهَا بِوَفِّهِمَ الْمَمْلُوكُ ذَلِكَ ، وَأَمْتَلَّ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَوَقَّفَ فِي خِدْمَتِهَا عِنْدَ الْعَرَضِ عَلَى الْمَسَامِعِ الشَّرِيفَةِ ، وَأَحَاطَتْ الْعُلُومُ الشَّرِيفَةُ بِمَضْمُونِهَا ، وَكَتَبَ الْجَوَابَ الشَّرِيفَ عَنْ ذَلِكَ بِمَا سَبَّحِيطَ بِهِ عِلْمُ مَوْلَانَا ، وَقَدْ عَادَ فُلَانٌ بِالْجَوَابِ الشَّرِيفِ وَبِهَذِهِ الْخِدْمَةِ ، وَحَمَلَهُ الْمَمْلُوكُ مِنَ السَّلَامِ وَالشُّوقِ وَالِدَعَاءِ وَالْوَلَاءِ وَتَقْبِيلِ الْأَرْضِ مَا يُبْدِيهِ لِمَسَامِعِ مَوْلَانَا . وَالْمَمْلُوكُ يُسْأَلُ إِحْسَانَةَ الْإِصْفَاءِ إِلَى ذَلِكَ ، وَالتَّشْرِيفَ بِمِرَاسِمِهِ وَخِدْمَتِهِ : لِيَبَادِرَ إِلَى قَبُولِهَا . وَاللَّهُ تَعَالَى يُؤَيِّدُهُ وَيَحْرُسُهُ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ .

وعلى قياس ذلك في غير هذه من المكاتبات بحسب ما تقتضيه رتبة كل واحد من أصحابها .

الضرب الثاني

(من الأجوبة ما يفتح بـرُودِ المكتبة مصدرا بلفظ : وردت أو وصلت

أو وقفت على المكتبة ، وما أشبه ذلك)

مثل أن يكتب . ورد المثال الكريم الفلاني ، وذكرك سلامته أحلى من ذكر الأوائل ، وقد تطرّز منه طرازاً أشرف من طراز الغلائل ، وما سكن القلب إلى شيء كسكونه إليه ، ولا رأى وارداً أكرم منه عليه ، فقابل نعمة قدومه بدوام شكرها ، وطوى صحائف الآمال إلا من نشرها ، وإذا كان وجه الأيام مقطباً استغنى بيشير وجهه الميمون عن بيشيرها ، فإن حسن في رأيه الإجراء على عوائد إحسانه [من التشريف بمِرَاسِمِهِ وَخِدْمَتِهِ] ^(١) والمواصلة بها ، [نالت] ^(١) النفس من ورودها نهاية أربها .

(١) بياض في الأصل قليل ، وما أثبتناه مأخوذ من المقام .

قلت : أما الأجوبة المطلقة : وهي الدائرة بين الأصدقاء والأصحاب من أفاضل الكُتاب ، وعيون أهل الأدب ، ممن له ملكة في الإنشاء ، وقوة في النظم والنثر ؛ فإنها لا تتوقف على ابتداءٍ مخصوص ، ابتداءً ولا جواباً ؛ بل قد تكون مبتدأة بما تقدم من الابتداءات ، وقد تكون بغير ذلك من الأفتتاحات التي يختارها صاحب الرسالة ، بل أكثرها مفتتح بالشعر المناسب للحال المكتوب فيها ، بل ربما اقتصر فيها على الشعر خاصة دون النثر .

المهيع الثاني

(في بيان رتب المكتوب عنهم والمكتوب إليهم : من أعيان الدولة بمملكة الديار المصرية ، وما يستحقه كل منهم من رتب المكاتبات السابقة على ما أحال مستقر عليه في زماننا)

اعلم أن المكتوب عنهم من أعيان الدولة على طبقات ، لكل منهم مكاتبات بصدر يختص به ، إلى من فوق رتبته أو مساو له في الرتبة أو دونه فيها ، مرتبة على ترتيب المكاتبات الصادرة عن الأبواب السلطانية إلى أهل الدولة :

الطبقة الأولى — من المكتوب عنهم من يكتب إليه عن السلطان « أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم » ككافل السلطنة : وهو نائب السلطان بالحضرة ، وأتابك العساكر ، ونائب السلطنة بالشام . والمكتوب إليهم عن هذه الطبقة على مراتب : المرتبة الأولى — من يكتب له عن هذه الطبقة « الفلاني بمطالعة » ، ومن يكتب إليه بذلك عن نائب الشام فيما رأيته — أتابك العساكر بالأبواب الشريفة ، وكان ما كتب له « المخدومي الأتابكي فلان الفلاني » باللقب المضاف إلى لقب السلطان ، « أتابك العساكر المنصورة » .

المرتبة الثانية - من يكتب إليه « الأبواب بمطالعة » ومن يكتب إليه بذلك عن النائب الكافل بالحضرة . والأتابك - نائب السلطنة بالشام . فقد قال في « التثيف » :
 إن بهذه المكتبة يكتب من أكابر أسراء الديار المصرية إلى نائب الشام وحلب فيما أظن . ومن يكتب إليه بذلك عن نائب الشام - الدوادار ، وأمير خور ، ومقدمو الألواف بالديار المصرية ، وأكابر الأمراء مقدمي الألواف بالشام ، وكافل المملكة الشريفة الحلبية .

مرتبة الثالثة - من يكتب له عن هذه الطبقة « الأبواب بغير مطالعة » وبذلك يكتب عن كافي الحضرة بالحضرة إلى نائب السلطنة بحلب . وقد ذكر في « التثيف » أنه كان يكتب بذلك عن الأمير المنبغا العمري (يعني الحاصي) وهو أتابك الديار المصرية ، إلى نائب الشام أيضا . ثم قال : وكذلك كتب بعده إلى نائبي الشام وحلب ، الأمير منكي بغا ، والأمير الحاي ، ونواب السلطنة بالديار المصرية ، وبذلك يكتب عن نائب الشام إلى كل من قضاة القضاة الأربعة بالديار المصرية ، وكذلك الوزير وكاتب السربها .

مرتبة الرابعة - من يكتب له عن هذه الطبقة « الباب الكريم والباب العالي »
 أما الباب الكريم ، فإنه يكتب بذلك عن النائب الكافل والأتابك

وبذلك يكتب عن نائب الشام إلى الأمراء الطبلخاناه بالديار المصرية ، وإستادار الأملاك الشريفة ، وناظر الجيوش المنصورة بالأبواب السلطانية ، وناظر الخواص ، وناظر الدولة ، وحاجب الحجاب بالشام ، وقاضي القضاة الشافعي بالشام ، وكاتب

(١) بيض في الأصل بقدر سطر والساقط هو المكتوب إليهم . ولعله إلى نائب الشام ونائب طرابلس

في آخر ما يأتي بعد . وحرر .

السَّرْبَه ، ونائب السلطنة بطرَابُلُس ، ونائب السلطنة بِحَمَاة ، ونائب السلطنة بِصَفَد ،
ونائب السلطنة بِالكَرْك .

أَمَّا مَنْ يَكْتُبُ لَهُ عَنِ نَائِبِ الشَّامِ الْبَابُ الْعَالِي بِدُونِ الْكَرِيمِ ، فَمُقَدَّمُ الْعَسْكَرِ
الْمَنْصُورِ بَغَزَّةَ ، وَالْقَضَاةُ الثَّلَاثَةُ بِالشَّامِ ، مَا خَلَا الشَّافِعِيَّ الْمُقَدَّمُ ذِكْرُهُ ، وَالْوَزِيرَ
بِالشَّامِ .

المرتبة الخامسة - مَنْ يَكْتُبُ إِلَيْهِ عَنِ هَذِهِ الطَّبَقَةِ « يَقْبَلُ الْأَرْضَ بِالْمَقَرِّ
الشَّرِيفِ » وَبِذَلِكَ يَكْتُبُ عَنِ النَّائِبِ الْكَافِلِ وَالْأَتَابِكِ ، إِلَى نَائِبِ طَرَابُلُسَ ،
وَنَائِبِ حَمَاةَ ، وَنَائِبِ صَفَدَ ، وَنَائِبِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ . وَأَمْرَاءُ الْأُلُوفِ بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ،
وَبِهِ يُكْتُبُ عَنِ نَائِبِ الشَّامِ .

المرتبة السادسة - مَنْ يَكْتُبُ إِلَيْهِ عَنِ هَذِهِ الطَّبَقَةِ « الْبَاسِطُ الشَّرِيفِ » وَبِذَلِكَ
يَكْتُبُ عَنِ النَّائِبِ الْكَافِلِ وَالْأَتَابِكِ ، إِلَى مُقَدَّمِ الْعَسْكَرِ بَغَزَّةَ ، وَمُقَدَّمِ الْعَسْكَرِ بِسَيْسَ ،
وَنَائِبِ السُّلْطَنَةِ بِالكَرْكِ ، وَحَاجِبِ الْحُجَّابِ بِالشَّامِ ، وَحَاجِبِ الْحُجَّابِ بِحَلَبَ .

المرتبة السابعة - مَنْ يَكْتُبُ لَهُ عَنِ هَذِهِ الطَّبَقَةِ « الْبَاسِطَةُ الشَّرِيفَةُ » وَمَنْ
يَكْتُبُ لَهُ بِذَلِكَ عَنِ نَائِبِ الشَّامِ قَاضِي الْقَضَاةِ الشَّافِعِيَّ بِحَلَبَ .

المرتبة الثامنة - مَنْ يَكْتُبُ لَهُ عَنِ هَذِهِ الطَّبَقَةِ « الْيَدُ الشَّرِيفَةُ » أَوْ « الْيَدُ الْكَرِيمَةُ »
أَوْ « الْيَدُ الْعَالِيَةُ » . وَبِذَلِكَ يَكْتُبُ عَنِ النَّائِبِ الْكَافِلِ وَالْأَتَابِكِ ، إِلَى نَائِبِ الْوَجْهِ الْقَبِيلِيِّ
وَالْوَجْهِ الْبَحْرِيِّ بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَنَائِبِ الْقُدْسِ ، وَنَائِبِ حِمَصَ ، وَنَائِبِ الرَّحْبَةِ ،
وَنَائِبِ الْبَيْرَةِ ، وَنَائِبِ قَلْعَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَنَائِبِ مَلْطِيَّةَ ، وَنَائِبِ دَبْرُكِي ، وَنَائِبِ الْأَبْلَسْتِينِ ،
وَنَائِبِ طَرَسُوسَ ، وَنَائِبِ أَدْنَةَ ، وَنَائِبِ بَهْسَنِيَا ، وَأَمْرَاءُ الْأُلُوفِ بِالشَّامِ وَحَلَبَ .
وَبِذَلِكَ يُكْتُبُ [أَيْضًا] عَنِ نَائِبِ الشَّامِ إِلَى أَمْرَاءِ الْعَشْرَاتِ بِالْدِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَقَضَاةِ

العسكر بها ، وحاجب الحُجَّاب بِحَلَب ، والقُضَاة الثلاثة : الحنفى ، والمالكي ،
والحنبلى ، بها .

المرتبة التاسعة — مَنْ يُكْتَبُ لَهُ عَنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ «أَعَزَّ اللهُ تَعَالَى أَنْصَارَ الْمُقَرَّرِ
الكَرِيمِ» . وبذلك يكتب عن نائب الشام إلى كاشف الصَّفَقَةِ القِبَلِيَّةِ ، وإلى الأُمَرَاءِ
مَقْدَمِي الأُلُوفِ بِالشَّامِ ، وناظر الجيش به ، وأمير آلِ فَضْلِ ، ونائب حِمص ، وكاتب
السَّرِّ بِحَلَب ، ونائب المملكة بها ، ونائب دَوْرَكِي ، ونائب دَرَنْدَةَ .

المرتبة العاشرة — مَنْ يُكْتَبُ لَهُ عَنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ «أَعَزَّ اللهُ تَعَالَى نُصْرَةَ الْمُقَرَّرِ
الكَرِيمِ» . وبذلك يكتب عن نائب الشام إلى نائب قلعة دِمَشْقَ ، والحاجب الثاني بها ،
ووكيل بيت المال بها ، ومقدمي الأُلُوفِ بِحَلَب ، ونائب الجيش بها ، ونائب الرَّحْبَةِ ،
ونائب الأَبْلُسْتَيْنِ ، ونائب مَلْطِيَّةَ ، ونائب قلعة المسلمين ، ونائب بهسنى ، ونائب
البيرة ، ونائب جَعْبَر ، ونائب الرُّهَا ، ونائب حُسْبَانَ .

المرتبة الحادية عشرة — مَنْ يُكْتَبُ لَهُ عَنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ «أَعَزَّ اللهُ تَعَالَى نُصْرَةَ
الْحَنَابِ الكَرِيمِ» . وبذلك يكتب عن نائب الشام إلى أمراء الطَّبَلْخَانَاهِ بِالشَّامِ ، ونائب
الْقُدْسِ ، ونائب بَعْلَبَكْ ، ومتولى صَيْدَا ، وأمراء الطَّبَلْخَانَاهِ بِحَلَب ، ووكيل بيت
المال بها ، والمحتسب بها ، وناظر خاصَّ البريد بها ، وأمير حاجب بَصْفَد .

المرتبة الثانية عشرة — مَنْ يُكْتَبُ إِلَيْهِ عَنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ : «ضَاعَفَ اللهُ تَعَالَى
نِعْمَةَ الْحَنَابِ العَالِي» . وبذلك يكتب عن نائب الشام ، إلى والي قَطِيَا ، ورُبَّمَا زِيد
فِيهِ الكَرِيمِ .

المرتبة الثالثة عشرة — مَنْ يُكْتَبُ إِلَيْهِ عَنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ : «أَدَامَ اللهُ تَعَالَى نِعْمَةَ
الْحَنَابِ العَالِي» . وبذلك يكتب عن نائب الشام إلى أمراء العَشْرَاتِ بِمِصْرَ ، وأمراء

العشريات بالشام، والمحتسب بها، والحاجب الكبير بغزة، ومقدم عرب بنى عقبة،
وأكابر عرب آل فضل، وأمير عرب آل علي، وأمير آل موسى، ونائب مضياف،
ومتولى يروت

المرتبة الرابعة عشرة — من يكتب إليه عن هذه الطبقة : «المجلس العالى
مع الدعاء». وبذلك يكتب عن نائب الشام إلى العشرات بدمشق، ووالى المدينة،
ووالى البرية، والحاجب الثانى بغزة، وأمير آل مرآ، ومقدم عرب جزم، ومقدم
بنى مهدي، وأمراء العشريات بحلب .

المرتبة الخامسة عشرة — من يكتب إليه عن هذه الطبقة : «صدرت والعالى» .
وبذلك يكتب عن النائب الكافل والأتابك، إلى كاشف الوجه البحرى من الديار
المصرية، وكاشف الفيوم والبهنساوية، ووالى أسوان، وكشاف الجسور من أمراء
الطبلخاناه بالوجهين : القبلى والبحرى بالديار المصرية، ونائب قلعة حلب، ونائب
آياس، ونائب جعبر، ونائب درندة، وحاجب الحجاب بطرابلس، وحاجب الحجاب
بحمّاة، وحاجب الحجاب بصفد، وبذلك يكتب [أيضا] عن نائب الشام إلى أجناد
الحلقة بمصر، والحاجب الكبير بمحّص، وأمراء العشرات بحلب .

المرتبة السادسة عشرة — من يكتب إليه عن هذه الطبقة : «صدرت والسامى» .
وبذلك يكتب عن النائب الكافل والأتابك، إلى والى قوص، ووالى منفلوط،
ووالى الأشمونين، ووالى البهنسى، ووالى منوف، ووالى الغربية، ووالى الشرقية،
ووالى قطيا، ونائب مضياف، ونائب بعلبك، ونائب قلعة صفد، ونائب عينتاب،
والحاجب الكبير بغزة. وبذلك يكتب [أيضا] عن نائب الشام إلى مقدم الحلقة بالشام،
وأعيان الجند بها، ومقدم بنى مهدي، ومتولى الصلت ومجلون، ومتولى صرخد.

والحاجب الصغير بمحمص، ووالي تدمر، ومقدم إقليم الحروب بصيدا، ومقدم إقليم النعاج، ووالي البقاعين، ووالي بلنياس.

المرتبة السابعة عشرة - مَنْ يَكْتُبُ إِلَيْهِ عَنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ «هَذِهِ الْمَكَاتِبُ»
 وبذلك يَكْتُبُ عَنِ النَّائِبِ الْكَافِلِ وَالْأَتَايِكِ، إِلَى الْوَالِي الْجِزْيَةِ، وَوَالِي إِطْفِيحٍ،
 وَوَالِي قَلْبُوبٍ، وَوَالِي أُشْمُومِ الرُّمَّانِ بِالْديَارِ الْمِصْرِيَةِ. وَبِذَلِكَ يَكْتُبُ أَيْضًا إِلَى
 نَائِبِ الْكَحْتَا، وَنَائِبِ كَرْكِرٍ، وَنَائِبِ حَجْرِ شُغْلَانَ، وَنَائِبِ سِرْفَنْدَكَارٍ، وَنَائِبِ الْقُصَيْرِ،
 وَنَائِبِ بَغْرَاسٍ، وَنَائِبِ الرَّأُونْدَانِ، وَنَائِبِ الشُّغْرِ وَبَكَاسٍ، وَنَائِبِ الرَّهَاءِ، وَنَائِبِ
 الدَّرْبَسَاكِ، وَنَائِبِ شِيزَرِ بِالْمَمْلَكَةِ الْحَلِيَّةِ، وَإِلَى نَائِبِ اللَّاذِقِيَّةِ، وَنَائِبِ صَهْيُونِ،
 وَنَائِبِ حِصْنِ الْأَكْرَادِ، وَنَائِبِ حِمَصٍ، وَنَائِبِ الْمَرْقَبِ، وَنَائِبِ بَلَّاطُنُسٍ، وَنَائِبِ
 الْكَهْفِ، وَنَائِبِ الْقَدْمُوسِ، وَنَائِبِ الْخَوَائِي، وَنَائِبِ الْعَلِيْقَةِ، وَنَائِبِ الْمَيْنَقَةِ:
 مِنْ أَعْمَالِ طَرَابُلُسٍ، وَنَائِبِ شَقِيفِ تَبْرُونَ مِنْ مَعَامِلَةِ صَفَدٍ. وَبِذَلِكَ يَكْتُبُ [أَيْضًا]
 عَنِ نَائِبِ الشَّامِ إِلَى صِغَارِ الْأَجْنَادِ بِمِصْرٍ، وَإِلَى كَاشِفِ الرَّمْلَةِ، وَمَتَوَلَّى حُسْبَانٍ،
 وَحَامِي الْخَرِبَةِ.

المرتبة الثامنة عشرة - مَنْ يَكْتُبُ إِلَيْهِ عَنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ «يَعْلَمُ». وَبِذَلِكَ يَكْتُبُ
 عَنِ نَائِبِ الشَّامِ إِلَى صِغَارِ الْأَجْنَادِ بِالشَّامِ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ وَرَاءَ مَا تَقْدَمُ مِنَ الْمَكَاتِبِ عَنِ نَائِبِ الشَّامِ مَكَاتِبَاتٍ أُخْرَى إِلَى مَنْ هُوَ
 خَارِجٌ عَنِ الْمَمْلَكَةِ، وَهُمْ عَلَى صَرَاطِبٍ.

المرتبة الأولى - مَنْ يَكْتُبُ لَهُ عَنْهُ: «يَقْبَلُ الْأَرْضَ» - صَاحِبُ بَغْدَادٍ:
 كَمَا كَانَ يُكْتُبُ لِلْقَانِ أَحْمَدَ بْنِ أُوَيْسٍ، كَانَ يُكْتُبُ إِلَيْهِ فِي وَرَقٍ قَطَعَ نِصْفَ الْجُمُوعِ
 بِقَلَمِ الثَّلَاثِ الصَّغِيرِ: يَقْبَلُ الْأَرْضَ لَدَى الْحَضْرَةِ الشَّرِيفَةِ، الْعَالِيَةِ، الْمَوْلُويَّةِ،

السلطانية، العالمة، العادلية، المؤيدية، المالكية، القانية، ولا زالت عزوماتها مؤيده، وآراؤها مسدده، ويُنهى إلى العلم الكريم - صاحب السراى : ودشت القَبْجاق مثله بأبسط ألقاب .

المرتبة الثانية - من يكتب إليه : « أعزَّ الله تعالى أنصارَ المقرِّ الشريف »
 ابنُ السلطان أحمد بن أويس المذكور . وورقه نظيرُ ورق والده ، وقلمه نظير قلمه - صاحب هَرَاة : مثله .

المرتبة الثالثة - من يكتب إليه : « أعزَّ الله أنصارَ المقرِّ الكريم » - صاحبُ ماردين : أعزَّ الله تعالى أنصارَ المقرِّ الكريم العالى ، المولوى ، الكبيرى ، العادلى ، السلطانى ، الملكى ، الفلانى ، ورفق مقداره ، وأجزل مَبَارَه . المملوك يجدد الخدمة العالیه ، ويصفُ أشواقه المتواليه ، ويُنهى لعلمه الكريم - صاحب بُرْصا : من بلاد الروم ، وهو ابن عُثمان . والرسم فيه على ما كان يكتب لأبى يزيد بن مراد بك بن عثمان : أعزَّ الله تعالى أنصارَ المقرِّ الكريم ، العالى ، المولوى ، الكبيرى ، العالى ، العادلى ، العونى ، الغيائى ، المهدي ، المشيدى ، الزعيمى ، الغازى ، المجاهدى ، المشاغرى ، المرابطى ، العايدى ، الناسكى ، الزاهدى ، المقدمى ، الأتابكى ، المحسنى ، الظهيرى ، الملكى ، الفلانى ، معزَّ الإسلام والمسلمين ، سيد الأُمراء فى العالمين ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، مُبيد المشركين ، قاصع أعداء الدين ، مقتلِع الحُصون من الكافرين ، عون الأُمة ، عمادِ الملة ، ذُخر الدولة ، ظهير الملوك والسلاطين ، حاكم البلاد الرومىة ، صاحب بُرْصا وقيسرية ، سيف أمير المؤمنين ، قهر [الله] أعداء الدين الحنيفى بعزائمهِ وسَطَوَاتِهِ ، وجعله مؤيدا فى حركاتهِ وسكاته ، وأيده فى جهاده وأجتهاده بالنصر الذى لا يفارق ألوية أعلامه وراياته ،

ولا زالت رعاياه محبوبه، وعساكره منصوره؛ هؤلاء بجوده [وهباته]، وهؤلاء بوجوده
وحياته . المملوك يقبل اليد التي لازال القصد بها يزيد ، وبحر البر من أناملها مديد،
ونواها يناله الوافدون حيث أموه من قريب وبعيد؛ ويصف صفاء محبة يتضاعف
نماؤها كل يوم جديد ، وترادف تحيات أشواقها بالموالاة والتحميد ، ويتوأم
بهادي رسائلها بصدق المودة الدائمة على التأييد ؛ ويؤدي إلى العلم الكريم .

قلت : كذا رأيت في دستور بخط القاضي ناصر الدين بن أبي الطيب : كاتب
سر الشام كان . وفيه اضطراب وتخليط من نعت في ألقابه [بقوله] الملكى الفلانى ؛
وقوله سيد الأمراء في العالمين ، حيث وصفه أولا بأوصاف الملوك ، ثم وصفه
بأوصاف الأمراء ؛ إلى غير ذلك من الخبط الذى لا يخفى على متأمل .

المرتبة الرابعة - « أعز الله أنصار المقر العالى » - وزير صاحب بغداد ،
ورقه فى قطع الحموى بقلم الثلث الخفيف - قاضى بغداد : مثله سواء - صاحب
لارندا : من بلاد الروم بمملكة بنى قرمان ؛ ويقال فى ألقابه : الأصلى نون
التوامين ، مجهز المقاب ، ذخر القانات - صاحب سيواس : من البلاد الرومية
أيضا - صاحب آياس لوق : من البلاد الرومية - صاحب جولمرك : من بلاد
الأكراد .

المرتبة الخامسة - « الجناب الكريم » - صاحب حصن كيفا : من بلاد
الجزيرة ، ويقال فيه : الملكى الفلانى - مقدم التركان البيضاء .

المرتبة السادسة - « الجناب العالى » - صاحب أرزنجان - صاحب جزيرة
أبن عمر من بلاد الجزيرة - صاحب أنطاليا من بلاد الروم - ابن الشيخ
عبد القادر الكيلانى شيخ الجبال .

المرتبة السابعة - « المجلس العالى » - صاحب مياْفَارِقِينَ : من بلاد
 الجزيرة - صاحب أَكَلَّ : من الجزيرة أيضا - صاحب أَرْقِين - صاحب
 قلعة الجوز - صاحب جرموك - صاحب أماسيا : من بلاد الروم - نائب
 مَآرِدِينَ - خادم صاحب مَآرِدِينَ - صاحب بُطْنَانَ - صاحب سِنْجَارَ : من
 بلاد الجزيرة - صاحب حاسك (؟) - صاحب أَزْبَك - صاحب المَوْصِل -
 صاحب سَنُوبَ - صاحب بوشاظ - صاحب الدَّرْبَنْد - صاحب عَيْنِ دَارَا -
 صاحب الحمة - صاحب خِلَاطَ - صاحب طِلَان - صاحب تَاخ - صاحب
 جَمَشَكَزَاك - نائب كَرَبْزَاك - صاحب القَنْطَرَة - نائب نَخْرْتِ بَرْت - صاحب
 البَارِعِيَّة - صاحب حَرَّانَ - صاحب العِمَادِيَّة - صاحب حَانِي - نائب مازكرد -
 نائب صالحية مَآرِدِينَ - أمير التركمان الشهرية - صاحب أَشْنُو .

الطبقة الثانية - ممن يكتب عنهم من أعيان الدولة بالديار المصرية، من
 يُكْتَب إليه عن السلطان : « أعزَّ الله تعالى نصره الجناح الكريم » وهو نائب
 السلطنة بِحَلَبَ .

والكتابة عنه على مراتب :

المرتبة الأولى - « الفلانى بمطالعة » وهو النائب الكافل بالحضرة السلطانية .
 وأتابك العساكر المنصورة .

المرتبة الثانية - « الأبواب بمطالعة » وهو نائب السلطنة بالشام، والامير الدوادار
 بالأبواب السلطانية، وأستاذ الدار بها، وأكابر الأمراء المقدمين الخاصكية .

المرتبة الثالثة - « الأبواب بغير مطالعة » . وبذلك يكتب إلى نائب الشام

المرتبة الرابعة - «البابُ الكريم» . وبذلك يكتب إلى نائب السلطنة بطرأبلُس ، ونائب السلطنة بِجَمَاةَ ، ونائب السلطنة بَصَفَدَ ، وكذلك يكتب به إلى الطبقة الثانية من الأمراء المقدمين بِالْحَضْرَةِ من دون الخَاصِيكية ؛ وفي معنى ذلك الوزير ، وكاتبُ السَّرِّ ، وناظرُ الخَاصِّ ، وناظرُ الجَيْشِ ، ومَن في معناهم .

المرتبة الخامسة - «يُقْبَلُ الأَرْضَ بالمَقَرِّ الشريف» . وبذلك يُكتب إلى حاجب المُجَابِ بالشَّامِ .

المرتبة السادسة - «يُقْبَلُ البَاسِطَةَ» وبذلك يُكتب إلى الحاجب الثاني بالشَّامِ ، وحاجبِ المُجَابِ بِحَلَبَ ، وحاجبِ المُجَابِ بِجَمَاةَ ، وحاجبِ المُجَابِ بِطَرَابُلُسَ ، وقاضي القُضَاةِ الشافعيِّ بِحَلَبَ ، وكاتبِ السَّرِّ بِهَا .

المرتبة السابعة - «يُقْبَلُ اليَدَ الشريفة» . وبذلك يُكتب إلى نائبِ البيرة ، ونائبِ مَلْطِيَّةَ ، ونائبِ قَلْعَةِ المُسلمينَ ، ونائبِ جَعْبَرِ ، ونائبِ الرَّهَاءِ ، ونائبِ الأَبْلَسْتينِ ، ونائبِ حِمَصَ ، وأمراءِ الطَّبْلَخَانَاهِ بِدَمَشَقَ .

المرتبة الثامنة - «أَعَزَّ اللهُ عَلَيَّ أَنْصَارَ المَقَرِّ الكَرِيمِ» . وبذلك يكتب إلى نائبِ طَرَسُوسَ ، ونائبِ الرَّحْبَةِ ، والحاجبِ الثاني بِطَرَابُلُسَ ، ومقدمي الألوْفِ بِهَا ، والقضاةِ الثلاثةِ : المالكِيَّ ، والحَنَفِيَّ ، والحَنَبِيَّ بِحَلَبَ . إلا أنه يقال : «أَعَزَّ اللهُ عَلَيَّ أَحْكَامَ المَقَرِّ» .

المرتبة التاسعة - «أَعَزَّ اللهُ عَلَيَّ أَنْصَارَ المَقَرِّ الكَرِيمِ العَالِي» وبذلك يُكتب إلى نائبِ بَهْسَنِيَّ ، ونائبِ الرَّحْبَةِ ، وأكابرِ الطَّبْلَخَانَاهِ بالشَّامِ ، ومن تولى الإمرَةَ من عربِ آلِ فَضْلِ ثَمَّ عُزْلَ ، وقضاةِ العساكرِ المنصورةِ بِحَلَبَ ، وناظرِ المملكةِ بِهَا ، وأميرِ آلِ عَلِيَّ .

المرتبة العاشرة - « أعز الله تعالى نُصْرَةَ الجَنَابِ الكَرِيمِ ». وبذلك يُكْتَبُ إلى
أعيان أمراء الطبلخاناة بِحَلَبَ ، والحاجبِ الثالث والرابع بها ، وأكابر أولاد أمراء
عرب آل فضيل .

المرتبة الحادية عشرة - « ضَاعَفَ اللهُ تَعَالَى نِعْمَةَ الجَنَابِ العَالِيِ » وما في معناه
مما يُكْتَبُ به إلى أرباب الأقلام وغيرهم . وبذلك يكتب إلى نائب شيزر، وأمراء
الطبلخاناة بِحَلَبَ ، غير الأعيان ، وناظر الأملاك الشريفة بِحَلَبَ ، وناظر خاص البريد
وموقعي الدست بها .

المرتبة الثانية عشرة - « صَدَرَتْ وَالْعَالِيِ ». وبذلك يُكْتَبُ إلى نائب عينتاب ،
ونائب الراوندان ، ونائب الكختا ، ونائب كركر ، ونائب بغراس ، ونائب الدر بساك ،
ونائب الشغر وبكاس ، ونائب القصير ، وأمراء العشرينات بِحَلَبَ ، وأعيان
العشرات بها .

المرتبة الثالثة عشرة - « صَدَرَتْ وَالسَامِيِ ». وبذلك يُكْتَبُ إلى مُقَدِّمِي الحَلَقَةِ
بِحَلَبَ ، ومقدمي البريديَّةِ بها ، وأعيانهم .

المرتبة الرابعة عشرة - « السامى » بغير ياء . وبذلك يُكْتَبُ إلى والى سرمين ،
ووالى الباب ، ووالى غزاز ، ووالى أنطاكية ، ووالى حارم ، ووالى كفر طاب ، ووالى
الجبول ، ووالى منبج ، ووالى تل بآشر ، وأجناد الحلقة بِحَلَبَ ، وصغار البريديَّةِ بها ،
وعداد التركان وعداد الأكراد .

وأعلم أن وراء ما تقدم من المكاتبات الصادرة عن نائب حلب [مكاتبات أخرى]
إلى من هو خارج عن المملكة ، كما تقدم في المكاتبات الصادرة عن نائب الشام ،
وهي على مراتب :

المرتبة الأولى - المكتوبة بـ «يُقْبَلُ الأَرْضَ» - القان صاحب بَغْدَادَ : كما كان يُكْتَبُ إلى القانِ أُوَيْسَ ، وأبْنِهِ أَحْمَدَ : يُقْبَلُ الأَرْضَ بالمقام الشريف العالی ، المَوْلَوِي ، السُّلْطَانِي ، الأَعْظَمِي الأَوْحَدِي ، المِلَادِي ، العَطُوفِي ، المُحْسِنِي ، القَانِي ، المَلِكِي الفِلَانِي ، الجَلَالِي ؛ أعلى الله تعالى شأنه ، وأعز سلطانه ، وأمكن من رقاب الأعداء مكانه ؛ ولا زال لَوَأْهُ يَتَأَزَّرُ بالنصر ويرتدى ، وفِنَأْهُ يَرُوحُ إليه العِزُّ ويعتدى ، وعِزْمُهُ يَثْقُفُ صرفَ الزَّمانِ فلا يعتاد أن يعتدى ؛ ولا بَرَحَ محمودًا في مَوْقِفِ النصرِ موقفه ، مَاضِيًا في هامات أعدائه مُرَهْفُهُ ، وَيُنْهِى بعد أدعية رفعها إلى مواطن الإجابة ﴿ فَتَقْبَلُهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنِ ﴾ ومُوَالَاةٍ شَفَعَهَا بالإخلاص ، فعجز عن وصفها ذُووُ البلاغة واللِّسَن ، وَأَثْنِيَّةٍ جمعها فَلَذَّتْ بها الأسماعُ لَذَاذَةَ الأَعْيُنِ السَاهِرَةِ بالوَسْنِ ؛ أن الأَمْرَ كَيْتَ وَكَيْتَ .

المرتبة الثانية - من يُكْتَبُ له «أَعَزَّ اللهُ تَعَالَى أَنْصَارَ المَقَرِّ الشَّرِيفِ» - صاحب مَارِدِينَ . والرسم أن يُكْتَبُ إليه : أَعَزَّ اللهُ تَعَالَى أَنْصَارَ المَقَرِّ الشَّرِيفِ ، العَالِي ، السَّمْوَلَوِي ، الكَبِيرِي ، العَالِمِي ، العَادِلِي ، السُّلْطَانِي ، المَلِكِي ، الفِلَانِي ؛ ويدعى له ، نحو : لَازَلَتْ أَيامُهُ مَسْعُودَهُ ، وَأَبْوَابُهُ مَقْصُودَهُ ، وَأَلْوِيَةُ النَّصْرِ بِنَوَاصِي خَيْلِهِ مَعْقُودَهُ ؛ المملوك يُقْبَلُ اليَدَ الشَّرِيفَةَ ، ويقوم من الخِدْمَةِ بِأَكْلِ وَظِيفِهِ ؛ وَيُنْهِى لعلمه الكَرِيمِ بعد السلام الزكِي ، والشَّاءِ المِسْكِي ؛ كَيْتَ وَكَيْتَ ، فيحيط بذلك علمه الكَرِيمِ ، وَيُنْحَفُ بِالمُشَرَّفَاتِ على عادة فضله العميم .

المرتبة الثالثة - «أَعَزَّ اللهُ تَعَالَى أَنْصَارَ المَقَرِّ الكَرِيمِ» . وبذلك يكتب إلى ابن قَرْمَانَ نائِبِ السلطنة بالبلاد القَرْمَانِيَّة - حاكم جولمرك - صاحب بُرْصَا وهو ابن عثمان - صاحب آيَاس لوق .

المرتبة الرابعة - « المقرّ العالى » وبذلك يكتب إلى صاحب حصن كيفا،
والوزير بالممالك القانية وقاضيا .

المرتبة الخامسة - « أعز الله تعالى نُصرة الجناب الكريم » . وبذلك يكتب
إلى صاحب أنطاليا من بلاد الروم .

المرتبة السادسة - « ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى » . وبذلك يكتب
إلى نائب كرزك ، وحاكم جمشكراك ، وحاكم سيواس ، وحاكم أماسيا ، وحاكم
سنوب ، والحاكم بخرت برت .

المرتبة السابعة - « أدام الله تعالى نعمة الجناب العالى » . وبذلك يكتب إلى نائب
صاحب ماردين ، ونائب الصالحية ، وبعض خدام صاحب ماردين :

المرتبة الثامنة - « صدرت والعالى » . وبذلك يكتب إلى حاكم حران ، ونائب
ماز كرد ، وحاكم قلعة الجوز .

الطبقة الثالثة - ممن يكتب عنه من أعيان الدولة بمملكة الديار المصرية -
من يكتب إليه عن السلطان : « ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالى » كوزير المملكة
بالديار المصرية ، وناظر الخاص ، على ما استقر عليه الحال آنحرا ، وأرباب الوظائف
من الأمراء المقدمين بها : كأمير سلاح ، وأمير مجلس ، وأمير أخور ، والدوّادار .
وإستادار ، وحاكج الجباب ، ونائب الإسكندرية ، وكذلك نواب السلطنة
بظرابلس ، وحمّاة ، وصفدّ ، من الممالك الشامية .

والمكتوب إليهم عن هذه الطبقة على [تسع] مراتب :

المرتبة الأولى - « الفلانى بمطالعة » وهم : النائب الكافل ، وأتابك العساكر ،

ونائب الشام .

المرتبة الثانية — « الأبواب بمطالعة » . وبذلك يكتب إلى نائب حلب .

المرتبة الثالثة — « الأبواب بغير مطالعة » وبذلك يكتب إلى نائب طرابلس ،
ونائب حماة ، ونائب صفد ، ونائب الكرك ، وأمير سلاح وغيره من سائر من في هذه
الطبقة .

المرتبة الرابعة — « الباب الكريم » . وبذلك يكتب إلى نائبي الوجهين القبلي
والبحري بالديار المصرية ، ومقدمي العسكر بغزة وسيس ، والأمراء المقدمين
المتوجهين من الأبواب السلطانية لكشف الجسور والمساحة وقبض الغلال .

المرتبة الخامسة — « يقبل الأرض بالمقر الشريف » إن قصد تعظيمه ، أو الباسط
الشريف إن لم يقصد ، وبذلك يكتب إلى (١)

المرتبة السادسة — « يقبل اليد العالية » . وبذلك يكتب إلى أمراء الطبلخاناه
المتوجهين من الأبواب السلطانية لكشف الجسور والمساحة والقبض . وربما
أنحطت رتبة أحد هؤلاء فكتب إليه : أعز الله تعالى أنصار المقر الكريم ، وأنصرة
الجناب الكريم ، أو ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالی .

المرتبة السابعة — « ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالی » . وبذلك يكتب إلى
كاشف الوجه البحري وكاشف الفيوم والبهنساوية .

المرتبة الثامنة — « أدام الله تعالى نعمة المجلس العالی » . وبذلك يكتب إلى الولاة
الطبلخاناه بالوجهين القبلي والبحري بالديار المصرية : كقوص والمحلة ، وغيرهما .
وربما كتب « صدرت والعالی » لأحدهم .

(١) بياض بالأصل بقدر كلمة .

المرتبة التاسعة — « صَدَرَتِ وَالسَّامِي » . وبذلك يكتب إلى ولاة العشرات بالوجهين القبلي والبحري بالديار المصرية .

الطبقة الرابعة — ممن يكتب عنه من أعيان الدولة بمملكة الديار المصرية ، من يكتب إليه عن السلطان « أدام الله تعالى نعمة المجلس العالی » . ككتاب السرّ وناظر الجيش ، وكذلك الحُجَّاب الطبلخاناه بالديار المصرية . وعلى ذلك كان ناظر الخاص في الزمن المتقدم . فلما جُمِعَ للصاحب شمس الدين المقسى بين الوزارة ونظر الخاص ، كان يُكتب عنه بما يُكتب به عن الوزراء كما تقدم . فلما انفصل الخاص عن الوزارة رُوِيَ في الخاص ذلك القَدْرُ ، فكتب عن ناظر الخاص كما كتب عن الوزير ، والأمر على ذلك إلى الآن .

والمكاتبات الصادرة عن هذه الطبقة على مراتب :

المرتبة الأولى — « الفلاني بمطالعة » . وبذلك يكتب إلى النائِبِ الكافل ، والأتابِكِ ، ونائب الشام ، وألحقوا بهذه الرتبة نائب حلب ، فكتبوا إليه الفلاني .

المرتبة الثانية — « الأبواب بمطالعة » . وبذلك يكتب عن هذه الطبقة إلى نواب السلطنة بطرابُلس ، وحمّاة ، وصدّاء ، وثغر الإسكندرية .

المرتبة الثالثة — « الأبواب بغير مطالعة » وبذلك يكتب إلى نائبي الوجهين القبلي والبحري بالديار المصرية ، ومُقدّمى العسكر بقرّة وسيس ، وربما كتب إلى أحدهم « الباب الكريم » .

المرتبة الرابعة — « الباسط الشريف » . وبذلك يكتب إلى نائب الكرك .

المرتبة الخامسة — « يُقبَلُ الباسطة » . وبذلك يكتب إلى نائب القُدس الشريف ، ونائب الرّحبة ، وكاشف الوجه البحري ، وكاشف الفيوم بالديار المصرية .

المرتبة السادسة — «يقبل اليد العالية» . وبذلك يكتب إلى الولاية الطبلخاناه ،
بالوجهين القبلي والبحري ، بالديار المصرية .

المرتبة السابعة — «يخدم الجناح العالی» . وبذلك يكتب إلى الولاية العشرات
بالوجهين القبلي والبحري أيضا .

قلتُ : وعلى هذه الطبقات الأربع يُقاس مَنْ دونهم ممن يكتب إليه عن
السلطان ، صدرت والعالی ، ككاتبی القُدس والرَّحبة ؛ وَمَنْ يُكتب له : صدرت
والسامی ، كالكاشف بالوجه البحري ، وكاشف الفيوم ؛ ومن يكتب له : هذه
المكاتبه ، كالولاية الطبلخاناه بالوجهين القبلي والبحري ؛ ومن يكتب له : «يَعْلَمُ»
كالولاية العشرات بالوجهين أيضا . على أن الغالب في مثل هؤلاء أن تكون الكتابةُ
عندهم لأعيان الدولة «الفلاني بمطالعة» وفيمن هو مثلهم أو دونهم يقاس على
ما تقدم .

وأعلم أن هذه المراتب المضمَّنة للطبقات ليست على سبيل اللزوم في الوقوف
عند حدِّها ، بحيث لا يجوز تجاوزها بزيادة ولا التأخر عنها بنقص ، بل هي على
سبيل التقريب ؛ والأمر في زيادة رتبة المکتوب إليه زيادة لا تُخرجه عن حدِّه
في المقدار موكولٌ إلى اختيار الكاتب ، يزيد في ذلك وينقص ، بحسب ما يقتضيه
الحال : من رفعة قدر المکتوب إليه ، لمزيد رفعة عن نوعه ، أو محاباته لأستعماله
إلى القصد المطلوب منه ، أو الفَضُّ منه بحطية رتبته أو نحو ذلك .

الفصل السابع

من الباب الثاني من المقالة الرابعة

(في مقاصد المكاتب ، وهي الأمور التي تكتب المكاتب بسببها)
وهي الجزء الأعظم من صناعة الترسُّل ، وعليها مدارُ صنعة الكتابة ، إذ الولايات
من مقاصد المكاتب ، وهي أهمُّ ما تَضَلَّعَ به الكاتبُ ، وألزمُ ما مهَرَ فيه ؛ وهي قسمان :

القسم الأول

(مقاصد المكاتب السلطانيات ، وهي على نوعين)

النوع الأول

(ما يُكْتَبُ عن الخلفاء والملوك ، وهو على ثلاثة أضرب)

الضرب الأول

(ما يكتب عن الخلفاء والملوك ومن ضاهاهم)

مما هو مستعمل الآن ممَّا كان عليه الحال في الزمن القديم مما يَقلُّ ويَكثرُ ،
ويَتَكَرَّرُ تَدَاوُلُهُ في الكتابة وسائر المكاتب في الحوادث المألوفة التي يكثر تداولها ،
وتُتَكَرَّرُ الكتابة فيها بتكرار وقائعها ؛ وما رَسُمُ الكتابة به بآقٍ إلى زماننا ، وإن تغير
مصطلح الأبتداء والخطاب وغيرهما من رسوم المكاتب . وهو على أصناف :

الصنف الأول

(الكتب بانتقال الخلافة إلى الخليفة)

قال في "مواد البيان" : جرت العادة أن تُنْفَذَ الكتبُ إلى ولاة الأعمال في مثل
هذه الحالة ، مُتَضَمِّنَةً ماجرى عليه الأمر بالحضرة : من أنقياد الأولياء والرعايا

إلى الطاعة، ودُخولهم في البيعة بصدور مُنْشِرْحَةٍ، وَحَضُّ مَنْ بِالْأَعْمَالِ مِنْ رِجَالِ السُّلْطَانِ وَرِعِيَّتِهِ عَلَى الدُّخُولِ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ أَمْثَالُهُمْ، وَإِعْطَاءِ الرِّعَايَا عَلَى ذَلِكَ صَفْقَةً أَيْمَانِهِمْ .

وقد كان الرسمُ فيها أن تُصَدَّرَ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عَوَارِفِهِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ تَكْشِفُ الخَطْبُ، وَتَرَابُ الشَّعْبِ، وَتَدْفَعُ المِهْمَ، وَتَرْفَعُ العُلْمَ، وَتَجْبِرُ الوَهْنَ، وَتُسَبِّغُ الأَمْنَ؛ وَالصَّلَاةَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَكَرَ خِصَائِصَهُ وَمَنَاقِبَهُ، وَتَشْرِيفَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بِإِقْرَارِ الإِمَامَةِ فِي أَقَارِبِهِ، وَتَخْصِيصِهَا بِبَنِي عَمِّهِ الَّذِينَ هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ؛ وَمَا أَمَرَ بِهِ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ طَلَبِ مَوَدَّتِهِمْ مِنَ الأُمَّةِ بِقَوْلِهِ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾ . وَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَقَاءِ الخِلَافَةِ فِيهِمْ بِقَوْلِهِ لِعَمِّهِ العَبَّاسِ: «أَلَا أُبَشِّرُكَ بِأَعْمٍ، فِي خِتَمَتِ النَّبُوَّةِ وَبَوْلَدِكَ تَحْتِ الخِلَافَةِ» وَمَا يَجْرِي مَجْرَى ذَلِكَ . ثُمَّ يَتَلَوُ ذَلِكَ بِالإِفْصَاحِ عَنِ شَرَفِ الخِلَافَةِ وَفَضْلِهَا، وَالإِبَانَةِ عَنِ رَفِيعِ مَكَانِهَا وَمَحَلِّهَا؛ وَأَنَّهَا ظِلُّ اللَّهِ المَمْدُودِ، وَحَبْلُهُ المَشْدُودِ؛ وَمِسَاكُ الدِّينِ وَنِظَامُهُ، وَمِلَاكُ الحَقِّ وَقِوَامُهُ . وَأَمْتِنَانَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى العِبَادِ بِأَنْ جَعَلَ فِيهِمْ أُمَّةً يُقْسِطُونَ العَدْلَ عَلَيْهِمْ، وَيُقِيمُونَ الحُدُودَ فِيهِمْ؛ وَيُقِيمُونَ أَدْيَانَهُمْ، وَيَهْتَدُونَ إِيمَانَهُمْ؛ وَيُرْهَفُونَ بِصَائِرِهِمْ، وَيَهْدُونَ حَاثِرَهُمْ؛ وَيَكْفُونَ ظُلُومَهُمْ، وَيُنْصِفُونَ مَظْلُومَهُمْ، وَيَجْمَعُونَ كَلِمَتَهُمْ؛ وَيَحْمُونَ ذِمَارَهُمْ، وَيَحْوِطُونَ دِيَارَهُمْ؛ وَمَا يَجْرِي مَجْرَى ذَلِكَ . ثُمَّ يَذْكَرُ مَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَهْلِ الإِسْلَامِ لِلإِمَامِ مِنَ الطَّاعَةِ وَحَسَنِ التَّبَاعَةِ أَيَّامَ حَيَاتِهِ، وَالإِتْقَانِ لِأَمْرِهِ فِي طَاعَةِ مَنْ يَنْصُ عَلَيْهِ فِي القِيَامِ مَقَامَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ: لِيَتَّصِلَ حَبْلُ الإِمَامَةِ بَيْنَهُمْ، وَيَمْتَدَّ ظِلُّ الخِلَافَةِ عَلَيْهِمْ . فَإِنْ كَانَ قَدْ تَلَقَّى الخِلَافَةَ بَعْدَ عَنِ خَلِيفَةِ قَدَمَاتٍ: مِنْ أَبٍ أَوْ غَيْرِهِ، أَتَى بِمَقْدَمَةٍ فِي ذِكْرِ المَوْتِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَوَّى فِيهِ بَيْنَ بَرِّئَتِهِ، وَجَعَلَ فِي تَطَرُّقِهِ

(١) لعله يفيضون العدل .

إلى رسوله أسوةً خَلِيقَتِهِ ؛ وَتَفَرَّدَ بِالْبَقَاءِ ، وَأَمْتَنَعَ عَنِ الْفَنَاءِ . ثُمَّ يُقَالُ : وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا آخَتَرَ لِعَبْدِهِ وَوَلِيَّهُ فَلَانَ النَّقْلَةَ إِلَى دَارِ كِرَامَتِهِ ، وَالْحُلُولَ بِفِنَاءِ طَاعَتِهِ ؛ وَأَعَانَهُ عَلَى سِيَاسَةِ بَرِيَّتِهِ ، وَأَنْهَضَهُ بِمَا حَمَلَهُ ، وَأَيَّدَهُ فِيمَا كَفَّلَهُ ؛ مِنْ الذَّبِّ عَنِ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْمِرَامَةِ عَنِ الدِّينِ ؛ وَالْعَمَلِ بِكِتَابِهِ وَسُنَّتِهِ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ، وَأَسْتَشْعَارِ خَيْفَتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ ؛ وَمَا يَلِيقُ بِهَذَا - اسْتَخْلَصَ عَبْدَهُ وَوَلِيَّهُ فَلَانًا الْإِمَامَ الْفُلَانِيَّ لَخْلَافَتِهِ ، وَأَهْمَى سَمَاءَ الرَّحْمَةِ بِإِمَامَتِهِ ؛ وَأَحَلَّ عَزِيزَ النَّصْرِ بِوِلَايَتِهِ ، وَأَلْقَى فِي نَفْسِ رَأْيِهِ النَّصَّ عَلَيْهِ ، وَالتَّفْوِيضَ إِلَيْهِ ؛ لِمَا عِلْمَ سَبْحَانِهِ فِي ذَلِكَ مِنْ شَمُولِ الْمَصْلُحَةِ لِلْعِبَادِ ، وَعَمُومِ الْأَمْنَةِ لِلْبِلَادِ ؛ فَأَمْضَى - قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ - مَا أُلْهِمَهُ ، وَكَلَّمَهُ قَبْلَ خُرُوجِهِ مِنْ دَارِ الدُّنْيَا وَتَمَمَّهُ ؛ عَالِمًا بِفَضْلِ آخْتِيَارِهِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَمِيلْ بِهِ الْهَوَىُّ فِي إِيْشَارِهِ ؛ فَقَامَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْإِمَامَ الْفُلَانِيَّ مَقَامَهُ ، وَحَفِظَ نِظَامَهُ ؛ وَسَدَّ ثُلُمَتَهُ ، وَعَفَى رِزِيَّتَهُ ؛ وَأَقْرَأَ اللَّهُ تَعَالَى الْإِمَامَةَ بِهِ فِي نِصَابِهَا وَمَقَرَّهَا ، وَزَادَ بِاسْتِخْلَافِهِ فِي صِيَّتِ الْخِلَافَةِ وَقَدَّرَهَا .

وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَخْصَ وَلِيَّهُ السَّعِيدَ بِقُرْبِهِ بِأَفْضَلِ صَلَوَاتِهِ ، وَأَشْرَفِ تَحِيَّاتِهِ ؛ وَيُحَسِّنَ جَزَاءَهُ فِي سَعْيِهِ فِي صَلَاحِ الْعِبَادِ ، وَسِدَادِ الْبِلَادِ ؛ وَأَنْ يُلْهِمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّبْرَ عَلَى تَجَرُّعِ الرَّزِيَّةِ فِيهِ [وَيَجْزِيهِ] أَفْضَلَ مَا جَزَى بِهِ ضَابِرًا مُحْتَسِبًا ، وَأَنْ يُجِبَرَ كَسْرَهُ فِي فَقْدِهِ ، وَيُؤَفِّقَهُ لَجَمِيلِ الْعِزَاءِ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَيُسَدِّدَهُ فِي مَصَادِرِهِ وَمَوَارِدِهِ ، وَيَهْدِيَهُ لِمَا يُرْضِيهِ فِي جَمِيعِ مَقَاصِدِهِ ؛ وَيُعِينَهُ عَلَى تَأْلِيفِ الْأَهْوَاءِ ، وَجَمْعِ الْأَرَاءِ ؛ وَنَظْمِ الشُّمْلِ ، وَكَفِّ الْقَتْلِ ، وَإِرْخَاءِ الظِّلِّ .

وَكِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا إِلَيْكَ وَقَدْ أَجْتَمَعَ مِنْ بَحْضَرَتِهِ ، مِنْ ذَوِي جِهَتِهِ وَأَمْرَاءِ دَوْلَتِهِ ؛ وَكَافَّةَ جُنْدِهِ وَجَمَاعَةَ حَوْزَتِهِ عَلَى بَيْعَتِهِ ، وَإِعْطَائِهِ صَفْقَةَ أَيْمَانِهِمْ عَلَى طَاعَتِهِ

ومشايسته ؛ عن صدور مُخْلِصة نَقِيَّة ، وسَرَّاءِ رِصَافِيَّة سَلِيمة ، وعَقائدِ مُشْتَمَلَة على الوفاء بما عَقَدُوا عليه ، وأنقادوا مُخْتارين إليه ؛ وشَمَلْتَهُم بِذَلِكَ الرَّحْمَة ، وَضَفَّتْ عَلَيْهِم النِّعْمَة ؛ فَمَا رَحُوا الرَّزِيَّةَ ، حَتَّى فَرِحُوا بِالْعَطِيَّةِ ، وَلَا وَجَعُوا لِلصِّبِيَّةِ ، حَتَّى بَسَمُوا لِلرَّغِيَّةِ ؛ وَلَا أَظْلَمُوا لِفَقْدِ الْمَاضِي ، حَتَّى أَضَاءَ الْوَجُودُ بِالْآتِي .

فَللهُ الْحَمْدُ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي جَبَرَتْ الْوَهْنَ ، وَحَقَّقَتْ فِي فَضْلِهِ الْمَنَّ ؛ حَمْدًا يَسْتَدِرُّ أَخْلَافَ فَضْلِهِ ، وَيَسْتَدْعِي سَابِغَ طَوْلِهِ ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَرَاكَ مِنْ أَهْلِ مَخَالِصَتِهِ ، وَالْمُتَحَقِّقِينَ بِطَاعَتِهِ ؛ وَهُوَ بِأَمْرِكَ أَنْ تَأْخُذَ الْبَيْعَةَ لَهُ عَلَى نَفْسِكَ ، وَعَلَى جَمِيعِ أَوْلِيَائِهِ الْمُقِيمِينَ قَبْلَكَ ، وَكَافَّةَ رَعَايَاهِ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمَلِكَ ؛ وَتُشْعِرَهُمْ بِمَا عِنْدَهُ لِلْمَسَارِعِينَ لَطَاعَتِهِ ، الْمُبَادِرِينَ إِلَى آتِبَاعِهِ ؛ مِنْ تَيْسِيرِ الْإِنْصَافِ وَالْعَدْلِ ، وَإِفَاضَةِ الْإِحْسَانِ وَالْفَضْلِ ؛ وَمَا لَمْ نَكَبْ عَنِ الطَّرِيقَةِ الْمُثَلَّى ، وَحَادَّ عَنِ الْأَوْلَى ، مِنْ الْكَفِّ الرَّادِعِ ، وَالْأَدَبِ الْوَارِعِ ؛ وَيَتَوَسَّعُ فِي هَذَا الْمَعْنَى تَوْسَعًا يَشْرُحُ صُدُورَ أَهْلِ السَّلَامَةِ ، الْمُسْتَمِرِّينَ عَلَى نَهْجِ الْأَسْتِقَامَةِ ؛ وَيُرَدِّعُ أَهْلَ الْفُسَادِ ، وَيَغْضُ مِنْ نَوَاطِرِ ذَوِي الْعِنَادِ . وَيُجَلِّي الْكِتَابَ بِآيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَحْسُنُ اسْتِعَارَتَهَا فِي بَابِ الْعَزَاءِ ، وَيَلِيقُ ذِكْرُهَا فِي بَابِ الْإِشَادَةِ بِالْخِلَافَةِ وَالْخُلْفَاءِ . فَإِنْ كَانَ الْكِتَابُ مِمَّا يَقْرَأُ بِالْحَضْرَةِ . قَالَ فِي مَوْضِعٍ « وَكِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ » : « وَأَنْتُمْ مَعَاشِرَ أَقْرَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : مِنْ إِخْوَتِهِ وَبَنِي عَمِّهِ وَخَوَاصِّ الدَّوْلَةِ وَأَمْرَائِهَا وَأَجْنَادِهَا وَكُتَّابِهَا وَقَضَاتِهَا وَكَافَّةَ رَعِيَّتِهَا ، وَمَنْ أَشْتَمَلَ عَلَيْهِ ظَلَّ مَمْلَكَتِهَا - أَحَقُّ مَنْ حَافِظٌ عَلَى عَوَارِفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَعْتَدَ بِلَطَائِفِهِ ؛ وَقَامَ بِشُكْرِ نِعْمَتِهِ ، وَسَارَعَ إِلَى آتِبَاعِهِ وَأَعْتَصَمَ بِجِبِلِّ دَعْوَتِهِ ؛ فَاجْتَمَعُوا عَلَى مِتَابَعَتِهِ ، وَإِعْطَانِهِ صَفْقَةَ أَيْمَانِكُمْ عَلَى مِبَايَعَتِهِ ؛ لِيَجْمَعَ اللهُ عَلَى التَّالِيفِ كَلِمَتَكُمْ ، وَيَجْمَعَ بِالتَّأْزِيرِ بَيْضَتَكُمْ » وَيُتَّبِعُ ذَلِكَ مِنْ وَعْدِ أَهْلِ الطَّاعَةِ

بما يضاعف جُدودهم ، ومن وعيد اهل المعصية بما يصفر خُدودهم ؛ على نسق ما سبق في الترتيب .

وهذه نسخة كتاب في المعنى ، كُتِبَ به عن الأمر بأحكام الله تعالى عند استقراره في الخلافة بعد أبيه المستعلي بالله ، والدولة مشتملة على وزير ، من إنشاء ابن الصيرفي ، وهي :

الحمد لله المتوحد بالبقاء ، القاضى على عباده بالفناء ، الذى تمجد بالأزلية والقدم ، وتفرد بالوجود وتنزه عن العدم ؛ وجعل الموت حتما مقضيا على جميع الأمم .

يحمده أمير المؤمنين على ما خصه به من الإمامة التى قمصه سر بالها ، وورثه نحرها وجمالها ، حمد شاكر على جزيل عطيه ، صابر على جليل الرزية ، مسلم إليه فى الحكم والقضية ؛ ويسأله أن يصلى على جدته الذى ثبتت حجته ، ووضعت محجته ؛ وعلت كلمته ، وأنافت على درج الأنبياء درجته ؛ صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين على بن أبى طالب الذى جعل [الله] الإمامة كلمة فى عقبه باقيه ، رجة جنة يوم الفرع الأكبر واقبه ؛ وعلى الأئمة من ذريتهما الطاهرين ، صلاة دائمة إلى يوم الدين .

وإن الإمام المستعلي بالله أمير المؤمنين قدس الله روحه وصلى عليه ، كان من أوليائه الذين أصطفاهم لخلافته فى الأرض ، وجعل إليهم أزيمة البسط والقبض ؛ وقام بما حملة من أوق الإمامة ^(١) ، ولم يزل عاملاً بمرضاة الله إلى أن نقله إلى دار المقامه ؛ فإننا لله وإنا إليه راجعون ، رضا بقضائه ، وصبرا على بلائه ؛ وإلى الله يرغب أمير المؤمنين فى إلهامه حسن الصبر على هذا المصاب ، وإجزال حظّه عليه من الأجر والثواب ؛ وإمداده فى خلافته بمواد الإرشاد والصواب ؛ بكرمه .

(١) الأوق الثقل . قاموس .

وكتاب أمير المؤمنين يوم كذا من الشهر الفلاني من سنة كذا؛ بعد أن جلس للحاضرين بحضرة من الأمراء: عُموته وأوليائه وخدم دولته، وسائر أجناده وعبيد مملكته، وعامة شيعته، وأصناف رعيته؛ وأنوار الخلافة عليه مشرقه، وأغصان الإمامة مُثمرة مُورقة؛ والسيد الأجل الأفضل الذي أمدّه الله في نصرته الدولة العلوية بالتأييد والإظهار، وأبان به برهان الإمامة الآمرية فوضّحت أنوارها للبصائر والأبصار، وشهر له من المناقب ما سار مسير الشمس في جميع الأقطار؛ يتولى الأمر بحضرة تولى الكافل الزعيم، ويباشر النظر في بيعته مباشرة القسيم الحميم؛ والناس داخلون في البيعة بانسراح صدور، وإظهار أبتهاج وسرور؛ يُعطون صفقة أيمانهم، ويعلمون ما لهم من الحظ في طاعة إمام زمانهم؛ قد تحققوا شمول السعد وعموم الرشاد، وتيقنوا الخيرة لهم في العاجلة والمعاد؛ وأمير المؤمنين يعزبك ومن قبلك من أولياء دولته، وسائر رعيته؛ عن المصيبة في الإمام المستعلي بالله - صلى الله عليه - التي قطعت من النفوس أملها، وأسكنت الأبواب جزعا وولها، ويهنيك وإياهم بمتجدد دولته التي تهلل لها وجه الزمان، وأستهلت بها سحائب الفضل والإحسان .

وأمر المؤمنين بحمد الله الذي أقر الحق في منصبه، وأفرده بما كان والده الإمام المستعلي بالله أفرده به .

فأعلم ما أعلمك أمير المؤمنين من هذا الخطب الجسيم، والنبأ العظيم؛ وأشكر الله على ما جنده لك ولكافة المسلمين، من النعمة بامامة أمير المؤمنين؛ التي أوفت بأساء الزمان وجنابته، وشفقت من داء كلمه ونكايته؛ وتقدم إلى الدعاء (؟) قبلك بأخذ البيعة على نفسك وعلى كافة من في ولايتك، وأستحمد إلى أمير المؤمنين أنت وهم بالإخلاص في طاعته، والأجتهد في مناصحته، والتمسك بعصم شايسته؛ لتنالوا

في العاجلة حظًا جسيماً ، وتُحْرَزُوا في الآجلة أجراً كريماً : ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

وطالع بالكائن منك بعد قراءة كتاب أمير المؤمنين عليّ الحاضرين قبلك ، وإذاعته في الواردين عليك والمستوطنين عمّلك ؛ ليحمدوا الله على ما أنالهم بخلافة أمير المؤمنين من جميل الصنع العائد على العباد ، وصلاح البلاد - وكتب في اليوم المذكور .



وهذه نسخة كتاب عن الأمر بأحكام الله المقدم ذكره ، كُتِبَ به إلى ولاية الأطراف بعد قراءة عهده ، مهنتاً بخلافته ، وتجديد ولايته ؛ من إنشاء ابن الصيرفي أيضاً ، وهي .

أما بعد ، فالحمد لله مولى المناجح من نعمه ، ومجزل العطايا من مواهبه وقسمه ، ومعوذ الصنع الجميل من لطفه وكرمه ، الذي له الحكم الظاهر عدله ، ولديه الطول الفائض فضله ، وعنده مفاتيح الغيب وإليه يرجع الأمر كله .

يحمده أمير المؤمنين عليّ ما أفرد به من سنيّ المواهب ، ونظّمه له من عقود المناقب ؛ ونقله إليه من تراث آبائه الكرام الذين جلا ضياؤهم ظلام العياهب ؛ وتزينت بهم الأرض تزين السماء الدنيا بزينة الكواكب ؛ ويسأله أن يصلّي على جدّه مجد الذي نشر الله به الرحمه ، وكشف الغمّه ، وأنقذ الأئمّه ؛ صلى الله عليه وعلى أخيه وأبن عمّه عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين ، والمذكور في زُبر الأولين ، وعلى الصفوة من ذريتهما الهداة الراشدين ، صلاة باقية إلى يوم الدين .

وإن النعم تتفاضل أقدارها بحسب مواقعها ، وتتفاوت أخطارها بقدر مواضعها ؛ ومن أطفها مكانا ، وأشرفها محلاً وشاناً ؛ وأولاها بأن تُستنطق به الأقلام ، وأحقها بأن يتناقل ذكرها الخاصّ العام ؛ ما خصّ الله به أمير المؤمنين من المنن الظاهره ،

وتولاه من المنح المتظاهرة ؛ وأصاره إليه من الخِلافة في أرضه ، وأستخلفه عليه من القيام بسُننِ دينه وفرضه ؛ وأسترعاه إياه من حياطة بلاده ، وأوجبه من طاعته على كافة خلقه وعباده ؛ وذخره لدولته من كفيله وخيليه ، ومقيم أدلة حقه وموضع سبيله ؛ السيد الأجل الأفضل الذي آرتضاه الله للذب عن الإسلام ، وانتضاه لنصرة إمام بعد إمام ؛ وشهر مناقبه في كل موقف ومقام ، وخصه بفضائل لم تُرَ مجتمعاً لملك من ملوك الإسلام ؛ لاجرم أن أمير المؤمنين قد أحله منه محل الروح من الجسد ، والوالد من الولد ؛ وفوض الأمور إليه تفويض معول على يمن قبيته معتمد ، مبالغ في حسن الاختيار للأمة مجتهد ؛ والله تعالى يمتع أمير المؤمنين ببقائه الكافل ببلوغ الأمل ، ويجازيه عن تشييد مملكته أحسن ما جزى به مُخلصاً جمع في الإيمان بين القول والعمل ؛ بكرمه .

ولما وقف أمير المؤمنين بما طالعه به السيد الأجل الأفضل عند مثوله بحضرتة ، وإنهائه أمور دولته وأحوال مملكته ؛ على أمرك الذي أستحمدته في الخدمة ، وأستحقت به إفاضة الإحسان وإسباغ النعمة ؛ وأن لك في الدولتين : المستنصرية والمستعيلة من الخدم المشكوره ، والمساعي المبروره ؛ ما يدل على مناصحتك وإخلاصك ، ويبعث على أصطناعك وأستخلاصك - أمر بكتب هذا السجل لك مؤكداً لأواخيك ، ومُعرباً عن رأيه الجميل فيك ، ومجدداً من ولايتك ، ومُجرباً لك فيها على مُستمر رسمك ومستقر عادتك . فقابل نعمة أمير المؤمنين من الإخلاص في طاعته بما يرتبطها ، ووفها من حق الاجتهاد ما يقرها عندك ويُنبتُها ؛ وأجعل تقوى الله تعالى عمادك ، وأطو عليها طويتك وأعتقادك ؛ ومكن في نفوس الأولياء جميل رأي أمير المؤمنين فيهم ؛ وإحماده لمواقفهم في الخدمة ومساعدتهم ؛ وحقق عند كافة المُستقرين لديك ، والواردين عليك ؛ ما يُكفون به من الأمر الشامل ،

ويغمرُونَ به من حُسْنِ النظر المتواصل ؛ وأبْرَ على العادة المألوفة في إفاضة العدل والإنصاف ، وتَنَكَّبَ سبيلَ الجورِ والإجحاف ؛ ومَهَّدَ السُّبُلَ قِبَلَكَ ، وأَحْمٍ من أسباب الفساد ولايتك وعملك ؛ وأَخْصَصَ مُتَوَلَّى الحُكْمِ والدعوة الهادية - ثبثها الله تعالى - بالإعزاز والرعاية ، ووفَّرَ حَظَّهُم من الملاحظة والعناية ؛ وَخَذَ المُسْتَعْدِمَ في الخطبة العلوية باقامتها في أوقاتها ، على أفضل قوانينها وواجباتها ؛ مُعَلِّناً فيها بذكر أمير المؤمنين الذي يَتَوَجَّحُ فِرْوَقَ المناير ، وَيُسَنِّفُ أَسْمَاعَ البوادي والحواضر ؛ وَيُوفِّرُ على مائمه الأموال وأئمتها ، وغزرها ورخاها ، وقضى بوفورها وحصولها ، ودعا إلى درورها ومواصلة حمولها ؛ وأنظر في أمر الرجال المستعْدِمِينَ معك نظراً يؤدي إلى مصلحتهم . فأعلم هذا من أمير المؤمنين ، وأغبط بما أساره الله إليه أغتباط أمثالك من المخلصين ، وأعتقد طاعته اعتقاداً من يجاريك من أهل اليقين ، وأعمل بوصاياه ومراشده تحفظ في الدنيا والدين ؛ وطالع بالكائن منك بعد قراءة هذا السَّجِلِّ على كافة الناس أجمعين ؛ وكُتِبَ في كذا وكذا .

وأعلم أن العادة جارية بينهم أنه إذا كتب كتاب عن الخليفة بانتقال الخلافة إليه ، يُكْتُبُ ملطف عن الوزير ، يُلَفُّ كتاب الخليفة ضمنه ، ويوجه به إلى حيث المقصد :



وهذه نسخة ملطف في هذا المعنى ، كُتِبَ به عن وزير في الدولة الفاطمية ، لِيُلَفِّ كتابُ الخليفة طيه ؛ وهو :

ينطوي هذا الأمر الوارد على الأمير ، على كتاب مولانا وسيدنا الإمام الصلاني لدين الله ، أمير المؤمنين ؛ صلواتُ الله عليه وعلى آباءه الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين ، أو أبنائه المنتظرين ، إن كان لا ولد له - بما أصداره إليه من شرف

الإمامه ، وبوّأه إياه من مقام العظمة والكرامة ؛ إثر انتقال الإمامِ فلانِ أمير المؤمنين - قدس الله روحه - إلى جوارِ ربه . فاعتمد العملَ بضمونه في أخذ البيعةِ على نفسك ومن يليك ، وتلاوته على رؤوس الأشهاد ، وإذاعة مكنونه في الحاضر والباد ، على الرسم المعتاد ؛ فأعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى .

قلت : وهذا المعنى في الكتابة بانتقال الخلافة إلى الخليفة جارٍ في زماننا بانتقال السلطنة إلى السلطان ؛ ويعبر عن ذلك بجلوسه على تخت الملك ، والأمر على ما تقدم في الخلافة من التعزية بالماضي ، والتهنئة بالمستقر ، ونحو ذلك مما يجري مجراه .



وهذه نسخةُ مكاتبة بالبشارة بجلوس الملك الصالح صالح ابن الملك الناصر محمد ابن قلاوون على التخت ، في شهر رجب الفرد سنة اثنين وخمسين وسبعائة ، بعد خلع أخيه الملك الناصر [حسن] . وصورتها بعد الصدر والألقاب :

وأورد عليه من البشائر أسنى البشر ، وأسمعه من التهاني ما أنتشى حديثه بين البرايا وانتشر ، وحفظ عليه وعلى الأمة ما أراد لهم من الخير ووثى عليهم خيارهم وجعل ملكهم صالح البشر .

صدرت هذه المكاتبة إلى فلان ^(١) وبصرها مقدماً بالظفر ، وذكرها قد . لا الأقطار بجمع عليه كل قلب كان قد نفر ، تُهدى إليه سلاماً عن وجه الشكر سفر ، وثاء يحصل منه على النصيب الأوفر ، وتوضح لعليه أن الجنابات العالية الأمراء الأكار ، أمراء الدولة الشريفة ، ضاعف الله نعمتهم ؛ كانوا قد عظموا أخانا الناصر ، وحكّموه ، ومشوا إلى خدمته على أحسن سنن ؛ وما أبقوا في خدمته ممكناً من التعظيم ، والإجلال والتحكيم ، وأمثال الأمر في كل جليلٍ وحقير ؛ فلم يرع لهم

(١) كذا بالأصل على هذه الصورة .

ذلك، ولا آلتفت إلى ما لهم عليه من حقوق الخدمة، واتفق مع الصبيان، وأراد القبض على الأمراء، وإمسك الجنابات العالية الأمراء الأكابر والإيقاع بهم. فلما تحققوا منه ذلك، اجتمعت الأمراء، واتفقت الكلمة على خلع من الملك الشريف وإقامتنا. نفع المشار إليه، وكان جلوسنا على تحت الملك الشريف وكرسي السلطنة المعظمة في يوم الاثنين المبارك، بحضور الإمام المعتضد بالله أمير المؤمنين أبي الفتح أبي بكر، ابن الإمام المرحوم أمير المؤمنين أبي الربيع سليمان المستكفي بالله، ومبايعته لنا، وحضور المجالس العالية قضاة القضاة بالأبواب الشريفة، أعز الله تعالى أحكامهم، وحلف لنا أمراء الدولة الشريفة على جارى العادة في ذلك، وضربت عند ذلك البشائر، وشهد هذا الهناء كل بادٍ وحاضر، وتشتفت الأسماع وقرت العيون وأستقرت الحواطر، وأتتهجت بذلك الأمم، وتباشرت بهذا السعد الذي كتب لنا من القدم، وأصبح كل من أنصار دولتنا الشريفة مبتهلا بالدعاء مبتهجا.

فليأخذ المقر حظه من هذه التهنیه، وليذع خبرها لتكون المسار معيدة ومبديه، ويتحقق ماله عندنا من المكانه، والمحلى الذى زان بالإقبال الشريف زمانه، ويتقدم أمره الكريم بتهنئة المجالس العالية والسامية ومجالس الأمراء بالمملكة الفلانية، ويتقدم أيضا بضرب البشائر وبالزينة على العادة.

وقد تجهز إلى الجنب العالى نسخة يمين شريفة يحلف عليها، ويكتب خطه، ويجهزها إلينا صحبة المجلس السامى، الأمير، الأجل، الكبير، العضد، الأخرى. النصيرى، الأوحدى، عضد الملوك والسلاطين، يلغا الحموى الصالحى، أدام الله علوه، المتوجه بهذا المثال الشريف. وقد جهزنا نسخة يمين شريفة ليحلف عليها لنا الأمراء بطرابلس ويكتبوا خطوطهم، ويجهزها إلينا على العادة صحبة المشار إليه.

وقد جهزنا للجناب العالی صحبة المشار إليه تشریفاً شریفاً كاملاً ، فیتقدم الجناب العالی بتسلمه منه ولُبسه ، ویتحقق ماله عندنا من المكانة والمنزلة ، ويُعيدُ الأمير سيف الدين يلغا المشار إليه إلى الباب الشریف ، فيحيط علمه بذلك .

الصنف الثاني

(من الكتب السلطانية الكُتُبُ في الدعاء إلى الدين ، وهو من أهم المهمات)
قال في "مواد البيان" : أشرف ما يُنشئه الكاتب الدعاء إلى دين الإسلام الذي أظهره الله تعالى على كلِّ دينٍ ، وأعزَّه على كُرهِ المشركين ، وأستجرَّارُ مخالفيه إليه ، وأجتذابُ الخارجين عن دائرته إلى الدخول فيه ، عملاً بما كان عليه رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والخلفاءُ من بعده ، لأنه قوامُ الملك ونظامُ السلطان اللذان لا يَصحَّان إلا به .

قال : والكاتب يحتاج في إنشاء هذه الكُتُب إلى علم التوحيد وبراہينه ، وشرع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاصه وعامه ، ومعجزاته ، وآيات نبوته : ليتوسَّع في الإبانة من ظهور حجته ، ووضوح حجته .

ثم قال : والرسم فيها أن تُفتَح بحمدِ الله الذي آختر دين الإسلام فأعلاه وأظهره ، وقَدَّسه وطَهَّره ، وجعله سبيلاً إلى رِضاه وكرامته ، وطريقاً إلى الرُزقى في جنته ، وشفيعاً لا يُقبلُ عملُ عاملٍ إلا به ، وبأباً لا يَصِلُ وأصلُ إلامنه ، فلا تُفقرُ السيئاتُ إلا لمن آعتَصم بحبِّه ، ولا تُتقبَّلُ الحسناتُ إلا من أهله . وشكره تعالى على الهداية إليه ، والتوقيفِ عليه ، وزيادته عن مجاهل الضلالة بما أوضعه من برهانه ، ونوره من تبيانه . وتمجيد من تعظيم آياته ، وباهر معجزاته ، وحكيم صنعته ، وبديع فطرته . وتزئيه عما لا يليق بسُلطانه ، ولا تجوز إضافته إلى عظيم شأنه . وتسييحه

عما يصفه به الملحدون، ويحتلُّه الجاحدون؛ والصلاة على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، والإفصاح عن دلائل نبوته، وبراهين رسالته؛ وما خصه الله تعالى به من إعلاء ذكره وإمداده بالمعجزات الباهرة، والآيات الظاهرة.

ثم يتبع ذلك بالدعاء إلى الدين والحض عليه. وإيضاح ما في التمسك به من الرشد في دارى المبدأ والمعاد. والتبشير بما وعد الله به المستجيبين له، والداخلين فيه؛ من تمحيص السيئات، ومضاعفة الحسنات، وعز الدنيا وفوز الآخرة. والإنذار بما أوعده الله به الناكين عن سبيله، العادلين عن دليله؛ من الإذلال في هذه الدار، والتخليد بعد العرض عليه في النار؛ وتصريف المخالفين بين الرغبة والرغبة، في العاجل والمغيب.

قال: وينبغي أن يتأنى الكاتب فيما يورده من هذه الأغراض، ليقع في المواقع اللائقة به، ويحلوا الحجج في أسنن المعارض، ويفصح عنها بأقرب الألفاظ من النفوس. فإنه إذا وفق لذلك، ناب كتابه مناب الجيوش والأجناد، وأقر السيوف في الإغماد. ثم قال: ومن صدقت في هذا الفن رغبته، أيد الله تعالى غريزته، وعصده بديته ورويته.

قلت: وهذا الصنف من المكاتبات السلطانية قد بطل في زماننا، فلم يعهد أن ملكاً من الملوك كتب إلى بلاد الكفر بالدعاية إلى الدين. إذ مثل ذلك إنما يصدر مع الغلبة والقوة والقهر. كما كان الخلفاء في الزمن المتقدم، والكفر مقهور معهم. مذلول لديهم. أما الآن فلولا ما أخبر به صلى الله عليه وسلم بقوله: «ونصرت بالرعب مسيرة شهر» وفي رواية «ونصرت أمتي» لأجتاح أهل الكفر الإسلام؛ ولكن الله وعد دينه أن لا يُخذل.

الصنف الثالث

(من الكتب السلطانية الكُتِبَ بالحثِّ على الجهاد)

قال في " مواد البيان " : كما أن الدين يَنْتَظِمُ بالدعاء إليه والترغيب فيه ، كذلك يَنْتَظِمُ بصيانة حوزته ، وما دخل في مملكته ؛ وكف أعدائه عن تنقُّص أطرافه ، والتغلب على بلاده . ولهذا فرض الله تعالى الجهاد وأوجبه ، وأكد الأمر فيه وشدده ؛ والسلطان يحتاج عند الحوادث التي تحدث من تطرُق المخالفين إلى بعض الثغور ، أو شن الغارة على أهل الإسلام ، أن يدعو إلى الجهاد ومقارعة الأعداء ؛ وصون حريم الملة ، وحفظ نظام الدولة .

ثم ذكر أن الرسم فيها أن تفتح بحمد الله تعالى على جميل صنعه : على إعزاز الكلمة ، وإسباغ النعمة باظهار هذه الملة ، وما وعد الله به من نصر أوليائه ، وخذلان أعدائه ؛ وإدالة الموحدين ، وإدالة الملحدين ؛ والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، وذكر طرف من مواقفه في الجهاد ، ومقارعته لشيع الإلحاد ، وتأيد الله تعالى أنصاره على أهل العناد . ثم يذكر الحادثة بنصها ، ويشرح القصة على فصها ، ويندب من جاوره وداناه من أهل الملة أجمعين ، ويخاطبهم بما يرهف عزائمهم في نصرة الدين وكافة المسلمين ، وأتباع سبيل السلف الصالحين ، الذين خصهم الله تعالى بصدق الضمائر . ونفاذ البصائر ؛ وصحة الدين ، ووثافة اليقين ؛ فلم يكونوا أير وموا مرآما إلا سهل لهم ماتوعر ، ويسر عليهم ما تعسر ؛ وسما بهم إلى ما هو أقصى منه مرعى وأبعد مدى ؛ رغبة فيما رغبتهم فيه من نصرتهم ، وتعرضا لما عترضهم له من جزيل مثوبته ؛ وأن يحضهم على التمسك بعزائم الدين ، والعمل على بصائر المخلصين ؛ وأفتراض ما فرض الله عليهم من جهاد أعدائه ، وتجهيز ما وعدهم به

من الإظهار بهم والإظهار عليهم ؛ وأن يجاهدوا مُسْتَنْصِرِينَ ، وَيُؤَدُّوا الْحَقَّ مُحْتَسِبِينَ ، وَيُقَدِّمُوا رِسَالًا لَنَا كَصِينٍ وَلَا شَاكِّينَ وَلَا مُرْتَابِينَ ، مُتَّبِعِينَ الْحَقَّ حَيْثُ يَمُوقَصِدُ ، وَمُضَارِبِينَ دُونَهُ مِنْ صِدِّعٍ عَنْهُ وَعَنْدٍ ، وَيُبَالِغُ فِي تَنْخِيَةِ أَهْلِ الْبَسَالَةِ وَالنَّجْدَةِ ، وَالْبَأْسِ وَالشَّدَةِ ؛ وَيُعِثُّهُمْ عَلَى نَصْرِ حَقِّهِمْ وَطَاعَةِ خَالِقِهِمْ ؛ وَالْفَوْزِ بِدَرْكِ الثَّوَابِ وَالرِّضْوَانِ ، وَتَنْوُرِ الْبَصَائِرِ فِي الْإِيمَانِ ؛ وَفَضِيلَةِ الْأَنْفِ مِنَ الضَّمِيمِ ، وَالْبُعْدِ مِنَ الذَّمِيمِ ؛ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِمَّا يَعْدِلُ الْأَرْوَاحَ وَالْمُهَجَّ ، وَالْإِقْدَامِ عَلَى مُصَارَعِ التَّلَفِّ . فَإِنَّ الْمُلُوكَ الْمَاضِينَ - لِعَلَمِهِمْ أَنَّ النَّاسَ إِنَّمَا يَجُودُونَ بِذَلِكَ لِلْفَوَائِدِ الَّتِي تُوجِبُهُ - كَانُوا يَبْذُلُونَ لِمَنْ يَدْعُوهُ إِلَى الْمَكَافِحِ ، وَيُعَرِّضُونَهُ لِلذَّابِحِ ؛ الرَّغَائِبَ الَّتِي تُهَوِّنُ عَلَيْهِمْ إِقْلَاعَ نَفْسِهِمْ فِي الْمَهَالِكِ تَارَةً ، وَيَذَكِّرُونَهُمُ الْأَحْقَادَ وَالضَّغَائِنَ وَيَخَوِّفُونَهُمْ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْمَذَلَّةِ أُخْرَى .

ثم قال : وَيَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ يُقَدِّمَ فِي هَذِهِ الْكُتُبِ مُقَدِّمَاتٍ ، يَرْتَبِهَا عَلَى تَرْتِيبِ يَهْرُ الْأَرْيَحِيَّاتِ ، وَيُسْحِدُ الْعَزَائِمَ ؛ لِيَجْمَعَ بَيْنَ خِدْمَةِ سُلْطَانِهِ وَالْفَوْزِ بِنَصِيبِ مِنَ الْأَجْرِ .

قلت : وَهَذَا الصَّنْفُ مِنَ الْمَكْتَابَاتِ السُّلْطَانِيَّاتِ مُسْتَمَرٌّ الْحُكْمُ إِلَى زَمَانِنَا . فَمَا زَالَتْ الْمُلُوكُ يَكْتُبُونَ إِلَى مَا يَلِيهِمْ بِالْحَثِّ عَلَى الْجِهَادِ ، وَالْقِيَامِ بِأَمْرِهِ ، وَالْحِصْصِ عَلَى مَلَاقَةِ الْعَدُوِّ ، وَالْأَخْذِ بِنُصْرَةِ الدِّينِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى مُقَدِّمَاتِ الْمَكْتَابَاتِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ : أَنَّ الشَّيْخَ شَهَابَ الدِّينِ مُحَمَّدًا الْحَلْبِيَّ ذَكَرَ فِي "حُسْنِ التَّوَسُّلِ" أَنَّهُ إِذَا كَتَبَ عَنِ الْمَلِكِ فِي أَوْقَاتِ حَرَكَاتِ الْعَدُوِّ إِلَى أَهْلِ الثُّغُورِ ، يُعَلِّمُهُمُ بِالْحَرَكَةِ لِلِقَاءِ عَدُوِّهِمْ - أَنَّهُ يَبْسُطُ الْقَوْلَ فِي وَصْفِ الْعَزَائِمِ ، وَقُوَّةِ الْهَيْمِ ، وَشِدَّةِ الْحَمِيَّةِ لِلدِّينِ ، وَكثْرَةِ الْعَسَاكِرِ وَالْجِيُوشِ ، وَسُرْعَةِ الْحَرَكَةِ ، وَطَيِّ الْمَرَاحِلِ ، وَمُعَاجَلَةِ الْعَدُوِّ ، وَتَحْيِيلِ أَسْبَابِ النَّصْرِ ، وَالْوُتُوقِ بِعَوَائِدِ اللَّهِ فِي الظُّفْرِ ، وَتَقْوِيَةِ الْقُلُوبِ مِنْهُمْ ، وَبَسْطِ أَمَانِهِمْ ، وَحَثِّهِمْ عَلَى التَّقَيُّظِ ، وَحَضِّهِمْ عَلَى حِفْظِ مَا بَأَيْدِيهِمْ مِنْ ذَلِكَ وَمَا أَشْبَهَهُ . وَأَنَّهُ يُبْرِزُ

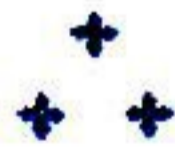
ذلك في أيّين كلام وأجلّه ، وأمكِنه وأقربيه من القوّة والبسالة ، وأبعده من اللّين والرّقّة ، ويبالغ في وصف الإنابة إلى الله تعالى وأستنزال نصّره وتأييده ، والرجوع إليه في تثبيت الأقدام ، والأعتصام به في الصّبر ، والأستعانة به على العدوّ ، والرّغبة إليه في خذلانهم ، وزلزلة أقدامهم ، وجعل الدائرة عليهم ، دون التصريح بسؤال بطلان حركتهم ، ورجاء تأخيرهم ، وأنظار العرَضِيّات في تخلفهم ، لما في ذلك من إيهام الضّعف عن لقائهم ، وأستشعار الوهن والخوف منهم ، وأن زيادة البسط وتقصّها في ذلك بحسب المكتوب إليه .

وهذه نسخة مَكاتبة من ذلك عن السلطان إلى بعض نواب الثغور ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبيّ ، أوردها في "حسن التوسل" وهي :

أصدرناها ومُنَادِي النَّصْرُ قَدْ أَعْلَنَ بِيَاخِيَلِ اللَّهِ أَرْكَبِي ، وَيَا مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ أَصْحَبِي ، وَيَا وَفُودَ الظَّفَرِ والتأييد أَقْرَبِي ، وَالْعَزَائِمُ قَدْ رَكَضَتْ عَلَى سَوَابِقِ الرَّكُضِ إِلَى الْعِدَاءِ ، وَالْهَمُّ قَدْ نَهَضَتْ إِلَى عَدُوِّ الْإِسْلَامِ فَلَوْ كَانَ فِي مَطْلَعِ الشَّمْسِ لِأَسْتَقْرَبَتْ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ مِنَ الْمَدَى ، وَالسُّيُوفُ قَدْ أَنْفَتُ مِنَ الْعُمُودِ فَكَادَتْ تَنْفِرُ مِنْ قُرْبِهَا ، وَالْأَسِنَّةُ قَدْ ظَمِئَتْ إِلَى مَوَارِدِ الْقُلُوبِ فَتَشَوَّفَتْ إِلَى الْأَرْتَوَاءِ مِنْ قَلْبِهَا ، وَالْكُفَاةُ قَدْ زَارَتْ كَاللُّيُوثِ إِذَا دَنَتْ فَرَأَتْهَا ، وَالْجِيَادُ قَدْ مَرِحَتْ لِمَا عَوَدَتْهَا مِنَ الْإِنْتَعَالِ بِجَاهِمِ الْأَبْطَالِ فَوَارَسَهَا ، وَالْجِيُوشُ قَدْ كَاثَرَتِ النُّجُومَ أَعْدَادُهَا ، وَسَارِبَهَا لِلْهَجُومِ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ أَمْدَادُهَا ، وَالنَّفُوسُ قَدْ أَضْرَمَتِ الْحَمِيَّةُ لِلدِّينِ نَارَ غَضَبِهَا ، وَعَدَاهَا حَرُّ الْإِشْفَاقِ عَلَى تُغُورِ الْمَسْلَمِينَ عَنْ بَرْدِ الثُّغُورِ وَطِيبِ شَنْبِهَا ، وَالنَّصْرُ قَدْ أَشْرَقَتْ فِي الْوُجُودِ دَلَائِلُهُ ، وَالتأييدُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى الْوُجُوهِ مَخَابِلُهُ ، وَحُسْنُ الْيَقِينِ بِاللَّهِ فِي إِعْزَازِ دِينِهِ قَدْ أَنْبَأَتْ بِحُسْنِ الْمَالِ أَوَائِلُهُ ، وَالْأَلْسُنُ بِأَسْتِنزَالِ

(١) في حسن التوسل (ص ٩٤) "النفير" .

نَصَرَ اللهُ لِهَجَرِهِ ، والأرجاءُ بأرواحِ القبولِ أَرْجَاهُ ، والقُلُوبُ بعوائدِ لُطْفِ اللهِ بهذه الأُمَّةِ مَبْتَهَجِهِ ، والحِجَاةُ وما منهم إلا من آسَظْهَرِ بِإِمْكَانِ قُوَّتِهِ وَقُوَّةِ إِمْكَانِهِ ، والأبْطَالُ وليس فيهم من يسأل عن عَدَدِ عَدُوِّهِ بل عن مَكَانِهِ ؛ والنِّيَّاتُ على طَلَبِ عَدُوِّ اللهِ حيث كان مُجْتَمِعِهِ ، والخَوَاطِرُ مطمئنةٌ بكونها مع الله بصدقها و«مَنْ كَانَ مَعَ اللهِ كَانَ اللهُ مَعَهُ» ؛ وما بَقِيَ إِلَّا طَىُّ المَراحِلِ ، والنزولُ على أطرافِ الثُّغُورِ نزولَ الغَيْثِ على البَلَدِ المَاحِلِ ؛ والإِحَاظَةُ بعَدُوِّ اللهِ من كلِّ جانبٍ ، وإِنْزَالُ نفوسِهِم على [حُكْمِ] ^(١) الأَمْرِينَ [الآخِرِينَ] : من عَذَابٍ وَأَصِيبٍ وَهَمٍّ نَاصِبٍ ؛ وإِحَالَةُ وجودِهِم إلى العَدَمِ ، وإِحَالَةُ السُّيُوفِ التي إنْ أَنْكَرَتْهَا أَعْنَاقُهُمْ فَمَا بِالْعَهْدِ مِنْ قَدَمٍ ؛ وَأَصْطِلَامُهُمْ على ما بأيدي العِصَابَةِ المؤيِّدَةِ بنصرِ اللهِ في حَرْبِهَا ، وَأَبْتِلَاؤُهُمْ مِنْ حَمَلَاتِهَا بِرِيحِ عَادٍ التي تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ؛ فليكنْ مُتَرَقِّبًا طُلُوعَ طَلَائِعِهَا عَلَيْهِ ، مُتَيَقِّنًا مِنْ كَرَمِ اللهِ أَسْتِئْصَالَ عَدُوِّهِ الذي إنْ فَزَّ أَدْرَكَتَهُ مِنْ ورائِهِ وَإِنْ ثَبَتَ أَخَذَتْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ؛ وَلِيَجْتَهِدَ فِي حِفْظِ مَاقِبَلِهِ مِنَ الأَطْرَافِ وَضَمْنِهَا ، وَجَمْعِ سَوَائِمِ الرَعَايَا مِنَ الأَمَاكِنِ المَخُوفَةِ وَلَمَّهَا ؛ وَإِصْلَاحِ مَا يُحْتَاجُ إِلَى إِصْلَاحِهِ مِنْ مَسَالِكِ الأَرْبَاضِ المُنْطَرِفَةِ وَرَمَّهَا ، فَإِنْ الأَحْتِيَاظِ على كُلِّ حَالٍ مِنْ آكِدِ المِصَالِحِ الإِسْلَامِيَّةِ وَأَهْمِهَا ؛ فَكَأَنَّهُ بِالْعَدُوِّ يَقْدِرُ زَالِ طَمَعِهِ ، وَزَادَ ظَلْعُهُ ؛ وَذَمَّ عُقْبَى مَسِيرِهِ ، وَتَحَقَّقَ سُوءَ مَنَقَلِهِ وَمَصِيرِهِ ؛ وَتَبَرَّأَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ الذي دَلَّاهُ بِغُرُورِهِ ، وَأَصْبَحَ لِحْمُهُ مُوزَعًا بَيْنَ ذِيَابِ الفَلَا وَضِبَاعِهَا وَبَيْنَ عِقْبَانِ الحَوِّ وَنُسُورِهِ ؛ ثِقَةً مِنْ وَعْدِ اللهِ وَتَمَسُّكًا مِنْهُ بِالْيَقِينِ ، وَتَحَقُّقًا أَنَّ اللهُ يَنْصُرُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقِينِ .



وهذه نسخة مرسوم كريم في المعنى ، بل هو أصرح في ذلك مما قبله ، كُتِبَ بِهِ عِنْدَ ظُهُورِ الفَرَجِ اللُّوسَارِيَّةِ وَالشُّوَالِ بِالْبَحْرِ : مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ بَدْرِ الدِّينِ حَبِيبِ

(١) الزيادة من "حسن التوسل" (ص ٩٤) .

الْحَلِيِّ ، وهو وإن لم يكن عن السلطان فإنه في معناه ، لقيام النائب بالمملكة قيامَ السلطان الذي آستنابه ، وهو :

المرسوم بالأمر العالی أعلاه الله تعالى ، لازالت مراسمه النافذة تُبَلِّغُ أَهْلَ الْعِصَابَةِ الْمُحَمَّديَّةَ غَايَةَ الْأَمَالِ ، وَأوامره الْمُطَاعَةُ تُقْضِي بِكسر اللُّوسَارِيَّةِ وَشَيْنِ الشَّوَالِ ؛ أن تتقدّم العساكر المنصورةُ بالمملكة الطَّرَابُلسِيَّةِ أيد الله تعالى عزائمهم القاهره ، وَأَذَلَّ بسيفهم الطَّائِفَةَ الكافره ؛ بارتداء ملابس الجهاد ، والتَّحَلَّى بِمِرارة الصَّبْرِ على آجتلاء الجِلَادِ ؛ وأن يجيبوا داعي الدين ، وَيَكْفُوا أَيْدِي الْمُعْتَدِينَ ؛ وَيُفَوِّقُوا سِهَامَهُمْ ، وَيَجْعَلُوا التَّقْوَى أَمَامَهُمْ ؛ وَيُشْرِعُوا رِمَاحَهُمْ ، وَيَحْمِلُوا سِلَاحَهُمْ ؛ وَيَوْمِضُوا بِرُوقِ السِّيفِ ، وَيُرْسِلُوا نِبَالَ الحُتُوفِ ؛ وَيَهْدُمُوا بُنْيَانَ الكُفَّارِ ، وَيُطْلِعُوا أَهْلَةَ القَيْسِيَّةِ بِمَدِّ الأوتارِ ؛ وَيَهْضُمُوا جَانِبَ أَهْلِ العِنَادِ ، وَيَقَابِلُوا البَحْرَ بِمَلْءِ بَحْرِ مِنَ الجِيَادِ ؛ وَيَنَظُرُوا أَمْوَاجَهُ بِأَمْوَاجِ النَّصَالِ ، وَيَقَاتِلُوا الفِرْقَةَ الفَرَنْجِيَّةَ أَشدَّ القتالِ ؛ وَلَا يَهْمِلُوهُمْ بِالنَّهَارِ وَلَا بِاللَّيْلِ ، وَيُعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ ؛ وَيُنَوِّدُوا بِمَصَابِيحِ الرِّبَاطِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ظِلَامَ الدُّجْنَةِ ؛ وَأَنْ يُصَارُوا وَيَصِيرُوا ، فَإِذَا اسْتَنْفِرُوا فَلْيَنْفِرُوا ؛ وَبِالغُوا فِي الغُدُوِّ وَالرَّوَّاحِ يُبَلِّغُوا الرِّعِيَّةَ مِنَ الأَمْنِ أَمَانِيهَا . فقد قال صلى الله عليه وسلم : «لَغْدُوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» . وَيَعْتَمِدُوا عَلَى القَرِيبِ المَجِيبِ ، وَيَجْتَهِدُوا فِي كَسْرِ أَصْلَابِ أَهْلِ الصَّلِيبِ ؛ وَيَنَافِسُوا فِي أَمْرِ الآخِرَةِ وَيَدْعُوا الدِّيَا ، وَيَقَاتِلُوا لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا ؛ وَيَشْهَدُوا المَوَاقِفَ ، وَيَبْدُلُوا التَّالِدَ وَالطَّارِفَ ؛ وَلِيَبْرُزَ الفَارِسُ وَالرَّاجِلُ ، وَيَظْهَرَ الرَّامِحُ وَالنَّابِلُ ؛ فَإِنَّ الجِهَادَ ، سَطْوَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى ذَوِي الفَسَادِ ، وَنَقْمَتَهُ القَائِمَةَ عَلَى أَهْلِ الشَّرِكِ وَالعِنَادِ ؛ وَهُوَ مِنَ الفُرُوضِ الواجِبَةِ . التي لم تزل سهام أصحابه صائبة ؛ فوَاطَبُوا عَلَى فَعْلِهِ .

ولاتذهبوا عن مذاهبه وسبيله ؛ وأطلبوا أعداء الله براً وبحراً ، وقسموا بينهم الفتكات
قتلاً وأسراً ؛ وفاجئوهم بمكروه الحرب ، وناجوهم برسائل الطعن والضرب ؛ وخذوا
من الكفار باليمين ، وجدوا في تحصيل الرّيح الثمين ؛ ولازموا النزول بساحل البحر
لمنازلة الطغاة والمشركين ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا
فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ وسابقوا الأعداء ، وهزوا أعطاف الأسنة ؛
وشمروا عن ساق العزائم ، ولا تأخذكم في الله لومة لائم ؛ واتخذوا الخيام مساكن ،
وأجعلوا ظهور الخيل لكم مواطن ؛ وأنصبوا الألوية والأعلام ، وأطفئوا جمرة
الشرذمة الغائظة للإسلام ؛ ولا تحشوا من جمعهم الآئيل إلى التفريق ، وحشدهم
الذي هو عمّا قليل إن شاء الله تعالى غريق ؛ ولا تعبثوا بسفنهيم البحرية ، فإن
سفنكم الخيل المخلوقة من الرياح ؛ ولا تنظروا إلى مجاديفهم الخشبية ، فإن
مجاديفكم السيوف والرماح ؛ فأقلعوا قلوبهم ، وشتتوا جموعهم ؛ وأذهبوا الحنف
والحنف ، وخاطبواهم بالسيف ؛ وأوقدوا في قلوبهم بالتحصين والأحزاز
نارا ، وأدعوا الله أن لا يذر على الأرض من الكافرين دياراً ؛ ونكسوا صلبهم
المنصوب ، وبادروا إلى حرب حزبهم المغلوب ؛ وأرفعوا باليقين شك هذه المحنة ،
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ؛ وآجروا في ذات الله طيب المنام ، وأنقلوا الأقدام
إلى الأقدام ؛ وأكشفوا عنكم أستار المال والملام ، وأهتموا بما يعنى كلمة الإسلام
والسلام ؛ فليرفعنكم الله إلى منازل العز والتميز ، ﴿ وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ
لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

الصِّنفُ الرَّابِعُ

(من الكتب السلطانية الكُتُبُ في الحثِّ على لزوم الطاعة وذمِّ الخِلافِ)

قال في "موادِّ البيان": طاعةُ السلطانِ والانتِقادُ إليه، والرجوعُ إلى رأيه والاعتمادُ عليه، أبدى الأسباب، في استمرارِ الاتِّساقِ والاسْتِثْبَابِ، وهي فرضٌ أوجبهُ اللهُ تعالى. فقال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ولا تصح مملكةٌ ولا تدومُ دَوْلَةٌ إلا بأمرين: أحدهما عدلُ السلطانِ، والآخر طاعةُ الرِّعِيَّةِ له، فمتى ارتفع أحدهما، فسَدَ السَّائِسُ والمَسُوسُ. ولم تزل ملوك الأزمِنة يقدِّمون إلى الرعايا لزومَ الطاعة، والاعتصامَ بحبلِ الشريعة والنهي عن مفارقة الجماعة.

قال: والرسم فيها أن تفتح بالحمد لله على النعم في تأليف قلوب أهل الدين، وجمع كلمة الموحدين، وعاية أهوائهم إلى الاتِّفاق، وصيانة عصاهم عن الانشقاق، والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم، والتنبيه على فضائل الطاعة، فإنها العروة الوثقى، والمعقل الذي لا يُرْقَى، والحِصْنُ الحصين، والكَنْفُ الأمين، والحِمْيُ الأَمْنَعُ، والمرقَّب الأرفع، وأن من حافظ عليها فاز وسلم، ورجح وغنم، ومن فارقها حَسِرَ وخاب، ونكَبَ عن سبيل الصَّواب، وإيضاح مافي سبيل الطاعة من اتِّفاق الكلمة، وانتظامِ شَمْلِ الأُمَمِ، وشُمُولِ الخيرات، وعمومِ البركات، وعمارةِ البلاد، وصَلاحِ العباد، وما في المُشاققة من الفساد العام، العائد بآنتثارِ النِّظامِ، وآنتباتِ الحبل، وتفَرُّقِ الشَّمْلِ، وآجنتاتِ الأصل، وطُمُوسِ الديار، وصِيالِ الأشرار، وآنقِمَاعِ الأخيار، وتواليِ الفتنِ التي لا تُصِيبُ الظالمَ خاصَّةً دون العادل، ولا المُشاقِقَ دون الموافق، وحلولِ النَّوائِبِ المُزِيلَةِ للنعم، وإتباعِ ذلك بما يجب من إعدار وإنذار، وترهيب وترغيب، وتذكير وتبصير، ووعظ وتخويف، وبعث العلماء

الحُصَفَاءَ ، على رَدِّعِ الجُهَلَاءِ السُّخَفَاءِ ؛ وتنبئهِ أَهْلَ السَّلَامَةِ وَالصَّلَاحِ ، على كَفِّ ذَوِي العَيْثِ وَالطَّلَاحِ ؛ إلى نَجْوِ هَذَا مَا يَجَارِيهِ . وَأَنْ يَبَالِغَ فِيمَا يُورِدُهُ مِنْ هَذِهِ المَعَانِي ، فَإِنَّ هَذِهِ الكِتَابَ إِذَا كَانَتْ بَلِيغَةً مُسْتَوْفَاةً جَيِّدَةً العِبَارَةَ ، أَخَذَتْ بِجَمَاعِ القُلُوبِ ، وَأَغْنَتْ عَنِ الكِتَابِ فِي إدْرَاكِ المَطْلُوبِ .



وهذه [مكتبات] في معنى ذلك أوردها أبو الحسين بن سعد في ترسله ، وهي :
أما بعد ، فإن الله أفترض الطاعة وأوجبها ، وأمر بها ورغب فيها ، وجعلها عاصمةً من كل فتنة ، وضياء من كل شبهة ، وسلامة من كل هلكة ، وسببا للظفر بخير الدنيا والآخرة ؛ من أراد الله به خيرا وفقه لها ، وألزمه المحافظة عليها والأعتصام بحبلها ؛ فتعجل عزها وشرفها ، وسعتها وأمنها ؛ وأستحق السعادة في الدار الآخرة بها ، والمثوبة عليها .

آخر : وقد علمتم ما جعل الله في الطاعة ولزومها ، والمحافظة عليها : من العز والمِنَّةِ والأَيْدِ والقُوَّةِ والفُوزِ بخير الدنيا والآخرة [وما] في خلافها من صُوفِ المَخَافِ ، وأنواع المتالف .

آخر : وقد كانت الطاعة أنافت بك على كل ظليل ، وأفضت بك إلى لين مهادٍ عند إقضاض المضاجع ، وصفاء المشارب عند تكدر المناهل ، وأتصال أمانة عند حدوث المخاوف ؛ حتى فعلت كذا وكذا .

آخر : فلم يترق من طاعته مارق ، ولا فارقها مفارق ؛ إلا صرع الله خده ، وأتسع جده ؛ وخضد شوكته ، وأكذب ظنه وأمنيته ، وجعله لسيوف الله غرضا ، ولأوليائه غنيمة .

آخر : والطاعة هي العروة الوثقى ، والطريقة المثلى ، والغنيمة لاهلها في الأخرى والأولى .

« عبد الحميد » : - فان الفتنه تتشوف لأهلها بأنق منظره ، وأزين ملبس ، تجر لهم أذيالها ، وتعدهم تتابع لذاتها ، حتى ترمى بهم في حومات أواجها ، مسلمة لهم : تعدهم الكذب وممنهم الخدع ، فاذا لزمهم عضاضاها ، ونقر بهم شماسها ، تخلت عنهم خاذلة لهم ، وتبرأت منهم معرضة ، قد سلبوا أجمل لباس دينهم ، وأستزلوا عن أحصن معقل دنياهم : من الغناء البهي منظره ، الجميل أثره ، حتى تطرحهم في فضاخ أعمالهم ، والإيجاف في التعب ، وسوء المنقلب ، فمن آثر دينه على دنياه تمسك بطاعة ولآته ، وتحذر بالدخول في الجماعة ، تاركا لأثقل الأمرين ، وأوبل الحالين .

« ابن عبد كان ، في ذم الخلاف : - وإن فلانا كان عبدا من عبيدنا ، آتوره إنعامنا ، ونوه به إكرامنا ، وشرفه ولأونا ، وحسن عنده بلاؤنا ، وأبتينا له الأموال ، وأسبنا له الأعمال ، وأوطأنا عقبه الرجال ، فلم تقع النعم منه عند شاكر ، ولا الصنعة عند محتمل ، فلما رفع الله بمكاننا خبيسته ، وبلغه من شرف الذكر ونباهة القدر ، وأنبساط يده ما كانت همته تعجز عنه ، وآماله تقصر دونه ، أضراه ذلك وأبطره ، وأطغاه وأكفره ، فأختال زاهيا ، وأستكبر عاليا ، وغدر باغيا ، وشاق عاصيا ، وأوضع في الفتنه لنا حربا ، ولأعدائنا حربا ، ولمن أنحرف عنا يدا ، ولمن مال إلينا ضدا ، من غير سبب أوجبه ، ولا أمر دعاه إليه ، فكان كما قال الله عز وجل في كتابه : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴾ وأن رآه أستغنى ﴿ وكقوله : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ ﴾ فلما ورد الخبر بما هيا الله لنا من الرجوع إلى القنطاط على الحال السارة لأوليانا ، الغائظة لأعدائنا ، سقط في يده ، وفكر في غليظ جرمه

وخيانته ؛ فأذاه الخوف الذي أستشعره ، والإشفاق الذي خامرته ؛ إلى أن ركب
عظيماً من الأمور ، وكاشف بالعصبيّة والغرور ؛ مكاتفاً أعداء (١) ، وموالي
ذوى العداوة والشنّارة ؛ ورجو بحول الله وقوّته ، وإرادته ومشيتته ، وما لم يزل الله
- تقدّس اسمه - يُجريه عندنا من جميل عاداته فيمنّ سفه الحق ، وزاغ عن القصد ؛
أن يبسل هذا الخائن بجبائث أعماله ، ويسلمه لقبائح أفعاله ، وأن يصرعه بأسوأ مصارع
أمثاله ؛ فإنّ أحداً لم يحمّد النعمة ، إلا استدعى النّعمة ؛ ولم يدع الشكر ، ويستعمل
الكفر ؛ إلا كانت العثرة منه قريبه ، والبلايا محيطه ؛ قولاً لا يبدل رسمه ولا يحول .

من كتاب موسى بن عيسى .

أما بعد ، فإنّ أمراً لو خلص من فلتات الخطأ وخطوات الملا ،^(٢) بفضيلة رأي
ولطافة بصر بالأمور ، كنت أحجى بذلك دون أهل زمانك ، للذي جرّت لك عليه
تصاريف التبع ، وتعرضت لك به وجوه العبر ؛ ولياً استقبلت من موارد أمور
نفسك ، وتعبت من مصادر أمور غيرك ؛ ولكنّ الله إذا أراد أمراً جعل له
من قضائه سبباً ، ومن مقاديره عللاً ؛ فمن مقادير علل البلاء تضييع المعرفة ، وإلغاء
ما تُفيدّه التجربته ؛ ومن أسباب السلامة الانتباه بالعبر ، والاستدلال بما كان
على ما يكون . وأنت امرؤ جرّت لك وعليك أنحاء من النعم ، وأنحاء من الحجج ،
عرفت بها مالك وعليك ؛ فإن تأخذ بها ، عرفت كيف تسلك مسالكه ، وإن تدع
الأخذ بذلك ، تدعه على علم . وقد رأيت الذي أتقادت لك به النعمة ، ووهبت لك
به العافية ؛ فيما ألهمك الله من طاعة ولاة أمورك ، والصبر لها على مواطن الحق التي
رفع الله بها ذكرك ، وأحسن عليها عقباك وذُحرك ؛ فلم تمض بك في طاعتهم
رُتبته ، إلا قربك الله بها في الخير عقبه ، ولا تبذل من نفسك نصحاً ، إلا أوجب

(١) بياض في الأصل ولعله الامارة .

(٢) الملا هنا معناه الظن والطمع .

لك به مُجْحَا ، ولم تَفْتَأُ تَوَاتُرُ ذَلِكَ : من مناصحتك وحُسنِ طاعتك ، حَتَّى طُلَّتْ بِهَا
 عَلَى من طاولك ، وَفَضَلْتَ بِهَا من فاضلك ، وَجَرَيْتَ مَمْدُودًا عِنَاؤَكَ إِلَى قُصُوفِ غَايَاتِ
 أَمَلِكْ ، فَاصْبَحَتْ قَرِيحَ الْمُسْلِمِينَ ، بعد خليفَةِ اللَّهِ أميرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَخَيْرَتَهُ من خَلْقِهِ ،
 بعد ذَوِي الْفَضْلِ من أَهْلِ بَيْتِهِ ؛ حَتَّى مَالَكَ من رِجَالِ الْعَرَبِ نَظِيرَ فِي مَنْزِلَةٍ ،
 وَلَا نَدِيدٌ فِي حَالٍ وَلَا رُتْبَةٍ ؛ بل هم فيك رِجَالَانِ : إِمَارَاهُ بِمَنْكَ ، وَإِمَارَاغُ بِفِيكَ .
 قلت : وهذا الصنف من المكاتبات السلطانية مستمر الكتابة إلى زماننا . فما
 زالت الملوك يكتبون إلى من يَخَيَّلُونَ منه خَلْعَ الطَّاعَةِ من التَّوَابِ ومن في معناهم ،
 وَيُحْتَوِنَهُمْ عَلَى لزوم الطَّاعَةِ ، وَيُحَذِّرُونَهُمُ الْخِلَافَةَ وَالخُرُوجَ عَنِ الْجَمَاعَةِ .



ومن ذلك ما كتب به الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي إلى مملك سييس عند
 كَسْرَةِ التَّارِ ، بعد قيامه معهم فِي الْمَصَافِّ ، وَمُسَاعَدَتِهِ إِيَّاهُمْ ، وَهُوَ :
 بَصْرَةَ اللَّهِ بِرُشْدِهِ ، وَأَرَاهُ مَوَاقِعَ غِيَّتِهِ فِي الْإِصْرَارِ عَلَى مَخَالَفَتِهِ وَنَقْضِ عَهْدِهِ ،
 وَأَسْلَاهُ بِسَلَامَةِ نَفْسِهِ عَمَّنْ رَوَعَتْهُ السُّيُوفُ الْإِسْلَامِيَّةُ بِفَقْدِهِ .

صَدَرَتْ تَعْرِفُهُ أَنَّهُ قَدْ تَحَقَّقَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْعَدُوِّ الَّذِي دَلَّاهُ بِغُرُورِهِ ، وَحَمَلَهُ
 التَّمَسُّكَ بِخِدَاعِهِ عَلَى مِجَانِبَةِ الصَّوَابِ فِي أُمُورِهِ ؛ وَأَنَّهُمْ آسْتَنْجَدُوا بِكُلِّ طَائِفَةٍ ، وَأَقْدَمُوا
 عَلَى الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِنَفُوسِ طَامِعَةٍ وَقُلُوبِ خَائِفَةٍ ؛ وَذَلِكَ بعد أَنْ أَقَامُوا مَدَّةً
 يَسْتُرُونَ الْمَخَادِعَةَ بِالْمَوَادِعَةِ ، وَيُسِيرُونَ الْمُصَارِمَةَ فِي الْمَسَالِمِ ؛ وَيُظْهِرُونَ فِي الظَّاهِرِ
 أُمُورًا ، [وَيُدْبِرُونَ فِي الْبَاطِنِ أُمُورًا] ^(١) وَيَعِدُّونَ كُلَّ طَائِفَةٍ مِنْ أَعْدَاءِ الدِّينِ وَيَمْنُونَهُمْ
 وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ؛ وَكَمَا بِمَكْرِهِمْ عَالِمِينَ ، وَعَلَى مَعَاجِلَتِهِمْ عَامِلِينَ ؛ وَحِينَ

(١) الزيادة عن "حسن التوسل" (ص ٩٧) .

تَبَيَّنَ مرادهم ، وتَكَلَّلَ احتشادهم ؛ أَسْتَدْرَجَنَاهُمْ إِلَى مَصَارِعِهِمْ ، وَأَسْتَجْرَرْنَاهُمْ لِيَقْرَبُوا فِي الْقَتْلِ مِنْ مَضَاجِعِهِمْ ، وَيَبْعَدُوا فِي الْهَرَبِ عَنْ مَوَاضِعِهِمْ ؛ وَصَدَمْنَاهُمْ بِقُوَّةِ اللَّهِ صَدْمَةً لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بِهَا قَبْلُ ، وَحَمِينَا عَلَيْهِمْ حَمَلَةً أَلْجَاهُمْ طُوفَانُهَا إِلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ : وَهَلْ يَعْصِمُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ جَبَلٌ ؟ فَحَصَرْنَا فِي ذَلِكَ الْفِضَاءِ الْمَتَّسِعِ ، وَضَايَقْنَاهُمْ كَمَا قَدْ رُؤِيَ وَمَزَقْنَاهُمْ كَمَا قَدْ سَمِعَ ؛ وَأَنْزَلْنَاهُمْ عَلَى حُكْمِ السَّيْفِ الَّذِي نَهَلَ مِنْ دِمَائِهِمْ حَتَّى رَوَى وَأَكَلَ مِنْ لُحُومِهِمْ حَتَّى شَبِعَ ؛ وَتَبِعْتَهُمْ جِيُوشُنَا الْمَنْصُورَةَ تَخَطَّفَهُمْ رِمَاحُهَا ، وَتَتَلَقَّفَهُمْ صِفَاحُهَا ؛ وَيَبِدُّهُمْ فِي الْفَلَوَاتِ رُغْبًا ، وَيُفَرِّقُهُمْ فِي الْقِفَارِ طَعْنًا الْمُتَدَارِكُ وَضَرْبًا ؛ وَيَقْتُلُ مَنْ فَاتَ السِّيُوفَ مِنْهُمْ الْعَطَشُ وَالْجُوعُ ، وَيُجَيِّلُ لِلْحَيِّ مِنْهُمْ أَنْ مَوْضِعَهُ كَالدُّنْيَا الَّتِي لَيْسَ لِلَّيْتِ إِلَيْهَا رَجُوعٌ ؛ وَلَعَلَّهُ قَدْ رَأَى مِنْ ذَلِكَ فَوْقَ مَا وَصَفَ عِيَانًا ، وَتَحَقَّقَ مِنْ كُلِّ مَا جَرَى مَا لَا يَحْتَاجُ أَنْ تَزِيدَهُ بِهِ عِلْمًا وَلَا تُقِيمَ عَلَيْهِ بُرْهَانًا .

وقد علم أن أمر هذا العدو المخذول ما زال معنا على هذه الوتيرة ، وأنهم ما أقدموا إلا ونصرنا الله عليهم في مواطن كثيرة ؛ وما ساقتهم الأَطَاعُ في وقت ما إلا إلى حُتُوفِهِمْ ، وَلَا عَادَمْتُهُمْ قَطُّ فِي وَقْعَةٍ إِلَّا أَحَادٌ مُنْجَبِرٌ عَنْ مَصَارِعِ الْوَفِيِّهِمْ ؛ وَلَقَدْ أَضَاعَ الْحَزْمَ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَسْتَدِمْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ [بِطَاعَتِنَا] الَّتِي كَانَتْ فِي مِهَادِ أَمْنِهَا ، وَوَهَادَ يَمْنَهَا ، وَحِمَايَةَ عَفْوِهَا ، وَبَرَدِ رَأْفَتِهَا الَّتِي كَدَّرَهَا بِالْمُخَالَفَةِ بَعْدَ صَفْوِهَا ؛ يَصُونُ رِعَايَاهُ بِالطَّاعَةِ عَنِ الْقَتْلِ وَالْإِسَارِ ، وَيَجْحَى أَهْلَ مِلَّتِهِ [بِالْحَذَرِ عَنِ الْحَرَكَاتِ] الَّتِي مَا نَهَضُوا إِلَيْهَا إِلَّا وَجَرُوا ذُبُولَ الْخَسَارِ ؛ وَلَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ وَأَصْحَابَهُ لِسِيُوفِنَا الَّتِي كَانَتْ مِنْ سَطَوَاتِهَا فِي أَمَانٍ ، وَوَتَّقَ بِمَا ضَمِنَ لَهُ النَّارُ مِنْ نَصْرِهِ وَقَدْ رَأَى مَا آلَ إِلَيْهِ [أَمْرًا] ذَلِكَ الضَّمَانُ ؛ وَجَرَّ لِنَفْسِهِ بِمُؤَالَاةِ النَّارِ عَنَاءً كَانَتْ عَنْهُ فِي غِنَى ، وَأَوْقَعَ رُوحَهُ بِمُظَافَرَةِ الْمُغْلِ فِي حَوْمَةِ السِّيُوفِ الَّتِي تَخَطَّفَتْ

(١) بياض بالأصل والتصحيح عن "حسن التوسل" (ص ٩٨) .

أولياءه من هنا ومن هنا؛ وأقتحم بنفسه موارد هلاكٍ سلبت رداء الأمن عن منكيته، وأغترَّ هو وقومه بما زين لهم الشيطان من غروره ﴿ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتَانَ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ وما هو والوقوف في هذه المواطن التي تتزلزل فيها أقدام الملوك الأكاسره؟ وأنى لضعاف النقاد قدرة على الثبات لوثبات الأسود الضارية واللثوث الكاسره؟ لقد أعرض بين السهم والهدف ببحره، وتعرض للوقوف بين ناب الأسد وظفره؛ وهو يعلم أننا مع ذلك نرعى له حقوق طاعة أسلافه التي ماتوا عليها، ونحفظ له خدمة آبائه التي بذلوا نفوسهم ونفائسهم في التوصل إليها؛ ونجريه وأهل بلاده مجرى أهل ذمتنا الذين لا تؤيسهم من عفونا ما استقاموا، ونسلك فيهم حكم من في أطراف البلاد من رعايانا الذين هم في قبضتنا: تزحوا أو أقاموا؛ ونحن نتحقق أنه ما بقى ينسئ ملازمة ربة الحنف خناقه، ولا يرجع يورد نفسه في موارد الهلاك وهل يرجع إلى الموت من ذاقه؟ فيستدرك باب الإنابة قبل أن يغلق دونه، ويصون نفسه وأهله قبل أن تبدل السيوف الإسلامية مصونه؛ ويبادر إلى الطاعة قبل أن يبذلها فلا تقبل، ويتمسك بأذيال العفو قبل أن ترفع دونه فلا تسبل؛ ويعجل بحمل أموال القطيعة وإلا كان أهله وأولاده في جملة ما يحمل منها إلينا، ويسلم مفايح ما عدا عليه من فتوحنا وإلا فهو يعلم أنها وجميع ما تأخر من بلاده بين يدينا؛ ويكون هو السبب في تمزق شمله، وتفرق أهله، وقلع بيته من أصله؛ وهدم كائسه؛ وأبتذال نفسه ونفائسه؛ وأسترقاق حرمة، وأستخدام أولاده قبل خدمه؛ وأستفلاق قلاعه، وإحراق ربوعه ورباعه؛ وتمجيل رؤية ما وعد به قبل سماعه. ومن لغازان أن يجاب إلى مثل ذلك، أو يسمع له مع الأمن من سيوفنا ببعض ما في يده من الممالك؛ لينتفع بما أهدت جيوشنا للتويلة في يده من الخيل والحول، ويعيش

في الأمان ببعض ما نسمع له به ومن للعود بالحوال ؛ والسيوف الآن مُصغية إلى جوابه لتكف إن أبصر سبيل الرشاد، أو تتعوض برعوس حمايه وكمايه عن الإغماد إن أصر على العناد؛ وانخير يكون إن شاء الله تعالى .

الصنف الخامس

(من الكتب السلطانية المكتبة إلى من نكث العهد من المخالفين)

قال في "مواد البيان" : إذا نقض معاهد عهده ، أو نقض من شروط الهدنة يده ؛ فالرسم أن يصدر ما يكتب به بالحمد لله تعالى على موهبته في إظهار الدين ، وإعزاز المسلمين ؛ وما تكفله من النصر على الباغين ، ووعده به أهل العدل من الإدالة والتأمين ؛ والصلاة على سيدنا محمد النبي صلى الله عليه وعلى آله أجمعين ؛ وإيراد طرف من معجزاته وفضائله ، وآياته ومناقبه ؛ التي تنخرط في هذا النظام ، وتليق بهذا النمط من الكلام ؛ ثم يتبع ذلك بمقدمة تدل على متانة البصائر في الدين ، ووثاقة العقائد في إذالة المحاديين ؛ ومضاه العزائم في مجاهدة المعتدين ، والأستطالة على المعاندين ؛ مع ما تضمنه الله تعالى من نصره وإظفاره ، ووعده به من تأييده وإقراره ؛ وسهله من إهواء الأهوية إليه ، وجمع الكلمة عليه ؛ بما خوله من بأس وشده ، وعديد وعدة . وما يليق بذلك مما يُعرب به عن علو السلطان ، ووفور الإخوان ؛ وأتساع القوة والأيد ، وصدق العزم والجد . ثم يذكر الحال التي انعقدت الهدنة عليها ، وأن الإجابة إليها لم تقع قصورا عن غزوهم في عقر دارهم ، وتشريدهم بالفارات المبتوثة برا وبحرا عن قرارهم ؛ وإنما قبولا لمساءلتهم ، وأمثالا لأمر الله تعالى في مسألتهم . ويأخذ في تعديد الوقائع التي أوقعها أهل الإسلام بهم ؛ والمشاهد التي نصر الله تعالى فيها عليهم ، والمعائل المنتزعة من أيديهم ؛

وَأَنَّ تِلْكَ الْعِزَائِمَ مُضْطَرَمَّةٌ مَتَوَقِدَةٌ ، وَتِلْكَ السِّيُوفُ مُشْحَذَةٌ مُهَنْدَةٌ ؛ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَبَاحَ حَرَمَ مَنْ نَقَضَ عَهْدَهُ ، وَنَقَضَ مِنَ الدِّمَامِ يَدَهُ ؛ وَأَنَّ كَاتِبَ اللَّهِ مُوجِبَةٌ وَرَاءَ هَذَا الْكِتَابِ ، فِي جَيْشٍ يُلْحَقُ انْحَبَتَ بِالْهَضَابِ ؛ مَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ مَبَادِرَةٌ إِلَى الْإِقْلَاعِ وَالْإِنَابَةِ ، وَمَكَاتِبَةٌ فِي الصَّفْحِ وَالْأَسْتِابَةِ ؛ وَأَنَّهُ قَدْ قَدَّمَ الْأَعْذَارَ ، وَبَدَأَ قَبْلَ الْإِقْدَامِ بِالْإِنْدَارِ ؛ وَمَا يَقْتَضِيهِ الْحَالُ مِنْ هَذَا وَمِثْلِهِ .

قال : فَإِنْ كَانَ الْكِتَابُ جَوَابًا عَنِ كِتَابٍ وَرَدَّ ، أَجِيبَ بِمَا يَنْقُضُهُ ، وَبُنِيَ الْأَمْرُ فِيهِ عَلَى مَا يَبْسُطُ الْهَيْبَةَ ، وَيَدْعُو إِلَى التَّزْوِلِ عَلَى أَحْكَامِ الطَّاعَةِ . وَيَخْتَلِفُ الْحَالُ فِي ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْأُمُورِ الْحَادِثَةِ ، وَالْأَسْبَابِ الْعَارِضَةِ ؛ فَيَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ يَحْتَمِطَ فِيمَا يُطْلَقُ بِهِ قَلَمُهُ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي الْخَطِيرَةِ : لِأَنَّهَا مِرْآحِمَةٌ بِالْأَدْوَلِ وَالْمَلِكِ ، وَحُجْجٌ تَحْصُلُ مِنْ كُلِّ دَوْلَةٍ عِنْدَ الْآخَرِينَ ؛ وَدَرَكٌ مَا يَقَعُ فِيهَا عَائِدٌ عَلَيْهِ ، وَمَنْسُوبٌ إِلَيْهِ .



وهذه نسخة كتاب كُتِبَ بِهِ عَنِ الْحَافِظِ لَدِينِ اللَّهِ الْخَلِيفَةِ الْفَاطِمِيِّ بِالْأَمِيرِ الْمَصْرِيِّ ، إِلَى بَهْرَامِ النَّصْرَانِيِّ الْأَرْمِينِيِّ الَّذِي كَانَ آسْتُورَهِ ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِ رِضْوَانُ بْنُ وَنْحَشِي ، أَرْتَغَامَا لِلدِّينِ ، لَتَحْكُمَ نَصْرَانِيٌّ فِي أَهْلِ الْمَلَّةِ ، وَوَلِيَ الْوِزَارَةَ مَكَانَهُ ؛ فَفَرَّ هَارِبًا إِلَى الشَّامِ نَاقِضًا لِلْعَهْدِ ، وَكُتِبَ إِلَى الْحَافِظِ يُطَلَبُ أَهْلَهُ وَجَمَاعَتَهُ مِنَ الْأَرْمِينِيِّ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ فِي جُمْلَةِ جُنْدِ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ ، مَظْهَرًا لِلطَّاعَةِ وَالرَّغْبَةِ إِلَى التَّخَلُّقِ عَنِ الدُّنْيَا ، وَالْأَنْقِطَاعِ فِي بَعْضِ الدِّيَرَةِ لِتَتَعَبَّدَ مَكْرًا وَخَدِيعَةً ؛ فَكُتِبَ لَهُ بِذَلِكَ جَوَابًا عَنِ كِتَابِهِ الْوَارِدِ مِنْهُ . وَنَصُّ مَا كُتِبَ إِلَيْهِ :

عُرِضَ بِمَحْضَرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْكِتَابُ الْوَارِدُ مِنْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، الْمَقْدَمُ ، الْمُؤَيَّدُ ، الْمَنْصُورُ ؛ عَزَّ الْخِلَافَةَ وَشَمَّسَهَا ، تَاجَ الْمَلِكَةِ وَنِظَامُهَا ؛ فَخَرُّ الْأَمْرَاءِ ، شَيْخِ الدُّوَلَةِ

وعمادها، ذو المجدين، مصطفى أمير المؤمنين . ووقف على جميعه، وأستولى بحكمه على مضمونه .

فأما ما وسعت القول فيه وبسطته ، وتفسحت فيما أوردته منه وذكرته ؛ مما فحواه ومحصوله ما أنت عليه من الطاعة ، والولاء والمشايعة ؛ والاعتراف بنعم الدولة عليك ، والإقرار بإحسانها إليك ؛ فلعمرو أمير المؤمنين إن هذا الذي يليق بك ويحسن منك ، ويحسن أن يرد عنك ، ويجب أن يعرف لك ؛ وقد كانت الدولة أسلفتك من حسن الظن قديما ، ونقلتك في درجة التنويه حديثا ؛ حتى رفعتك إلى أعلى المراتب ، وبلغتك ما لم تسم إليه هممة طالب ؛ وأوطأت الرجال عقبك ، وجعلت جميع أهل الدولة تبعك ؛ مما أغنى أعتراك به عن الإطالة بشرحه ، والإطناب في ذكره .

وأما ما ذكرته مما كان أمير المؤمنين أعطاك التوثقة عليه ، فأجابك منه إلى ما رغبت فيه ، فاستقر بينه وبينك في معناه ما أطمأنت إليه ؛ فلم يزل أمير المؤمنين على الوفاء باطنا وظاهرا ، ونية وعلانية ؛ وأعتقاده أن لا يرجع عنه ، ولا يغير ما أحكمه منه ؛ وإنما حال بينه وبين هذا المراد أن كافة المسلمين في البعد والقرب غضبوا لمبتهم ، وأمتعضوا مما لم تجر به عادة في شريعتهم ؛ ونفرت نفوسهم مما يعتقدون أن الصبر عليه قاذح في دينهم ، ومضاعف لآلامهم ؛ وأنه ذنب لا يغفر ، ووزر لا يتجاوز ولا يصفح [عنه] حتى إن أهل المشرق أخذوا في ذلك وأعطوا ، وعزموا على ما اتفقوا عليه مما صرفه الله وكفى مؤنته والأشتغال به .

وأما ما ألمسته من تسيير من الباب من طائفتك إليك ، فهذا أمر لا يسوغ ولا يمكن فعله ، ولو جاز أن يؤمر به لمنع المسلمون منه فلم يفسحوا فيه . والآن فلن

يُخَلِّوْ حَالِكٌ مِنْ أَحَدِ قَسْمَيْنِ : إِمَّا أَنْ تَكُونَ مُتَعَلِّقًا بِأُمُورِ الدُّنْيَا وَغَيْرِ مُتَفَصِّلٍ عَنْهَا ، فَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُخَيِّرُكَ فِي وِلَايَةِ أَحَدِ ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ : إِمَّا قُوصُ ، أَوْ إِنْجَمِمْ ، أَوْ أَسْبُوطُ ؛ فَأَيُّهَا آخَرْتِ وَأَلَاكَ إِيَّاهُ ، وَرَدَّ أَمْرَهُ وَالنَّظَرَ فِيهِ إِلَيْكَ ؛ عَلَيَّ أَنْ تَقْتَصِرَ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ عَلَيَّ نَحْسِينَ أَوْ سِتِينَ فَارِسًا ، وَتُسَيِّرَ الْبَاقِينَ إِلَى الْبَابِ لِيُجْرُوا عَلَيَّ عَادِلَتَهُمْ ، وَرَسُومَهُمْ فِي وَاجِبَاتِهِمْ وَإِقْطَاعَاتِهِمْ ؛ إِذْ كَانُوا عِيْدَ الدَّوْلَةِ وَمَتَقَلِّينَ فِي فَضْلِهَا ، وَأَكْثَرَهُمْ مُتَوَلِّدُونَ فِي ظِلِّهَا . وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ عَلَيَّ الْقَضِيَّةَ الَّتِي مَا زِلْتَ تَذَكَّرُ رَغْبَتَكَ فِيهَا وَإِيثَارَكَ لَهَا : مِنَ التَّخَلِّيِّ عَنِ الدُّنْيَا وَلِزُومِ أَحَدِ الدَّيْرَةِ ، وَالْإِقْطَاعِ إِلَى الْعِبَادَةِ ؛ فَإِنْ كُنْتَ مَقِيمًا عَلَيَّ ذَلِكَ فَتَخَيَّرْ ضَيْعَةً مِنْ أَىِّ الضِّيَاعِ شِئْتَ يَكُونُ فِيهَا دَيْرٌ يُقِيمُ فِيهِ وَتَقْطَعُ إِلَيْهِ ؛ فَتُعَيِّنِ الضَيْعَةَ لِيَجْعَلَهَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَسْوِيفًا لَكَ مُؤَبَّدًا ، وَإِقْطَاعًا دَائِمًا مُخَلَّدًا ؛ وَتَجْرِي مَجْرَى الْمَلِكِ ، وَيُكْتَبُ لَكَ بِذَلِكَ مَا جَرَتْ الْعَادَةُ بِمِثْلِهِ ، مِمَّا تَطْمَنُ إِلَيْهِ وَتَسْتَحْكِمُ نَفْسَكَ بِهِ . وَإِنْ أَبَيْتَ الْقِسْمَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ وَلَمْ يُرِضِكَ الْأَوَّلُ مِنْهُمَا ، وَلَا رَغِبْتَ فِي الثَّانِي ، فَتَحَقَّقْ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ بِأَجْمَعِهِمْ ، وَكَأَقْتِهِمْ وَأَسْرَهُمْ ؛ وَكُلٌّ مِنْ يَقُولُ بِالشَّهَادَتَيْنِ : مِنْ قَاصٍ وَدَانٍ ، وَقَرِيبٍ وَبَعِيدٍ ، وَكَبِيرٍ وَصَغِيرٍ ، يَنْفِرُونَ إِلَيْكَ ، وَيَتَّفِقُونَ عَلَيَّ الْقَصْدِ لَكَ ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِي التَّوَجُّهِ نَحْوِكَ ؛ وَهُوَ عَمَلٌ دِينِيٌّ ، لَا يُرِيثُهُ أَمْرٌ دُنْيَوِيٌّ ؛ فَتَأَمَّلْ مَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْإِجَابَةُ مِنَ الْأَقْسَامِ ، وَطَالِعْ بِمَا عِنْدَكَ فِي ذَلِكَ .

قُلْتُ : وَهَذَا الصَّنْفُ مِنَ الْمَكَاتِبِ السُّلْطَانِيَّةِ لَا وَجُودَ لَهُ فِي زَمَانِنَا لِعَدَمِ وَقُوعِ الْمُهْدَنِ الْمُرْتَبِ عَلَيْهَا هَذَا الصَّنْفُ مِنَ الْمَكَاتِبِ ؛ فَإِنْ أَحْتِجُّ إِلَى ذَلِكَ مَشَاهِدِ الْكَاتِبِ عَلَيَّ الْقَاعِدَةَ الْقَدِيمَةَ الْمُتَقَدِّمَةَ .

الصف السادس

(من الكتب السلطانية ، الكتب إلى من خلع الطاعة)

قال في "موادالبيان" : وهذه الكتب تختلف رسومها بحسب اختلاف أقدار المكاتبين وأحوالهم في الخروج عن الطاعة . قال : وجمع أوضاعها كلها في قانون كلي عسير المرام ، إلا أننا نرسم فيها رسوماً يمكن الزيادة فيها والنقص منها . ثم قال : والعادة أن تنفذ هذه الكتب إلى من تُرجى إنابته ، وتؤمل مراجعته . فأما من وقع الإياس من استصلاحه ، ودعت الضرورة إلى كفاحه ، فلا حاجة إلى معاتبته ، ولا وجه لمكاتبته .

قال : والرسم فيها أن تفتح بالتحميد المناسب لمعنى الكتاب ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، بما يدعو إلى إيناسه ، ويزيل أسباب استيحاشه ، ويعود بنبات جاشه ، ويبعثه على مراجعة فكره ، ومعاودة النظر في أمره ، ويذكره ما أسدى من العوارف إليه ، وأفيض من النعم عليه ، وأنه لا ينفر سربها بجحدها وكفرها ، ويوحش ربها بإهمال حمدها وشكرها ، ويربطها بحسن الطاعة ، ويسترنها بالتأدب في التباعة ، ولا يجتر الوبال إلى نفسه بالخروج عن العصمه ، في عاجل ذم الوصمة وفي آجل ألم النقمه . ويصره بعاقبته ومن يليه من ذوى الجند بما يقتضى رب الإنعام لديهم ، وإقرار الفضل عليهم ، وأن يسلبهم ملابس الظل الظليل ، وأن يعطلهم من حلي الرأي الجميل ، ويتدرع في أثناء ذلك بشعار النفاق ، ويتسم بميسم الشقاق ، ويتعجل إزاعاجه من دلمه ، وبعده من قراره ، وهدم ماشيده الإخلاص من ذكره ، وتقويض ما رفعت الطلعة من قدره ، ويعود بعد أن كان مجاهداً عن الحوزة مجاهداً مجتهداً ، وبعد أن كان مرامياً عن السدة مرماً بيدها ، ويضيع

مَأْسِدِي إِلَيْهِ، وَأَفِضَ مِنَ الْإِحْسَانِ عَلَيْهِ؛ وَمَا ذَهَبَ مِنَ الْيَقِينِ فِي تَدْرِيجِهِ إِلَى مَرَاقِي
السِّيَادَةِ، وَمِنَ الرَّغَائِبِ فِي إِحْلَاقِهِ بِأَهْلِ السَّعَادَةِ؛ وَلَا يَغْتَرُّ بِمَنْ يُزِينُ لَهُ عَاجِلَ الْآجِلِ،
وَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِخِدَعِ الْبَاطِلِ؛ وَيَجْعَلُ أَقْوَالَهُمْ دَبْرَ سَمْعِهِ، وَيُبْعِدُ أَشْخَاصَهُمْ عَنِ نَظَرِهِ؛
نَاطِرًا فِي عَاقِبَتِهِ، وَحَارِسًا مُهْجَتَهُ؛ وَرَاغِبًا فِي حَقْنِ دَمِهِ، وَصِيَانَةً حُرْمِهِ؛ وَلِيَرْجِعَ
إِلَى الْفِنَاءِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يُحْرِزُهُ، وَالْكَنْفِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ يُعِزُّهُ؛ وَلَا يَجْعَلُ مُسَالِمَةَ الْعُنُودِ
مَنَازِعًا، وَمُوَاصِلَةَ الْجُحُودِ مَقَاطِعًا؛ وَوَاهِبَهُ بِالْكَفْرِ سَالِبًا، وَمَطَّلَعَ النِّعْمَةَ بِضِيَاعِهِ
حَقًّا مَغْرِبًا؛ وَقَدْ بَقِيَ فِي الْحَبْلِ تَمْسِكٌ، وَفِي الْأَمْرِ مُسْتَدْرِكٌ؛ لِأَنَّ يَهْبَ مِنْ رَقْدَتِهِ،
وَيَسْتَبْدِلُ مِنَ لِفَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِلِقَاءِ حَضْرَتِهِ . ثُمَّ يَقُولُ : فَإِنْ كَانَ مَا جَنَاهُ قَدْ هَدَّ
سُرْبَهُ، وَكَدَّرَ شُرْبَهُ؛ وَأَحْسَ فِي نَفْسِهِ سُوءَ الظَّنِّ، وَأَخَافَهُ بَعْدَ الْأَمْنِ؛ فَلْيَبْعَثْ
رَسُولَهُ يَسْتَوْثِقُ وَيُعَاقِدُ، وَيَتَوَكَّدُ وَيُعَاهِدُ؛ فَإِذَا عَادَ إِلَيْهِ بِمَا يَمَلَأُ فُؤَادَهُ أَمْنًا،
وَيَكُونُ عَلَيْهِ حِصْنًا؛ سَارِعًا إِلَى أَمْثَالِ الْمَرَاسِمِ، وَجَرِيًّا فِي الطَّاعَةِ عَلَى سَنَنِهِ الْمُتَقَادِمِ؛
وَلَا يَسْتَمِرَّ عَلَى الْمُدَافَعَةِ وَالْمَطَاوَلَةِ، وَيَقْتَصِرَ عَلَى الْمَغَايِظَةِ وَالْمَهَاطَلَةِ .

ثم يقال بعد هذا : وقد قدم أمير المؤمنين كتابه هذا إليك نائبا عنه في استصلاحك ،
وقائدا بقودك إلى طريق نجاحك ؛ قبل تجريد مواضيه ، وإلحاق مستأنفه في الحرب
بمواضيه ؛ وخيوله تُجاذبُ الأعنة ، وذوابله مُشرعةُ الأسنه ؛ ولم يبق إلا قصدك
في دارك التي بوأكها ، وانتزاع نعمته التي أعطاكها ؛ لتذوق مرارة المخالفه ،
وترزنها بجلاوة الموافقه ؛ فكن على نفسك لنفسك حاكما ، ولا تكن لها ظالما ؛
ونحو ذلك مما يليق به .

وإن كانت المكتبة إلى رجل قد سبقت له سابقةٌ بجمع الطاعة ، ثم سأل الإقالة
فأقبل بعد مشاركة الإحاطة به والنكايه فيه ، ثم راجع العصيان ؛ فالرسم أن تفتح

بِحَمْدِ اللَّهِ جَاعِلِ الْعَاقِبَةِ لِلتَّقِيْنَ ، وَالْعُدْوَانِ عَلَى الظَّالِمِينَ ؛ وَالْعِزَّةِ لِحَزْبِهِ ، وَالذَّلَّةَ لِحَرْبِهِ ؛
وَالِإِظْهَارِ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ ، وَالْحَسَارِ لِأَهْلِ مَعْصِيَتِهِ ؛ وَدَائِرَةِ السُّوءِ عَلَى الْخَالِعِينَ طَاعَةَ
خُلَفَائِهِ ، الْقَائِمِينَ بِحُجَّتِهِ . ثُمَّ يُقَالُ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا يَرَاكَ تَتَخَوَّلُهُ بِهِ مِنْ تَصَدِيقِ
أَمَالِهِ ، وَتَوْفِيقِ أَعْمَالِهِ ؛ وَتَسْدِيدِ مَرَامِيهِ ، وَهَدَايَةِ مَسَاعِيهِ ؛ وَإِجَابَةِ دَعْوَتِهِ ،
وَتَحْقِيقِ رَغْبَتِهِ ؛ بِإِدَالَةِ مُوَالِيهِ ، وَإِذَالَةِ مُعَادِيهِ ؛ وَمَعُونَتِهِ عَلَى مَا وُلَّاهُ ، وَتَمَكِينِهِ
مَنْ نَاوَاهُ ؛ وَيُسَالَهُ الصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ يُؤْتَى بِمَقْدَمَةٍ تَدُلُّ عَلَى جَمِيلِ عَاقِبَةِ الطَّاعَةِ ، وَذَمِيمِ مَغْبَةِ المَعْصِيَةِ ؛ يَبْسُطُ الْقَوْلَ
عَلَيْهَا ، وَيَتَوَسَّعُ فِيهَا ، لِتَكُونَ فِرَاشًا لِمَا يَتْلُوهَا . ثُمَّ يُقَالُ بَعْدَهَا : وَإِنَّمَا يَجْعَلُ ذَلِكَ
أَهْلَ الْغَرَارَةِ الَّذِينَ لَمْ يَلُوكُوا شِكَاثَ التَّجَارِبِ ، وَلَمْ يُمَارِسُوا ضَرَاثِمَ النُّوَابِثِ ؛
وَأَنْتَ فَقَدْ تَذَوَّقْتَ مِنْ كِرَاهَةِ المَعْصِيَةِ وَمِرَارَتِهَا ، وَعُدُوْبَةِ الطَّاعَةِ وَحِلَاوَتِهَا ؛
مَا يَرْجُو أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونَ قَدْ وَعَظَكَ وَأَدَبَكَ ، وَقَوْمَكَ وَهَدَبَكَ ؛ وَكَشَفَ لَكَ
عَنْ عَاقِبَتَيْهِمَا ، وَعَرَّفَكَ بِغَايَتَيْهِمَا ؛ فَدَعَتْكَ الطَّاعَةُ إِلَيْهَا بِمَا أَسْبَغَتْهُ عَلَيْكَ مِنْ لِبَاسِ
شَرَفِهَا وَمَجْدِهَا ، وَأَسْتَخْدَمَتْهُ لَكَ مِنْ أَنْصَارٍ إِقْبَالُهَا وَسَعْدِهَا ؛ وَنَهَتْكَ المَعْصِيَةُ عَنْهَا
بِمَابِلَوْتِهِ مِنْ نَوَابِثِهَا وَصِنَائِعِهَا ، وَجَرَّبَتْهُ مِنْ مَرْمِضِ مَرَامِيهَا وَمَوَاقِعِهَا ، لِأَنَّهَا أَقَلَّتْ
عَدَدَكَ ، وَمَزَّقَتْ مُطْرَفَكَ وَمُتَلَدَكَ ؛ حَتَّى تَدَارَكَكَ مِنْ عَطْفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَنْبَتَكَ
بَعْدَ الْحَصْدِ ، وَرَاشَكَ بَعْدَ الْحِصِّ ؛ وَأَتَتْهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْكَ حَنِيتَ إِلَى أَتْبَاعِ
الضَّلَالَةِ الَّذِينَ غَرُّوكَ ، وَمِلْتَ إِلَى أَشْيَاعِ الْفِتْنَةِ الَّذِينَ آسْتَهْوَوْكَ ؛ فَأَصْغَيْتَ إِلَى أَقْوَالِهِمْ
الَّتِي ظَاهِرُهَا نُصْحٌ وَبَاطِنُهَا غِشٌّ ، وَأَرَائِهِمُ الَّتِي مَوَارِدُهَا صِلَاحٌ وَمَصَادِرُهَا فِسَادٌ ؛
وَمِلْتَ إِلَى مَعَاوِدَةِ الشَّقَاقِ وَالْأَرْتَكَاسِ فِي الْعِصْيَانِ ، وَمُقَابَلَةِ النُّعْمَى بِالْكَفْرَانِ ؛
فَقَدَّمَ كِتَابَهُ إِلَيْكَ مُذَكِّرًا ، وَمَنَعَكَ خُطَابَهُ مُعَذِّرًا مُنْذِرًا ؛ لِيَعْرِفَكَ حَظَّكَ ، وَيَهْدِيكَ
رُشْدَكَ ؛ [وَيُدُلُّكَ] عَلَى الْأَحْسَنِ لَكَ فِي مَبْدَيْكَ وَعَاقِبَتِكَ ، وَيُحَذِّرُكَ مِنْ مَرَاجِعَةِ

ما فارفته ، وأن تنزل عن المنزلة التي رفاك إليها ، وتُجذب رباعك من النعمة التي ارتفعك فيها ، وتغفل عن مراع الدعاء التي أوردك عليها ، فانظر لنفسك حسنا ، وكن إليها محسنا ، وانتفع بمرشد أمير المؤمنين ، ولا تُفسد بخلافك عن أمره نصيبك من الدنيا والدين ، فارجع إليه مسترغما فإنه يقتدي بالله في الرحمة للحسين ، مادام مؤثرا لرب النعمة لديك ، وإقرارها عليك . فاعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى .

قال : وإن كانت المكاتبه إلى رعية قد خرجت عن الطاعة كتب إليها بما مثاله :

أما بعد ، وفقكم الله لطاعته ، وعصمكم من معصيته ، فإن الشيطان يذلي الإنسان بغروره ، ويقيم له الضلال في صورة الهدى يهتانه وزوره ؛ مستخفا لطائفي الألباب ، ومستترا للأقدام عن موقف الصواب ؛ محسنا بكيد الاعتقاد الأباطيل ، مزينا بغيه أتباع الأضاليل ، صارفا بمكره عن سواء السبيل ؛ مصورا للحق في صورة المين ، مغطيا على القلوب بشغاف الرين ؛ والحازم اليقظ من تحرز من أشراكه وحبائله ، وتحفظ من محاييله وغوائله ؛ وآتهم هواجس فكره ، وأستراب بوساوس صدره ؛ وعرض ما يعرض له على عقله ، وكرر فيه النظر متحرزا من مكر الشيطان وختله ؛ فإن ألفاه عادلا عن الهوى ، مائلا إلى التقوى ؛ بريئا من خدع الشيطان ، آمنا من عوادي الأفتان ؛ أمضاه واثقا بسلامة مغبته وعاقبته ، وشمول الأمن في أولاه وأخراه .

وآتهى إلى أمير المؤمنين أن الشيطان المرید استخف أحلام جماعة من جهالكم ، وأستولى على أفهام عدة من أراذلكم ؛ وحسن لهم شق عصا الإسلام ، ومعصية الإمام ؛ ومفارقة الجماعه ، والأسلاخ من الطاعة ؛ التي فرضها الله تعالى على الجمهور ، وجعلها نظام الأمور ؛ فقال جل قائلا : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) واختيار الفرقة التي نهى الله عنها . فقال :

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتِ ﴾ وَمُجَانِبَةَ الْأُلْفَةِ
التي عدها في جلائل نعيمه ، فقال ممتنًا بها على عباده : ﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ وسؤل لهم التعرّي من آداب
الدين ، والمجاهرة بالخلاف على أمير المؤمنين ؛ فنبذوا ما بأيديهم من بيعته ، وسلبوا
من ظلّ دعوته ؛ وركبوا من ذلك أوعر المراكب ، وسلكوا أخشن المسارب ؛
وسعوا في البلاد بالفساد ، وقاموا في وجه الحقّ بالعناد ، واستخفوا بحمل الآثام ،
وبسطوا أيديهم إلى الدماء الحرام ، وشنوا الغارات على أهل الإسلام .

وقد علمتم أن من أقدم على تأثير مثل هذه الآثار ، فقد استنزل في هذه الدار سُخْطَ
الجبار ، وتبوأ في الآخرة مقعده من النار ؛ وجرى على غير الواجب في إقامة الفروض
والصلوات ، وتأدية العبادات والزكوات ، وعقد العقود والمناكحات ؛ لأن هذه
الأحوال إنما ترضى وترفع ، وتُجَاب وتُسَمع ؛ إذا تولّاها أمير المؤمنين ، أو من
يستخلفه من صلحاء المسلمين ؛ فإما إذا استبددتم فيها بأنفسكم ، وأقتديتم في تأديتها
بناكب عن سبيله ، مُجَانِبٍ لدليله ؛ فقد تسكتم في الضلالة ، وتطابقت على الجهالة ؛
وكلُّ راضٍ منكم بذلك ، عاصٍ لله ورسوله وللإمام .

ولما أطلع أمير المؤمنين على ما ذهبت إليه بسوء الاختيار ، وركبتموه من مراكب
الاعتذار ؛ لم ير أن يلغىكم ويهجركم ، ويغفلكم ولا يبصركم ؛ فقدم مكاتبتكم مُعذِرًا
مُنذِرًا ، ومُخَوِّفًا مُحذِرًا ؛ وبدأكم بوَعظِهِ مُشْفِقًا عليكم من زلّةِ القَدَمِ ، ومَوْقِفٍ النَّدَمِ ؛
وجاذبًا لكم عن مَضَالِّ الغَوَايِهِ ، إلى مرشد الهداية ؛ وأفتحكم باللفظ الأحسن ،
والقول الألين ؛ وهداكم إلى السبيل الأوضح ، والمتجر الأربح ؛ وأختار أن يهديكم
الله تعالى إلى طريق الرشاد ، ويدلّكم على مقاصد السداد ؛ ويُعيدكم إلى الأولى ،

وَيَبْعَثَكُمْ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُثَلَّى ؛ وَأَنْ تَعْرِفُوا الْحَقَّ فَتَعْتَصِمُوا فِي أَيْدِيكُمْ مِنْ بَيْعَتِهِ ،
وتقوموا بما فرض عليكم من طاعته ؛ وَتَرْجِعُوا إِلَى إِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ ، وَمَا آتَفَقَتْ عَلَيْهِ
كَلِمَةُ إِخْوَانِكُمْ فِي الدِّينِ ؛ وَتَتَّبِعُوا مَذَاهِبَ أَهْلِ السَّلَامَةِ ، وَأَوْلَى الْأَسْتِقَامَةِ ؛ فَإِنْ وَقَعَ
مَا أَلْقَاهُ إِلَيْكُمْ الْمَوْقِعَ الَّذِي قَدَّرَهُ فِيكُمْ ، وَسَأَلْتُمْ الْإِقَالََةَ ، فَالْتَوْبَةُ تَنْفَعُكُمْ ، وَالْعَفْوُ
يَسَعُكُمْ ؛ وَإِنْ تَمَادَيْتُمْ فِي غَيْبِكُمْ وَبِاطِلِكُمْ ، وَغُرُورِكُمْ وَجَهْلِكُمْ ؛ تَقَدَّمَتْ إِلَيْكُمْ جِيُوشُ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُقَوْمَهُ ، وَمِنْ عُصَاتِكُمْ مُتَقَمَهُ ؛ وَذَلِكَ مَقَامٌ لَا يَتَمَيَّزُ فِيهِ الْبَرُّ مِنَ السَّقِيمِ ،
وَلَا الْجَاهِلُ مِنَ الْعَلِيمِ ؛ أَلَا تَسْمَعُونَ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَّ الَّذِينَ
ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ ؟ وَأَيُّ فِتْنَةٍ أَشَدُّ مِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ ، وَمَعْصِيَةِ السُّلْطَانِ ؛ وَشَقُّ
العَصَا ، وَإِرَاقَةُ الدِّمَاءِ ، وَإِثَارَةُ الدِّهْمَا ؟ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَارْجِعُوا ، وَتَأَمَّلُوا وَارْجِعُوا ؛
وَتَبَصَّرُوا وَأَسْتَبْصِرُوا ؛ وَقَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْحَجَّجَهُ ، وَبَدَأَ كُمْ بِالْحُجَّةِ ؛ فَأَوْجِدُوهُ
السَّبِيلَ إِلَى مَا يُنَوِّيه لَكُمْ وَلِكُلِّ أَهْلِ الْإِسْلَامِ : مِنْ حَقْنِ الدِّمَاءِ ، وَصِيَانَةِ الْحَرِيمِ ،
وَتَحْصِينِ الْأَمْوَالِ ، وَشُمُولِ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ ؛ وَأَجِينُوا عَنْ كِتَابِهِ هَذَا بِمَا يُؤَفِّقُكُمْ اللَّهُ
تَعَالَى [إِلَيْهِ] : مِنْ إِجَابَةِ دَعَائِهِ وَالْعَمَلِ بِرَأْيِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة ما كتب به عبد الحميد إلى بعض من نرجع عن الطاعة ، وهو :
أما بعد : بلغني كتابك تذكر أنك تحمل المرد على الجرد ؛ فسترد عليك جنود الله
المقربون ، وأولياؤه الغالبون ؛ ويرد عليك مع ذلك حربه المنصور من الكهول ، على
الفحول ؛ كأنها الوعول ، تنحوض الوحول ؛ طوال السبال ، تختضب بالخريال ، رجال
هم الرجال ؛ بين راح وناشب ، ليس معهم إلا كلب محارب ؛ ولا ينكلون عن الأصحاب .
قد ضروا بضرب الهام ، وأعتادوا الكتر والإقدام ، ليسوا بدوى هينة ولا إجمام ؛
يقضون بالسيوف ، ويخالطون الزحوف ، في أعتهم الخوف ؛ يزارون زئير الأسود ،

وَيَتَّبِعُونَ وَتُوبَ الْفُهُودِ ؛ لَيْسَ فِيهِمْ إِلَّا شَاكٌ مُحْتَبِكٌ ، فِي الْحَرْبِ مُجْرَبٌ ؛ قَدْ شَرِبَ عَلَى
 نَاجِدِ الْحَرْبِ وَأَكَلَ ، ذَوْ شِقْشِقَةٍ وَكَلْكَلٍ ؛ كَأَنَّمَا أُشْرِبَ وَجْهَهُ نَقِيعَ الْحِنَاءِ ؛ قَدْ رَمَى
 الْحَرْبَ وَرَضَعَهَا ، وَغَذَّتْهُ وَأَلْفَهَا ؛ فَهِيَ أُمُّهُ وَهُوَ ابْنُهَا ، يَسْكُنُ إِلَيْهَا وَيَأْتِسُ بِقُرْبِهَا ؛
 فَهُوَ بَطْلِبُهَا أَرَبٌ ، وَعَلَى أَهْلِهَا حَرْبٌ ؛ لَا يَرُوعُهُ مَا يَرُوعُ ، وَلَا يَزِيغُهُ مَا يَزِيغُ الْعُمَرَ
 الْجَبَانَ ؛ حِينَ يَسْتَدُّ الْوَعْيَى ، وَتَخْطُرُ الْقَنَابُ ، وَتُقَلِّصُ الشَّفَاهُ ، وَتُسْفِرُ الْكُمَاهُ ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ
 تُسَلِّمُكَ الْمُرْدُ ، وَتُكْشَفُ عَنِ الْجُرْدِ . فَتَأْهَبُ لِذَلِكَ أَهْبَتَكَ ، وَأَخْطُبُ لَهُ خِطْبَتَكَ ،
 مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْحَوَاكِي ؛ ثُمَّ كِيدُونِي جَمِيعًا فَلَا تُتَطَرُونَ ؛ فَمَا أَسْرَنَا إِكْتَارُكَ الْجَمُوعِ ،
 وَحَشْدُكَ الْخِيُولِ ؛ فَإِنَّكَ لَا تُكْتَفَى جَمْعًا ، وَلَا تُسْرَبُ خَيْلًا ؛ إِلَّا وَثِقْنَا بِأَنْ سَمِدْنَا
 اللَّهُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ ، وَيَزِيدُنَا مِنْ نَصْرِهِ ؛ بِمَا قَدْ جَرَتْ بِهِ سُنَّتُهُ ، وَسَلَفَتْ بِهِ عَادَتُهُ ؛
 وَنَحْنُ نَجْرِي مِنْ ذَلِكَ عَلَى نَقَمَاتٍ مِنَ اللَّهِ وَنِكَالٍ وَسَطَوَاتٍ مُهْلِكَةٍ ؛ فَرَأَيْتُمْ ذَلِكَ
 فِي الْمَنَازِلِ ، وَعَرَفْتُمُوهُ فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي يَجْمَعُهَا الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ ؛ فَأَبَشِّرْنَا بِمَا سَاءَ كَ
 صَجْرًا ، وَمَشَّاكَ تُقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْخَشُوشُ .



وَمِنْ أَحْسَنِ الْكُتُبِ الْمَكْتُبَةِ فِي هَذَا الْبَابِ مَا كَتَبَ بِهِ قَوَامُ الدِّينِ (يَحْيَى بْنُ زِيَادَةَ)
 وَزَيْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ الْخَلِيفَةِ بَغْدَادَ إِلَى (طغرل) مُقَطَّعِ الْبَصْرَةَ بِأَمْرِ
 الْخَلِيفَةِ لَهُ فِي ذَلِكَ ، وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّهُ نَزَحَ عَنْهَا ، قَاصِدًا بَعْضَ الْأَطْرَافِ ، مَفَارِقًا لِعِطَاعَةِ الْخَلِيفَةِ ،
 عِنْدَ مَا طَلَبَ مِنْ دِيْوَانِهِ شَيْءٌ مِنَ الْمَالِ ، فَأَوْجِبَ ذَلِكَ أَنْتَاءَهُ عَنْ عَزْمِهِ وَتَوَجُّهُهُ
 إِلَى بَغْدَادَ دَاخِلًا تَحْتَ الطَّاعَةِ ، وَمُقَابَلَتَهُ بِالصَّفْحِ وَتَلْقِيهِ بِالْقَبُولِ . وَهَذِهِ نَسِخَتُهُ :
 أَصْدَرْتُ هَذِهِ الْخِدْمَةَ إِلَى الْجَنَابِ الْكَرِيمِ ، الْأَمِيرِيِّ ، الْأَسْفَهْسَلَارِيِّ ، الْأَجَلِيِّ ،
 الْكَبِيرِيِّ ، السَّيِّدِيِّ ، الْعِمَادِيِّ ، الرَّكْنِيِّ ، الظَّهِيرِيِّ ، الْمُحْتَرَمِيِّ ، الْعَزِيِّ ، الْجَمَالِيِّ ،
 أَمِيرِ الْجِيُوشِ ؛ أَطَالَ اللَّهُ بِقِصَائِهِ ، وَأَدَامَ عُلُوَّهُ وَنِعْمَتَهُ ؛ وَأَنَا أَوْقَعُ الْأَقْوَالَ الْمُتَوَاتِرَةَ ،

والأموال المتناصرة، مُسْتَفْرَبًا لها، مُتَعَجِّبًا منها، كأنى أسمعها فى المنام، وتخطبني بها
أَصْغَاتُ أَحْلَامٍ؛ فلولا أن الأيام صَحَائِفُ الْعَجَائِبِ، ولا يَأْسُ بِمُتَجَدِّدَاتِهَا إلا مَنْ
حَنَكْتَهُ التَّجَارِبُ؛ لم أَصَدِّقْ هذه الحركة المباركة التى وقعت منه بسعادته؛ فإنى
ما أراها إلا عَثْرَةً من جَوَادٍ، وعورة على كماله؛ واليه من أين يدخل الزَّلَلُ على ذلك
الرَّأْيِ السَّيِّدِ، والعقل الراجح، والفكر الصائب؟ الذى يَعْلَمُ الآراءَ كَيْفَ تُسِيرُ، وَيَعْرِفُ
النُّجُومَ كَيْفَ تُسِيرُ، ويهدى غيره فى المُشْكَلاتِ إلى صواب التديير، والفائتُ لا كَلَامَ
فيه، غير أن العقلَ يَقْضِي بِأَسْتِدْرَاكِ الْمُمْكِنِ وتَلَاْفِيهِ؛ بالانحراف عن الهوى إلى الرأى
الصَّادِقِ، والرُّجُوعِ عن تأويل النفس إلى مراجعة الفكر الناصح؛ فالعُودُ إلى الحق
أولى من التَّمَادِي على الباطل، وأَحِبُّ أن تسمع ما أقولُ بِأُذُنٍ واعية وقلب حاضر؛
وَحُوشِي أن تَسْتَدْفِعَهُ الكَوَادِبُ عن تَدَبُّرِ الحقائق، وَعِرْفَانِ النِّصَاحِ؛ فإن من القول
مأبرهانه لا يحتاج إلى شاهد من غيره .

قبل كُلِّ شَيْءٍ: ما الذى أحوَجَ إلى هذه الحال القبيحة السُّمَّعِ، وركوبِ الخطر
فى هذه الحركة، وأَحْتِمَالِ هذه المَشَاقِّ، والأنزاع من غير أن تَدْعُو إليه حاجة؟
هل هو لِأَشْيَاءٍ بَجَرَتْ العادة بمثله، وبمطالبة ديوانه بما كان يندفع الأمر ببعضه؟
كما بَجَرَتْ عادة الدواوين، وخدمُ السلاطين؛ ثم إنه عمَد - أدام الله نعمته - بأول
خاطره، وبادى رأيه فى هذه العجالة، من غير تثبت ولا روية. لم لا راجع فكره
الكريم، ويقول لنفسه: إلى أين أمضى؟ ولئن أخذم؟ وعلى أى باب أقف؟
وتحت أى لواء أسير؟ وبأى غبار أكتحل؟ وفضل من أطلب؟ وعلى حكم
من أنزل؟ بعد أن رببت فى عرصية الخلافة، ودار النبوة، وحضن
الملكة؛ أنشأى نعيمها صغيرا، وقدمنى كبيرا؛ وكنتُ مأمورا بفعلى أميرا، وطار
صيتي فى الدنيا ولم أكن شيئا مذكورا؛ فانا خير من ملك أقصده، وأمثل من كل

مَنْ أَرْجُوهُ وَأَسْتَنْجِدُهُ، أَفَأَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْحَضِيضِ، وَأَهْدِمُ مَا بَنَى الْإِنْعَامُ عِنْدِي فِي الزَّمَنِ الطَّوِيلِ الْعَرِيضِ؟ ! هَذَا هُوَ الْمَكْرُوهُ الْأَعْظَمُ، الَّذِي تَعَوَّذَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حِينَ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكُورِ» وَمَنْ يَكُونُ حَضِيْنَ خِلَافَةَ كَيْفَ يَرْضَى أَنْ يَكُونَ تَابِعَ إِمَارَةٍ؟ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَا هَجَمَ عَلَيْهِ إِلَّا هَذَا لَكَفَى. ثُمَّ لِمَ لَا يَلْتَفِتُ فِي هَذِهِ الْحَالِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا، الَّتِي صَحِبْتَهُ بِوَفَائِهَا، وَيَسْمَعُ خَطَابَهَا بِلِسَانِ حَالِهَا ثُمَّ؟ تَقُولُ لَهُ: يَا عِمَادَ الدِّينِ! أَمَا هَذِهِ خِيَامُ الْإِنْعَامِ عَلَيْكَ؟ أَمَا هَذِهِ الْخَيْلُ الْمُسَوَّمَةُ تَحْتِكَ؟ أَمَا هَذِهِ مَلَابِسُهُ الْفَاحِرَةُ مُفَاضَةً عَلَيْكَ؟ أَمَا هَذِهِ مَمَالِكُهُ حَافَةٌ بِكَ؟ أَلَيْسَ الْأَصْطِنَاعُ رَفَعَ قَدْرَكَ إِلَى الْمَنْزِلَةِ الَّتِي ثَقُلَ عَلَيْكَ بَعْضُ الْأَنْحِطَاطِ عَنْهَا، وَوَهَبَ لَكَ الْهَمَّةَ الَّتِي أَبَيْتَ الضَّمِيمَ بِهَا؟ فَخُوشِيَتَ أَنْ تَكُونَ مَمَّنْ تَوَاتَرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ فَلَهَا، وَتَكَاثَرَتْ عَلَيْهِ فَضَعَفَ عَنْ حَمْلِهَا؛ فَيَالَيْتَ شِعْرِي! مَاذَا يَكُونُ جَوَابُهَا؟ وَاللَّهِ إِنِّي أَقُولُ لَهُ بِسَعَادَتِهِ وَلَا أُعَقِّبُ: وَلَوْ أَنَّهُ قَدْ تَحَقَّقَ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - وَقُوعَ كُلِّ مَحْذُورٍ، وَحُلُولَ كُلِّ مَكْرُوهٍ؛ لَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الْحَرَكَةِ مَعْذُورًا، فَكَيْفَ بظَنِّ مَرَجِّمْ، وَقَوْلِ مُسَوِّفٍ مُتَوَهِّمٍ؛ وَرَأْيِ فَطِيرٍ غَيْرِ مُخْتَمِرٍ. وَلَقَدْ كَانَ أَسْتَسْلِمُهُ لِمَالِكِ الرَّقِّ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ - أَحْسَنَ فِي الدُّنْيَا وَأَحْمَدَ فِي الْعُقْبَى؛ وَاقِعًا ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِهِ حَيْثُ وَقَعَ. وَالْآنَ فَالْوَقْتُ ضَاقَ فِي إِصْدَارِ هَذِهِ الْمَكَاتِبِ، عَنْ اسْتِقْصَاءِ الْعِتَابِ وَالْمُحَاقَقَةِ؛ وَإِيرَادِ كُلِّ مَا تَلَزَمَ بِهِ الْحُجَّةُ، لَكِنِّي أَقُولُ عَلَى سَبِيلِ الْجُمْلَةِ:

إِنِّي أَخَافُ عَلَى سَدِيدِ ذَلِكَ الرَّأْيِ إِجَابَةَ دَاعِيِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْبَحَاجَ مِنْ أَوْسَعِ مَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ عَلَى الْإِنْسَانِ، وَحُوشِي كَمَالُهُ مِنْ هَذَا الْقِسْمِ.

وَالثَّانِي اسْتِشْعَارُهُ بِسَعَادَتِهِ مِنْ بَادِرِيَّتِهِ، وَأَسْتِيحَاشُهُ مِنْ عَجَلَتِهِ؛ وَهَذَا أَيْضًا مِنْ أَدَقِّ مَكَائِدِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ، فَإِنَّهَا تُوَمِّنُ مِنَ الْخُوفِ، وَتُخَوِّفُ مِنَ الْمَأْمُونِ،

وَتَسْحَرُ الْعَقْلَ بِالتَّحْيِيرِ وَالشُّكِّ ، فَلَا تَصِحُّ لَهُ عَزِيمَةٌ ، وَلَا تَصْفُو لَهُ فِكْرُهُ ؛ وَهَذَا النَّوْعُ إِذَا عَرَّضَ فِي الصَّدْرِ يَجِبُ دَفْعُهُ بِالنَّظَرِ إِلَى الْحَقِّ وَشَجَاعَةِ الْقَلْبِ ، وَالْإِخْلَادِ إِلَى مُنَاطَرَةِ النَّفْسِ ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ بِمَعْصُومٍ ، وَالزَّلُّ فِي الرَّأْيِ لَيْسَ مِنْ أَوْصَافِ الْجَمَادِ ، بَلْ مِنَ الْأَوْصَافِ اللَّازِمَةِ لِلْبَشَرِيَّةِ ؛ وَلَيْسَ الْكَمَالُ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلوَاحِدِ الصَّمَدِ .

فَإِذَا عَرَّضَ لَهُ بِسَعَادَتِهِ هَذَا الْأَسْتِشْعَارَ ، فَيُدْفَعُهُ عَنْ نَفْسِهِ ؛ فَلَيْسَ سُلْطَانُ الْوَسْوَاسِ الْخَنَاسِ ، إِلَّا فِي صَدُورِ النَّاسِ ؛ فَهَذَا لَا يَنْبَغِي لِمُذْنِبٍ أَنْ يَقْنَطَ ، وَلَا لِمُسِيءٍ أَنْ يَسْتَوْحِشَ ؛ لِاسْتِمَا إِذَا أَتَبَعَ الذَّنْبَ بِالْأَسْتِقَالَةِ وَالْأَسْتِغْفَارِ ، وَالْأَعْتَادِ وَالْإِقْلَاعِ ؛ وَعَلَى الْخُصُوصِ إِذَا كَانَتْ الْخِيَانَةُ عِنْدَ مَنْ لَا يَتَعَاطَمُهُ عَفْوُهَا ، وَلَا يَضِيقُ حِلْمُهُ عِنهَا ؛ فَإِنَّ كُلَّ كَبِيرَةٍ تُوجِبُ الْمَخَافَةَ ، تَفْرُقُ فِي بَحْرِ عَفْوِ الْخِلَافَةِ ؛ فَيَجِبُ أَنْ يُقَرَّرَ بِسَعَادَتِهِ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ ، وَيُخْرَجَ سَوَاءَ الظَّنِّ وَالْأَسْتِشْعَارِ مِنْ خِيَالِهِ ؛ فَإِنْ مَثَلَهُ مِنْ خُلَصَانِ الْمَمَالِكِ لَا يُسْمَعُ بِهِ ، وَلَا يُسْتَنْبَغُ عَلَيْهِ عِنْدَ هَفْوَةٍ بَادِرَةٍ .

والثالث الأتقياض والحياء . فانه رُبَّمَا يقول في نفسه : بأى وجه ألقى مولاي؟ وبأى عين أبصر مواطن الدار العزيزة؟ ربَّانى وأنسانى ! . وهذا أيضا لا يصلح خطوره بياله في هذا المقام ، فإنه من ضعف النجيزة ، والميل مع خواديع الطبع ، عن نصائح العقل والشرع ؛ فإن الحياء إتياع زلة القدم بالندم والاعتذار ، لا التهورك في اللجاج والإصرار . فقد قال بعض الملوك لخصيص من خواصه ، عصاه في شئ من أمره : «بأى عين تلقانى وقد عصيت أمرى ؟» فقال : «بالعين التى ألقى بها ربى في الصلوات الخمس ، وهو سبحانه يرانى على فواضح المعاصى» . وقد أثنى الله سبحانه على من أذنب ثم تاب ، وشرده عن طاعته ثم أناب . وبحمد الله تعالى ما جرى ما يقتضى فرط الاستشعار . هل هو إلا عبد خاف بادرة مولاه ، فتحنى من مكانه إلى أن يعطف

(١) فى الأصل "بل" ولا معنى لها .

عليه برحمته؟ وليس هذا ببديع، ولا من الصَّفحِ ببعيد. على أنه بسعادته لو أنصف من نفسه لما استشعر. فكم أخرجت الخزائن الشريفة عليه من الأموال حتى نبت عرقه، وأورق غضنه، وكبر شأنه، وجميع ضمان البصرة عشر معشار ذلك.

والرابع إصغاؤه - والعياذ بالله - إلى قول من لا ينصحه، ويغويه ولا يرشده؛ ويتقرب إليه بمتابعة هواه. وهذا ما لا يخفى عن لَمحة الناقد، ولا يحتاج في الإعراض عنه إلى باعث؛ فقد بما قيل: «صديقك من نَهَاك، وعدوك من أغراك» والله تعالى يوفقه لتحقيقه النظر في هذه الأقسام الأربعة، التي أحذرهما عليه، وأحذرهما منها؛ ويسره لليسرى.

وبعد ذلك فإنا أنصفه من نفسى، وأقول الحق: إن نفساً رباًها خليفة الله في أرضه - صلوات الله عليه وسلامه - بإنعامه، وأعلى همته باختصاصه، وشرفها بنسب عبوديته؛ لا تحمل الهوان، ولا تقر على الابتدال؛ فغالِبُ ظنى أن نفوره بسعادته إنما هو من ديوان الزمام المعمور. والآن فإنا وهو بسعادته عبدان، ولكنى أنفرد عنه بالسِّن والتَّجريب؛ وطريقتى هو بسعادته يعرفها، وإنى لأدحر عن أحد نصحا. فالصواب أن يقبل قولى، ويتحقق صحة مقصدي فى نصيحتة ومقصده، فإنى أوجب ذلك له على نفسى، وأراه من واجبات خديم مالك الرِّق - صلوات الله عليه وسلامه - أيضا.

وقد علم الله تعالى أنى قد أوضحت من عُدْرته، وأحسنَت المناب عنه بسعادته، مالو حضره وتولاه بنفسه لما زاد عليه؛ ورأيتُ الإنعام يستغنى عن كل شرط ولا يحتاج إليه، وتقررت قاعدته بسعادته أن لا يكون له مع ديوان الزمام المعمور حديث، ولا مع غيره ممن لا يعرف حقه، ولا يوفيه من الاحترام واجبه؛ فإن أمر

أن أتولى وساطته فأنا أعتمد ذلك في مراضيه، وتمشية أمره أكثر مما في نفسه .
 وإن آختر بسعادته أن يكون غيري وسيطه وسفيره ، فيعين من يختاره : ليكون
 حديثه معه . وقد أسلفت من وظائف إحسان المناب أني تنجزت له بسعادته أماناً
 متوجاً بالقلم الأشرف المقدس ، على نفسه الكريمة وماله وأولاده والأمان المذكور
 طي كتابي هذا - مقررنا بخاتم أمان ثان ؛ فيجب أن يكون هو بسعادته جواب
 ذلك . إذ لا يجوز أن يكون الجواب إلا هو بنفسه الكريمة ؛ فلا يشعربه أحد
 إلا وهو مقابل التاج الشريف ، ملقياً نفسه بين يدي مالکها الذي هو أرحم لها ،
 وألطف بها ، وأشفق عليها منها ؛ تالياً ما حكاه القراءان المجيد عن يونس عليه السلام ،
 إذ نادى وهو مكظوم : (سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) فإنه يرى -
 بمشيئة الله تعالى وتوفيقه - كل ما يحب ، ويأمن كل ما يحذر . وأنا أستسرع وُصوله
 عن استعراض مهماته ، ولرأيه كرمه ، إن شاء الله تعالى .

قلت : فإن آتفت المكتبة في معنى ذلك في زماننا ، راعى الكاتب فيه صورة
 الحال ، وجرى في ذلك على ما يلائم حاله ، ويناسب ما هو فيه ؛ مع النظر في كلام
 من سبقه إلى شيء من ذلك ؛ والنسج على منوال المجيد ، والاقتران بالمحسن في إirاده
 وإصداره .

الصنف السابع

(الكتب في الفتوحات والظفر بأعداء الدولة وأعداء الملة ،

وأسترجاع المعامل والحصون ، والأستيلاء على المدن)

وأصلها من فتح الأقفال ودخول الأبواب . كأن المدينة أو الحصن كان مقفلاً

ممتنعاً بالأغلاق على قاصده حتى يفتح له فيدخل .

قال في "مواد البيان" : وهو من أعظم المكاتبات خطراً ، وأجلها قدراً ،
لأشتمال أغراضها على إنجاز وعد الله تعالى الذي وعد به أهل الطاعة في إظهار
دينهم على كل دين ، وتوفير حظهم من التأييد والتأييد ، وما يتر فيها من الأساليب
المختلفة التي يشتمل هذا القانون عليها .

قال : والكاتب يحتاج إلى تصريف فكره فيها ، وتهذيب معانيها : لأنها تُتلى
من فوق المنابر على أسماع السامعين ، ويُجعل نصب عيون المتصفحين .

ثم قال : والرسم فيها أن تفتح بحمد الله العفو الحليم ، الغفور الرحيم ، العليم
الحكيم ، ذى البرهان المبين والفضل الجسيم ، والقوة المتين والعقاب الأليم ، مُبِيدِ
الظالمين ، ومُبِيرِ القاسطين ، ومؤيدِ العادلين ، وجاعِلِ العاقبة للمتقين ، المُمِلِ إِمَهالاً
وإنذاراً ، والمُعاقِبِ تنبيهاً وإذكاراً ، الذى لا يُنجى منه مهربٌ ، ولا يبعد عليه
مطلبٌ ، وكيف يُعتصم منه وهو أقرب من حبل الوريد ، وله على كل لافظٍ رقيبٌ
وعتيدٌ ؟ . والصلاة على رسوله الأمين ، الذى ختم به النبيين ، وفضله على المرسلين ،
وأيده بأوليائه التائبين ، الذين قاموا فى نصرته ، وإعزاز رأيتِه ، المقام الذى فازوا فيه
بالخصل ، فاستولوا به على قصبَاتِ الفضل ، فشرَكهم معه فى الوصف والثناء ، فقال
جَلَّ قَائِلاً : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ .

ثم يؤتى بمقدمة تشتمل على التحدث بنعمة الله فى شحذ العزائم لنصرته ، وتثبيت
الأقدام فى لقاء عدوه ومجاهدته ، وإنجازه وعده فى الإعزاز والإظهار ، والظفر
والإظفار ، والأستبشار بموقع النعمة فى الفتح الجليل ، والإشادة بإبقاء هذا الأثر
الجميل . ثم يفيض بما جرت العادة به فى مقارنة العدو ومداناته ، وبث
الطلائع لتنفيذ السرايا فى مبادئ ملاقاته ، وما أفضى إليه الأمر فى التقابل

والمؤابيه ، والتواشج في المطاعنة والمضاربه ؛ وذكر مواقف الشجعان في الكفاح
والمجاهده ، والذب والمجالد ، وثبوت الأقدام ، والجود بالنفوس ، وأشداد الأيدي ؛
وقوة الشكائم ، وأستصحاب العزائم ؛ وتفخيم أمر العدو : بوصفه بكثرة الرجال
والأجناد ، والقوة والأستعداد : لأن توقع الظفر بمن هذه صفتة أعظم خطرا ، وأوقع
في النفوس أثرا .

ثم يذكر مجال بين الفريقين من قراع ومصاع ، ومضاربة ودفاع ؛ ومصاولة
ومناضله ، ومناهدة ومكافحه ؛ وحماية ومناخه ، وثبات ومصاففه ؛ ومقاومة ومواقفه ،
ومخادعة ومطامعه ؛ وينعت الموارب والكائب ، والخيول والأسلحة ؛ والجرحى
والمجدلين ، والأسرى والمقتلين . وأستعمال التشبيهات الفائقة ، والأستعارات الرائقة ؛
وإرداف المعاني في الإبانة عن لمعان أسنة الدوابل ، وبريق صفحات المناصل ؛
وإعمال المقاصل في القمم ، وظهور نجوم السيوف من ليل الحرب في دياحي الظلم ؛
وينعت الدماء المنبثثة من الجراح ، على متون أرماع والصفاح .

ويذكر ما أظهره الله تعالى : من تكامل النصر ودلائل الظفر ، وما أنجلت عنه
الحرب : من قتل من قتل وأسير من أسير ، وهزيمة من هزم ؛ وما فاز به الرجال
من الأسلاب والأموال ، والدواب والرجال ؛ وما جرت عليه الحال من أنفلال العدو
عند المقاتلة ، أو أسير العدو إن أسر ، أو اعتصامه بمعقل لا يحصنه ؛ أو امتناعه بحيث
يحتاج إلى منازلته باستنزاله قسرا ؛ أو حيازة المعقل الذي كان بيده ، وما اعتمد فيه ؛
من حسن السير ، وتخفيف الوطأة عن الرعية وحسم أسباب الفتنة ؛ أو رغبته
في المسالمة ، وسؤاله في المهادنه ؛ لخوف أظله ، وهلع أحتله ؛ وما تردد من رسائل ،
وتقرر من شروط وعقود ؛ وإنفاذ الأمر في ذلك كما أوجبه الحزم ، واقتضاه
صواب الرأي .

وإن كان السلم قد وقع ، والتنازع قد ارتفع ؛ ذكر اتفاق الحزبين^(١) ، واتحاد الكلبه ، وشمول النعمه .

وإن كان لم يجبه إلى المهادنه ، حذرًا من المكر والمخادعه ، ذكر ما مر في ذلك من رأي وتدبير ، وتسديد وتقرير .

وإن كان طلب المهادنه ليجد فسحة المهل فيكثر عدده ، ويجم عدده ، وتتم حيلته ؛ فأطلع منه على ذلك ، فبادره مفللاً لكيده ومكره ، مديقاً له وبأل أمره ؛ شرح الحال على نصها وما انتهى إليه آخرها .

قال : وقد يقع من هذه الأمور ما لا يحتمسب ، وسيل جميعه هذا السبيل .

ثم قال : ويحتم الكتاب بحمد الله القاضى لأوليائه بالإداله ، ولأعدائه بالإذاله ؛ الذى يستدرج بحلمه إمهالاً ؛ ولا يلقى العادل عن حكمه إهمالاً ؛ والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله .

وقد تقدم فى الكلام على مقدمة المكاتبات فى أوائل المقالة الرابعة من الكتاب ، أن هذه الكتب مما يجب بسطها والإطناب فيها ؛ وأن ما وقع فى كتاب المهلب ابن أبى صفرة ، من كتابه إلى الحجاج فى فتح الأزارقة من الحوارج ، على عظم الفتح وبعد صيته ، على سبيل الإيجاز والاختصار ، حيث قال فيه :

أما بعد ، فالحمد لله الذى لا تنقطع مواد نعيمه عن خلقه حتى تنقطع منهم مواد الشكر . وإنا وعدونا كماً على حال يسرنا منهم أكثر مما يسوءنا ؛ ويسوءهم منا أكثر مما يسرهم ؛ ولم يزل الله جل ثناؤه يزيدنا وينقصهم ، ويعزنا ويذلهم ، ويؤيدنا ويخذلهم ، ويخصنا ويحققهم ؛ حتى بلغ الكتاب أجله . ﴿ فقطع دابر القوم الذين

(١) فى الاصل "أتساع الحربين" وهو غير مناسب .

ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ فَأَمَّا سَلَكَ فِيهِ سَبِيلَ الْإِيحَازِ، لِكَوْنِهِ مِنَ التَّابِعِ إِلَى الْمَتَّبِعِ ؛ إِذِ الْمَجَّاجُ كَانَ هُوَ الْقَائِمَ بِأَمْرِ الْعِرَاقِ وَمَا وَالَاهُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، عَلَى شِدَّةِ سَطْوَتِهِ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قُوَّةِ الشَّكِيمَةِ وَشِدَّةِ الْبَأْسِ؛ مَعَ كَوْنِ الْأَدَبِ فِي مَكْتَابَةِ الْمَرْءِوسِ الرَّئِيسِ الْإِتْيَانَ بِقَلِيلِ الْفِظِ الدَّالِ عَلَى الْمَقْصِدِ؛ حَتَّى لَا يَكُونَ فِيهِ شَغْلٌ لِلرَّئِيسِ بِطُولِ الْكَلَامِ وَبَسْطِ الْقَوْلِ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ بَيَانَهُ فِي مَوْضِعِهِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكِتَابَةَ فِي فَتُوحَاتِ بِلَادِ الْكُفْرِ وَمَعَاqِلِهِمْ وَالْأَسْتِيلاءِ عَلَى بِلَادِ الْبُغَاةِ تَكَادُ أَنْ تَكُونَ فِي الْكِتَابَةِ عَلَى نَسَقٍ وَاحِدٍ ؛ إِلَّا أَنَّ مَجَالَ الْكَاتِبِ فِي فَتُوحَاتِ بِلَادِ الْكُفْرِ أَوْسَعُ، مِنْ حَيْثُ عِزَّةُ الْإِسْلَامِ عَلَى الْكُفْرِ، وَظُهُورُ دِينِهِ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ .

وهذه نسخة كتاب بفتح فتحه الخليفة وعاد منه ، وهي :

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُدِيلِ الْحَقِّ وَمُنِيرِهِ ، وَمُذِلِّ الْبَاطِلِ وَمُبِيرِهِ ؛ مُؤَيِّدِ الْإِسْلَامِ بِبَاهِرِ الْإِيحَازِ، وَمُتَمِّمِ وَعِدِهِ فِي الْإِظْهَارِ بَوْشِيكَ الْإِنجَازِ ؛ وَأَنْحَدُ كُلَّ دِينَ وَأَعْلَاهُ ، وَرَفُضَ كُلَّ شَرِّعٍ وَأَجْتَبَاهُ ؛ وَجَعَلَهُ نُورَهُ الْأَلَمِ ، وَظِلَّهُ الْمَتَاعِ ؛ وَأَبْتَعَتْ بِهِ السَّرَاجَ الْمُنِيرَ، وَالْبَشِيرَ النَّذِيرَ ؛ فَأَوْضَحَ مَنَاجِيحَهُ ، وَبَيَّنَّ مَدَارِجَهُ ؛ وَأَنَارَ أَعْلَامَهُ ، وَفَصَّلَ أَحْكَامَهُ ؛ وَسَنَّ حَلَالَهَ وَحَرَامَهُ ، وَبَيَّنَّ خَاصَّهُ وَعَامَّهُ ؛ وَدَعَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ، وَحَضَّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِعِصْمِ دِينِهِ ؛ وَشَمَّرَ فِي نَصْرِهِ مُجَاهِدًا مِنْ نَدَى عَنْ سَبِيلِهِ ، وَعِنْدَ عَنْ دَلِيلِهِ ؛ حَتَّى قَصَدَ الْأَنْصَابَ وَالْأَصْنَامَ ، وَأَبْطَلَ الْمَيْسِرَ وَالْأَزْلَامَ ؛ وَكَشَفَ غِيَابَاتِ الْإِظْلَامِ ، وَأَنْتَعَلَتْ خَيْلُ اللَّهِ بِقَبَائِلِ الْهَامِ .^(٣)

(١) لعله زائد من قلم الناسخ .

(٢) يؤيد ماورد هنا التصحيح الذي أوردناه بهامش (١) من (ج ٦ ص ٤٤٠) من هذا المطبوع فليراجع هناك .

(٣) يؤيد ماورد هنا أيضا التصحيح الذي أوردناه بهامش (٢) من (ج ٦ ص ٤٤٠) .

يحمده أمير المؤمنين أن [جعله من ولاة أمره، ووقفه لاتباع سنة رسوله وأقتفاء أثره، وأعانه على تمكين الدين، وتوهمين المشركين، وشفاء صدور المؤمنين و^(١)] أنهضه بالمرامة عن الملة، والمحاماة عن الحوزة، وإعزاز أهل الإيمان، وإذلال حزب الكفران، ويسأله الصلاة على خيرته المجتبي، وصفوته المنتصي، مجد أفضل من ذب وكافح، وجاهد وناع، وحمى الدمار، وغزا الكفار، صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سيفه القاطع، ومجته المدافع، وسهمه الصارد، وناصره المعاضد، فارس الحقائق، ومفرق الجماع، مبيد الأقران، ومبدد الشجعان، وعلى الطهرة من عترته أئمة الأزمان، وخالصة الله من الإنس والجان.

وإن أولى النعم أن يرقل في لباسها، ويتوصل بالشكر إلى إيناسها^(٢)، ويتهادى طيب خبرها، ويتفاوض بحسن أثرها، نعمة الله تعالى في التوفيق لمجاهدة أهل الإلحاد والشرك، وغزو أولى الباطل والإفك، والمهجوم عليهم في فقر دارهم، وأجتنات أصلهم والحد في ديارهم، وأستزاهم من معاقلهم، وشريدهم عن منازلهم، وتغميض نواظرهم الشؤس [وإلباسهم لباس البوس] لما في ذلك من ظهور التوحيد وعززه، ونحوود الإلحاد وعززه، وعلو ملة المسلمين، وانخفاض دولة المشركين، ووضوح [محجة^(٤)] الحق وحجته، وصدوع برهانه وآيته.

وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك وقد أنكفا عن ديار الفلانيين المشركين إلى دسيت خلافته، ومقر إمامته، بعد أن غزاهم برا وبحرا، وشردهم سهلا ووعرا، وجرعهم

(١) الزيادة عما تقدم (ج ٦ ص ٤٤٠).

(٢) ورد بدل هذه الكلمة في (ج ٦ ص ٤٤١) "معيوس" وقد رضع نجابها هناك علامة لتوقف لعدم ظهور معناها.

(٣) كذا هنا، والذي في (ج ٦ ص ٤٤١) "لباسها".

(٤) الزيادة عما تقدم في (ج ٦ ص ٤٤١).

من عواقب كُفْرهم مُرًّا ؛ وَفَرَّقَ جَمَائِعَهُمُ الَّتِي تُطَبَّقُ سَهَوْبَ الْفَضَاءِ [خَيْلًا وَرَجُلًا ،
وتَضِيْقُ بِهَا الْمَهَامَةَ حَزْنًا وَسَهْلًا ، وَمَزَّقَ كَتَائِبَهُمُ الَّتِي تُلْحِقُ الْوَهَادَ بِالنَّجَادِ ، وَتَخْتِطِفُ
الْأَبْصَارَ بِبَوَارِقِ الْأَعْمَادِ] ^(١) وَتَجْعَلُ رَعُودَ سَنَابِكِهَا فِي السَّمَاءِ ، وَسَبِيَّ الدَّرَارِيِّ
وَالْأَطْفَالَ ، وَأَسْرَ الْبَطَارِيْقِ وَالْأَقْيَالَ ؛ وَأَفْتَحَ الْمَعَاقِلَ وَالْأَعْمَالَ ، وَحَازَ الْأَسْلَابَ
وَالْأَمْوَالَ ؛ وَأَسْتَوْلَى مِنَ الْحُصُونِ عَلَى حِصْنٍ كَذَا وَحِصْنٍ كَذَا ؛ وَمَحَا مِنْهَا رُسُومَ الشَّرِكِ
وَعَقَّاهَا ، وَأَثْبَتَ سُنْنَ التَّوْحِيدِ بِهَا وَأَمْضَاهَا ؛ وَغَنِمَ أَوْلِيَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمُتَطَوِّعَةٌ
الْمُسْلِمِينَ [مِنَ الْغَنَائِمِ] مَا أَقْرَّ الْعَيُونَ ، وَحَقَّقَ الظُّنُونَ ؛ وَأَنْفَصَلُوا وَقَدْ زَادَتْ بِصَائِرِهِمْ
نَفَازًا فِي الدِّينِ ، وَسِرَائِرُهُمْ إِخْلَاصًا فِي طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ بِمَا أَوْلَاهُمُ اللَّهُ مِنَ النَّصْرِ
وَالْإِظْفَارِ ، وَالْإِعْزَازِ وَالْإِظْهَارِ ؛ وَوَضَعَ لِلشَّرِكِينَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْخِذْلَانِ ،
وَأَنَالَهُمْ إِيَّاهُ مِنَ الْهَوَانِ ؛ أَنَّهُمْ عَلَى مِضَلَّةٍ مِنَ الْغَىِّ وَالْعَمَى ، وَمَنْحَاةٍ مِنَ الرَّشْدِ وَالْهُدَى ؛
فَضَرَعُوا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي السَّلْمِ وَالْمَوَادِعِ ، وَتَحَمَّلُوا بَدَلًا بَدَلُوهُ [تَفَادِيًا] ^(٢) مِنَ الْكِفَاحِ
وَالْمِقَارِعِ ؛ فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ مُتَوَكِّلًا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَمْتِنًا لِقَوْلِهِ إِذْ يَقُولُ :
﴿ وَإِنْ جَنَّحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ هَآءَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(٣) وَعَاقَدَ طَائِفَتُهُمْ
عَلَى كِتَابٍ هُدْنَةٍ كَتَبَهُ لَهُ ، وَأَقْرَهُ فِي يَدِهِ ؛ حُجَّةً بِمَضْمُونِهِ .

أشعرك أمير المؤمنين ذلك: : لِنَأْخُذَ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ بِنَصِيبٍ مِثْلِكَ مِنَ الْمُخْلِصِينَ ،
وَتَعْرِفَ مَوْقِعَ مَا تَفَضَّلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ؛ فَيَحْسِنَ ظَنُّكَ ،
وَتَقَرَّرَ عَيْنُكَ ؛ وَتَشْكُرَ اللَّهُ تَعَالَى شُكْرَ الْمُسْتَمِدِّ مِنْ فَضْلِهِ ، الْمُعْتَدِّ بِطَوْلِهِ ؛ وَتَتْلُو كِتَابَ

(١) الزيادة عما تقدم في (ج ٦ ص ٤٤١) .

(٢) في (ج ٦ ص ٤٤٢) من هذا المطبوع " وبتد " .

(٣) الزيادة عما تقدم في (ج ٦ ص ٤٤٢) .

أمير المؤمنين ، على كآفة من قبلك من المسلمين : ليعلموا ما تولاهم الله به من نصره وتمكينه ، وإذلال عدوهم وتوهمينه ؛ فأعلم ذلك وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .

ثم الفتح إما فتح لبعض بلاد الكُفَر ، وإما فتح لما استولى عليه البغاة من المسلمين .

فأما فتح بلاد الكُفَر فكان سبيلهم فيه أن يُصدَّر الكتاب بحمد الله تعالى على علو دين الإسلام ورفعته ، وإظهاره على كل دين ؛ ثم على بعث النبي صلى الله عليه وسلم بالهداية إلى الدين القويم ، والصراط المستقيم ؛ ويذكر ما كان من أمره صلى الله عليه وسلم من جهاد الكُفَر . ثم على إقامة الخلفاء في الأرض حفظاً للرعيه ، وحيطة للبرية ، وصونا للبيضة ؛ ويخص خليفة زمانه من ذلك بما فيه تفضيله ورفعة شأنه ؛ ثم يؤخذ في تعظيم شأن العدو وتهويل أمره ، وكثرة عدده ، ووفور مدده ؛ ثم في وصف جيوش المسلمين بالقوة والاستعداد ، والأشداد في الله تعالى ، والقيام في نصره دينه ؛ ثم تذكر الملحمة وما كان من الوقعة والتحام القتال ، وما أنجلت عنه الملحمة من النصرة على عدو الدين وخذلانه ، والإمكان منه ، وقتل من قتل منهم ، وأسر من أسر ، وتفريق شملهم ، وانتظام كلمة الإسلام ، وطاعيتهم بهلاك عدوهم ، وما في معنى ذلك .

وهذه نسخة كتاب كُتِبَ به إلى الديوان العزيز ، أيام الناصر لدين الله ، عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، بفتح القدس الشريف ، وإنقاذه من يد الكُفَر ، في آخر شعبان سنة ثلاث وثمانين وخمسة ، من إنشاء القاضي الفاضل ، وهو :

أدام الله أيام الديوان العزيز النبوي الناصري، ولا زال مظفر الحدّ بكلّ جاحد،
 غنيّ التوفيق^(١) عن رأي كلّ رائد، موقوف المساعي على آفتنائه مطلقات المحامد،
 مستيقظ النصر والسيف في جفنه راقد، وأرد الجود والسحاب على الأرض غير وارد،
 متعاد مساعي الفضل وإن كان لا يلقى إلا بشكر واحد، ماضي [حكم القول]^(٢) بعزم
 لا يمضي إلا بنسل غويّ وریش راشد، ولا زالت غيوث فضله [إلى الأولياء]^(٢)
 أنواء إلى المربع وأنواراً إلى المساجد، وبُعوث رعيه إلى الأعداء خيلاً إلى المراقب
 وخيلاً إلى المراقد.

كتب الخادم هذه الخدمة تلو ما صدر عنه مما كان يجري مجرى التبشير لصبح
 هذه الخدمة، والعنوان لكتاب وصف هذه النعمة، فإنها بحر للأقلام فيه سبح
 طويل، ولطف تحمل الشكر فيه عبء ثقيل، وبشري للخواطر في شرحها مارب،
 ويُسرى للأسرار في إظهارها مسارب، والله في إعادة شكره رضا، وللنعمة الرأفة
 به دوام لا يُقال معه: هذا مضي، وقد صارت أمور الإسلام إلى أحسن مصايرها،
 وأستتبت عقائد أهله على أيبين بصائر لها، وتقلص ظل رجاء الكافر المبسوط،
 وصدق الله أهل دينه فلما وقع الشرط حصل المشروط، وكان الدين غريباً فهو
 الآن في وطنه، والفوز معروضاً فقد بذلت الأنفس في ثمنه، وأمر أمر الحق وكان
 مستضعفاً، وأهل ربه وكان قد عيف حين عفا، وجاء أمر الله وأنوف أهل الشرك
 راغمه، فأذبلت السيوف إلى الآجال وهي نائمة، وصدق وعد الله في إظهار دينه

(١) كذا هنا وفيما تقدم، والذي في وفيات الأعيان لابن خلكان (ج ٢ ص ٥٨٤)

”غنياً بالتوفيق“.

(٢) الزيادة عن رسائل القاضي الفاضل الفتوغرافية المحفوظة بدار الكتب السلطانية نمرة ٢٢٩٤

على كلِّ دين ، وأستطارت له أنوارُ أبانت أن الصُّباح عندها حيَّانُ الحين ؛ وأستردَّ المسلمون ترائنا كان عنهم آيقا ، وظفروا يقظة بما لم يصدقوا أنهم يظفرون به طيفا على النَّأي طارقا ، وأستقرت على الأعلى أقدامهم ، وخفقت على الأقصى أعلامهم ؛ وتلاقت على الصخرة قبلهم ، وشفيت بها وإن كانت صخرة [قلوبهم] كما تُشفى بالماء غلهم .

ولما قدم الدين عليها عرف منها سويدا قلبه ، وهنا كفوها الحجر الأسود بيت عضمها من الكافر بحريه ؛ وكان الخادم لا يسعى سعيه إلا لهذه العظمى ، ولا يقاسى تلك البؤسى إلا رجاء هذه النعمى ؛ ولا يناجز من يستمطه في حربه ، ولا يعاتب بأطراف القنا من يتمادى في عتبه ؛ إلا لتكون الكلمة مجموعه ، والدعوة إلى سامعها مرفوعه ؛ فتكون كلمة الله هي العليا ، وليفوز بجوهر الآخرة لا بالعرض الأدنى من الدنيا ؛ وكانت الألسنة ربما سلقته فأنضج قلوبها بالاحتقار ، وكانت الخواطر ربما غلت عليه مراجلها فأطفأها بالإحتمال والأصطبار ؛ ومن طلب خطيرا خاطر ، ومن رام صفقة رابحة تجاسر ، ومن سما لأن يجلى غمرة غامر ؛ وإلا فإن القعود يلين تحت نيوب الأعداء المعاجم فتعضها ، ويضعف بأيديها مهز القوائم فتقضها ؛ هذا إلى كون القعود لا يقضى فرض الله في الجهاد ، ولا يرعى به حق الله في العباد ؛ ولا يوفى به واجب التقليد الذي تطوقه الخادم من أئمة قضاوا بالحق وبه كانوا يعدلون ، وخلفاء الله كانوا في مثل هذا اليوم لله يسألون ؛ لأجرم أنهم أورثوا سرهم وسريهم خلفهم الأظهر ، ونجلهم الأكبر ؛ وبقيتهم الشريفه ، وطلعتهم المنيفه ، وعنوان صحيفه فضلهم لا عدم سواد العلم وبياض الصحيفه ؛ فما غابوا

(١) كذا فيما تقدم أيضا (ج ٦ ص ٤٩٧) وفي وفيات الأعيان (ج ٢ ص ٥٨٥) "عند حسان الجين".

(٢) الزيادة عن وفيات الأعيان (ج ٢ ص ٥٨٥) .

لَمَّا حَضَرَ، وَلَا غَضُّوا لَمَّا نَظَرَ، بَلْ وَصَلَهُمُ الْأَجْرَ لَمَّا كَانَ بِهِ مَوْصُولًا، وَشَاطِرُوهُ
الْعَمَلِ لَمَّا كَانَ عَنْهُ مَنَقُولًا وَمِنْهُ مَقْبُولًا؛ وَخَلَصَ إِلَيْهِمُ إِلَى الْمُضَاجِعِ مَا أَطْمَأَنَّتْ بِهِ
جُنُوبُهَا، وَإِلَى الصَّحَائِفِ مَا عَبَقَتْ بِهِ جُيُوبُهَا، وَفَازَ مِنْهَا بِذِكْرِ لَا يَزَالُ اللَّيْلُ بِهِ سَمِيرًا،
وَالنَّهَارُ بِهِ بَصِيرًا، وَالشَّرْقُ يَهْتَدِي بِأَنْوَارِهِ، بَلْ إِنْ أَبَدَى نُورًا مِنْ ذَاتِهِ هَتَفَ بِهِ الْغَرْبُ
بِأَنَّ وَارِهِ؛ فَإِنَّهُ نُورٌ لَا تَكُنُّهُ أَغْسَاقُ السُّدُفِ، وَذِكْرٌ لَا تُورِيهِ أَوْرَاقُ الصُّحُفِ .

وَكِتَابُ الْخَادِمِ هَذَا، وَقَدْ أَظْفَرَ اللَّهُ بِالْعَدُوِّ الَّذِي تَشَطَّتْ قَنَاتُهُ شَفَقًا، وَطَارَتْ
فِرْقُهُ فَرَقًا؛ وَفُلُّ سَيْفِهِ فَصَارَ عَصَا، وَصُدِعَتْ حَصَاتُهُ وَكَانَ الْأَكْثَرُ عَدَدًا وَحَصَا؛
وَكَلَّتْ حَمَلَاتُهُ وَكَانَتْ قُدْرَةُ اللَّهِ تُصَرِّفُ فِيهِ الْعِيَانَ بِالْعِيَانِ، عُقُوبَةٌ مِنْ اللَّهِ لَيْسَ
لصَاحِبِ يَدَيْهَا يَدَانِ؛ وَعَثَرَتْ قَدَمُهُ وَكَانَتْ الْأَرْضُ لَهَا حَلِيفَةً، وَغَضَّتْ عَيْنَهُ
وَكَانَتْ [عُيُونٌ] ^(١) السُّيُوفِ دُونَهَا كَسَيْفِهِ؛ وَنَامَ جَفْنُ سَيْفِهِ وَكَانَتْ يَقْظَتُهُ تُرِيْقُ نُطْفَ
الْكُرَى مِنَ الْجُفُونِ، وَجُدِعَتْ أَنْوْفُ رِمَاحِهِ وَطَالَمَّا كَانَتْ شَانِحَةً بِالْمُنَى أَوْ رَاعِفَةً
بِالْمُنُونِ؛ وَأَضْحَتِ الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةَ الطَّاهِرَةَ وَكَانَتْ الطَّامِثِ، وَالرَّبُّ الْمَعْبُودُ الْوَاحِدَ
وَكَانَ عِنْدَهُمُ الثَّلَاثُ؛ فَبُيُوتِ الشَّرْكِ مَهْدُومِهِ [وَبُنُوبِ الْكُفْرِ مَهْتُومِهِ] ^(٢) وَطَوَائِفِهِ
الْمُحَامِيَةِ، مُجْتَمِعَةً عَلَى تَسْلِيمِ الْبِلَادِ الْحَامِيَةِ، وَشُجْعَانِهِ الْمُتَوَافِيَةِ، مُدْعِنَةً لِبَدْلِ الْمُطَامِعِ
الْوَافِيَةِ؛ لَا يَرَوْنَ فِي مَاءِ الْحَدِيدِ لَهِمُ عَصْرِهِ، وَلَا فِي فِنَاءِ الْأَفْنِيَةِ لَهِمُ نُصْرِهِ؛ وَقَدْ ضُرِبَتْ
عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ، وَبَدَّلَ اللَّهُ مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ؛ وَنَقَلَ بَيْتَ عِبَادَتِهِ مِنْ أَيْدِي
أَصْحَابِ الْمَشَامَةِ إِلَى أَيْدِي أَصْحَابِ الْمَيْمَنَةِ .

(١) الزيادة عن وفيات الأعيان .

(٢) الزيادة من رسائل القاضي الفاضل .

(٣) في وفيات الأعيان "القلاع" .

وقد كان الخادم لقيهم اللقاة الأولى فأمده الله بمداركته ، وأنجده بملائكته ، فكسرهم كسرة ما بعدها جبر ، وصرعهم صرعة لا ينتعش بعدها بمشيئة الله كفرة ، وأسر منهم من أسرت به السلاسل ، وقتل منهم من فتكت به المناصل ، وأجلت المعركة عن صرعى من الخيل والسلاح [والكفار ، وعن أنصاف محيل فإنه قتلهم بالسيوف الأفلاق والرماح الأكسار ، فنيلوا بثأر من السلاح ونالوه أيضا بثار] فكم أهلة^(١) سيوف تقارض الضراب بها حتى صارت كالعراجين ، وكم أنجم أسنة تبادلت الطعان حتى صارت كالمطاعين ، وكم فارسية ركض عليها فارسها الشهم إلى أجل فاختلسه ، وفغرت تلك القوس فآها فإذا فوها قد نهش القرن على بُعد المسافة فأفترسه ، وكان اليوم مشهودا ، وكانت الملائكة شهودا ، وكان الكفر مفقودا والإسلام مولودا ، وجعل الله ضلوع الكفار ل نار جهنم وقودا ، وأسه الملك وبيده أوثق وتأيقه ، وآكد وصله بالدين وعلائقه ، وهو صليب الصلבות ، وقائد أهل الجبروت ، وما دهموا قط بأمر إلا وقام بين دهماتهم ينسط لهم بآعه ، ويحرضهم وكان مد اليدين في هذه الدفعة ودآعه ، لاجرم أنهم يتهافت على ناره فرآشهم ، ويجمع في ظل ظلامه خشاشهم ، ويقاتلون تحت ذلك الصليب أصلب قتال وأصدقاه ، ويرونه ميثاقا ينون عليه أشد عقد وأوثقه ، ويعدون سوراً تحفر حوافر الخيل خندقه .

وفي هذا اليوم أسرت سرآتهم ، وذهبت دهماتهم [ولم يفلت منهم معروف إلا القومص ، وكان لعنه الله ملياً يوم الظفر بالقتال ، وملياً يوم الخذلان] بالأحتيال ، فنجأ ولكن كيف ، وطار خوفاً من أن يلحقه منسر الرمح أو جناح السيف ،

(١) الزيادة من رسائل القاضى الفاضل .

(٢) في وفيات الأعيان وفي رسائل القاضى الفاضل الفتوغرافية "قنا" .

(٣) الزيادة من رسائل القاضى الفاضل ومن وفيات الأعيان .

ثم أخذه الله تعالى بعد أيام بيده، وأهلكه لموعده، فكان لعديتهم فذالك، وانتقل من ملك الموت إلى مالك .

وبعد الكسرة مر الخادم على البلاد فطواها بما نشر عليها من الرؤية العباسية السوداء صبغا، البيضاء صنعا، الخافقة هي وقلوب أعدائها، الغالبة هي [وعزائم أوليائها] ^(١) المستضاء بانوارها إذا فتح عينها البشر، وأشارت بأنامل العذبات إلى وجه النصر، فأفتح بلد كذا وكذا وهذه [كلها] ^(١) أمصار ومدن، وقد تسمى البلاد بلادا وهي مزارع وفدن، وكل هذه ذوات معاقل ومعافر، وبحار وجزائر، وجوامع ومنائر، وجموع وعساكر، يتجاوزها الخادم بعد أن يحرزها، ويتركها وراءه بعد أن ينتهزها، ويحصد منها كفرا ويزرع إيمانا، ويحط من منائر جوامعها صلبانا ويرفع أذانا، ويبدل المذابح منائر والكائس مساجد، ويؤى بعد أهل الصلبان أهل القران للذب عن دين الله مقاعد . ويقر عينه وعيون أهل الإسلام أن تعلق النصر منه ومن عسكره بحار وجرور، وأن ظفر بكل سور ما كان يخاف زلزاله وزياله إلى يوم النفخ في الصور . ولما لم يبق إلا القدس وقد اجتمع إليها كل شريد منهم وطريد، واعتصم بمنعتها ^(٢) كل قريب منهم وبعيد، وظنوا أنها من الله ما نعمتهم، وأن كنيستها إلى الله شافعتهم؛ فلما نازها الخادم رأى بلدا كبلاد، وجمعا كيوم التناد، وعزائم قد تآلبت وتآلفت على الموت فنزلت بعرضته، وهان عليها مورد السيف وأن تموت بغصته؛ فزاول البلد من جانب فإذا أودية عميقة، ولحج وعرة غريقة؛ وسور قد أعطف عطف السوار، وأبرجة قد نزلت مكان الواسطة من عقد الدار؛ فعدل إلى جهة أخرى

(١) الزيادة من رسائل القاضي الفاضل ومن وفيات الأعيان .

(٢) جواب لما الأولى مفهوم من المقام . أنظر ما كتبناه عند الكلام على هذه الرسالة فيما تقدم

كان للطامع عليها معرج ، وللخيل فيها متوجج ، فنزل عليها ، وأحاط بها وقرب منها ،
 وضرب خيمته بحيث يناله السلاح بأطرافه ، ويزاحمه السور بأكفافه ، وقابلها
 ثم قاتلها ، ونزلها ثم نازلها ، وبرز إليها ثم بارزها ، وحاجزها ثم ناجزها ، فضمها ضمة
 ارتقب بعدها الفتح ، وصدع أهلها فإذا هم لا يصبرون - على عبودية الحد - عن عتيق
 الصفح ، فراسلوه ببذل قطيعة إلى مدته ، وقصدوا نظرة من شدة وانتظاراً لنجده ،
 فعرفهم الخادم في لحن القول ، وأجابهم بلسان الطول ، وقدم المنجنيقات التي تتولى
 عقوبات الحصون عصيها وحبائلها ، وأوترهم قسيها التي تضرب فلا تفارقها سهامها
 ولا يفارق سهامها نصالها ، فصاحت السور بأكفافه فإذا سهمها في ثنأيا شرفاتها سواك ،
 وقدم النصر نسرًا من المنجنيق يخلد إخلاده إلى الأرض ويعلو علوه إلى السماء ،
 فشج مرادع أبراجها ، وأسمع صوت تجيجها [صم أعلاجها] ^(١) ورفع مشارعها ، فأخلى
 السور من السيّاره ، والحرب من النظاره ، فأمكن النقب ، أن يسفر للحرب النقب ،
 وأن يعيد الحجر إلى سيرته [الأولى] ^(١) من التراب ، فتقدم إلى الصخر فضع سرده
 بأنياب معوله ، وحل عقده بضربه الأخرق الدال على لطافة أمّله ، وأسمع الصخرة
 الشريفة حنينه وأستغاثته إلى أن كادت ترق لمقبله ، وتبرأ بعض الحجارة من
 بعض ، وأخذ الحراب عليها مؤثقا فلن تبرح الأرض ، وفتح في السور بابا سد من
 نجاتهم أبوابا ، وأخذ ينقب في حجره فقال عنده الكافر : ((يَالَيْتَنِي كُنْتُ تَرَابًا)) حينئذ
 يئس الكفار من أصحاب الدور ، كما يئس الكفار من أصحاب القبور ، وجاء أمر الله
 وغرهم بالله الغرور .

وفي الحال خرج طاغية كفرهم ، وزمام أمرهم ، ابن بارزان سائلا أن يؤخذ
 البلد بالسّلام لا بالعنوة ، وبالأمان لا بالسّطوة ، وألقى بيده إلى التهلكة ، وعلاه ذل

(١) الزيادة عن وفيات الأعيان .

الْمَلِكَةِ بَعْدَ عِزِّ الْمَلِكَةِ ، وَطَرَحَ جَبِينَهُ فِي التَّرَابِ وَكَانَ جَبِينًا لَا يَتَعَاطَاهُ طَارِحٌ ، وَبَذَلَ مَبْلَغًا مِنَ الْقَطِيعَةِ لَا يَطْمَحُ إِلَيْهِ طَرْفُ آمِلٍ طَامِحٍ ، وَقَالَ : هَاهُنَا أُسَارَى مُؤْمِنُونَ يَتَجَاوِزُونَ الْأَلُوفَ ، وَقَدْ تَعَاوَدَ الْفَرَجُ عَلَى أَنْهَمُ إِنْ هُجِمَتْ عَلَيْهِمُ الدَّارُ ، وَحَمَلَتْ الْحَرْبُ عَلَى ظُهُورِهِمُ الْأَوْزَارَ ، بُدِيَ بِهِمْ فَعَجَّلُوا ، وَثَنِي بِنِسَاءِ الْفَرَجِ وَأَطْفَالِهِمْ فَقَتَلُوا ؛ ثُمَّ اسْتَقْتَلُوا بَعْدَ ذَلِكَ فَلَمْ يُقْتَلْ خَصْمٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَنْتَصِفَ ، وَلَمْ يُسَلَّ سَيْفٌ مِنْ يَدٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَنْقَطِعَ أَوْ يَنْقَصِفَ ، وَأَشَارَ الْأَمْرَاءُ بِالْأَخْذِ بِالْمَيْسُورِ ، مِنَ الْبَلَدِ الْمَأْسُورِ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ أَخَذَ حَرْبًا فَلَا بُدَّ أَنْ تَقْتَحِمَ الرِّجَالُ الْأَنْجَادَ ، وَتَبْدُلَ أَنْفُسَهَا فِي آخِرِ أَمْرِ قَدْ نَيْلَ مِنْ أَوَّلِهِ الْمُرَادَ ؛ وَكَانَتْ الْجِرَاحُ فِي الْعَسَاكِرِ قَدْ تَقَدَّمَ مِنْهَا مَا آعْتَقَلَ الْفَتَكَاتَ ، وَأَعْتَاقَ الْحَرَكَاتَ ؛ فَقُبِلَ مِنْهُمْ الْمَبْدُولُ عَنْ يَدِهِمْ صَاغِرُونَ ، وَأَنْصَرَفَ أَهْلُ الْحَرْبِ عَنْ قُدْرَةٍ وَهُمْ ظَاهِرُونَ ؛ وَمَلَكَ الْإِسْلَامُ خِطَّةً كَانَ عَهْدُهُ بِهَا دِمْنَةً سُكَّانَ ، نَخَدِمَهَا الْكُفْرَ إِلَى أَنْ صَارَتْ رَوْضَةَ جَنَّاتٍ ؛ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَهُمْ مِنْهَا وَأَسْبَطَهُمْ ، وَأَرْضَى أَهْلَ الْحَقِّ وَأَسْبَطَهُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ خَذَلَهُمُ اللَّهُ حَمُوهَا بِالْأَسَلِ وَالصَّفَّاحِ [وَبَنَوَهَا بِالْعَمَدِ وَالصَّفَّاحِ] وَأَوْدَعُوا الْكِنَاسَ بِهَا وَبُيُوتَ الدِّيْوِيَةِ وَالْأَسْتَبَارِيَةِ مِنْهَا كُلَّ غَرِيبَةٍ مِنَ الرَّخَامِ الَّذِي بَطَّرْدُ مَائُوهُ ، وَلَا يُطْرَدُ لِأَلَاؤِهِ ؛ قَدْ لَطَفَ الْحَدِيدُ فِي تَجْزِيعِهِ ، وَتَفَنَّنَ فِي تَوْشِيْعِهِ ؛ إِلَى أَنْ صَارَ الْحَدِيدُ ، الَّذِي فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ، كَالذَّهَبِ الَّذِي فِيهِ نَعِيمٌ عَتِيدٌ ؛ فَمَا تَرَى إِلَّا مَقَاعِدَ كَالرِّيَاضِ^(٣) لَهَا مِنْ بِيَاضِ التَّرْخِيمِ رَقْرَاقَ ، [وَعَمَدًا كَالْأَشْجَارِ لَهَا مِنَ التَّنْيِيتِ أَوْرَاقَ]^(٤) .

(١) في وفيات الأعيان (ج ٢ ص ٥٨٨) ورسائل القاضي الفاضل "يفك" .

(٢) الزيادة من رسائل القاضي الفاضل ووفيات الأعيان وأنظر ما تقدم من هذا المطبوع (ج ٦ ص ٥٠٣) .

(٣) في الأصل "كالأسمار" وفي رسائل القاضي الفاضل "للرياض" والنصح من وفيات الأعيان .

(٤) الزيادة من رسائل القاضي الفاضل ووفيات الأعيان .

وأوعز الخادم برد الأقصى إلى عهده المعهود، وأقام له من الأئمة من يوفيه ورده المورود؛ وأقيمت الخطبة يوم الجمعة رابع شهر شعبان فكادت السموات يتفطرن للسجود لا للوجوم، والكواكب [منها] ينتثرن للطرب للرجوم؛ ورُفعت إلى الله كلمة التوحيد وكانت طرائقها مسدوده، وظهرت قبور الأنبياء وكانت بالنجاسات مكدوده؛ وأقيمت الخمس وكان التثليث يقعدُها [وجهرت الألسن بالله أكبر وكان سحر الكفر يعقدُها] ^(١) وجهر باسم أمير المؤمنين في وطنه الأشرف من المنبر، فرحب به ترحيب من بر بمن بر، وخفق علماه في حفاقيه، فلو طار به سرورا لطار بجناحيه .

وكتاب الخادم وهو مجد في أستفاح بقية الثغور، وأستسراج ماضق بتمادي الحرب من الصدور؛ فإن قوى العساكر قد أستنفدت مواردها [وأيام الشتاء قد مردت مواردها] ^(١) والبلاد الماخوذة المشار إليها قد جاست العساكر خلالها، ونهبت ذخائرها وأكلت غلالها، فهي بلاد ترفد ولا تسترفد، وتجم ولا تستنفد؛ وينفق عليها، ولا ينفق منها؛ ويجهز الأساطيل لبحرها، وتقام المربط لبرها، ويدأب في عمارة أسوارها، وممرات معاقليها؛ وكل مشقة فهي بالإضافة إلى نعمة الفتح محتملة، وأطاع الفرنج فيما بعد ذلك مذهبها غير مرجئة ولا معتزلة؛ فلن يدعوا دعوة يرجو الخادم من الله أنها لا تسمع، ولن تزول أيديهم من أطواق البلاد حتى تقطع .

وهذه البشائر لها تفاصيل لا تكاد من غير الألسنة تتشخص، ولا بما سوى المشافهة تتلخص؛ فلذلك نغدنا لسانا شارحا، ومبشرا صاحا؛ ينشر الخبر على سيافته، ويعرض جيش المسرة من طليعته إلى ساقته .

(١) الزيادة من رسائل القاضي الفاضل ومن وفيات الأعيان .

(٢) وفيات الأعيان ورسائل القاضي الفاضل "ولي يفكوا" .

قلتُ : وقد وقفتُ على نسخة كتاب كُتِبَ به عن المكتفَى بالله ، عند ما بعثَ محمد بن سليمان الكاتبَ إلى الديار المصرية ، فأنترعها من يد بنى طولون وأستولى عليها للخليفة ، في نحو كُرَاسِيَةٍ ، تاريخها سنة ثمان وستين ومائتين ، أولها : أما بعدُ فالحمد لله العليُّ الكبير ، العزيز القدير ، أضربتُ عن ذكرها لطولها .

الصفحة الثامن

(المكاتبة بالاعتذار عن السلطان في الهزيمة)

قال في "مواد البيان" : من أخلاق العامة تقيحُ سيرة السلطان إذا زلَّ في بعض آرائه ، والإزرأءُ على تدييره في جيشٍ يُجهَّزه فيكسر ، ونحو ذلك : مما لا يسلمُ من مثله ، والإفاضة فيه والتشنيع به . فيحتاج إلى مكاتبتهم بما يتلافى الوهن ويقوم العذر ، كما يكاتبهم بتفخيم المنع ، وتعظيم الفتوحات ، والتحدث بمواقع المواهب . وشكر الله تعالى على إسباغ النعم ، والإظفار بأعداء الدين والدولة : ليقوى بذلك منتهم ، ويُرهِفَ بصائرهم ويستخلص طاعتهم ، ويملا صدورهم رهبة . قال : وليست لهذه الكُتُب رسومٌ ينتظم كلُّ ما وقع فيها : لاختلاف ما يلام فيه ويعتذر .

ثم قال : ونحن نرسم في أصوله قولاً وجيزاً : وهو أن يقتضب الكاتب له المعاذير التي تحسن أحوالته ، وتستزلتها ، والمجج التي تُعيد الألام عاذراً ، والذام شاكراً ، وتوجب التقريظ من حيث يجب التأييد ، والإحماد من حيث يستحق التذنيب . مثل أن يعتذر عن هزيمة جيش ، فيقول : وقد علمتم أن الحرب سجال ، والدنيا دول تدال ، وقد تهت ریح النصر للقاسطين على المُقسطين امتحاناً من الله وبلوى ،

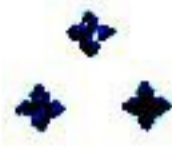
لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى - من غير أن يُصْرَحَ
بِبَاطِلٍ ، وَلَا يُطْلَقَ كَذِبًا مُحَضًّا ، وَلَا يَخْتَلِقَ زُورًا يَعْلَمُ النَّاسُ خِلَافَهُ ، فَتَضَاعَفُ
الهُجْنَةُ ، وَتَكَاثُفُ الْمِحْنَةُ ، فَإِنَّهُ لَا شَيْءَ أَقْبَحُ عَلَى السُّلْطَانِ ، وَأَقْدَحُ فِي جَلَالَةِ الشَّانِ ؛
مَنْ أَنْ يُعْتَرَفَ فِي كُتْبِهِ عَلَى إِيكَ قَدْ يَعْلَمُهُ بَعْضُ مَنْ يَقِفُ عَلَيْهِ ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يَعْتَمَدَ
فِي ذَلِكَ حُسْنَ التَّخْلِصِ وَالتَّوَرِيَةِ عَنِ الْفَرْضِ ، وَاسْتِعْمَالَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى
أَطْرَافِ الْحَالِ وَلَا تُفْصِحُ بِحَقَائِقِهَا .

وهذه نسخة كتاب من ذلك .

الحمد لله الذي سَاسَ الْأُمُورَ بِحِكْمَتِهِ ، وَأَبَانَ فِيهَا مَوَاقِعَ قُدْرَتِهِ ، وَسَلَكَ فِيهَا
طَرِيقَ مَشِيئَتِهِ ، وَصَرَّفَهَا عَلَى مَا رَأَاهُ عَدْلًا بَيْنَ الْعِبَادِ فِي أَقْسَامِ نِعْمَتِهِ وَمِحْنَتِهِ ، وَأَحْوَالَ
بَلَوَاهُ وَعَافِيَتِهِ ، وَجَعَلَ الْأَيَّامَ فِيهِمْ نُوبًا ، وَالْأَحْوَالَ بَيْنَهُمْ عُقَبًا ، نَحَصَّ أَوْلِيَاءَهُ وَأَهْلَ
طَاعَتِهِ بِالنَّصْرِ فِي الْمَحَاكِمِ ، وَالصَّالِحِ عِنْدَ الْمُخَاصِمِ ، وَالظُّهُورِ عَلَى مَنْ شَاقَّهُمْ وَعَادَاهُمْ ،
وَالْقَهْرِ لِمَنْ ضَادَّهُمْ وَنَاوَاهُمْ ، إِنْجَازًا لِمَا وَعَدَ بِهِ الصَّابِرِينَ الْمُتَحَسِّبِينَ ، وَإِعْزَازًا لِلَّذِينَ
وَأَنْصَارَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَمْ يُخْلِ أَعْدَاءَهُ مِنْ دَوْلَةٍ أَدَالَهَا لَهُمْ ، وَجَوْلَةٍ عَلَى الْحَقِّ زَادَهَا
فِي طُغْيَانِهِمْ ، وَوَصَلَ الْإِمْلَاءَ لَهُمْ فِيهَا يَخْذُلَانَهُمْ : لِيَجِبَ الثَّوَابُ لِلْحَسَنِينَ ، وَيَحِقَّ
الْعَذَابُ عَلَى الْكَافِرِينَ . فَقَالَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ - وَقَدْ ظَهَرَ الْمَشْرُكُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ -
(إِنَّ يَمْسُكُمُ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهُمَا بَيْنَ النَّاسِ) .
وَقَالَ : (لِيَمَحَّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ) وَنَاوَبَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ
فِي الْمَصَائِبِ ، وَالْمَوَاقِبِ ، وَالْمَسَارِ ، وَالْمَضَارِ ، لِيَشْفِيَ اللَّهَ صِدْقَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلِيَمَحَّصَ
مَا فِي قُلُوبِهِمْ ، وَيُوجِبَ لَهُمْ إِخْلَاصَ السَّرَائِرِ فِي طَاعَتِهِ ، وَالْجِهَادَ فِي سَبِيلِهِ ، وَالنُّصْرَةَ

لرسوله ، والمرامة عن دينه ، والمدافعة عن حريمه ، بضعف الثواب وحسن المآب ،
ويحلل بالمشركين ما أعد لهم في دار الجزاء من أليم العذاب .

وإذا كان الحال بين الفريقين المتلاقين ، والفئتين المتجاورتين ، والحزبين
المتحاكين ، في تعاور الغلبه ، وتعاقب الدوله ، جاريا على تقدير الله ومتصرفا على حكمه ،
ومستوسقا على ما سبق في علمه ، فليس يُغني في ذلك زيادة عدد ، ولا اتصال مدد ،
ولا قوة أيد ، ولا لطف كيد ، ولا اختيار وقت محمود للقتال ، ولا الانتخاب لأهل
البسالة والنجدة من الرجال ، ولا يجب أن يستريث النصر من أبطأ عنه ، ويستشعر
الجزع من نال خصمه منه ، بعد تحصيله السلامة في نفسه ، وقيام العذرله بعنايته
وجده ، وقد جمع الله للأمر من المناقب - التي ورثها عن آبائه ، وحازها في صدره ،
والحياسة فيما بان من فضل بأسه ، وثبات جأشه ، وأصالة رأيه ، وصحة تدييره ، وإيفائه
الحرب شروطها ، والمهيجاء حقوقها : من الحزم والتؤدة ، والإقدام عند الفرصه ،
والإصابة في التقدير والتعبير ، والاحتياط في سد مواقع الخلل والعمور ، وإعمال
النظر والرؤية ، لولا اعتراض القضاء الذي هو مالك نواصي العباد ، وغير مدفوع
بمحال ولا جلاد ، ولا قوة ولا عدة ولا عتاد - ما أوفى حسنه على مزية الظفر ،
وزاد عظمه في السناء والخطر ، إلى ما شمل عسكره في منقلبه بمراعاته لهم ، ومدافعته
من ورائهم ، حتى توافى الجمع موفورين ، وأبوا سالمين غانمين ، وبالله الحول والقوة
وعليه ضمان الإدالة على ما جرى به وعده الصادق ، وأخبر عنه كتابه الناطق ، وهو
حسب أمير المؤمنين وكافيه ، وناصره وواليه ، ونعم الوكيل والظهير ، والمولى
والنصير ، وصلى الله على سيدنا محمد سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وآله الطيبين
أجمعين ، وسلم تسليما .



وفي مثله من إنشاء أحمد بن سعيد .

احكام الله جل جلاله جارية على سبيل جامعة لوجوه الحكمة ، منتظمة لأسباب
الصلاح والمعدله . فمنها ما عرف الله أوليائه والمندوبين بطاعته ، والمجموعين
بهداياته ، طريق المراد منه ، وسبب الداعي إليه ، والعللة فيما قضى من ذلك لحينه ،
والصورة المقتضية له . ومنها ما استأثر بعلمه ، وطوى عن الخلق معرفة حاله ، فهو
- وإن أشكل عليهم موضع الحاجة إليه ، وموقع العائدة به ، ورؤى بهم اضطراباً
في ظاهره عند تأملهم إياه بمقادير عقولهم ، ومبالغ أفهامهم - مبني على أوثق أساس
الحكمة ، وأثبت أركان الصواب على الجملة ، وكيف لا يكون كذلك ؟ والله خالق
الأشياء كلها ، وعالم بها قبل كونها ، في أحوال تكوينه إياها وبعده في مترع غاياتها
ومقضى عواقبها ، فليس تخفى عليه خافية ، ولا تعزب عنه دانية ولا قاصية ، ولا يسقط
عن معرفته فصل ما بين الخاطرين والوهميين في الخير والشر ، وما بين الحبلىين والدرين
في الوفور والغمور ، فكيف بما يبرزه الظهور ، ويخبر فيه عن موضع التدبير ، المحتاج
فيه إلى إحكام الصنعة وإتقان التقدير ، ومن ظن أن شيئاً من ذلك يخرج عن نهج
الصواب ، ويخالف طريق الصلاح ، فقد ضل من حيث ضل ، وغلط من
حيث غلط ، وأتصل سوء ظنه ، وفساد فكره ، بالزراية على فعل ربه ، تعالى عن
قول المبطلين ، ورجم الشياطين .

ثم إن لله جل جلاله عادة في الجيوش المتحارين ، والحزبين المتحامين : من
عباده المؤمنين ، وأضدادهم المفسدين الملحدين ، في المداولة بينهما ، والمعاقبة
بين الفيتين منهما ، في العجز والظهور ، والوفاء والقصور ، والمعافة والامتحان ،

وَالنَّصْرَ وَالْحِذْلَانَ ؛ وَالإِعْلَاءَ لِرَأْيَةِ الْحَقِّ فِي حَالٍ ، وَالإِمْلَاءَ لِلْبَاطِلِ فِي أُخْرَى ؛
 بِتَضْمِينِ الْخَيْرَةِ لِأَوْلِيَائِهِ ، وَالِدَائِرَةَ عَلَى أَعْدَائِهِ ؛ عَاجِلًا بِالتَّمَحِيصِ لَهُؤُلَاءِ ،
 وَبِالْمَحَقِّ لِأَوْلِيكٍ ؛ بِمَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ مِنْ مُصِيبَتِهِ ، وَيُنَوِّبُهُمْ فِي حَاضِرِ الدُّنْيَا مِنْ رَغْبَتِهِ ؛
 وَيُجِلُّ الْعَادِينَ مِنَ الْمَشْرِكِينَ دَارَ الْفَاسِقِينَ ، وَيَجْعَلُ الْعَاقِبَةَ لِلتَّقِيْنَ ^(١) ؛ وَمَنْ سَعِدَ
 بِقِسْمٍ مِنَ التَّوْفِيقِ ، وَحَظَّ مِنْ فَائِدَةِ الْإِرْشَادِ ؛ فَلَيْسَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ بَزِيَادَةِ
 أَنْصَارٍ وَعِدَّةٍ ، وَفَضْلٍ عِتَادٍ وَعُدَّةٍ ؛ وَبَسَالَةٍ وَنَجْدَةٍ ، وَأَيْدٍ وَقُوَّةٍ ، وَسَعَةٍ وَبَسْطَةٍ ؛
 وَلَا يَعْدُو أَنْ يُسَلِّمَ اللَّهُ تَعَالَى قَاضِيًا لَهُ وَعَلَيْهِ ، وَيُوفِي بِإِحْدَى الْحُسْنَيْنِ مِنْ عُلُوِّهِ ،
 أَوْ غَلْبَةِ عُدُوِّهِ ، أَوْ يَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ ؛ وَهُوَ حَسْبُهُ مُنْعِمًا ، وَمُتَّجِحًا وَمُعَافِيًا وَمُسَلِّمًا ؛
 وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

قلت : وهذا الصنف من المكاتبات السلطانية مستعمل بين الكُتَّابِ ، دَائِرَ
 فِي مُصْطَلَحَاتِهِمْ إِلَى الْآنَ . وَلِلشَّيْخِ شَهَابِ الدِّينِ مُحَمَّدِ الْحَلْبِيِّ فِي ذَلِكَ تَفْنِنَاتٌ
 كَثِيرَةٌ ، أورد بعضها في كتابه "حُسن التَّوَسُّلِ" .

فمن ذلك ما أنشأه فيمن هزَمَ هُوَ وَجَيْشُهُ ، يَتَضَمَّنُ إِقَامَةَ عُدْرِهِ ، وَوَصْفَ أَجْتِهَادِهِ ؛
 وَيَحْتُّ عَلَى مَعَاوِدَةِ عُدُوِّهِ ، وَالطَّلَبِ بِنَارِهِ ؛ وَهُوَ :

هذه المكاتبة إلى فلان : لآزَالَ مَأْمُونِ الْغِرَّةِ ، مَأْمُولِ الْكَرْهِ ، مُجْتَنِيًا حُلُوَ الظَّفَرِ
 مِنْ أَتْكَامِ تِلْكَ الْمَرَّةِ الْمَرَّةِ ؛ رَاجِيًا مِنْ عَوَاقِبِ الصَّبْرِ أَنْ يُسْفِرَ لَهُ مَسَاءُ تِلْكَ الْمَسَاءَةِ
 عَنْ صُبْحِ الْمَسْرَةِ ، وَاثِقًا مِنْ عَوَائِدِ نَصْرِ اللَّهِ بِإِعَادَتِهِ وَمِنْ مَعِهِ فِي [الْقُوَّةِ وَ] ^(٢) الْأَسْتَظْهَارِ
 كَمَا بَدَأَهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ .

(١) بياض في الأصل ولعله "فليس أنتصاره" تأمل .

(٢) الزيادة من "حسن التوسل" (ص ١١٧) .

أصدرناها وقد اتصل بنا نبأ ذلك المقام الذي أوضحت فيه السيوف عذرها ،
وأبدت به الكماة صبرها ؛ وأظهرت فيه الحماة من الرثبات والثبات ما يجب عليها ،
وبدلت فيه الأبطال من الجلال جدها ولكن لم يكن الظفر إليها ؛ وكان عليهم
الإقدام على غمرات المنون ، والأصطلاء بجمرات الحرب الزبون ، ولم يكن عليهم
إتمام ما قدر أنه لا يكون ؛ فكابرت رقاب الأعداء في ذلك الموقف السيوف ، وكأثرت
أعدادهم الخوف ، وتدفقت بحارهم على جداول من معه ولولا حكم القدر لانتصفت
تلك الآحاد من تلك الألوف ؛ فضاق بأزدحام الصفوف على رجاله المجال ، وزاد
العدد على الجلد فلم يفد له الإقدام على الأوجال مع قدوم الآجال ؛ وأملى للكافرين
بما قدر لهم من الإنظار ، وحصل لهم من الاستظهار ، وعوضوا بما لم يعرفوه من الإقدام
عما ألفوه من الفرار . (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض)
وقد ورد أنهم ينصرون كما تنصر ، وإذا كانت الحروب سجالات فلا ينسب إلى من
كانت عليه [وبالآ] إذا اجتهد ولم يساعده القدر أنه قصر . مع أنه قد أشتهر بما فعله
في مجاهله ، من الذب عن رجاله ؛ وما أبداه في قتاله ، من الضرب الذي ما تروى
فيه خصمه إلا بدره بارتجاله ؛ وأن الرماح التي امتدت إليه أحرس سيفه السنة
أستبها ، والجناد التي أقدمت عليه جعل طعنة أكفأها مكان أعنتها ؛ فأثبت
في مستنقع الموت رجله ، ووقف وما في الموت شك لواقف ليحمي خيله ورجله ؛
حتى تحيز أصحابه إلى فئة مأمئهم ، وأقام نفسه دونهم دريئة لمن بدر من سرعان القوم
أو ظهر من مكنهم ؛ وهذا هو الموقف الذي قام له مقام النصر ، إذ فاته النصر
وفاته النصر ، والمقام الذي أصيب فيه من أصحابه آحاد يدركهم أذن العدد وفقد

(١) الزيادة عن "حسن التوسل" (ص ١١٧) .

فيه من أعدائه مع ظهورهم ألوْف لا يدركهم الحَصْر؛ [وكذا فليكن قلب^(١)] الجيش كالقلب يقوى بقوته الجسد، وإذا حقَّ اللقاء فلا يفرُّ عن كئاسه إلا الظبي ولا يجي [عريته^(١)] إلا الأسد؛ وما بقي إلا أن تعفو الكُوم، وتُثوب الحُلوم؛ وتسدمل الجراح، وتبرأ من فلول المضارب صُدور الصِّفاح؛ وتنهض لأقتضاء دين الدين، من غرمانه المعتدين؛ وتبادر إلى استنجاز وعد الله بأن الله يُخصُّ المؤمنين، ويحقُّ الكافرين؛ والليث إذا جرح كان أشدَّ لثباته، وأمدَّ لوثباته؛ والموتور لا يسطل بناه، والثائر لا يرهب الإقدام على المنون في طلب ناره؛ والدهر ذو دُول، والزمان متلون إن دجت عليكم منه بالقهر ليلة واحدة فقد أشرقت لكم منه بالنصر ليالٍ أول، فالمولى لا يلتفت إلى مافات، ويُقبل بفكره على تدبير ما هو آت؛ ويعدُّ للحرب عدته، ويعجل أمدَّ الاستظهار ومدته؛ ولا يؤخر فرصة الإمكان، ولا يعيد ذكر ماضى فإنه دخل في خبر كان؛ ولا يُظهر بما جرى عجزاً، فإن العاجز من ظن أنه يُصيب ولا يُصاب، ولا يتخذ غير ظهر حصانه حصناً فلا حرز أمنع من صهوة الجواد ولا سلم أسلم من الركب؛ وليعلم أن العاقبة للتيقن، ويدرع جنة الصبر ليكون من النصر على ثقة ومن الظفر على يقين، فإن الله مع الصابرين؛ ومن كان الله معه كانت يده الطولى، وإذا لقي عدو الله وعدوه فليصبر لحملته فإن الصبر عند الصدمة الأولى؛ والله تعالى يكلؤه بعينه، ويمدده بعونه، ويجعل الظفر بعدوه موقوفاً على مطالبته له بدينه.

(١) الزيادة عن "حسن التوسل" (ص ١١٨).

(٢) "حسن التوسل" ولا يفسن ماجرى الخ.



ومن ذلك ما كتبه على لسان المهزوم يتضمن الاعتذار ، وَيَصِفُ الْأَحْتِفَالَ
بأخذ الثَّارِ .

هذه المكتبة إلى فلان : أتبع الله ما ساءه من أمرنا مع العدو بما يسره ، وبلغه
عنا من الانتصاف والانتصار ما يظهر من صدور الصفاح وأيسنة الرماح سرد ، وأراه
من عواقب صنعه الجميل بنا ما يتحقق به أن كسوف الشمس لا ينال طلعتها وإن
سرار القمر لا يضره . توضح لعلمه أنه ربما اتصل به خبر تلك الواقعة التي صدقنا فيها
اللقاء ، وصدمننا العدو صدمة من لا يحب البقاء ، وأريناه حرباً لو أعانها التأييد فالتنا
جموعه ، وأذقناه ضرباً لو أن حكم النصر فيه إلى النصل أوجدته مصارعه وأعدمه
رجوعه . وحين شرعت رياح النصر تهب ، وسحاب الدماء من مقاتلهم تصوب
وتصب ، وكرعت الصفاح في موارد محورهم ، وكشفت الرماح خبايا صدورهم ،
وما بقى إلا أن تستكمل سيوفنا الرى من دماهم ، وتقف صفوفنا على ربوات أشلائهم ،
وتقبض بالكف من صفحت الصفاح عن دمه ، وتكف بالقبض يد من ألبسته
الجراح حلة عنده ، أظهروا الخرع في عزائمهم ، وحكوا الطمع في غنائمهم ، فحصل
لجندنا عجب أعجل سيوفنا أن تهم هدم بناهم ، وطمع منع جيوشنا أن تكف عن
النهب إلى أن تصير من ورائهم ، فاغتم العدو تلك الغفلة التي ساقها المهلكان ، العجب
والطمع ، وأنتهز فرصة الإمكان ، التي أعانته عليها [المطمعان] إبداء اللع ، وتخليه ما جمع ،

(١) كذا في حسن التوسل وفي الأصل "الفقرة" ولعلها مصحفة عن «الغفوة» .

(٢) في حسن التوسل "فرصة الكربة" .

(٣) الزيادة عن حسن التوسل (ص ١١٩) .

فانتثر [من جمعنا] ^(١) بعض ذلك العِقْدِ المُنظَّم ، وانتقض من حِزْبنا رُكْنُ ذلك الصَّفِّ الذي أخذ فيه الزَّحَامُ بالكَظْمِ ، وثبت الخادم في طائفة من ذَوِي القُوَّةِ في يَاقِينِهِمْ ، وأر باب البصائر في دينهم ، فكسرتنا جُفُونُ السُّيُوفِ ، وحطمتنا صُدُورُ الرِّمَاحِ في صدور الصفوف ، وأرينا تلك الألوف كيف تُعَدُّ الآحاد بالألوف ، وحلننا بين العَدُوِّ وبين أصحابنا بضرب يكف أطاعهم ، ويرد سراعهم ، ويعمى ويصم عن الآثار والأخبار أبصارهم وأسماعهم ، إلى أن نفسنا للمهزم عن خناقِهِ ، وآيسنا طالبه عن لحاقِهِ ، ورددناه عنه خائباً بعد أن كادت يده تعلق باطواقه ، وأحجم العدو مع ما يرن من قَلْبنا عن الإقدام علينا ، ورأى منا جِداً كاد لولا كثرة جمعه يستسلم به إلينا ، وعادوا ولنا في قلوبهم رُعبٌ يثنيهم وهم الغالبون ، [ويدركهم وهم الطالبون] ^(٢) ويسلبهم رداء الأمان وهم السالبون ، وقد لم الخادم شعث رجاله ، وضم فرقتهم بذخائر ماله ، وأمدتهم بنفقات أصلحت أحوالهم ، وأطلقت في طلب عدو الله أقوالهم ، وسلاح جدد استطاعتهم ، وأعان شجاعتهم ، وخيول تكاد تسابقهم إلى طلب عدوهم ، وتحضهم على أخذ حظهم من اللقاء كأنها تساهمهم في أجر رواحهم وغدوهم ، وقد نظوا رداء الإعجاب عن أكافهم ، واعتصموا بعون الله وتأييده لا بقوة جلدِهِمْ ولا بجندة أسيافهم ، وسيعجلون العدو - إن شاء الله تعالى - عن أندمال جراحه ، ويتعجلون إليه بجيوش تسوءه طلائعها في مسائه وتصبحه كنائها في صباحه ، والله تعالى لا يكفنا إلى جلدنا ، ولا يزرع أعنة نصره من يدنا .

(١) الزيادة عن "حسن التوسل" (ص ٩١٩) .

(٢) الأصل "رضرتهم" والتصحيح عن حسن التوسل .

الصنف التاسع

(المكاتبة بتوبيخ المهزوم وتقريعه والتَّهْمُ بِهِ)

وهذا النوع من المكاتبات قليل الوقوع ، ولذلك لم يتعرَّض إليه في "موادَّ البيان" .
والذى ينبغى أن تُبنى المكاتبة فيه عليه ذِكْرُ هَزِيمَةِ المهزوم وما استولى عليه من
الغلبة والقهر ، وصورة الحال في النُّصْرَةِ عليه ، والأستيلاء على بلاده وأمواله وسائر
ذات يده ، وأسر رجاله ، وأسترقاق ذراريهم ونسائهم ، وما يجرى مجرى ذلك : مما فيه
إيلام خاطره ، وتقطع قلبه حسرات على ما ناله ، ونحو ذلك مما يدعو المكتوب
إليه إلى الطاعة ، ويوجب الأتقياد .

وهذه نسخة كتاب من هذا النمط : كتب به القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر
رحمه الله ، إلى البولس تيمد ملك الفرنج ، المستولى على طرابلس من الشام ، وأنطاكية
من بلاد العوالم حين غزاه الملك ^(١) في طرابلس ، ثم قصد أنطاكية فأخذها
من عانه ، وهى : ^(٢)

قد علم القومُصُّ الجليل المُتَّقِلَةُ مُخاطبته - بأخذ أنطاكية منه - من البولية إلى
القومية ؛ ألهمه الله رُشدَه ، وقرن بالخير قُصدَه ، وجعل النصيحة محفوظة عنده ؛
ما كان من قُصدنا طرابلس وغزونا له فى عُقر الدار ، وما شاهدته بعد رحيلنا من
إحراب العمار وهدم الأعمار ؛ وكيف كُنست تلك الكائس من على بساط الأرض
ودارت الدوائر على كلِّ دائر ، وكيف جعلت تلك الجزائر من الأجساد على ساحل
البحر كالجزائر ؛ وكيف قُطرت الرجال وأستخدمت الأولاد وتُملك الحرائر ، وكيف
قُطعت الأشجار ولم يُترك إلا ما يصلح لأعواد المجانيق - إن شاء الله تعالى - والسائر ؛

(١) كذا بالأصل باهمال النقط وفى "الكامل" لابن الأثير (ج ١٠ ص ٢٥٤) "يمند" .

(٢) بياض بالأصل مقدار كلمة . (٣) كذا بالأصل ولعله "منه عنوة" .

وكيف نُهِبَتْ لَكَ وَلرَعِيَّتِكَ الْأَمْوَالُ وَالْحَرِيمُ وَالْأَوْلَادُ وَالْحَوَاشِي ، وكيف أَسْتَفْنَى الْفَقِيرُ وَتَاهَلَ الْعَازِبُ وَأَسْتَضَمَ الْحَرِيمَ وَرَكِبَ الْمَاشِي ، هذا وَأَنْتَ تَنْظُرُ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ، وَإِذَا سَمِعْتَ صَوْتًا قَلْتَ فَزَعًا : عَلَى هَذَا الصَّوْتِ ، وكيف رَحَلْنَا عَنْكَ رَحِيلَ مَنْ يَمُودُ ، وَأَخْرَزْنَاكَ وَمَا كَانَ تَأْخِيرُكَ إِلَّا لِأَجْلِ مَعْدُودٍ ، وكيف فَارَقْنَا بِلَادَكَ وَمَا بَقِيَتْ فِيهَا مَاشِيَهُ ، إِلَّا وَهِيَ لَدَيْنَا مَاشِيَهُ ، وَلَا جَارِيَهُ ، إِلَّا وَهِيَ فِي مِلْكِنَا جَارِيَهُ ، وَلَا سَارِيَهُ ، إِلَّا وَهِيَ بَيْنَ أَيْدِي الْمَعَاوِينَ سَارِيَهُ ، وَلَا زَرَعٌ إِلَّا وَهُوَ مَحْصُودٌ ، وَلَا مَوْجُودٌ إِلَّا وَهُوَ مِنْكَ مَفْقُودٌ ، وَمَا مَنَعَتْ تِلْكَ الْمَغَايِرَ الَّتِي هِيَ فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ الشَّاهِقَةِ ، وَلَا تِلْكَ الْأَوْدِيَةَ الَّتِي فِي التُّخُومِ مُحْتَرَقَةٌ وَلِلْعُقُولِ خَارِقَةٌ ، وكيف سَقْنَا عَنْكَ وَلَمْ يَسْبِقْنَا إِلَى مَدِينَتِكَ أَنْطَاكِيَةَ خَبْرًا ، وكيف وَصَلْنَا إِلَيْهَا وَأَنْتَ لَا تُصَدِّقُ أَنَّنا نَبْعُدُ عَنْكَ وَإِنْ بَعَدْنَا فَيَسْنَعُودُ عَلَى الْأَثَرِ ، وَهَاتِحُنْ نُعَلِّمُكَ بِمَا تَمَّ ، وَنُفَهِّمُكَ بِالْبَلَاءِ الَّذِي عَمَّ .

كَانَ رَحِيلُنَا عَنْكَ مِنْ طَرَابُلُسَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ، وَتَزُولُنَا أَنْطَاكِيَةَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَفِي حَالِ التُّزُولِ خَرَجْتَ عَسَاكَ كُرُكًا لِلْمُبَارَاةِ وَتَنَاصَرُوا فَمَا نُصِرُوا . وَأَسْرَمَ مِنْ بَيْنِهِمْ كَدَّ اسْطِطْلَ فِسْأَلٍ فِي مَرَاجِعَةِ أَصْحَابِكَ ، فَدَخَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَخَرَجَ هُوَ وَجَمَاعَةٌ مِنْ رُهْبَانِكَ : وَإِنْ رَأَيْهِمْ فِي الْخَيْرِ مُخْتَلِفٌ ، وَقَوْلُهُمْ فِي الشَّرِّ وَاحِدٌ ، فَلَمَّا رَأَيْنَاهُمْ قَدَفَاتٍ فِيهِمُ الْقَوْتُ ، وَأَنْتُمْ قَدْ قَدَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ ، رَدَدْنَاكُمْ وَقُلْنَا : نَحْنُ السَّاعَةُ لَكُمْ مُحَاصِرًا ، وَهَذَا هُوَ الْأَوَّلُ فِي الْإِنذَارِ وَالْآخِرُ ، فَرَجِعُوا بِهِ مُنْشَبِّهِينَ بِفِعْلِكَ ، وَمُعْتَقِدِينَ أَنَّكَ تَدْرِكُهُمْ بِخَيْلِكَ وَرَجَلِكَ ، فَفِي بَعْضِ سَاعَةِ مَرَّشَانَ الْمَرَّشَانَ ، وَدَاخَلَ الرَّهْبُ الرُّهْبَانَ ، وَلَآنَ لِلْبَلَاءِ الْقَسْطَلَانَ ، وَجَاءَهُمُ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، وَفَتَحْنَاهَا بِالسَّيْفِ

(١) لم يرد في كتب اللغة جمع المعارة على مغاير، وإنما جمعه مغارات .

(٢) كذا في الأصل باهمال جميع الحروف .

في الساعة الرابعة من يوم السبت رابع شهر رمضان؛ وقتلنا كل من اخترته لحفظها
 والمحامة عنها، وما كان أحد منهم إلا وعنده شيء من الدنيا فما بقي أحد منا إلا وعنده
 شيء منهم ومنها؛ فلورأيت خيالتك وهي صرعى تحت أرجل الخيول، ويارك
 والنهاية فيها تصول والكسابة فيها تجول؛ وأموالك وهي توزن بالقنطار، وإماءك
 وكل أربع منها تباع فتشترى من مالك دينار؛ ولورأيت كائسك وصلبانها قد كسرت
 ونثرت، وصحفها من الأناجيل المزورة قد نثرت، وقبور البطارقة وقد تغيرت؛
 ولورأيت عدوك المسلم وقد داس مكان القدس، والمذبح وقد ذبح فيه الراهب
 والقسيس والشماس؛ والبطارقة وقد دهموا بطارقه، وأبناء المملكة وقد دخلوا
 في المملكة؛ ولو شاهدت النيران وهي في قصورك تحترق، والقتلى بنار الدنيا قبل نار
 الآخرة تحترق؛ وقصورك وأحوالها قد حالت، وكنيسة بونصر وكنيسة الفسيان
 وقد زلت كل منهما وزالت - لكنت تقول: ياليتني كنت ترابا، وياليتني لم أوت
 بهذا الخبر كتابا؛ ولكانت نفسك تذهب من حسرتك، ولكنت تطفئ تلك النيران
 بماء عبرتك؛ ولورأيت مغانيك وقد أقفرت، وعرابك وقد أخذت في السويديّة
 بمراكبك، لصارت شوانيك من شوانيك؛ ولتيقنت أن الإله الذي أنطاك أنطاكية
 منك أسترجعها، والرّب الذي أعطاك قلعتها منك قلعتها ومن الأرض أقتلها، وتعلم
 أنا قد أخذنا - بحمد الله - منك ما كنت أخذته من حصون الإسلام، وهو دركوش،
 وشقيف تل منس^(١)، وشقيف كفردين، وجميع ما كان لك في بلاد أنطاكية
 في هذه المدة إقامة(?) وكونك ما كنت بها، فيكون إما قتيلا وإما أسيرا، وإما جريحا

(١) في الاصل "تليس" ولم نعرنليه في المعجم والذي في معجم البلدان لياقوت أن تل منس حصن
 قرب معرة النعمان بالشام.

وإما كسيراً، وسلامة النفس هي التي يفرح بها الحيُّ إذا شاهد الأموات، ولعلَّ الله
 إنما أنكر لأن تستدرك من الطاعة والخدمة ما فات، ولمَّا لم يسلم أحدٌ يخبرك
 بما جرى خبرناك، ولمَّا لم يقدر أحدٌ [أن] يبشرك بالبشرى بسلامة نفسك وهلاك
 ما سواها بأشرك بهذه المفاوضة وبشرك، لتتحقق الأمر على ما جرى، وبعد هذه
 المكتابة لا ينبغي لك أن تكذب لنا خبراً، كما أن بعيد هذه المخاطبة يجب أن لا تسأل
 عما جرى .



وهذه نسخة في هذا المعنى، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، وهي:
 هذه المكتابة إلى فلان أقاله الله عثرة زلت به، وأقامه من حفرة ذلته، وتجاوز له
 عن كبيرة فراره من جمع عدوه على قلبه .

بلغنا أمر الواقعة التي لقي فيها [العدو] بجمع قليل غناؤه، ضعيف بناؤه، كثيف
 في رأي العين جمعه، خفيف في المعنى وقعه وتنعته بأسرع في مفارقة المجال، من الظل
 في الانتقال، وأشبهه في مماثلة الوجود بالعدم من طيف الخيال، يمشون إليه
 بقلب واجب، ويهتدون من تحرّصه برأي بينه وبين الصواب ألف حاجب،
 ويأتون منه بمقدم يرى الواحد من عدوه آلاف، ويتسرعون منه وراء مقدّام يمشي
 إلى الزحف ولكن إلى خلف، جناح جيشه مهيب، وطرف سنانة غضيب،
 وساقه عسكره طالعه، وطلائعه كالنجوم ولكن في حال كونها راجعه، تأسف
 السيوف يمينه على ضارب، وتأسى الجنايب حوله إذ تعدّ للحارب فتعدّ للحارب .

(١) الزيادة عن "حسن التوسل" (ص ١١٨) .

(٢) في الأصل "يختمون به" والتصحيح من "حسن التوسل" .

(٣) كذا في "حسن التوسل" والذي في الأصل "ويهتدون من تحريبه وتبذيره به" الخ، ولا معنى له .

وأنه حين وقعت العين على العين ، وأيقن عدوه لما رأى من عدده وعدده معالجة الحين ، أجمَل نُصُولِ العِدا عن وُصولها ، وترك غنيمَةَ الظفر لِعِداه بعد أن أشرف على حُصولها ؛ تَتَادِيهِ ألسِنَةُ أَسِنَّةِ : الكَرَّةُ الكَرَّةُ فلا يَلُوي إلى نِدَائِها ، وتَشْكُو إليه سِوْفُهُ الظُّمًا وقد رُتَّ مواردَ الوَرِيدِ فيرُدُّها إلى العُموْدِ بِدَائِها ، فَمُنِحَ عَدُوَّهُ مَقَاتِلَ رِجاله ، وأباحَهم كَرَامَ مالِ جُنْدِهِ ومالِهِ ، ووخِلَى لهم خِزائِنَ سِلاحه التي أعدّها لِقِتالهم فأصبحت مُعدَّةً لِقِتالِهِ ؛ فَنجَا مَنْجَى الحارث بن هِشام ، وآبُ بِسلامةٍ أُعذِبُ منها - لو عَقَلَ - شُرْبُ كَأْسِ الحِمَامِ ؛ وآتَمَّ بين أوليائه وأعدائه بِسِمةِ الفِرارِ ، وكان يقال : النَّارُ ولا العارُ ، بِجَمْعِ له فِرارُهُ من الرِّحْفِ بين النَّارِ والعارِ ؛ وعاد بِجَمْعِ موفورٍ من الجِراحِ ، مُوقِرٍ من الإثمِ والأجترَاحِ ؛ لا عِلمَ بما جرى عند أسيافهم ، ولا شَهِدَ بمشاهدتهم الوغى غير مواقعِ الطُّبائِ في أكفهم ؛ فبأى جَنانٍ يَطْمَعُ في معاوِدَةِ عَدُوِّهِ مِنْ هَذا قَلْبُهُ ، وهؤلاءِ حِزْبُهُ ، [وذلك القِتالُ قِتالُهُ وتلك الحربُ حربُهُ] .

وبعد فإن كانت له حِمِيَّةٌ فَسَظْهَرُ آثارُها ، أو أَرِيحِيَّةٌ فَسَتَشِبُّ نارُها ؛ أو أنفةٌ فَسَتَحِمِلُه على غَسْلِ سِندِهِ الدُّنْيَةِ ، وتبعثه على طَلَبِ غايَتينِ : إما شِهادَةَ سَريَّةٍ أو حِياةَ هَنيئَةٍ ؛ والله تعالى يُوقِظُ عِزْمَه من سِنتِهِ ، ويُعجِلُ له الأَتِصافِ من عَدُوِّهِ قبل إكْمالِ سِنتِهِ .

الفصل العاشر

(في المكاتبات بالتضييق على أهل الجرائم)

قال في "مواد البيان" : لم يزل السلطان يكتب إلى الولاة عند ما ينتهي إليه من إقدام الرعايا على ارتكاب الجرائم ، وأستباحة المحارم ، وأقتراف المآثم ، كالزنا

(١) في "حسن التوصل" «ولا ياتفت» .

(٢) الزيادة عن "حسن التوصل" (ص ١١٩) .

واللواط، وشرب الخمر، وقطع الطرُق، والغصب والتظالم، وما يجرى هذا المجرى-
بالتضييق عليهم، وإقامة حدود الله تعالى فيهم .

قال : والرسم فيها أن تفتح بحمد الله البادئ بنعمته قبل افتراض طاعته، الممتن
بنفضله قبل إيجاب شكره، خالق الخلائق جوداً وكرماً، ومويعيهم مناً ونعماً، الذي
أختار دين الإسلام وطهره من الأرجاس، ونزّهه عن الأدناس، وأختص به صفوته
من الناس، وأبتعث به محمداً سيد المرسلين : ﴿ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ
عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ . يحمده أمير المؤمنين أن فوض إليه إيالة خلقه، وأقدره على القيام
بخدمته، ونصبه لإعزاز دينه، والمحافظة على مفروضه، ومسئونه، وزيادة العباد
عن محاربه التي نهى عن التعدي إليها، وإقامة الحدود عليهم فيها، ويسأله الصلاة
على محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم يقال : وإن أمير المؤمنين يرى أن من أعظم نعم الله تعالى عليه توفيقه لحفظ
ما استحفظه من شريعته، ورعاية ما استرعاه من بريته، وتوفير القيام على من قلده
النظر فيهم، وأعتاد ما يعود بالصالح في الدين والدنيا عليهم، ومساواته بين قريبهم
وبعيدهم في تفقده، ومماثلته بين قاصيهم ودانيهم في تعهده، فلا ينال القريب [فقط]
نصيهاً من رعايته ويعلم جاهلهم، ويهدي حائرهم، ويشهد بصائرهم، ويشفق
مأثمهم، ويصلح فاسدهم، ويتخولهم من مواعظه بما يبرد الغلل، ويشفي العلل،
وينسخ الشك باليقين، ويقبس مقاييس النور المبين [فمن] أصغى إلى إرشاده سعد
جده، وورى زنده. وأحمد يومه وغده، ومن خالف عن أمره ضل مسعاه، وخسر
آخرتة ودنياه، ودعا إلى اتباع أمر الله تعالى في تقويمه وإصلاحه، والكف بإقامة
الحدود عليه من حماحه .

وَأَتَيْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ الْأَحْدَاثُ وَأَهْلُ الدَّعَاةِ قَبْلَكُمْ مِنْ أَحْتِقَابِ
الْآثَامِ، وَأَسْتِدْمَاتِ مَرَآكِبِ الْحَرَامِ، وَالْأَسْتِهَارِ بِمَحْظُورِ اللَّذَاتِ، وَالْإِتْكَابِ عَلَى
دِنِيءِ الشَّهَوَاتِ، الَّتِي تَسْلُخُ مِنَ الدِّينِ، وَتُخْرِجُ عَنْ دَائِرَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَدْفَعُ عَنْ تَأْدِيَةِ
الْعِبَادَاتِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَوَاتِ، وَتَنْظِمُ فِي سِلْكِ الْبِهَائِمِ الْمُرْسَلَةِ، وَالسَّوَائِمِ الْمُهْمَلَةِ.
وَتَقْصِيرُ مَشَائِجِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ عَنْ كُفِّهِمْ، وَالْأَخْذِ عَلَى أَكْفِهِمْ، وَتَعْرِيفِهِمْ وَجُوهَ
مُرَاشِدِهِمْ وَتَقْوِيمِ أَوْدِهِمْ، فَأَمْتَعَضَ مِنْ ذَلِكَ، وَأَشْفَقَ مِنْ نَزُولِ الْقَوَارِعِ وَالْمَثَلَاتِ،
وَحُلُولِ الْبَلِيَّاتِ وَالْآيَاتِ، وَأَرْتَجَاعِ مَا أَوْدَعَكُمْ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ نِعْمَتِهِ، وَأَنْتَرَعَ مَا أَلْبَسَكُمْ
مِنْ رَحْمَتِهِ، وَبَادَرَ بِكِتَابِهِ مُوقِظًا لَغَافِلِكُمْ، وَمُبَصِّرًا لِدَاهِلِكُمْ، وَبَاعِثًا لَكُمْ عَلَى مَرَاضِيهِ
الْأُولَى، وَمَعَاوِدِ الطَّرِيقَةِ الْمُثَلَّى، وَمِبَادِرَةِ آجَالِكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، وَالْأَخْذِ لِأَنْحَرَاكُمْ
مِنْ أَوْلَاكُمْ، وَلَسَقِمِكُمْ مِنْ صِحَّتِكُمْ، وَلِنَوْمِكُمْ مِنْ يَقِظَتِكُمْ، عَالِمِينَ بِأَنَّ الدُّنْيَا لَعِبٌ
وَلَهْوٌ، وَأَنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ، وَأَنْكُمْ فِيهَا كَسْفِيرٌ شَارَفُوا الْمَنْزِلَ. فَاجْهَدُوا عِبَادَةَ اللَّهِ
وَأَحْتَشِدُوا، وَأَقْلِعُوا وَأَرْجِعُوا، وَأَسْمِعُوا وَعُوبُوا، فَكُنْكُمْ وَاللَّهُ وَقَدْ تَوَضَّحَتْ خُدَعُهَا،
وَتَصَرَّمَ مَنَاعُهَا، وَجَلَّ مَتَوَقَّعُهَا، وَالسَّعِيدُ مِنْ وَثِقَ بِمَا قَدَّمَ لِنَفْسِهِ بَعْدَ نَفَادِ أَيَّامِهِ،
وَوُرُودِ حِمَامِهِ، وَالشَّقِيُّ مِنْ أَفْرَطَ وَفَرَّطَ، وَنَدِمَ حَيْثُ لَا مَنَدَمَ. وَأَوْعِزْ إِلَى وَالِيِ الْحَرْبِ
فَلَانَ بَقْرَاءَةَ مَانَصِّ فِيهِ عَلَيْكُمْ، وَأَخْتِبَارِ سَيْرِكُمْ بَعْدَ مَرُورِهِ عَلَى أَسْمَاعِكُمْ، فَمَنْ رَغِبَ
فِي التَّقْوَى، وَآثَرَ الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا، عَرَفَ ذَلِكَ وَتَوَخَّاهُ بِتَّكْرِمَتِهِ وَتَخَوَّلَهُ، وَمَنْ أَبَى
إِلَّا غَوَايَةَ وَضَلَالًا، وَبِطَالَةَ وَمِحَالًا، أَقَامَ حَدَّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ غَيْرَ مُرَاقِبٍ فِيهِ. فَرَحِمَ
اللَّهُ عَبْدًا صَانَ نَفْسَهُ فِي هَذِهِ الدَّارِ عَنِ الْعَارِ، وَحَمَاهَا فِي الْآخِرَةِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ،
وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَرْجُو أَنْ يَنْفَعَكُمْ اللَّهُ بِهَدَايَتِهِ، وَيَشْفِي صُدُورَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ، وَيُرْشِدَكُمْ
إِلَى مَا يُفِضِي بِكُمْ إِلَى الْكِفَايَةِ وَالْحِمَايَةِ. فَلْيَعْلَمْ فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ ذَلِكَ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَرَسْمِهِ، وَلْيَعْمَلْ عَلَيْهِ بِجُمَّتِهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

الصفحة الحادية عشر

(الكتب في النهي عن التنازع في الدين)

قال في "مواد البيان" . من أهم ما صرف إليه السلطان تفقده، ووقف عليه [تعهد] أمر الرعايا في أعماله، وتنفيذ الكتب إليهم بالنهي عن التنازع في الدين، وحسم أسباب المجادلة والمراء، والتحذير من اتباع البدع والأهواء، والإخلاق إلى مفضل النحل والآراء: لأنه متى فسح لهم في هذا الباب صاروا شيعاً متباينين، وبقاً متحاربين، وأنشئت عصاهم، وانقضت حيلهم، وخرجوا عن أحكام أهل السلامة إلى أحكام أهل الفتنة، وعاد ضرر ذلك على الدين والسلطان. ولهذا صرف إليه السياسة الحزمة من الملوك الأهتمام، ولم يخلوا بحسم مادته على تغاير الأيام .

ثم قال : والرسم فيها أن تصدر بحمد الله تعالى على نعمة في تأليف كلمة أهل الإسلام، وما من به عليهم من الاتفاق والائتلاف، وشكره على موهبته في نزع الغل من صدورهم، والتأليف بين قلوبهم، وتصييرهم إخواناً متصافين، وخللاً متوافقين، وعونهم بما وفقهم له من إظهارهم على من شق عصاهم، وإقذارهم بما منحهم من الألفة على مرآة من راماهم، والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم . ثم يشفع هذا بأن أمير المؤمنين بما مكّنه الله تعالى من مراضيه، ووقفه له من القيام بفرضه، والنهوض بحقوق طاعته، والعمل بكتابه وسنته، ورغبته في الخير العام، وشمول الصلاح لكافة الأنام - لا يزال يحض رعيته على ما يقضي بسداد دنياهم، وحسن المنقلب في أحوالهم، ويرى أن أنفع ذلك عائده، وأجره فائده، ما رفع عنهم أسباب التنافر، ودعاهم إلى التعاضد والتطافر، وحال بينهم وبين الخوض في محدث النحل والآراء، والإصغاء إلى مفضل البدع والأهواء، التي

تَصُدُّ عَنْ سَنَنِ الْهُدَى، وَتُلْقِي فِي مَهَاوِي الرَّدَى، وَتَدْعُو إِلَى شَقِّ الْعَصَا، وَتَقْضِي بَانْتِثَارَ النَّظَامِ، وَأَخْتِلَافَ الْأَنَامِ، وَأَنْفِصَامَ عُرَى الْإِسْلَامِ. وَكَفَّهِمْ عَنِ الْمُمَارَاةِ فِي الدِّينِ، وَالْإِضْغَاءِ إِلَى سُنَّةِ الْمُضِلِّينَ، الْمُعْطَلَةَ لِلْسُّنَنِ، الْقَادِحَةَ لِلْفِتَنِ، الدَّاعِيَةَ إِلَى أَحْتِقَابِ الْأَنَامِ، وَإِرَاقَةِ الدَّمَاءِ الْحَرَامِ: وَنَحْوِ هَذَا مِمَّا يَضَاهِيهِ.

ثم يقول: وَأَتَهَى إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْتَفَاتِكُمْ عَنْ مَعَايِشِكُمْ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ لِدُنْيَاكُمْ قِيَامًا، وَعِبَادَتِكُمْ الَّتِي صَيَّرَهَا لِآخِرَتِكُمْ نِظَامًا، وَإِقْبَالِكُمْ عَلَى الْمُمَارَاةِ وَالْمُنَازَعَةِ، وَالْمُنَازَعَةِ وَالْمُجَادَلَةِ، إِلَى سُكُوكِ يُقِيمُهَا مَنْ يَرِغِبُ فِي الرَّيَاسَةِ وَالتَّقَدُّمِ: لِيَفُوزَ بِخَبِيثِ الْمَطْعَمِ، الَّذِي يُعْمَى الْبَصَائِرَ، وَيُفْسِدُ السَّرَائِرَ، وَيَقْدَحُ زَنْدَ الضَّلَالِ، وَيُسَبُّ نَارَ الْمِحَالِ وَالْإِتِّحَالِ، فَامْتَعْضَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ ذَلِكَ وَخَافَ عَلَيْكُمْ أَلِيمَ عَاجِلَتِهِ، وَذَمِيمَ آجِلَتِهِ، وَبَادَرَكُمْ بِكِتَابِهِ هَذَا مِنْبَهًا لِفَافِكُمْ، وَمُرْشِدًا لِجَاهِلِكُمْ، وَبَاعِثًا لَكُمْ عَلَى التَّشَاغُلِ بِمَا أَطَابَ أَخْبَارَكُمْ، وَحَسَّنَ آثَارَكُمْ: مِنْ تِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي آثَرَكُمْ بِتِلَاوَتِهِ، وَزِيَارَةِ بُيُوتِ عِبَادَتِهِ، وَالتَّادِبِ بِأَدَبِ نَبِيِّهِ وَعِثْرَتِهِ، وَأَوْعَزَ إِلَى النَّائِبِ فِي الْحَرْبِ بِتَقْوِيمِ مَنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِ، وَتَثْقِيفِ مَنْ أَصْرَ عَلَى غَيْبِهِ، وَأَنْ يَحْسِمَ الدَّاءَ قَبْلَ اسْتِشْرَائِهِ، وَيَسْتَدْرِكَهُ دُوَيْنَ اسْتِفْحَالِهِ، فَاصْغَوْا إِلَى زَوَاجِرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَوَاعِظِهِ، وَأَقْتَدُوا بِهَدْيِهِ وَمَرَّاشِدِهِ، لَتَفُوزُوا بِطَاعَتِهِ، وَتَسْعَدُوا بِرِضَاهِ، وَتَسْلَمُوا فِي الْحَاضِرِ، مِنْ مَهَانَةٍ أَتَمَّ بِغَيْرِهَا أَوْلَى، إِنْ سَلَكَتُمْ الطَّرِيقَةَ الْمُثَلَّى، وَفِي الْغَابِرِ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِمَنْ خَالَفَ عَنْ أَمْرِهِ مِنَ الْعِقَابِ فِي الدَّارِ الْآخِرَى، فَاعْمَلُوا هَذَا وَاعْمَلُوا بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

قال: وَقَدْ يَكْتُبُ السُّلْطَانُ إِلَى الرَّعِيَّةِ بِالنَّهْيِ عَنِ التَّفَاخُرِ بِالْبَادِيَةِ وَالتَّنَازَعِ فِي الْعَصَبِيَّةِ. ثم قال: وَالطَّرِيقَةُ فِي هَذَا الْمَعْنَى مُشْتَقَّةٌ مِنْ طَّرِيقَةِ هَذَا الرَّسْمِ.

الصنف الثاني عشر

(المكاتبة بالأوامر والنواهي)

قال في "مواد البيان" : على هذه الكتب مدارُ أشغال السلطان في أعماله ، لأنها النافذة في تصريف الأمور وتنفيذ المراسيم وإلأية وعمالة .

قال : وليس لهذا أمثلة فنورددها ، لكنه ينبغي للكاتب أن يؤكد القول بها ، فإن الأمر فيها والنهي - وإن اختلف نظمهما - نوع واحد : لأن كل ما مور به منهي عن ضده ، وكل منهي عنه مأمور بضده ، فينبغي له أن يؤكد القول في أمثال ما أمر ، والعمل عليه والإنفاذ ، والآنهاء عما نهى عنه ، والحد من الإمام به . ويجزم الأمر في العبارة عنهما جزماً تاماً لا يتمكن معه من الإخلال ببعضهما والنقص فيهما لهوى ، ويأتي من المبالغة بما يضيق العذر ، ومتى وقع تقصير أو تناقل عما حُدد فيهما ، فإنما يمثل ذلك بمثل جامعة مع تفنن المعاني التي يأمر بها وينهى عنها .

ثم قال : والكاتب إذا عرف الترتيب الواقع في هذين الغرضين على طريق الإجمال ، أمكنه أن يبسطه إذا احتاج إلى التفصيل والبيان بمشيئة الله تعالى .

وأعلم أنه كان للخلفاء والملوك وولاة الأمور في قديم الزمان عناية بالكتابة إلى الرعايا بالأوامر والنواهي المتعلقة بالدين : من الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وما يجري مجرى ذلك ، وإلى العمال بالوصية بالرعايا ، والاجتهاد فيما لديهم من جباية الخراج ، والأهتمام بأمر الدواوين ، وما أشبه ذلك .

فأما الأوامر والنواهي المتعلقة بالدين ، فقد تقدم في الكلام على مصطلح أهل الغرب في أوائل هذه المقالة من إنشاء أبي زيد الفازازي ما أغنى ذكره هناك عن إعادته هنا أو ذكر غيره .

وأما الأوامر والنواهي المتعلقة بأمر السلطنة، فمن ذلك ما كتب به أبو عبد الله
ابن الحنان، عن الأمير أبي عبد الله بن هود أحد ملوك الطوائف بالأندلس في الرفق
بالرعية، وهو:

أما بعد حمد الله تعالى معلى منار الحق ورافعه، ومولى متوالى الإنعام ومتتابعه،
والصلاة على سيدنا محمد رسوله مشفع الحشر وشافعه، المبعوث ببدايع الحكم
وجواميعه، وعلى آله وصحبه المبشرين إلى مقاصده العلية ومنارعه، والذابين عن حوزة
الإسلام بمواضى الاعتزام وقواطعه، والرضا عن الخليفة الإمام العباسى أمير المؤمنين
ذى المجد الذى لا ينال سمو مطالعه.

فإنا كتبنا إليكم، كتب الله لكم عزة قدحها بالثبوت فائز، وسعادة قسطها للنماء
حائز، من فلانة: وكلمة الحق منصوره اللواء، منشورة الأضواء، والتوكل على الله
فى إعادة والإبداء، والتسليم إليه مناط أمرنا فى الانتهاء والابتداء، وحمد الله تعالى
وشكره وصلتنا إلى نيل مزيد النعماء والآلاء، ومكائتكم لدينا مكانة السنن المناصب،
المتعمى إلى كرام المتميمات والمناسب، المتحلى فى الغناء والاكْتفاء، والخلوص
والصفاء، بأكرم السجيات والمناقب، المعلوم مالدية من المناصحة السالكة بأكرم
السجيات فى المناحى الحسان على المهيع الأوضح والسنن الألاحب.

وقد وقفنا على كتابكم معلما بخبر فلانة وبما رأيتوه من المصلحة فى تحصيلها،
والاجتهاد فى سبب تأمينها، ونحن نعلم أنكم تريدون الإصلاح، وتتوخون ما تتوسمون
فيه النجاح، لكن أهم الأمور عندنا، وأولى ما يوافق غرضنا وقصدنا، الرفق
بالرعية، وحملها على قوانين الإحسان المرعية، وعلى أثر وصول كتابكم وصلنا كتاب
[أهل] فلانة المذكورة يشكون ضرر الخدمة المتصرفين فيهم، ويتظلمون من
متحيفيهم ومتعسفهم، وفى هذا ما لا يخفى عليكم، ولا ترضون به لو انتهى إليكم،

فإنه إذا كان الناظر في خِدمةٍ مِمَّنْ لا يُحسِنُ سِياسَةَ الأمور ، ولا يعلم طريقَ الرِّفقِ الحَاوِيَةِ لِرِفقِ الخِصَّةِ والجمهورِ؛ أعاد التَّسكينَ تنفيرا ، والتَّيسيرَ تعسيرا ؛ وتعلمون أنا لا نَقدمُ على إِيثارِ العَدْلِ في عبادِ الله المسلمين عَمَلًا ، ولا نَبغِي لهم بَاطِنَةً بغيرِ التَّخفيفِ عنهم والإِحسانِ إليهم بَدَلًا ؛ وأنتم أوَّلُ وأوَّلِي من يُعْتَقِدُ فيه أنه يُكَلِّلُ هذا المَقْصِدَ ، وَيَتَحَرَّى في مِصالحِ الرعايا هذا السَّنَنَ الأُرشدَ ؛ وقد خاطبنا أهلَ فلانة بما يُذْهِبُ وَجَلَّهُم ، وَيَبْسُطُ أَمَلَهُم ؛ وَعَرَفْنَاهم بأنكم لو علمتم ما هو جَارٍ عليهم من [بَعْضِ] الخِدْمَةِ لأَخَذْتُمْ على يَدِهِ ، وَجَازَيْتُمُوهُ بِسُوءٍ مَعْتَمَدِهِ ؛ وَأشْعَرْنَاهم بأننا قد آستوعبناكم بهم خَيْرًا ، وَنَبَّهْنَاكم على ما يَدْفَعُ عنهم ضِيًّا وَيَرْفَعُ ضَيْرًا ؛ وأنتم - إن شاء الله - تَسْتَأْنِفُونَ نَظْرًا جَمِيلًا ، وَتُؤَخِّرُونَ عنهم الخِدْمَةَ الَّذِينَ لا يَسْلُكُونَ مِنَ السِّياسَةِ سَبِيلًا ؛ وَتَقْدَمُونَ عليهم مَنْ تَحْسُنُ فِيهِمْ سَيْرَتَهُ ، وَتَكْرُمُ في تَمْشِيَةِ الرِّفقِ عَلايَتِهِ وَسِرِّيَتِهِ ؛ وَمِثْلُكُمْ لا يُؤَكِّدُ عليه في مَذْهِبٍ تَحْسِنُ عِواقِبُهُ ، وَغَرَضُ يَواقِفِهِ القَصْدُ الأَحْتِياطِيّ وَيُصَاحِبُهُ ؛ إن شاء الله تعالى .

الصنف الثالث عشر

(المكاتبات عند حدوث الآيات السماوية)

قال في " مواد البيان " : جرت العادة أن يكتب السلطان إلى الرعايا - عند حدوث الآيات المَهوِّلة التي يريد الله تعالى بها إرشاد عباده إلى الإقلاع عن معصيته ، والإقبال على طاعته ، كالرياح العواصف ، والزلازل والصواعق ، وأحتباس القطر وخروجه في التسكاب عمَّا جرت به العادة - كَتَبًا يُضَمِّنُها من الوَعظِ الشاقِّ الرِّفقِ ما يأخذ بِجَماعِ القلوب ، وَيُشْعِرُها التَّقوى والرَّهْبَةَ ، وَيبعثُ على المِراقِبَةِ والنَّظَرِ في العاقِبَةِ .

قال : وينبغي للكاتب أن يتلطف في الموعظة، ويبالغ في الذكرى التي تُحطّر الخواطر وتقدح الأنفس، وتُحرك العزائم نحو الإخلاص؛ فإنه إذا أبرز هذه المعاني في صورٍ [تُسعر] ^(١) الخيفة من غضب الله تعالى وعقابه، وتُرغب في عفوهِ وثورته؛ نفع الله بذلك (?) من رغب عن الهوى، ورغب في التقوى بكتابه .

قال : والرسم فيها أن تفتح بحمد الله تعالى على آياته التي يفيضها ابتلاء واختباراً، وآياته التي يرسلها تحويفاً وإنذاراً، وموهبته في التوقيف بسابغ نعمته على طاعته، والتحذير بدافع نعمته من معصيته . والصلاة على رسوله الذي أنقذ بشفاعته، وعصم من نزول القوارع بنبوته . ثم يقدم مقدمة تتضمن أن الله تعالى يقدم الإعداء أمام سُخطه وعذابه، ويبدأ بالإنذار قبل غضبه وعقابه؛ فمن استيقظ من سنته، ونظر لعاقبته [ونَهَض] ^(١) إلى طاعته، وأقلع عن معصيته، كشف الرين عن قلبه، وبضاعف أجره؛ ومن أضرب عن موعظته، وتعمى عن تبصيره وتذكيره، أخذته على غرته . وسلبه سربال نعمته .

ثم يأخذ في حث الأمة على الفرع إلى الصلوات، والمسارة إلى بيوت العبادات؛ والإكثار من التضرع والخشوع، والاستكانة والخنوع، بإذراء سحائب الدموع؛ وإخلاص التوبة عن محتقبات الآثام ومُحترج الأوزار، والتوسل إلى الله تعالى في قبول الإنابة بقلوب نقيه، وطويبات على الطهارة مطويه؛ وسرائر صريحة، ونيات صحيحة؛ يصدقها الندم على الماضي، وعقد العزم على الإقلاع في الآتي؛ والرغبة إليه في رفع سُخطه وإنزال رحمته، وما يجارى هذا

قلت: وهذا الصنف من المكائبات قد ترك في زماننا فلا عناية لأحد به أصلاً، وإن كان مما يجب الأهتمام به وتقديمه .

(١) يفاضل النزل، وانسجيم يقتضيه المقام .

الصنف الرابع عشر

(المكاتب في التنبيه على شرف مواسم العبادة وشريف الأزمنة)

قال في "مواد البيان" : إن الله وقَّت لعباده أوقاتا عظم شأنها ، ورفع مكانها ، وأمرهم أن يتقربوا فيها إليه بتأدية ما فرضه عليهم أطقا بهم ورأفه ، وحنانا ورحمه .

قال : ولم يزل السلطان يكتب إلى عماله بتنبيه الرعايا عليها ، وتعرفهم فضل العبادة فيها : ليستقبلوها بالإخبات والخشوع ، ويتلقوها بالتضرع والخضوع ، ويتوسلوا في قبول التوبات ، وغفران الخطيات ، حفظا لنظام الدين ، وتفقدًا لمصالح المسلمين .

قال : وينبغي للكاتب أن يحسن التأتى في هذه الكتب ^(١) ويذكر الناسي وينبه الغافل الألهي ، والمهمل الساهي ، ويحرك النفوس نحو مصالحها ، ويبعثها على الأخذ بفاضل الأعمال وصالحها .

قال : والرسم فيها أن تفتح بحمد الله تعالى على أن وهب لعباده أوقاتا يتقبل فيها قربهم وأعمالهم ، ويخفف بالإجابة إليه عند حلولها أوزارهم وأثقالهم ، فيغفر لمستغفرهم ، ويعفو عن مسيئتهم ، ويتقبل التوبة عن تائبهم . والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله . ثم يقدم مقدمة مبنية على تعظيم هذه الأوقات ، والإبانة عما في قصرها على العبادات ، والمسابقة إلى الخيرات ، من عظيم الثواب . ويشفع ببعث الولاية على أخذ الرعايا بالمحافظة على السنن ، وتعهد حق الله تعالى فيها ، والتوسع في توكيد الحجته ، ونفى الشبهه ، وإيراد المواعظ الرادعه ، والزواج الوازعه ، التي تعود بشحد البصائر ، وصفاء الغمائر ، والإتيان بحقوق هذه الأوقات وواجباتها ،

(١) بياض بالاصل مقدار كلمة .

والفوز بما يوفره من جزيل بركاتها ، والتوفّر على حُسن مجاورتها ، والتقرّب إلى الله تعالى ببذل الصدقات ، والإقبال على الصلوات وزيارة بيوت العبادات ، ومذاكرة أهل الدين ، والسعي في مصالح المسلمين ؛ ونحو ذلك مما يناسبه .

ثم قال : فإن كان الكتاب مقصورا على الدعاء إلى الحج ، أفتتح بالحمد لله على أن جعل لعباده حرما آمنا يمحص ذنوبهم بزيارته ، ويمحو آثامهم بحجّه ووفادته ؛ ويلى ذلك ما يليق به من الحثّ على تأدية المناسك ، وتكميل الفرائض والسّنن ، وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك الحكم في سائر الأبواب الدّينية .

الصفحة الخامسة عشر

(انكاتبه بالسلامة في الركوب في المواسم والأعياد وما ينخرط

في سلكها من المواكب الجامعة)

قال في "مواد البيان" : جرت العادة أن يكتب السلطان عماله وولاته بسلامة المواسم الإسلامية كلّها : لأنها تُشاهد لجميع أصناف الرعايا وذوى الآراء المختلفة والمذاهب المتباينة ، والقلوب المتعادية والمتصاحبة في أمر الدين والدنيا ؛ وكلّ متربصٍ لفتنةٍ ينتهز فرصتها . فلانكاد هذه المشاهد تخلو من ثورةٍ وحدوث أحداثٍ منكرةٍ تُفضي إلى الفتن التي لا تُرفع . فإذا أنعم الله تعالى بالسلامة منها ، وجب التحدثُ بنعمته ، والشكرُ لمشيئته ؛ وأن يكتب أمير المؤمنين بسلامة ما قبّله إلى عماله ، لتسكن الكافة إلى ذلك ، ويشركوا في حمد الله تعالى عليه .

وأعلم أن المواسم التي كان يعتاد الخلفاء الركوب فيها والكتابة بالسلامة منها هي : عيدُ الفطر ، وعيدُ النحر . وكان الخلفاء الفاطميون بالديار المصرية يعتادون

مع ذلك الركوب في غُرَّةِ السَّنَةِ ، وفي أولِ رَمَضانٍ ، وفي الجمعة الأولى ، والجمعة الثانية ، والجمعة الثالثة منه ، على ما تقدم ذكره في الكلام على ترتيب المملكة في المقالة الثانية . وكذلك "عيد الغدير" : وهو عيدٌ من أعياد الشَّيعة كما سيأتي ذكره . ونحن نُشير إلى ذكر مَوَاجِبِها مَوَاجِبًا مَوَاجِبًا ، ونذكر ما جرت به العادة في الكتابة في البشارة بالسلامة في ركوب كُلِّ مَوَكِبٍ منها .

الأول - البشارة بالسلامة في الركوب في غُرَّةِ السنة . وقد تقدم الكلام على صورة المَوَكِبِ في الكلام على ترتيب المملكة في الدولة الفاطمية بالديار المصرية في المقالة الثانية .

وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك ، أورده أبو الفضل الصوري في تذكرته ، وهي : الحمد لله الذي لم يزل يُؤيِّ إحصانا وإنعاما ، وإذا أبلَى عبيده عاما أجدهم بفضله عاما ، فقد أمدكم معاشر [الخلقاء] ^(١) كراما ومنا ، وآناكم من جوده أكثر مما يُتمنى ؛ ومنحك من عطائه ما يُوفي على ما أردتموه ، ﴿ وَسَخَّرْ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَآسَأَتُمُوهُ ﴾ وقد استقبلتم هذه السنة السعيدة ، وإذا عملتم بالطاعة كنتم مستنجزين من ثواب الله الأغراض البعيدة .

وصلَّى الله على سيدنا محمد نبيِّه الذي غدت الجنة مدخرا لمن عمل بهداه لما سمعه ، ومهياة لمن آمن به وأتبع النور الذي أنزل معه ؛ وبين بإرشاده ما تجرى أمور السنين عليه في العدد والحساب ، ونسخ ما كانت الجاهلية [تفعله] فيه زيادة في الكفر وضلالا عن الصواب ؛ وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي كمل الله الإسلام بإمامته ، وضاعف الأجر لأهل ولايته ، ومنح شيعته مقبول شفاعته ؛

(١) بياض بالأصل والتصحيح من المقام .

وعلى الأئمة من ذريتهما خلفاء الله على خلقه ، والقائمين بواجب حقه ؛ والعاملين في سياسة الكافة بما يرضيه سبحانه ، ويضمن غفرانه ورضوانه ، وسلم عليهم أجمعين ، سلاماً باقياً إلى يوم الدين .

وإن أحق النعم بنشر الذكر ، وأوجبها للوصف وإعمال الفكر ، نعمة رفعت الشك وأزالت اللبس ، ووضعت ضياؤها لأولى الأبواب ووضوح الشمس ؛ وأشترك الناس فضاعفت الفائدة لديهم ، وانتفعوا بذلك في تواريحهم ومعاملاتهم وما لهم وعليهم ؛ وتلك [هي] المعرفة باليوم الذي هو مطلع السنة وأولها ، ومبدؤها ومستقبلها ؛ وحقيقة ذلك ظهور إمام كل زمان . وكان ظهور إمام زماننا مولانا وسيدنا الإمام فلان - ليتساوى في الشرف برؤيته العامة والخاصة ، فيكون استقلال ركابه إشعاراً بأن اليوم الذي تجلّى فيه لأوليائه ، ولرعاياه المتفنيين ظلّ لوائه ؛ هو افتتاح السنة وأول محرمها ، وعليه المعتمد في عدد تامّ الشهور وناقصها من مفتحتها إلى محتمها - يوم كذا غرة المحرم من سنة كذا ، في عساكر لا يمحصر عددها ، وقبائل لا ينقطع مددها ؛ وإذا اضطربت نار الكفر والتهبت ، طفت بانوارهم وخبّت ؛ وقد تقلدت هندية تروغ إذا أشرقت وسكنت ، فما الظنّ إذا اضطجبت ؛ والأرض بمرورها عليها مبهجة موقفة ، وملائكة الله عز وجل حافة به محذقه ؛ فأذن بأن اليوم المذكور هو غرة السنة المعينه ، وأن اليوم الفلاني أمسه أنسلاخ كذا سنة كذا المتقدمة : لتستقيم أمورهم على أعدل نهوجهم ؛ وليحفظ نظام دينهم في صومهم وفطرهم وحجهم ؛ وكذلك أصدر هذا الكتاب ليتلوه الأمير على من يسكن عمله ، وجميع من قبله ؛ ويتأملوا في معرفته ، ويحمل كلّ منهم الأمر عليه في معتقده وأسباب معاملاته ؛ ويشكروا الله على النعمة عليهم بهديته . وهو يعتمد ذلك ويطلع بكائنه فيه إن شاء الله تعالى ، وكتب في اليوم المذكور .

الثاني - البشارةُ بالسلامة في الركوب في أول شهر رمضان ، وهي على نحو مما تقدم في الركوب في غرة السنة .

وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك ، من إنشاء ابن الصيرفي ، وهو :

الحمد لله كإي خلقه في اليقظة والمنام ، والكافل لهم بمضاعفة الأجر في شهر الصيام ، وصلى الله على سيدنا محمد الذي بعثه رحمةً للأنام ، وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالبٍ أخلص ولياً ، وأشرف وصي ، وأفضل إمام ، وعلى الأئمة من ذريتهما الداعين إلى دار السلام ، صلاةً دائمةً الاتصال ، مستمرةً في الغدو والآصال .

وإن من المسرة التي تُتهادى : والنعمة الشاملة للخلق جميعاً وفرداً ، ما من الله به من ظهور مولانا وسيدنا الإمام فلان ، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين ، يوم كذا غرة شهر رمضان من سنة كذا ، إعلاماً بأول الشهر وافتتاحه ، وأن الصيام الأول من فخره الأول قبل تنفيس صباحه ، وتوجهه إلى ظاهر المعزية القاهرة المحروسة في عساكره المظفرة وجنوده ، وأوليائه وأنصاره وعبديه ، والمِنَّة برؤيته قد تساوى فيها الكافه ، وملائكة الله مطيفة حافه ، وعوده إلى قصوره الزاهرة ، وقد شمل المستظلين بأفيائه بسعادتي الدنيا والآخرة .

أصدر إليك هذا الأمر لتقف على الجملة ، وتشكر النعمة السابغة على أهل الله ، وتتلوها على أهل عمك ، وتطالع بكائيك في ذلك ، فأعلم هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى .

الثالث - الكتابةُ بالبشارة بالسلامة في ركوب الجمعة الأولى من شهر رمضان .

وهذه نسخة كتاب من ذلك ، من إنشاء ابن الصيرفي أيضاً ، وهي :

أفضل ما سِرَّ ذِكْرُهُ ، ووجب حمدُ الله تعالى عليه وشُكْرُهُ ، ما عادَ على الشريعة بالجمال
والبهجة ، وأضحى وأصفه صحيح المقال صادق اللهجة ، فضاغف حسنة ومحص
سيئه ، وجعل أسباب السعادة متسهلةً متهيئةً ، وذلك ما يسره الله تعالى من استقلال
ركاب سيدنا ومولانا صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين ، يوم
الجمعة من شهر رمضان من سنة كذا : مؤذياً خطبتها وصلاتها ، وضامناً لأمة أئمتت به
خلاصها يوم الفزع الأكبر ونجاتها ، في وقار النبوة وسكينة الرسالة ، والهيبة المستولية
على العظمة والجلاله ، والعساكر الجمة التي تفلق بمهابتها وترعج ، وتظن لكثرتها
واقفةً والركاب يهملج ، ولما انتهى إليه ، خطب ووعظ ففتح أبواب التوبة ،
وآب إلى الطاعات من لم يطمع منه بالأوبة ، وصلى صلاةً تقبلها جل وعز بقبول
حسن ، وقصر في وصفها ذوو الفصاحة واللسن ، وعاد إلى مستقر الخلافه ، ومثوى
الرحمة والرافه ، وعين الله له ملاحظه ، وملائكته له حافظه . أعلمت ذلك لتذيعه
في أهل عملك ، وتطالع بكائنك .

الرابع - المكتبة بالبشارة بالسلامة في ركوب الجمعة الثانية من شهر رمضان .

قد تقدم في الكلام على ترتيب المملكة بالديار المصرية في الدولة الفاطمية ،
في المقالة الثانية : أن الخليفة كان يركب في الجمعة الثانية من شهر رمضان إلى الجامع
الأنور ، وهو جامع باب البحر ، الذي عمره الحاكم بأمر الله ، وجدده الصاحب
شمس الدين المقيس .

وهذه نسخة كتاب في المعنى ، من إنشاء ابن الصيرفي أيضاً ، وهي :

لم يزل غامر كرم الله وفضله ، يفوق حاضره ما كان من قبله ، فنعمة الله تعالى
سابقه ، ومننه متتابعه ، وملابسها ضافية ، ومفارسها نامية ، وسخائبها هامية ، وهو جل

وعَزَّ يَضَاعِفُهَا عَلَى مَنْ صَلَّى وَصَامَ، وَيُوَالِيهَا عِنْدَ مَنْ تَمَسَّكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لَا أَنْفِصَالَ لَهَا وَلَا أَنْفِصَامَ؛ وَتَجَدَّدُ مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ بُرُوزِ مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا الْإِمَامِ فَلَانَ: صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آبَائِهِ الطَّاهِرِينَ، وَأَبْنَائِهِ الْأَكْرَمِينَ؛ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ كَذَا: فِي شَاخِ عِزِّهِ، وَبَادِيحِ مَجْدِهِ؛ وَتَوَجُّهِهِ إِلَى الْجَامِعِ الْأَنْوَرِ الْمُنْسُوبِ إِلَى مَوْلَانَا الْإِمَامِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ جَدِّهِ؛ سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَصَلَوَاتُهُ، وَبَرَكَاتُهُ وَتَحِيَّاتُهُ؛ وَعَسَا كَرِهَ قَدْ تَجَاوَزَتِ الْحَدَّ، وَكَثُرَتْ عَنِ الْإِحْصَاءِ وَالْعَدِّ، فَإِذَا تَأَمَّلَهَا الطَّرْفُ أَنْقَلَبَ عَنْهَا خَاسِئًا وَأَرْتَدَّ.

وَمَا وَصَلَ إِلَى الْجَامِعِ الْمَذْكُورِ خَطَبَ فَأُورِدَ مِنَ الْقَوْلِ أَحْسَنَهُ، وَوَعِظَ فَأَسْمَعَ مِنَ الْوَعِظِ أَوْضَحَهُ وَأَبَيَّنَهُ؛ وَصَلَّى صَلَاةً جَهْرًا بِالْقِرَاءَةِ فِيهَا وَرَتَّلَهَا، وَعَادَ إِلَى قُصُورِهِ الشَّرِيفَةِ وَقَدْ شَمِلَتْ الْبَرَكَاتُ بَرُؤِيَّتَهُ، وَوُفَّقَ مِنْ عَمَلٍ بِمَوْعِظَتِهِ، وَنَجَّى مَنْ آقَتَدَى بِهِ فِي صَلَاتِهِ، وَأَسْتَوَى عَلَى السَّعْدِ مِنْ جَمِيعِ أَرْجَائِهِ وَجِهَاتِهِ. أَعْلَمْنَاكَ ذَلِكَ لِتَعْرِفَ قَدْرَ النِّعْمَةِ بِهِ، فَأَشْكُرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِمَقْتَضَاهُ، وَأَعْتَمِدَ تَلَاوَةَ هَذَا الْأَمْرِ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ؛ فَأَعْلَمَ ذَلِكَ.

الخامس — المكاتبة بالسَّلامَةِ فِي الرُّكُوبِ فِي الْجُمُعَةِ الثَّلَاثَةِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ .
 قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى تَرْتِيبِ الْمَمْلُوكَةِ فِي الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ أَنَّ الْخَلِيفَةَ كَانَ يَرْكَبُ فِي الْجُمُعَةِ الثَّلَاثَةِ مِنْهُ إِلَى الْجَامِعِ الْعَتِيقِ بِمِصْرَ، فَيَخْطُبُ فِيهِ وَيَعُودُ إِلَى قُصْرِهِ .
 وَهَذِهِ نَسْخَةٌ كِتَابٍ فِي مَعْنَى ذَلِكَ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ الصَّيْرَفِيِّ، وَهِيَ :

(١) مَا تَقَدَّمَ فِي (ج ٣ ص ٥١١) مِنْ هَذَا الْمَطْبُوعِ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ كَانَ يَرْكَبُ فِي الْجُمُعَةِ الثَّلَاثَةِ مِنْ رَمَضَانَ إِلَى الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ، وَأَنَّهُ لَا يَرْكَبُ إِلَى الْجَامِعِ الْعَتِيقِ إِلَّا فِي الْجُمُعَةِ الرَّابِعَةِ، الَّتِي أَهْمَلْنَا رُكُوبَهُ إِلَيْهَا وَحَاصِلَ مَا تَقَدَّمَ أَنَّهُ يَرْكَبُ فِي جَمْعِ رَمَضَانَ مَا عَدَا الْأُولَى .

من عوائد الله - سبحانه - الإحسان إلى عبيده ، وتعويضهم للشكر عليه بموهبه ومزيده ؛ والامتنان بتيسير عصبه . وتعجيل قصيه ، وتقريب بعيده ؛ فهو لا يحلهم من نواجه ، ولا يعفيهم من هواجسه .

ولما أقبل هذا الشهر الشريف كان من عموم بركاته ، وشمول خيراته ؛ أن مولانا وسيدنا الإمام الفلاني صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين ؛ والى فيه بركاته ، وزكى أعمال المؤمنين في استماع آخطابه والائتمام بصلاته ؛ وفي هذا اليوم وهو يوم الجمعة من شهر رمضان ، أعمل ركابه إلى الجامع العتيق بمصر ليُسهم لهذه المدينة من حظي الدنيا والآخرة ، مثل ما أسهمه وعجله لأهل المعزية القاهرة . فكانت هيئته يعجز وصفها كل لسان ، وظهر - عليه السلام - في الردائين : السيف والطيلسان ؛ والجوش قد أنبسطت وانتشرت ، والنفوس قد أبتهجت وأستبشرت ، والألسنة قد عكفت على الدعاء بتخليد ملكه وتوفرت . وعند وصوله خطب فأحسن في الألفاظ والمعاني ، وحذر من تأخير التوبة والتضجيع فيها والتواني ؛ وصلى صلاة شرفها الله وفضلها ، ورضيها تبارك وتعالى وتقبلها ؛ وأنكفا عائدا إلى قصوره ومنازله المعظمة : ضاعف الله له ثوابه وأجره ، وأوجب شكره ورفع ذكره ؛ ويجب أن تعتمد إذاعة ذلك ليبلغ الكافة في الاعتراف بالنعمة فيه ، ويواصلوا شكر الله تعالى عليه ، والمطالعة بما اعتمد فيه .

السادس - ما يكتب بالبشارة بالسلامة في ركوب عيد الفطر .

وقد تقدم في الكلام على ترتيب الدولة الفاطمية في المقالة الثانية : أن الخليفة كان يركب لصلاة عيد الفطر صبيحة العيد ، ويخرج من باب العيد من أبواب

القصر، ويتوجه إلى [المصلى^(١)] فيصلي ويخطب، ثم يعود إلى قصوره، ويكتب بذلك إلى أعمال المملكة، تارة مع خلو الدولة عن وزيره، وتارة مع اشتغالها على وزيره. وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك، مع خلو الدولة عن وزيره، من إنشاء ابن الصيرفي، وهو:

الحمد لله ناشر لوائه في الأقطار، ومعوّض المطيعين من جزائه بلوغ الأوطار، الذي نسخ الإفطار بالصيام ونسخ الصيام بالإفطار، وكلف عباده ما يطيقونه ووعد عليه جزيل أجره، وأسبغ من نعمه ما لا يطمع [في القيام] بواجب حمده عليه وشكره، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الذي أعلن بالإيمان وبأح، وبين المحظور في الشريعة والمباح، وأرشد إلى ما حرّمه الإسلام وحلّله، ومهد سبل الهدى لمن استغواه الشيطان وضلّله، وأوضح مراتب الأوقات ومنازلها، وعرف تفاوت الأيام وتفاضلها، وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي مضت في الله عزّ ماته، وبيّضت وجه الدين الحنيف مواقفه ومقاماته، وعلى الأئمة من ذريتهما الذين تكفّلوا أمر الأمة نصّا، وأمتطّوا على منارها فلم يألوا جهداً ولم يتركوا حرصاً، فال حاضر منهم يوفي على من كان [من] قبليه، وأحزاب الحق فرحون بما آتاهم الله من فضله، وسلم عليهم أجمعين سلاماً لا انقطاع لدوامه، وشرفهم تشريفاً لا انفصام لإبرامه، وأسنى ومجد، وتابع وجدد.

وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك يوم كذا عيد الفطر من سنة كذا: بعد أن وفي الصيام حقه، وحاز أجر من جعل الله على خزائنه رزقه، وبعد أن أفطر بحضرتة الأولياء من آله وأسرته، والمقدّمون من رؤساء دولته، والمتميزون من أوليائه

(١) باض بالأصل، والتصحيح عما تقدّم في هذا المطبوع (ج ٣ ص ٥١٣).

وَشِيعَتِهِ . وكان من نبأ هذا اليوم أن أمير المؤمنين لما أرتقب بروزه من قصوره ،
وتجلى فأشرق الأرض بنوره ، توجه إلى المصلّى قاضياً لسنة العيد ، فكانت نعمة
ظهوره بالنظر [للحاضر] وبالخبر للبعيد ، وأستقل ركابه بالعساكر المنصورة التي أبدت
منظراً مفتناً معجباً ، وجعلت أديم الأرض بالخيّل والرّجل محتجباً ، وذخرت الانتقام
من شقّ العصا ، وتجاوزت في الكثرة عدد الرّمل والحصا ، وزينت الفضاء بهيبتها ،
وروّعت الأعداء بهيبتها ، وجمعت بين الطاعة وشدة البأس ، وأدرعت من التقوى
أمنع جنة وأحصن لباس ، ولم يزل سائراً في السكينة والوقار ، ناظراً للدنيا بعين
الاحتقار ، والثرى بالجباه والشفاة مصافح ملثوم ، فهما سوسومتان به وهو بهما
موسوم ، إلى أن وصل إلى مقر الصلاة ، ومحلّ المناجاة ، فصلّى أتم صلاةٍ وأكملها ،
وأذاها أحسن تاديةٍ وأفضلها ، وأخلص في التكبير والتهليل إخلاص من لم يفت
أمراً ويخشى الله ويتقيه ونصح في إرشاده ووعظه ، وأعرب ببديع معناه وفصيح
لفظه ، وعاد إلى مثوى كرامته ، وفلك إمامته ، محمود المقام ، مشمولاً بالتوفيق
في النقص والإبرام . أعلمك أمير المؤمنين ذلك لتذيعه فيمن قبلك ، وتشكروا الله
على النعمة الشاملة لهم ولك ، فأعلم هذا وأعمل به ، إن شاء الله تعالى . وكتب
في اليوم المذكور .



وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك ، والدولة مشتملة على وزير ، عن الحافظ
لدين الله العلوي خليفة الديار المصرية ، في سنة إحدى وثلاثين وخمسة ، وهي :
الحمد لله الذي أعز الإسلام وشيّد مناره ، وأيد أوليائه ونصر أنصاره ، وأظهر
في مواسمه قوته وأستظهاره ، وختم الشرائع بشرف أيدى فكان حظها منه إيثاره ،

وَحَظُّ الْإِسْلَامِ أَسْتَبْدَادَهُ بِهِ وَأَسْتِثَارَهُ ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى جَدِّنا مُحَمَّدٍ الَّذِي كَرَّمَهُ بِأَصْطِفَائِهِ ، وَأَسْعَدَ مِنْ حَافِظٍ عَلَى اتِّبَاعِ نَهْجِهِ وَأَقْتِفَائِهِ ؛ وَبَيْنَ بَشْرَعِهِ مَا حَلَّلَهُ وَحَرَّمَهُ ، وَدَعَا الْأُمَّةَ بِإِرْسَالِهِ إِلَى دِينٍ قِيمٍ أَعْلَى بِنَاءِهِ وَأَحْكَمَهُ ؛ وَوَعَدَهُمْ عَلَى مَفْرُوضِهِ وَمَسْنُونِهِ بِجَزِيلِ الْأَجْرِ ، وَأَمَرَ فِي أَعْتِقَادِ خِلافِهِ بِالذَّفْعِ وَالْمَنْعِ وَالزُّجْرِ ؛ وَعَلَى أُخِيهِ وَأَبْنِ عَمِّهِ أَبِينَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَوَّلِ الْأَئِمَّةِ الْخُلَفَاءِ ، وَالْمُسْتَهْرَةِ فِضَائِلِهِ أَشْتَهَارًا لَيْسَ بِهِ مِنْ خَفَاءٍ ؛ وَمَنْ حَبَاهُ اللهُ الْمَحَلَّ الرَّفِيعَ وَالْمَنْ الْجَزِيلَ ، وَخَصَّهُ مِنَ الشَّرَفِ بِمَا جَاءَ فِيهِ مِنْ مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ ؛ وَعَلَى الْأَئِمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتَيْهِمَا الْقَائِمِينَ بِفَرْضِ اللهِ وَالْمُؤَدِّينَ لِحُقُوقِهِ ، وَالَّذِينَ كَفَلَتْ أَمَانَتَهُمْ بِانْبِطَاطِ نُورِ الْحَقِّ وَأَنْتِشَارِ لُؤائِهِ وَخُفُوقِهِ ؛ وَسَلَّمَ وَكَرَّمَ ، وَجَدَّ وَعَظَّمَ .

وَكاب أمير المؤمنين إليك يوم كذا عيد الفِطْرِ من سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ، الَّذِي أَمَرَ اللهُ فِيهِ بِمَا نَهَى عَنْهُ مِنْ قَبْلِهِ ، وَضَاعَفَ الْأَجْرَ بِكَرَمِهِ وَفَضَّلَهُ ؛ فَرَفَعَ تَكاليفَ الصَّوْمِ ، وَأَوْجَبَ الْإِفْطَارَ فِي هَذَا الْيَوْمِ ؛ وَسَاوَى فِي ذَلِكَ [بَيْنَ] كُلِّ مُتَّهِمٍ وَمُنْجِدٍ ، وَأَمَرَ بَنِي آدَمَ فِيهِ بِأَخْذِ الزَّيْنَةِ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ؛ وَكَانَ مِنْ خَبَرِهِ أَنَّ الْفَجْرَ لَمَّا طَلَعَ مُبَشِّرًا بِالشَّمْسِ ، وَمُؤَذِّنًا بِبَعْثِهَا مِنَ الرَّمْسِ ؛ تَتَابَعَتِ الْجُيُوشُ الْمَوْفُورَةُ ، وَالْعَسَاكِرُ الْمَنْصُورَةُ ؛ إِلَى أَبْوَابِ الْقُصُورِ الزَاهِرَةِ تَوَكَّفًا لِأَنْوَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَرَقُّبًا لِظُهُورِهِ قَاضِيًا حَقَّ الدِّينِ ؛ فَلَمَّا أَسْفَرَ الصُّبْحُ وَأَضَاءَ ، وَمَلَأَتِ الْخَلَائِقُ الْفَضَاءَ ؛ تَجَلَّى مِنْ أَفْلاكِ إِمَامَتِهِ ، وَبَرَزَ فَأَغْبَطَ كُلَّ مُؤْمِنٍ بِبَنَاتِهِ عَلَى الْمَشَايِعَةِ وَإِقَامَتِهِ ؛ وَكَانَ ظَاهِرًا وَهُوَ مُحْتَجِبٌ بِالْأَنْوَارِ ، وَمُتَمَنِّعًا وَهُوَ مُتَهَبٌ بِالْأَبْصَارِ ؛ وَالْكَافَّةُ يُصَاحِفُونَ الْأَرْضَ وَيَجْتَهِدُونَ فِي الدِّعَاءِ بِإِخْلَاصِ نِيَّاتِهِمْ ، وَالْعَسَاكِرُ الْمُؤَيَّدَةُ لَوْ أَنَّهَا عَمَّتِ الْأَرْضَ بِتَطْيِيقِهَا ، وَسَاوَتْ بَيْنَ قَرِيبِهَا وَسَحِيقِهَا ؛ وَصَارَتْ كَالْجِبَالِ الرَّوَّاسِي فِيهَا ، لَكَانَتْ قَدْ تَزَلْزَلَتْ وَمَادَتْ بِأَهْلِهَا ، وَهِيَ مَعَ تَبَايُنِ أَجْنَاسِهَا وَطَوَائِفِهَا مُتَظَايِرَةٌ عَلَى مُعَانِدِي

الدولة ومخالفها، متلازمة على الولاء، متمالئة على الأعداء، نتلفت إلى المجاهدة كأنها
 الأسود إقداماً وبأساً، وكأتمما فصلت جوامد الغدران سلاحاً لها وليأساً، والسيد
 الأجل الأفضل التي عظمت به المواهب وجلت، وذهبت بوزارته الغياهب
 وتجلت، وتهلل بنظره وجه الملة وكان عابساً، وأعاد الدولة معصراً وقد كانت قبله
 عابساً، وحسنت الدنيا بأيامه إذ ليس فيها من يضاھيه، وانتظمت أمورها على
 الإرادة بصدورها عن أوامره ونواھيه، ترتب المواكب بمهابتة، ويستغنى بتوغلها
 في القلوب عن إيمائه وإشارته، وكل طائفة مقبلة على شأنها، لازمة لمكانها،
 متصرفة على تهذيبه وتقريره، عاملة بأدابه: فوقوفها بوقوفه ومسيرها بمسيره .

وتوجه أمير المؤمنين إلى المصلى مخفواً بأنوار تجلى ما أنشأته سنائك الخيل، وتمحو
 آية تقع مشارها مقام ظلام الليل، وعليه من وقار الإمامة، وسكينة الخلافة،
 ما خصه الله تعالى به دون البرية وحده، لأنه مما ورث أمية رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وآله وجده، ولما انتهى إليه قصد [المحراب] وأمه، وأدى الصلاة^(١)
 أكمل أداء وأتمه، ثم انتهى إلى المنبر فعلاه، ومجدد الله تعالى وحده على ما أولاه،
 ووعظ وعظاً خوفاً عاقبة المعاصي والذنوب، وحل وكاء العيون ودأوى مرض
 القلوب، وأمر بسلك سبيل الطاعات وأفعال البر، وحث على التوفر عليها في الجهر
 والسر، وعاد إلى قصوره المكرمه، ومواطنه المقدسه، وقد بذل في نصحه لله ولرسوله
 وللمؤمنين جهده، وفعل في الإرشاد والهداية مالا غاية بعده .

(١) كذا بالأصل .

(٢) بياض بالأصل، والتصحيح من المقام .

(٣) في الأصل «إلى المحراب فصلاه» ولا معنى لها .

أنبأك أمير المؤمنين خبر هذا اليوم لتشكر الله على النعمة فيه ، وتُدعيه قبلك على
الرسم فيما يُجاريه ، فأعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى .

السابع - ما يكتب بالبشارة بالسلامة في ركوب عيد النحر .

قد تقدم في الكلام على ترتيب دولة الفاطميين في المقالة الثانية أن الخليفة كان
يركب لصلاة عيد النحر كما يركب لصلاة عيد الفطر، تارة مع آسئمال الدولة على
وزير، وتارة مع عدم آسئمالها على وزير .

وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك ، من إنشاء ابن الصيرفي ، وهي :

أما بعد ، فالحمد لله الذي أعلى منار المله ، وشرف مواسم أهل القبلة ، وكفل
أمير المؤمنين أمر الأيام ، كما كفله أمر الأنام ، فرأى الناس من حسن سيرته أيقاظًا
ملايرونه مجازا في المنام ، وصلى الله على جدنا محمد نبيه الذي أرسله إلى الناس كافة ،
وجعل العصمة مُحيطَةً به حافه ، فأطلع في ظلام الشرك شمس التوحيد وبدره ،
وآمن به من شرح الله للإسلام صدره ، وعصاه من تمرد فأثقل الوزر ظهره ، وبين
عبادات كرم أجرها وعظم ثوابها ، وألزم طاعات جعل الجنة للعاملين بها مفتحة
أبوابها ، وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مظاهرة ومظاهرة ،
والمساوي في حكمه بين باطنه وظاهره ، ولم يزل حاملاً على المحجة البيضاء جاعلاً ذلك
من قربه وذخائره ، قائماً بحقوق الله جاهداً في تعظيم حرمة وشعائره ، وعلى الأئمة
من ذريتهما نجوم الأرض وهداة أهلها ، والواجبة طاعتهم على من في وعمرها
وسهلها ، والذابين بالمشرفية عن حمى الشريعة ، والذين متابعتهم من أوجه ذريعه .

وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك يوم كنا عيد النحر سنة كذا وكذا : وهو يوم

أظهر الله فيه قوة الدولة وأقذارها ، وأوجب فيه - رغبة ورهبة - مسارعة النفوس

المخالفة إلى الطاعة وأبتدأها ؛ وذلك أن عساكر أمير المؤمنين توجهت إلى قُصُورهِ
الزاهرة عند انفجار الفجر، وسافقت على ما تُحْرِزُهُ من كريم الثوابِ وجريل الأجر؛
وَأَسْتَزَلَّتِ الرَّحْمَةَ بِرُؤْيَةِ إِمَامِ الْأُمَّةِ ، وَأَعَدَّتِ الْإِخْلَاصَ فِي خِدْمَتِهِ مِنْ أَوْفَى الْحُرْمَاتِ
وَأَقْوَى الْأَذِمَّةِ ؛ وَأَقَامَتْ إِلَى أَنْ بَرَزَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَنْوَارُ السَّاطِعَةُ طَوَالِعَهُ ، وَمَهَابَتُهُ
تَمْنَعُ كُلَّ طَرْفٍ مِنْ اسْتِقْصَاءِ تَأْمَلِهِ وَتُدَافِعُهُ ؛ وَقَصَدَ الْمُصَلِّي فِي كِتَابِ لِحَبِّهِ ،
وَمَوَازِيبَ لِلتَّعْظِيمِ مُسْتَوْجِبِهِ ؛ وَعِزَّةَ نَتَبِينَ فِي الشَّمَائِلِ وَالصَّفَحَاتِ ، وَقُوَّةَ يَشْهَدُ
بِطِيبِ وَصْفِهَا أَرْجُ النَّفَحَاتِ ؛ قَدِ غَدَّتْ عُدُّهَا مُحْكَمَةً ؛ وَخِيُولَهَا مُطَهَّمَةً ؛ وَذَوَابِنُهَا
إِذَا ظَمِئَتْ كَانَتْ مُقَوِّمَةً ، وَإِذَا رَوِيَتْ عَادَتْ مُحَطَّمَةً ؛ تَتَقَلَّدُ صَفَائِحَ مَتَى أَنْتَضَيْتْ
أَنْصَفَتْ مِنَ الْجَائِرِ الْحَائِفِ ، وَمَتَى أَنْتَضَيْتْ عَمَلًا كَانَ أَقْتَضَابُهَا مَبِيضًا لِلصَّحَائِفِ ؛
وَفِي ظِلِّهَا مَعَاوِلٌ لِلْأَنْدِينَ ، وَبِحَدِّهَا مَصَارِعُ لِلنَّابِذِينَ ؛ وَهِيَ لِلدَّمَاءِ هَوَارِقُ ، وَلِلْهَامَاتِ
فَوَالِقُ ، وَلِمُسْتَعْلَقِ الْبِلَادِ مَفَاتِحُ وَلِمُسْتَفْتَحِهَا مَغَالِقُ .

ولما انتهى إلى المصلي قضي الصلاة أحسن قضاءً وأذاها أفضل تأديه ، وأستزل
رحمةً لم تزل بصلاته مُتَمَادِيَةً ؛ وَأَتَتْهُ إِلَى الْمِنْبَرِ فَرَقِيَهُ ، وَخَطَبَ خُطْبَةً مِنْ اسْتَخْلَفَهُ
اللَّهُ فَكَانَ مُرَاقِبَهُ وَمُتَّقِيَهُ ؛ وَوَعَّظَ أَلْبَغَ وَعَظَ ، وَأَبَانَ عَمَّا لِلْعَامِلِ بِنُصْحِهِ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ مِنْ فَائِدَةٍ وَحَظٍّ . وَعَظَفَ عَلَى الْأَضَاحِي الْمُعَدَّةِ لَهُ فَنَحَرَهَا جَرِيًا فِي الطَّاعَاتِ
عَلَى فِعْلِهَا الْمُتَهَادِي ، وَأَضْحَتْ نَتَوَقَّعُ التَّكْمِيلَ بِإِنجَازِهِ وَعِيدَهُ فِي الْأَعَادِي ؛ فَاللَّهُ يَقْضِي
بِتَصَدِيقِهِ ، وَيَمُنُّ بِتَخْيَلِهِ وَتَحْقِيقِهِ ؛ وَعَادَ إِلَى قُصُورِ الْمَكْرَمَةِ مُشْكُورًا سَعِيَهُ ، مَضْمُونًا
نَفْعَهُ ؛ مَرْضِيًا فِعْلَهُ ، مَشْمُولًا عِيدَهُ مِنْهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ . أَعْلَمُكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ
فَاعْلَمْ هَذَا وَاعْمَلْ بِهِ . وَكُتِبَ فِي الْيَوْمِ الْمَذْكُورِ .



وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك ، والدولة مشتملة على وزير ، من إنشاء ابن قادوس ، وهي :

أما بعد ، فالحمد لله ماحي دنس الآثام بالحج إلى بيته الحرام ، وموجب الفوز في المعاد لمن عمل بمرشد أئمة الهدى الكرام ؛ ومضاعف الثواب لمن اجتهد فيما أمر الله به من التلبية والإحرام ، ومحوّل الغفران لمن كان بفرائض الحج ونوافله شديد الولوع والغرام ؛ وصلى الله على جدنا محمد الذي لبى وأحرم ، وبين ما أحل الله وحرم ؛ وعلى أخيه أئمة المؤمنين على بن أبي طالب الذي ضرب وكبر ، وحقر من طغى وتجبّر ؛ وعلى الأئمة من ذريتهما أعلام الدين ، وحُوف المعتدين ؛ وسلم وكرم ، وشرف وعظم .

وإن من الأيام التي كُلت محاسنها وجمت ، وكثرت فضائلها وجمت ؛ ووجب تخليد عزم صفاتها ، وتعيين تسطير تأثيراتها ؛ يوم عيد النحر من سنة كذا : وكان من قصصه أن الفجر لما سل حسامه ، وأبدى الصباح ابتسامه ؛ نهض عيد الدولة في جموع الأولياء والأنصار ، وأولى العزيمة والاستبصار ؛ ميممين القصور الزاهرة متبركين بأفئيتها ، ومستملين بسعادتها ؛ وتألّفوا صفواً تبهر النواظر ، ويحجل تألفها تألف زهر الرّوض الناضر ؛ مستصححين فنونا من الأزياء تروق ، ومستتبعين أصنافاً من الأسلحة يغض لمعها من لمع اللهب والبروق ؛ والأعلام خافقه ، والرايات بالسنة النصر ، على الإخلاص لإمام العصر ، متوافقه ؛ فأقاموا على تشويف لظهوره ، وتطلع للتبرك بلامع نوره .

ولما بزغت شمس سعادته، وجرت الأمور على إيثاره وإرادته؛ وبدت أنوار الإمامة الجلية، وظهرت طلعتها المعظمة البهية؛ نحر الأنام سجوداً بالدعاء والتمجيد، والاعتراف بأنهم العبيد بنو العبيد؛ وأستقل ركاب أمير المؤمنين، ووزيره السيد الأجل الذي قام بنصر الله في إنجاد أوليائه، وتكفل للإسلام برفع مناره ونشر لوائه؛ وناضل عن حوزة الدين وجاهد، وناصل أحزاب الكفار وناهد؛ يقوم بأحكام الوزارة، وتدير الدولة تدير أولى الإخلاص والطهارة؛ ويتبع آراء أمير المؤمنين فيما تنفذ به أوامره، ويعمل بأحكام الصواب فيما تقتضيه موارده ومصادره؛ ويحسن السياسة والتدبير، ويتونخى الإصابة في كل صغير من أمور الدولة العلوية وكبير؛ ويخلص لله جل وعز وإمامه، ويكفكف من الأعداء ببذل الجهد في أعمال لهدمه وحسامه؛ وسار أمير المؤمنين والعساكر متتابعة في أثره، متوافقة على أمثال أمره؛ قد رفعت السنايك من العجاج سخاباً، وخيلت جن الجنود للناظرين في البرعباباً؛ والحياد المسومة تروج في أعنتها، وتختال في مراكبها وأجلتها؛ وتسرخ فتكسب الرياح نشاطاً، وتفيد المتعرض لوصفها إفراطاً، وتهدي لمن يحاول مماثلتها غلواً وأشتطاطاً؛ وأصوات مرتفعة بالتهليل، وأصوات الحديد تسمع بشائر النصر بترجمة الصليل؛ ويكاد يرعب الأرض تزلزل الصهيل، وترض سنابكها الهضاب وتغدو صلابها كالكتيب المهيل.

ولما انتهى ركاب أمير المؤمنين إلى المصلى والتوفيق يكتنفه، والسعادة تصرفه؛ قصد المحراب فأقام الصلاة، ونحا المنبر فشرفه إذ علاه؛ وأدى الصلاة على أكمل الأوضاع وأتمها، وأجمع [الأحوال] لمرضى الله وأعمها؛ وأنشئ للبدن المعدة فتحر ما حضر تقرُّ بالخالق، وأجرى القانون على حقائقه؛ وعاد إلى قصوره الزاهرة وقد غفر الله بسعيه الذنوب، وطهر برؤيته القلوب، وبلغ الأمم من المرشد نهاية المطلوب.

أعلمك أمير المؤمنين نبأ هذا اليوم الذي تشتمل المسار على جميعه أولاً وآخرًا ،
وباطناً وظاهراً ؛ لتذيع نبأه في عمل ولآيتك ، وتُشيع خبره في الرعايا على جارِي
عادتك ؛ فاعلم هذا وأعمل به ، وطالع مجلس النظر السيدى الأجلى بما أعمدته
في ذلك ، إن شاء الله تعالى . وكتب في اليوم المذكور .

قلت : وهذا الصنف من المكاتب قد رُفِضَ وتُركَ استعماله بديوان الإنشاء
في زماننا .

الصنف السادس عشر

(المكاتبه بالبشارة بوفاء النيل والبشارة بالسلامة في الركوب لفتح الخليج)

وهذه المكاتبه من خصائص الديار المصرية ، لا يشاركها فيها غيرها من الممالك .
ولم يزل السامعون بالأمر بالديار المصرية من قديم الزمان وهلمَّ جرأ يكتبون بالبشارة
بذلك إلى أولاد الأعمال ، اهتماماً بشأن النيل ، وإظهاراً للسُرور بوفائه ، الذى يترتب
عليه الخصب الذى هو البهارة وقوام المملكة ، وانتظام أمر الرعية . وقد كان للخلفاء
الفاطميين القائمين بأمر الديار المصرية بذلك كبير العناية ووافر الاهتمام ؛ وكانت
عادتهم في ذلك أنهم يكتبون بالبشارة بوفاء النيل كتباً مفردة ، وفتح الخليج
وهو المعبر عنه في زماننا بالكسر كتباً مفردة . ولعلَّ فتح الخليج كان يتراخى في زمنهم
عن يوم الوفاء ، فيفردون كل واحد منهما بكتب .

فأما وفاء النيل المبارك فهذه نسخة كتاب بالبشارة به في الأيام الفاطمية ،
من إنشاء ابن قادوس ، وهى :

النعم وإن كانت شاملة للأمم ، فإنها متفاضلة الأقدار والقيم ؛ فأولها بشكر تُنشر
في الآفاق أعلامه ، وأعتدَادِ تحمُّمِ بإدراك الغايات أحكامه ؛ نعمة يشترك في النفع بها

العباد، وتبذرو بركتها على الناطق والصامت الجماد، وتلك النعمة النيل المصرى الذى تبرز به الأرض الجرز فى أحسن الملابس، وتظهر حُلل الرِّياض على القيعان والبساس، وتُرى الكُنوز ظاهرة للعيان، مُتبرجةً بالجواهر واللَّجَيْنِ والعِقيان، فسُبْحان من جعله سبباً لإنشار الموات، وتعالى من ضاعف به ضروب البركات، ووفّر به موادَّ الأرزاق والأقوات، وهذا الأمر صادرٌ إلى الأمير، وقد منَّ الله جلَّ وعلا بوفاء النيل المبارك، وخُلع على القاضي فلان بن أبى الرِّدادى يوم كذا وكذا، وطاف بالخِلع والتشريفات، والمواهب المضاعفات، بالقاهرة المحروسة ومصر على جارى عادته، وقديم سيرته، ونودى على الماء بوفائه ستة عشر ذراعا وإصبعا من سبعة عشر ذراعا، وأستبشر بالنعمة بذلك الخلاق، وواصلوا بالشكر مواصلةً لا تستوقفهم عنها العوائق، وبدأ من مسرات الأمم وأبتهاجهم ما يضمن لهم من الله المزيد، ويُنيلهم المنال السعيد، ويقضى لهم بالمآل الحميد. وموصل هذا الأمر إليك فلان، فاعتمد عند وصوله إليك إكرامه وإعزازة، وإجمال تلقّيه وإفضاله، إلى ما جرت به عادة مثله من رجاء، وتثويه وأحتفاء، وإكرام وأعتناء، ليعود شاكرا. فاعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى.

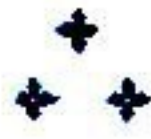


وهذه نسخة أخرى من ذلك، من إنشاء ابن الصيرفى، وهى :

أولى ما تحدّث به ناقله ورأويه، وتعجّل المسرة به حاضره ورأيه، ما كانت الفائدة به شائعة لا تحيز، والنعمة به دائمة لا تخصّص أحد بسمولها ولا يميز، إذ كان علة لتكاثر الأقوات، وبها يكون التماثل فى البقاء والتساوى فى الحيات، وذلك ما منَّ الله تعالى به من وفاء النيل المبارك : فإنه انتهى فى يوم كذا من سنة كذا، إلى ستة عشر ذراعا وزاد إصبعا من سبعة عشر ذراعا، وقد سيرنا أيها الأمير فلانا

بهذه البُشرى إليك ، وخصصناه بانورود بها عليك ؛ فتلقها من الشكر بمستوجبها ،
 واستقبلها من الأبتهاج والأغباط بما يليق بها ؛ وأجعل الرسوم التي جرت العادة
 بتوظيفها لفلان بن أبي الرِّدَادِ مَحْمُولَةً من جهتك إلى حَضْرَتِنَا ، لتولى إليه من جِهَتِنَا ؛
 فاعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى ، وكتب في اليوم المذكور .

وهذا الصَّنْف من المكاتبات مُتَدَاوِلٌ بالديارِ المِصْرِيَّةِ إلى آخر وقت ، يُكْتَبُ به
 في كُلِّ سنة عن الأبواب السلطانية إلى نُوَابِ السُّلْطَنَةِ بالممالك الشامية عند وفاء
 النيل ، وتسير به البريديَّة ؛ ورُبَّمَا جِي لِلْبَرِيدِيِّ من الممالك شيءٌ بسبب ذلك ؛
 وإذا كانت الدَّوْلَةُ عادلةً صُحِّنَ الكِتَابُ أنه لا يُجْبَى لِلْبَرِيدِيِّ شيءٌ بسبب ذلك .



وهذه نسخةٌ مثاليَّةٌ شريفةٌ في معنى ذلك .

ولا زال يُروى عنه وإليه حَدِيثُ الوَفَاءِ والنَّدَا ، ويُوردُ على سَمْعِهِ الكَرِيمِ نَبَأُ
 الخِصْبِ الذي صَفَا مَوْرِدًا ؛ وَيُهَيِّئُ بِكُلِّ نِعْمَةٍ تَكْفَلْتُ للرعايا بمضاعفة الجودِ
 ومُرادفة الجَدَا ، وَيُخَصُّ بِكُلِّ مِنَّةٍ عَمَّتْ مواهبها الأنامَ فلن تنسى أحداً .

صَدَرَتْ هذه المِكاتِبَةُ إلى الجنابِ العَاليِّ : وَبِحُرِّ كَرَمِهَا لا يَنْتَهِي إلى مَدَى ،
 وَيُشْرِبُ بِشْرَاهَا دائِمًا أَبَدًا ؛ تُهْدِي إليه سلامًا مُؤَكَّدًا ، وَشَاءَ أَضْحَى به الشُّكْرُ مُرَدَّدًا ؛
 وَتَوْصَحُ لِعَلْمِهِ الكَرِيمِ أن الله تعالى قد أجرى على جميلِ عاداته ، وأراد بالأمة من الخيرِ
 ما هو المألوف من إراداته ؛ وَمَنَعَ مَزِيدَ النِّعَمِ التي لم تَزَلْ تُعْهَدُ من زياداته ؛ فاسدى
 معروفه المعروف إلى خلقه ، وأيدهم بما يكون سبباً لمادة عَطَائِهِ ورِزْقِهِ ؛ فبَلَّغَهُمْ
 تَأْمِيلَهُمْ ، وأجرى نَيْلَهُمْ ؛ وزادهم بَسْطَةً في الأرض ، وملاً به المَلَأَ وطَبَّقَ به البلادَ
 طُولَهَا والعَرَضَ ؛ وَنَشَرَ على الخَافِقِينَ لَوَاءَ خَصْبِهِ ، وَأَتَى بعَسْكَرِيَّةٍ لِقَتْلِ المَحِلِّ

وجذبه ، وبينما هو في القاع إذ بلغ بأذن ربه ، فجعل من الذهب لباسه ، وعطّر
بالسّذا أنفاسه ، ولم يترك خلال قطر إلا جاءه بخاسه ، ونصّ السير فسير نصّ مجيئه
في الأرض لما صحّح بالوفاء قياسه ، وغازلته الشمس فكسته حمره أصيلها لما غدت
له بمشاهدتها ماسه ، ولم يكن في هذا العام إلا بمقدار ما قيل : أقبل إذ قيل : وفي ،
ومد في الزيادة باعاً وبسط ذراعاً ، وأطلق بمواهب أصابعه كفاً ، وعاجل إدراك الهرم
في ابتداء أمره مطال شبابه ، ومرّ على الأرض فحلا في الأفواه لما ساغ شكر سائغ
شرايه ، وأعتمد على نصّ الكتاب العزيز فكاد أن يدخل كلّ بيت من بابه .

ولما كان يوم كذا من شهر كذا الموافق لكذا من شهور القبط بادرت إلى الوفاء
شيمه ، وأغنت أمواجه عن منة السحب فدمت عندها ديمه ، وزار البلاد منه أجل
ضيف فرشت له صفحة خدّها للقرى فعمها كرمه ، وبلغ من الأذرع ستة عشر ذراعاً
ورفع لواءه بالمزيد ونشر ، وجاء للبشر بأنواع البشر ، فرسمنا بتعليق ستر مقياسه ،
وتخليقه وتضويع أنفاسه ، وفي صبيحة اليوم المذكور كسر سدّ خليجه على العاده ،
وبلغ الانام أقصى الإراده ، وتباشر بذلك العام والخاص ، وأعلنت الألسنة بحمد
ربّها بالإخلاص ، وسطّرها وهو بفضل الله ورحمته متتابع المزيد ، بسيط بحره
المديد ، متجدد النمو في كلّ يوم من أيام الزيادة جديد . فالجناب العالی يأخذ من
هذه البشري بأوفر نصيب ، ويشكر نعمة الله على ما منح - إن شاء الله - هذا العام
الخصيب ، ويذيع لها خبراً وذكراً ، ويضوع بطى هنائها نشراً ، ويتقدم بأن لا يجي
عن ذلك بشارة بالجملة الكافية ، لتغدو المنّة تامة والمسرة وافية ، وقد جهزنا بهذه
المكاتبة فلانا ، وكتبنا على يده أمثلة شريفة إلى نواب القلاع الفلانية [جراً] على
العادة ، فيتقدم بتجهيزه بذلك على عادة همته ، فيحيط علمه بذلك .

(١) يياض بالأصل مقدار كلمة والتصحيح يقتضيه المقام .



وهذه نسخة أخرى في معنى ذلك، كُتِبَ بها في سابع عشر ذى القعدة سنة ست وستين وسبعمائة، وصورتها بعد الصدر :

وَبَشَّرَهُ بِأَخْصَابِ عَامٍ ، وَأَخْصَصَ مَسْرَّةَ هَنَاؤُهَا لِلْوُجُودِ عَامٍ ، وَأَكْمَلَ نِعْمَةً تُقَابِلُ
العام من عيون الأرض بمزيد الإنعام .

صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب العالي تُهْدِي إليه أتمَّ سَلامٍ ، وأعمَّ شَفاءٍ تامٍ ؛
وتُوَضِّحُ لِعَلَمِهِ الكَرِيمِ : أن الله تعالى - وله الحمد - قد جرى في أمر النيل المبارك على
عوائد الطَّافِهِ ، وَمَنَعَ عِبَادَهُ وَبِلَادَهُ مِنْ مَدِيدِ نِعْمِهِ مَزِيدٍ إِسْعَافِهِ ؛ وَأُورِدَ الآمَالَ
مِنْ جُودِهِ مَنَهَلًا عَذْبًا ، وَمَلَأَهَا بِهِ إِقْبَالَ وَخِصْبًا ؛ وَأَحْيَا بِهِ مِنْ مَوَاتِ الأَرْضِ
فَاهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ ، وَأَنْبَتَتْ كُلَّ بَهِيحٍ وَأَنْجَبَتْ ؛ وَأَيَّنَّتْ الرِّيَاضَ بِفَحْرَتِ فِيهَا الرُّوحِ
وَدَبَّتْ ، وَأَمْتَلَأَتْ الحِياضَ ففاضت بالمِياهِ وَأَنْصَبَتْ ؛ وَطَلَعَ كالبدر في آزدياده ،
وتوالى على مديد الأرض بأمداده ؛ إلى أن بلغ حُدَّهُ ، وَوَصَلَ الفَرَجَ وَمَنَعَ الشَّدَّهَ ؛
وفي يوم كذا من شهر كذا الموافق لكذا وكذا من شهور القبط ؛ وفاء الله ستة عشر
ذراعا فاه فيها بالنجح ، وعم ثراه الأرض فأشرق بعد ليل الجذب بالرَّخاءِ أضواءً صَبِحَ ؛
وفي ذلك اليوم عُلِقَ سِتْرُهُ ، وَخُلِقَ مِقْيَاسُهُ فاشتهر ذِكْرُهُ ، وَكُسِرَ سَدُّهُ ، وتوالى مدُّهُ ،
وَنَجَزَ مِنَ الحِصْبِ وَعُدُّهُ ؛ وَعَلَا التَّرَعَّ والجُرُوفُ ، وَقَطَعَ الطَّرِيقَ فَأَمَّنَ مِنَ الجَدْبِ
المُخُوفِ ؛ وَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الطَّلُقَ المُحْيَا ، وَأَسْبَلَ عَلَى الأَرْضِ لِبَاسَ النِّعَمِ فَبَدَّلَهَا بَعْدَ
الظَّمِّ رِيًّا ؛ فَحَمِدْنَا اللهَ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النِّعَمِ ، وَرَأَيْنَا أَنْ يَكُونَ لِلجَنَابِ العَالِي أَوْفَرُ
نصيب من هذا الهناء الأعم ؛ وآثرنا إعلانه بذلك ؛ ليكون في شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ أكبر
مشارك ؛ فالجناب العالي يأخذ حَظَّهُ مِنْ هَذِهِ البُشْرَى ، وَيَتَحَقَّقُ مَالَهُ عِنْدَنَا مِنْ

المكانة التي خصته في كل مبهجة بالذكري، ويتقدم أمره الكريم بأن لا يجي
عن ذلك حق إشاره، ولا يتعرض إلى أحد بحساره، وقد جهزنا بذلك فلانا .

الصف السابع عشر

(فيما يكتب في الإشارة بركوب الميدان الكبير بخط اللوق)

عند وفاء النيل في كل سنة)

وهو ما يتكرر في كل سنة عند ركوب الميدان . ويكتب به إلى جميع النواب
الأكبر والأصغر، وتجهز إلى أكابر النواب خيول صلبة المثال الشريف، ويرسم
لهم بالركوب في ميادين الممالك للعب الكرة، تأسياً بالسلطان، فيركبون ويلعبون
الكرة . والعادة في مثل ذلك أن تُنشأ نسخة كتاب من ديوان الإنشاء الشريف،
ويكتب بها إلى جميع النيابات، لا يختلف فيها سوى صدرها، بحسب ما يقتضيه
حال ذلك النائب .

وهذه نسخة مثال شريف في معنى ذلك، كتبت به في ذى القعدة سنة ستين
وسبعائة لنائب طرابلس، وصورته بعد الصدر :

ولا زال يُحمَلُ إليه أنباء ما يرد غلته من مضاعفة السرور، وتبث له أقوال المناء
بما يجب عليه من النصر الموفور، ونخصه من إقبالنا الشريف بأكل تكريم
وأنتم حبور .

صدرت هذه المكاتب تهدي إليه من السلام والثناء كذا وكذا، وتوضّع لعلمه الكريم
أنا نتحقق مضاء عزائم حرباً وسلاماً، واعتلاء هممه التي تحرس بها الممالك ونجى،

وَأَنْ صَوَّافِنَهُ تُرْتَبَطُ لُتَرَكَّضُ ، وَتُحْبَسُ لَتَنْهَضُ ؛ فَلذَلِكَ نَعْلَمُهُ مِنْ أَنْبَاءِ اسْتِظْهَارِنَا
 مَا يُبْهِجُ خَاطِرَهُ ، وَيُقِرُّ نَاطِرَهُ ؛ وَهُوَ أَنَّنَا لَمَّا كَانَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ الْمُبَارِكِ خَامِسِ سُؤَالِ ،
 تَوَجَّهَ رِكَابُنَا الشَّرِيفُ إِلَى الْمِيدَانِ السَّعِيدِ وَفَاضَ بِهِ جُودُنَا فَأَخْضَرَتْ مَرُوجُهُ ،
 وَظَهَرَ بِهِ نَيْرِنَا الْأَعْظَمُ فَأَشْرَقَتْ آفَاقُهُ وَتَشَرَّفَتْ بِرُوجِهِ ، وَأَقْرَأَ الْعِيُونَ مَنِيرُوجِهَا
 الْمُبَارِكِ وَبَهِيجُهُ ؛ وَغَدَا كُلُّ وَليٍّ بِمَوَالِيَةِ إِنْعَامِنَا مَشْمُولًا ، وَبِمَنَالَاتِ إِكْرَامِنَا مُوصُولًا ؛
 وَرَكَضَ الْأَوْلِيَاءُ بَيْنَ أَيْدِينَا جِيَادًا أَلْفَتْ نِزَالًا وَعَرَفَتْ طِرَادًا ، وَأَنْعَطَفَتْ لِينًا وَأَنْقِيَادًا ؛
 وَعُدْنَا إِلَى مُسْتَقَرِّ مُلْكِنَا الشَّرِيفِ وَقَدْ جَدَّدَ اللَّهُ تَعَالَى لَنَا إِسْعَادًا ، وَأَيَّدَ لِعَزْمِنَا الْمُعَانِ
 مَبْدَأًا وَمَعَادًا ؛ وَآثَرْنَا إِعْلَامَ الْجَنَابِ الْعَالِي بِهَذِهِ الْوِجْهَةِ الْمِيمُونَةِ . وَالْحَرَكَةُ الَّتِي هِيَ
 بِالْبَرَكَةِ مَقْرُونَةٌ : لِأَخْذِ حَظِّهِ مِنَ السُّرُورِ بِذَلِكَ وَالْهِنَا ، وَيَتَحَقَّقُ مِنْ إِقْبَالِنَا الشَّرِيفِ
 عَلَيْهِ مَا يَبْلُغُ بِهِ الْمُنَى .



وهذه نسخة مثال شريف في المعنى ، كُتِبَ بِهِ فِي الْعَشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ ، سَنَةِ
 أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ . وَصُورَتُهُ بَعْدَ الصَّدْرِ :

وَلَا زَالَتْ مِيَادِينُ سَعْدِهِ لَا تَنْتَاهِي إِلَى مَدْيِ ، وَكُرَّاتُ كَرَاتِهِ فِي رِحَابِ النَّصْرِ تَلْمَعُ
 كَنَجْمِ الْهُدَى ؛ وَمُدَوَّرُ صَوَائِلِهِ كَشَوَاجِرِ الْمُرَانِ تَحْلُو بِتَأْيِيدِهَا لِلْأَوْلِيَاءِ وَتَقْدُو
 مَرِيرَةً لِلْعِدَا .

صَدْرَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَةُ وَظَفَرُهَا لَا يَزَالُ مُؤَيَّدًا ، وَنَصْرُهَا لَا يَبْرَحُ مُؤَيَّدًا ؛ تُهْدَى إِلَيْهِ
 سَلَامًا مُؤَكَّدًا ، وَثَنَاءً كَنَشْرِ الْأَرْضِ بِالنَّدَى ، وَتَوْصِيحَ لَعَلِمِهِ أَنَّنَا لَمْ نَزَلْ بِحَمْدِ اللَّهِ نَتَّبِعُ
 سَنَنَ سَلَفِنَا الشَّرِيفِ ، وَنُجْرِي الْأُمُورَ عَلَى عَوَائِدِ جَمِيلِهِمُ الْمُنِيفِ ؛ وَنَرَى تَمْرِينَ
 الْأَوْلِيَاءِ عَلَى مُمَارَسَةِ الْحُرُوبِ ، وَنُؤَيِّرُ إِبْقَاءَ آثَارِ الْجِهَادِ فِيهِمْ عَلَى أَحْسَنِ أُسْلُوبِ ؛

فلذلك لا نُخَلُّ في كُلِّ عامٍ بالتَّعَاهُدِ إلى المَيْدَانِ السَّعِيدِ، والركوب إليه في أَسْعَدِ طَالِعٍ يُدْئِي النَّصْرَ وَيُعِيدُ : لِمَا في ذلك من آتِهَاجٍ يَتَجَدَّدُ ، وأسبابِ مَسْرَةِ لِكَاْفَةِ الأَنَامِ تَأَكِّدُ ، ودَعَوَاتِ أَلْسِنَتِهَا تَتَضَاعَفُ مِنَ الرِّعْيَةِ وَتَتَرَدَّدُ .

ولما كان في يوم السبت المبارك سادس عشر شهر رَجَبِ الفَرْدِ ، ركبنا إلى المَيْدَانِ السَّعِيدِ في أُمَّمٍ وَقْتٍ أَخَذَ مِنَ السَّعْدِ يَجْمُوعِهِ ، وأظهر في أَفْقِ العِساكَرِ مِنْ وَجْهِهَا الشَّرِيفِ البَارِعِ عِنْدَ طُلُوعِهِ ؛ وَلَمْ نَبْرَحْ يَوْمَنَا المَذْكُورِ فِي عَطَاءٍ نُجِيدِهِ ، وَإِنْعَامِ نُفِيدِهِ ، وإِطْلَاقِ نُبْدِئِهِ وَنُعِيدِهِ ؛ والأولياء بين أَيْدِينَا الشَّرِيفَةِ يَمْرُحُونَ ، وَفِي مِجَارِ كَرْمِنَا المُنِيفِ يَسْبَحُونَ ، وَفِي مَيْدَانِ تَأْيِيدِنَا المُنِيفِ يَسِيحُونَ ؛ وَالكَرَاتُ كَالشَّمْسِ تَجْنَحُ تَارَةً وَتَغِيبُ ، وَتَحْشَى مِنْ وَقْعِ الصَّوَالِجَةِ فَتَقَابِلُهَا بِوَجْهِ مُصَفَّرٍ مُرِيبٍ ؛ ثُمَّ عُدْنَا إِلَى القَلْعَةِ المَنْصُورَةِ عَلَى أُمَّمٍ حَالٍ ، وَأَسْعَدِ طَالِعٍ بَلَغَ الأَنَامَ الأَمَانَ والأَمَالَ ؛ والعساكَرُ بِمُخْدَمَتِنَا الشَّرِيفَةِ مُحَدِّقُونَ ، وَمِمَّا لِكِنَا بِعُقُودِ وَلائِنَّا مُطَوِّقُونَ ؛ والرَّعَايَا قَدْ أَلْبَسَهَا السُّرُورَ أَثْوَابًا ، وَفَتَحَ لَهَا مِنَ الأَبْتِهَاجِ أَبْوَابًا ؛ وَقَدْ آثَرْنَا إِعْلَامَ الجَنَابِ بِذَلِكَ لِأَخَذِ حَظِّهِ مِنْ هَذِهِ المَسْرَةِ والبُشْرَى ، وَيُشْتَرِكُ هُوَ والأَنَامُ فِي هَذِهِ النِّعْمَةِ الكُبْرَى ؛ وَمَرَّسُومُنَا لِلجَنَابِ أَنْ يَتَقَدَّمَ بِالرُّكُوبِ بَيْنَ عِنْدِهِ مِنَ الأَمْرَاءِ فِي مَيْدَانِ طَرَابُلَسِ المَحْرُوسَةِ ، وَيَلْعَبَ بِالكُرَةِ عَلَى جَارِي العَادَةِ فِي ذَلِكَ ؛ لِيَسَاهِمَ أَوْلِيَاءُ دَوْلَتِنَا القَاهِرَةِ فِي ذَلِكَ ، وَيَسْلُكَ مِنْ طُرُقِهِمُ الجَمِيلَةَ أَجْمَلَ المَسَالِكِ .

قلت : وهذا الصَّنْفُ مِنَ المَكَاتِبِ السُّلْطَانِيَةِ لَمْ يَزَلْ مُسْتَعْمَلًا بِدِيوانِ الإِنْشَاءِ ، يُكْتَبُ لَهُ كُلَّمَا رَكِبَ السُّلْطَانُ إِلَى المَيْدَانِ الصَّالِحِي بِنَحْطِ اللُّوقِ ، إِلَى أَنْ عَطَّلَ جِيدَهُ مِنَ الرُّكُوبِ فِي أَوَاخِرِ الدَّوْلَةِ الظَّاهِرِيَّةِ «بَرْقُوقِ» وَأَقْتَصَرَ عَلَى لَعِبِ الكُرَةِ فِي المَيْدَانِ الَّذِي جَرَتْ بِهِ العَادَةُ ؛ فَتَرَكْتَ المَكَاتِبَةَ بِذَلِكَ مِنْ دِيوانِ الإِنْشَاءِ وَرَفِضَ اسْتِعْمَالِهَا .

الصف الثامن عشر

(المكاتبة بالبشارة بحج الخليفة)

لما كانت الأسفار، محل الأخطار؛ وموقع الاختلاف وحدث الفتن؛ كانت الخلفاء يكتبون الكتب إلى عمّاهم بالسلامة عند الإياب من السفر للحج وغيره . والرسم فيها أن يذكر أن الحج من أجل العبادات ، وأن من النعمة [أن يمن] الله تعالى بقضاء المناسك ، والوقوف بالمشعر الحرام ، والطواف بالبيت العتيق ، والسعي بين الصفا والمروة ، وما يجري مجرى ذلك من شعائر الحج ؛ ثم بعد زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأتفاق الكلمة في جميع هذه الأحوال ، على كثرة الخلائق ومزيد الجيوش والعساكر .

وهذه نسخة كتاب بالسلامة من سفر الحج ، وهي :

الحمد لله الذي جعل بيته مثابة للناس وأمناً ، وحرماً من دخله كان آمناً ، الذي اختار دين الإسلام على الأديان ، وأبتعث به صفوته من الإنس والجان ؛ محمداً أكرم بني معد بن عدنان .

يحمده أمير المؤمنين أن أعانه على تادية حقه ، ونصبه لكفالة خلقه ؛ ووقفه للعمل بما يرضيه ويؤدني إليه . ويسأله أن يصلي على خير من غار وأنجد ، وصدرو وورد ؛ وركع وسجد ، ووحّد ومجّد ، وصلى وعبد ؛ وحلّ وأحرم ، وحجّ الحرم ؛ وأتى المستجار والمُلتزم ، والحطيم وزمزم ، محمد سيّد ولد آدم ؛ وعلى أخيه وابن عمّه مصباح الدلالة ، وحجاب الرسالة ؛ إمام الأمة ، وباب الحكمة ؛ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ،

مُمَزَّقِ الكُتَّابِ ، وَمُفَرَّقِ المَوَاقِبِ ، وَمُحَطِّمِ القَوَاضِبِ ، فِي القَلِيلِ وَالْمَنَاقِبِ ، وَعَلَى
الْأُمَّةِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا الهَادِينَ ، صَلَاةً بَاقِيَةً فِي العَالَمِينَ .

وَإِنَّ أَوْلَى النِّعَمِ بَأَن يُسْتَعَذَّبَ ذِكْرُهَا ، وَيُسْتَعَطَّرَ نَشْرُهَا ، وَتُتَحَدَّثَ بِهَا الْإِنْسَانُ ،
وَتُعَدَّ فِي مَوَاهِبِ اللهِ الحَسَنَةِ ؛ نِعْمُ اللهُ تَعَالَى فِي التَّوْفِيقِ لِحَجِّ بَيْتِهِ الَّذِي جَعَلَهُ مَثَابَةً
لِزَائِرِيهِ ، وَالْإِطَافَةِ بِحَرَمِهِ الَّذِي يُوجِبُ المَغْفِرَةَ لِقَاصِدِيهِ ، وَالنُّزُولِ بِأَفْنِيَّتِهِ الَّتِي مِنْ
يَخْدُمِ بِهَا فَقَدِ انْسَلَخَ مِنَ السَّيِّئَاتِ ، وَتَلَبَّسَ بِالحَسَنَاتِ ؛ وَكُتَابِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ هَذَا
إِلَيْكَ يَوْمَ النَّفْرِ الْأَوَّلِ : وَقَدْ فَضِيَ بِمُحَمَّدِ اللهِ تَفَثَهُ ، وَوَقَى نَذْرَهُ ؛ وَتَمَّمَ حَجَّهُ ، وَكَمَّلَ طَوَافَهُ ؛
وَشَهِدَ مَنَافِعَهُ ، وَأَدَّى مَنَاسِكَهَ ؛ وَوَقَفَ المَوْقِفَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ قَانِتًا دَاعِيًا ، وَرَاجِبًا
رَاجِبِيًّا ؛ وَعَرَّفَهُ بِعَرَفَاتٍ إِعْلَامَهُ قَبُولَ سَعْيِهِ ، وَإِجَابَةَ تَلْبِيَّتِهِ ، وَبَلَّغَهُ فِي مَنَى أَمَانِيَّهِ
مِنْ رَأْفَتِهِ ؛ وَأَرَاهُ مِنْ مَحَايِلِ الرَّحْمَةِ ، وَدَلَائِلِ المَغْفِرَةِ ؛ مَا تَلَأَلَّتْ أَنوَارُهُ ، وَتَوَضَّحَتْ
آثَارُهُ ؛ وَأَجْرَاهُ عَلَى تَفْصِيلِ العِبَارَةِ فِي شُمُولِ السَّلَامَةِ لِكُلِّ مَنْ حَجَّ بِحَجِّهِ ، وَوَقَفَ
مَوْقِفَهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَخَاصَّتِهِ ، وَعَامَّتِهِ وَرَعِيَّتِهِ ؛ وَأَنعمَ بِاتِّفَاقِ كَلِمَتِهِمْ ، وَاجْتِمَاعِ أَهْوِيَّتِهِمْ ؛
وَآكْتِنَافِ الدَّعَةِ وَالسُّكُونِ لَهُمْ ، وَزَوَالِ الإِخْتِلَافِ وَالمُبَايَنَةِ بَيْنِهِمْ .

فَإِنْ أَرَادَ زِيَارَةَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : وَهُوَ يَصْدُرُ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى

عَنْ مَوْقِفِهِ هَذَا مِنَ البَيْتِ الحَرَامِ ، إِلَى زِيَارَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

فَإِنْ أَرَمَعَ الْإِنكِفَاءَ إِلَى مَقَرِّهِ ، قَالَ :

وَأَشْعُرُكَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ ذَلِكَ وَهُوَ عَائِدٌ بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَى إِلَى مَقَرِّ خِلَافَتِهِ .
فِي عِزٍّ مِنْ قُدْرَتِهِ ، وَعُلُوٍّ مِنْ كَلِمَتِهِ ؛ وَآمْتِدَادٍ مِنْ سُلْطَانِهِ ، وَتَضَاعُفٍ مِنْ جُنْدِهِ
وَأَعْوَانِهِ : لِتَأْخِذِ بِمَحْظُوكَ مِنَ الْإِبْتِهَاجِ وَالجَدَلِ ، وَتُدْيِعِهِ بَيْنَ أَهْلِ العَمَلِ : لِيَشَارَكَكَ
العَامَّةُ فِي العِلْمِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ فَيُخْلِصُوا اللهُ الشُّكْرَ عَلَيْهَا ، وَيَرْغَبُوا إِلَيْهِ فِي الزِّيَادَةِ مِنْهَا ؛
إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة كتاب بسلامة الخليفة من سفر في الجملة .

والرسم فيه أن تُذكر نعمة الله تعالى بما منح أمير المؤمنين في سفره ذلك : من بلوغ المآرب ، وتسهيل المقاصد ، وإدراك الأوطار ، وشُمول النعمة في الذهاب والإياب ، وما يجري مجرى ذلك مما ينخرط في هذا السلك ، وهذه نسخته :

الحمد لله ذي الطول والإنعام ، والفضل والإكرام ، والمِنِّ العظام ، والأيدى الجسام ، الذي أَرعى أمير المؤمنين من حياطته عينا لا تنام ، وأستخدم لحراسته والمرامة دونه اللبالي والأيام ، وقضى له بالتوفيق والسعادة في الظنِّ والمقام .

يحمده أمير المؤمنين أن استخلصه لإمامة الأنام ، وعدق به أساليب النقص والإبرام ، ويسأله الصلاة على من آخضه بشرف المقام ، وأبتعثه بدين الإسلام ، وجلا به حنادس الظلام ، مجد خاتم الأنبياء الكرام ، وعلى أخيه وابن عمه المهام الضرغام ، أمير المؤمنين على بن أبي طالب مكسر الأصنام ، وعلى الأئمة من ذريتهما أعلام الأحكام ، وأدلة الحلال والحرام .

وإن أمير المؤمنين لا يزال يتحدث بنعم الله مُستدرا لأخلافها ، منتصبا لقطافها ، ويُفيض في ذكرها ، مُستدعيا للزيادة بشكرها ، ويُطلعُ خلصاءه على حُسن آثارها لديه : وسُبوغ ملابسها عليه ، لياخذوا بحظ من الغبطة والاستبشار ، ويسرحوا في سارح المباح والمَسار ، وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك حين استقر ركابه بناحية كذا ، مبشرا لك بنعمة الله في حياطته ، وموهبته في سلامته ، وما أولاه من انارة (؟) الدليل ، وتسهيل السبيل ، وطى الجاهل ، وتقريب المنازل ، وإعذاب المناهل ، وإنالة الأوطار ، وتدميث الأوعار ، وبركة المتصرف ، وسعادة المنصرف ، ووصوله إلى مقصده

قَرِيرَ الْعَيْنِ ، قَلِيلَ الْإَيْنِ ؛ مَحْفُوظًا سَارِيًّا وَأَثْبًا ، مَكْلُوءًا عَائِدًا وَذَاهِبًا ؛ مُشَرَّدَ النَّصَبِ
مَسْرُورًا ، مَوْفُورَ النَّصِيبِ مَحْبُورًا ؛ فِي أَجْتِمَاعٍ مِنْ كَلِمَةِ أَوْلِيَاءِهِ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَنُقُودِ
بَصَائِرِهِمْ فِي نَصْرِ رَأْيَتِهِ ؛ وَإِعَانَتِهِ عَلَى مَا اسْتَحْفَظَهُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَأَسْتَرَعَاهُ مِنْ بِلَادِهِ : لِيَأْخُذَ
بِالْحِظِّ الْأَجْزَلِ ، مِنَ الْإِبْتِهَاجِ وَالْجَذَلِ ؛ وَيَشْكُرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ ،
وَيُضِيفُهَا إِلَى سَوَالِفِ نِعَمِهِ التَّالِدَةِ ؛ وَيُذِيعُهَا بَيْنَ رَعِيَّتِهِ ، وَأَنْصَارِ دَعْوَتِهِ ؛ لِيَشْتَرِكُوا
فِي آرْتِسَافِ لُغَايَاهَا ، وَالنِّحَافِ أَثْوَابِهَا ؛ فَاعْلَمْ هَذَا وَاعْمَلْ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

قلت : وهذا الصَّنْفُ من المكاتبات السلطانية قليلُ الوقوع ، فإن وقع مثله
للكتاب في زماننا ، نخرجه على نسبةِ الأسلوب المتقدم .

الصنف التاسع عشر

(الكتابة بالإنعام بالتشريف والخلع)

وهذا الصَّنْفُ مِمَّا أَغْفَلَهُ صَاحِبُ "مَوَادِّ الْبَيَانِ" وَلَا بَدَّ مِنْهُ .

والرسم فيه أن يكتب عن الخليفة أو السلطان إلى من أخلص في الطاعة ،
أو ظهرت له آثار كفاية : كفتح أو كسر عدو ، وما يجري مجرى ذلك .

وهذه نسخة كتاب كتب به أبو إسحاق الصَّابِي عن الطائع لله ، إلى صَمَّصَامِ الدَّوْلَةِ
أَبْنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بْنِ بُوَيْهٍ ، قَرِينَ خِلَعَةٍ وَفَرَسِينَ بِمَرْكَبِينَ مِنْ ذَهَبٍ وَسَيْفٍ
وَطَوْقٍ ، وَهِيَ :

من عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين ، إلى صَمَّصَامِ الدَّوْلَةِ
وشمس الملة أبي كَالِيجَارِ بْنِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ وتاج الملة مولى أمير المؤمنين .

سلام عليك : فإن أمير المؤمنين يَمُجِّدُ إِلَيْكَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَيَسْأَلُهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ جَدِّهِ مُحَمَّدٍ عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

أما بعد، أطل الله بقاءك : فإن أمير المؤمنين وإن كان قد بوأكَ المنزلة العُلَيَّا، وَأَنَّكَ مِنْ أَثَرَتِهِ الْغَايَةِ الْفُصُوءِ، وَجَعَلَ لَكَ مَا كَانَ لِأَبِيكَ عَضُدَ الدَّوْلَةِ وَتَاجَ الْمِلَّةِ - رَحْمَةً اللهُ عَلَيْهِ - مِنْ الْقَدْرِ وَالْمَحَلِّ، وَالْمَوْضِعِ الْأَرْفَعِ الْأَجَلِّ، فَإِنَّهُ يُوجِبُ لَكَ عِنْدَ كُلِّ أَثَرٍ يَكُونُ مِنْكَ فِي الْخِدْمَةِ، وَمَقَامِ حَمْدِ تَقْوَمِهِ فِي حِمَايَةِ الْبَيْضَةِ، إِنْعَامًا يُظَاهِرُهُ، وَإِكْرَامًا يُتَابِعُهُ وَيُؤَاتِرُهُ، وَاللَّهُ يَزِيدُكَ مِنْ تَوْفِيقِهِ وَتَسْدِيدِهِ، وَيَمُدُّكَ بِمَعُونَتِهِ وَتَأْيِيدِهِ، وَيَخَيِّرُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا رَأَى مُسْتَمِرًّا عَلَيْهِ مِنْ مَزِيدِكَ وَتَمَكِينِكَ، وَالْإِبْقَاءَ بِكَ وَتَعْظِيمَكَ، وَمَا تَوْفِيقُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ وَإِلَيْهِ يُنِيبُ .

وقد عرفت - أدام الله عزك - ما كان من [أمر كردويه] كافر نعمة أمير المؤمنين ونعمتك، وجاحد صنيعته وصنيعتك، في الوثبة التي وثبها، والكبيرة التي ارتكبها، وتقديره أن ينتهز الفرصة التي لم يمكِّنه الله منها، بل كان من وراء [ذلك] دفعه وردة عنها، ومعاجلتك إياه الحرب التي أصلاه الله ناراها، وقنعه عارها وشنارها، حتى أنهزم والأوغاد الذين شركوه في إثارة الفتنة، على أقبح أحوال الذلة والقله، بعد القتل الدريع، والإثخان الوجيع . فالحمد لله على هذه النعمة التي جلَّ موقعها، وبأن على الخاصة والعامة أثرها، ولزم أمير المؤمنين خصوصا والمسلمين عموما نشرها والحديث بها، وهو المسئول إقامتها وإدامتها برحمته .

(١) تقدم في هذا المطبوع (ج ٦ ص ٣٩٦) عند ذلك أثر .

(٢) الذي تقدم « يزيدك » وما هنا أروض .

(٣) يباض بالأصل ، والنصح عما تقدم .

وقد رأى أمير المؤمنين أن يُجَازِيكَ عن هذا الفتح العظيم، والمقام المجيد الكريم؛
 بخلع تامّة، ودابتين بمركبين من ذهب من مراكبه، وسيف وطوق وسوار مرصع .
 فتلق ذلك بشكر الله تعالى عليه، والاعتداد بنعمته فيه؛ وألبس خلع أمير المؤمنين
 وتكريمته، وسر [من بابه] ^(١) على حملاته، وأظهر ما حبّاك به لأهل حضرته، ليعزّ
 الله بذلك وليه ووليّك، ويذلّ عدوه وعدوك؛ إن شاء الله تعالى، والسلام عليك
 ورحمته وبركاته . وكتب فلان لثمان بقين من شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين
 وثلاثمائة : أطال الله بقاءك، وأدام عزّك، وأجزل حفظك وحياطتك، وأمتع أمير
 المؤمنين بك وبالنعمة فيك وعندك .

قلت : وهذا الصنف من المكاتبات السلطانية باقٍ على الاستعمال، متى أنعم
 السلطان على نائب سلطنة أو أمير أو وزير أو غيره بخلعة بعث بها إليه وكتب
 قرينها مثال شريف بذكر ذلك؛ إلا أنه أهمل في ذلك السجع والأزدواج، واقتصر
 فيه على الكلام المحلول كما في غيره من المكاتبات، إلا في النادر المعنى بشأنه .

الصنف العشرون

(المكاتبة بالتنويه والتقيب)

قال في "مواد البيان" : جرت عادة الخلفاء بالكتابة بالتقيب، لأن اللقب موهبة
 من مواهب الإمام: أمضاها وأجازها، فإذا جرت عليه كانت كغيرها من نعمة التي يمنحها
 على عبيده، والكنية تكملة يستعملها الناس فيما بينهم، فليس حكمها حكم اللقب .

(١) بياض بالأصل والتصحيح مما تقدم (ج ٦، ص ٣٩٧) .

(٢) ساء فيما تقدم « أحمد بن محمد » .

قال : والرسم في هذه الكتب أن تفتح بحمد الله على نعمة السابغة الضافية ،
ومواهب الزاهية النامية ، وعوارفه التي جعلها جزاءً للحسنين ، وزيادةً للشاكرين ،
ونحو هذا مما يليق أن يفتح به هذا الغرض ، والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم . ثم يقال :

وإن أمير المؤمنين بما خوله الله تعالى من نعمة ، وبوأه من قسيمه ، وخصه
به من التمكين في أرضه ، والمعونة على القيام بفرضه ، يرى المن على خلصائه ،
وإسباغ النعم على أوليائه ، واختصاصهم بالنصيب الأوفر من حباته ، والإمالة بهم
إلى المنازل الباذخه ، والرتب الشامخه . وإن أحق من وفر قسيمه من مواهبه ، وغزير
سهمه من عطاياه ورغائبه ، من تميز بما تميزت به من إخلاص ومطاوغة ، وولاء
ومشايعة ، وأنقياد ومتابعة ، وصفاء عقيدة وسريه ، وحسن مذهب وسيره ، ولذلك
رأى أمير المؤمنين أن ينعتك بكذا لأشقاقه هذا النعت من سماتك ، وأستنباطه إياه
من صفاتك ، وشرفك من ملابسه بكذا ، وطوقك بطوق أو بعقد ، وقلدك بسيف
من سيفه ، وعقد لك لواء من ألويته ، وحمك على كذا من خيله وكذا من
مراكبه . وبحسن الوصف في كل نوع من هذه الأنواع وأشتقاق الألفاظ
من معانيه ، يعرب عن قدر الموهبة فيه . ثم يقال : إبانة لك عن مكانك من حضرته ،
وإبانة على تسميرك في خدمته ، فألبس شريفه وتطوق ، وتقلد ماقلدك به ، وأركب
حمولاته ، وأبرز للخاصة والعامّة في ملابس نعمائه ، وأرقل في حلل آلائه ، وزين
موكبك بلوائه ، وقل (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ) وأعني على
ما يسترهنها لدى ، وخاطب أمير المؤمنين متلقبا بسميتك ، متنعنا بنعتك .

وهذه نسخة مكتوبة إلى الأفضل بن ولحشى ، وزير الحافظ لدين الله الفاطمي ،
أحد خلفاء الفاطميين بالديار المصرية ، حين قرّر الحافظ نعوته : السيد ، الأجل ،

الأفضل، أمير الجيوش، سيف الإسلام، ناصر الأنام، كافل قضاة المسلمين،
وهادى دُعاة المؤمنين، وهى :

أما بعد، فالحمد لله الذى تفرّد بالإلهية، وتوحد بالقدم والأزلية، وأبدع من برأ
وخلق، وأنشأهم من غير مثال سبق، وأصطفى لتديريهم فى أرضه من بعثه برسالته،
وجعل ما جاءوا به من الشرائع من أمارة لطفه بهم ودلالته، وصلى الله على جدنا محمد
رسوله الذى جعل رُتبته اخيراً ونُبوته أولى، فكان أفضل من تقدمه نبياً وسبقه
رسولاً، وعلى أخيه وأبن عمه أمير المؤمنين على بن أبى طالب الذى ذخره لخلافته،
وأيدته بوزارته، مع كونه من منزلة الأصطفاء، وتأييد الوحي الظاهر من غير خفاء،
بحيث لا يفتقر إلى وزير، ولا يحتاج إلى ظهير، وإنما جعل ذلك تعليماً لمن يستخلفه
فى الأرض من عباده، وتمثيلاً نصّ - جلّ وعزّ - إلى قصده وأعماده، لما فيه من
ضمّ النشْر، وصلاح البشر، وشمول المنافع، وعموم الخيرات التى أمن فيها من مدافع،
وعلى الأئمة من ذريتهما العاملين بمرضاة، والمتقين له حقّ تقاته، والكافرين لكلّ
مؤمن بأمانه يوم الفرع الأكبر ونجاته، وسلم عليهم أجمعين، سلاماً متصلاً إلى
يوم الدين .

والحمد لله الذى جعل النعم التى أسبغها على أمير المؤمنين، بحسب ما اختصه به
من منزلته التى فضله بها على جميع العالمين، فجعله خليفة فى الأرض، والشفيع لمن
شايعه يوم الحساب والعرض، وأجزل له من منته مالا يُناهضه شكر إلا كان ظالماً،
ولا يقابله اعتداد إلا استولى عليه العجز فلم يكن بما يجب له طامعاً، وإن من
أرفعها مكاناً، وأعظمها شاناً، وأنعمها قدراً، وأنبهها ذكراً، وأعمها نفعاً، وأحسنها
صنعاً، وأغزرها مادّة، وأثبتها قاعدة إذا غدت النعم شاردة ناده، وأعودها فائدة

على الخاص والعام ، وأضمنها للسعد المساعد والحظ الوافر التأم - ما كان من المنة
الشامخة الذرى ، والمنحة الشاملة لجميع الورى ؛ والعارفة التي أعترف بها التوحيد
والإسلام ، والموهبة التي [إذا] أنفق كل أحد عمره في وصفها وشكرها فما يعدل ولا
يلام ؛ والآية التي أظهرها الله للملة الحنيفة على فترة من الرسل ، والمعجزة التي هدى
أهله لها دون كافة الأمة إلى عدل السبل ؛ والبرهان الذي خص به أمير المؤمنين
وأظهره في دولته ، والفضيلة التي أبانت مكانه من الله وكريم منزلته ؛ وذلك مامن الله
به على الشريعة الهادية ، والكلمة الباقية ؛ والخلافة النبوية ، والإمامة الحافظية ؛
منك أيها السيد الأجل الأفضل : ولقد طال قدرك في حلل الشاء ، وجلل استحقاقك
عن كل عوض وجزاء ؛ وغدت أوصافك مسألة اجتماع وأتلاف ، فلو كانت مقالة لم
يقع بين أرباب الملل شيء من التناقض فيها والاختلاف ؛ وأين يبلغ أمد استيجابك
من متعجبه ، أو يتسهل إدراك شأوه على طالبه ومبتغيه ؟ ؛ والإيمان لو تجسم لكان
على السعي على شرك أعظم مثاب ، والإسلام لو أمكنه النطق لقام بالدعاء لك خطيبا
على المنابر ؛ فأما الشرك فلو أبقيته حيا لتصدى وتعرض ، لكنك أنحيت عليه
وأدلت التوحيد منه فانهت بناؤه بحمد الله وتقوض ؛ فكان لك في حق الله العضب
الذي تقربت به إليه فأرضيته ، والعزم الذي صممت عليه في نصرة الحق فأمضيته ؛
والباطن الذي أطلع عليه منك فنصرك ولم ترق دما ، ولا روعت مسلما ، ولا أفلقت
أحدا ولا أزعجت ، ولا عدلت عن منهج صواب لما أنتهجت ؛ وذلك مما أشرك
الكافة في معرفته ، وتساووا في علم حقيقته ؛ مع ما كان من تسيرك العساكر المظفرة
صحبة أخيك الأجل الأوحده : أدام الله به الإمتاع وعضده ، واحسن عنه الدفاع
وأيده ؛ مما جرت الحال فيه بحسن سياستك ، وفضل سيادتك ؛ على أفضل ما عودك الله
من بلوغ آمالك ، من غير أذى ليحق أحدا من رجالك ؛ والأمر في ذلك أشهر من

الإيضاح ، وأبين من ضياءِ فلقِ الصُّباحِ ؛ وهذا إذا تأمله أمير المؤمنين أوجب عليه أن يُقابلك من إحسانه ، بغاية ما في إمكانه ؛ وأن يُوليك من ميثه ، أقصى ما في استطاعته وقدرته ؛ ولم يرَ أحضرَ من أن قرَّرَ نُعوتَكَ «السَّيِّدُ ، الأجلُّ ، الأفضَلُ ، أميرُ الجيوشِ ، سيفُ الإسلامِ ، ناصرُ الأنامِ ، كافلُ قضاةِ المسلمينِ ، وهادى دُعاةِ المؤمنينِ ، أبو الفتحِ رضوانِ الحافظيِّ» إذ لا أولى منك بكفالةِ قضاةِ دولتهِ وإرشادِهِمْ ، وهدايةِ دُعاتِها إلى ما فيه نَجاةُ المستجيبين في معادِهِمْ ؛ وجدد لك ما كان قدَّمه : من تكفيك أمرَ مملكتهِ ، وإعادةِ القولِ فيما أسلفه من ردهِ إليك تديراً ما وراءَ سريرِ خلافتهِ ؛ التذاذاً بتكرارِ ذلك وترديدهِ ، وأبتهاجاً بتطريةِ ذكره وتجديدهِ ؛ فأمورُ الملةِ والدولةِ معدوقةٌ بتديركِ ، وأحوالُ الأديانِ والأقاصي موكولةٌ إلى تقريرك ؛ وقد جمع لك أمير المؤمنين من استخدامِ الأعلامِ ، وجعلَ السيادةَ لك على سائرِ القضاةِ والدُّعاةِ والحُكَّامِ ؛ وأسجل لك بالأختصاصِ بالمعالي والأفرادِ ، والتَّوَحُّدِ بأنواعِ الرِّياساتِ والأسبديَّةِ ؛ ولك الإبرامُ والنَّقْضُ ، والرَّفْعُ والخَفْضُ ؛ والوِلايَةُ والعِزُّ ، والتَّقْدِيمُ والتَّأخِيرُ ، والتَّنْوِيهُ والتَّامِيرُ ؛ فالْمُقَدَّمُ من قَدَمتهِ ، والمحمودُ من حَمْدتهِ ؛ والمؤخَّرُ من أخرتهِ ، والمذمومُ من ذمتهِ ؛ فلا مخالفةَ لما أحببته ؛ ولا معدلةَ عما أَرَدتهِ ؛ ولا تتجاوزَ لما حددتهِ ؛ ولا تُخرجَ عما دَبَّرتهِ ؛ وأين ذلك مما يُضْمِرُهُ لك أمير المؤمنين وينويه ، ويعتقده فيك فلا يزال مدى الدهرِ يُعيدُهُ ويُبديه ؛ ولو لم يكن من بركاتك على دولةِ أمير المؤمنين ، ويؤمن تديرك العائد على الإسلامِ والمسلمينِ ، إلا أن أولَ عسكِ جَهَنَّمِ إلى جِهَادِ الكُفْرَةِ المَلَاعِينِ ؛ وكان له النُصْرُ العزيرُ الذي تَبَلَّغَ بِشَرِّهِ ، والفتحُ المبين الذي جَلَّ قَدْرُهُ وانتشرَ ذِكرُهُ ؛ والنُصْرُ المُبِينُ المُنصَرِّحُ - العسكِرُ المنصورُ (١) على الطائفةِ الكافرةِ - قتلًا لأبطالها ، وأسراً لأعناقِ رجائها - وأعدَّ لإملاجِ المأسرةِ

(١) كذا بالأصل . وقد وضع فيها علامة برفق لعدم ظهور معناها في المتن .

منها، وأنه لم يُفَلِّتْ من جماعتها إلا مَنْ يُخْبِرُ عنها؛ ولو عَلِمَ أمير المؤمنين تعظيماً يخرج
عما تَضَمَّنَه هذا السَّجِلُّ لما آقصر عليه، إلا أنه عَاجَلَه ما يَسُرُّه بفاهر لك^(١)
بما هو مُسْتَقَرٌّ لديه؛ والله عزَّ وجلَّ يُجِدُّكَ السُّعُودَ، وَيُخَصِّصُكَ مِنْ مَوَاهِبِهِ
بما يتجاوز المعهود؛ ويمدُّكَ بمواد التوفيق والتأييد، ويقضى لك في كُلِّ أمورك
بما لا مَوْضِعَ فيه للمزيد، إن شاء الله تعالى؛ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

قلتُ : وهذا الصَّنْفُ من الكُتُبِ السلطانية قد رُفِضَ وتُركَ استعماله في زماننا
فلا معوَلٌ عليه أصلاً.

الصنف الحادى والعشرون

(المكاتبَةُ بالإحْماد والإذْمام)

قال في "مواد البيان": السلطان محتاج إلى مكتبة من يقف منه على طاعة
وأجتهاد، ومناصحة وإخلاص، بالشكر والإحْماد، والبعث على الأزدباد من المخالصة
وحسن السعى في الخدمة وغيرها، مما يرتبط به النعمه، ويستوجب معه حفظ الرتبة.
ومكاتبه من يعثر منه على تقصير وتضييع، وتفريط وتضييع، بالذم والتفريط
والتأنيب: لأنه لا يخلو أعوان السلطان من كفاة يستديم كفايتهم بتصويب
صرايمهم، وأستحسان مساعيهم، وإحْمادهم على تسميرهم، وشرح صدورهم
ببسط آمالهم، والعدة برفع منازلهم ومحالهم، وتمييزهم على نظرائهم وأشكالهم،
وتحذيرهم من التوبيخ وتقديم الأعذار، والتخويف من سقوط المراتب، وقبح
المصاير والعواقب.

(١) في الأصل "رشاحة"

قال : وينبغي للكاتب أن ينتهي في خطاب من آتته في الحالين إلى غايتيهما ، إلى المعاني الناجعة في الغرضين ، ويتوسط فيهما سبباً التوسط الذي يقتضيه الحال المفاض فيها : لأن في ذلك تقريراً للمحسن على إحسانه ، ونقلاً للمسيء عن إساءته : لأنه إذا علم الناهض أنه سائب على نهضته ، والوأي أنه معاقب على ونيته ، آجهد هذا في الاستظهار بخدمته بما يزيد في رتبته ، وخاف هذا من حط منزلته وتغير حاله . ثم قال : والرسوم في هذه المكاتب تختلف بحسب اختلاف أغراضها ، وتشتعب بتشتعب معانيها ، والأمر في ذلك موكول إلى نظر الكاتب العارف الكامل ، ووضعه كل شيء في موضعه ، وترتيبه إياه في مرتبته .

فأما المكتبة بالإحمار ، فكما كتبت عن صمصام الدولة بن عضد الدولة بن بويه ، إلى حاجب الحجاب أبي القاسم سعد بن محمد وهو مقيم بنصيبين على محاربة باد الكردى .

كاتبنا ، ووصل كتابك مؤرخاً بيوم كذا ، تذكرفيه ماجرى عليه أمرك في الخدمة التي نيطت بكفائتك وغنائك ، ووكلت إلى تديرك ووفائك : من رد باد الكردى عن الأعمال التي تطرقها ، وحدث نفسه بالتغلب عليها ، وتصرفك في ذلك على موجبات الأوقات ، والتردد بين أخينا وعدتنا أبي حرب : زياد بن شهر الكويه وبينك من المكاتب ، وحسن بلائك في تحيفه ، ومقاماتك في حص جناحه ، وآثارك في الانقصاص على فريق بعد فريق من أصحابه ، واضطرارك إياه بذلك وبضروب الرياضات التي استعملتها ، والسياسات التي سست أمره بها ، إلى أن نزل عن وعورة المعصية إلى سهولة الطاعة ، وأنصرف عن مجاهل الغواية إلى معالم الهداية ، وتراجع عن السوم إلى الاقتصار ، وعن السرف إلى الاقتصاد ، وعن الإباء إلى الانقياد ،

وعن الاعتياص إلى الإذعان؛ وأن الأمر استقر على أن قبلت منه الإجابة، وبذلك له فيما طلب الاستجابة؛ واستعيد إلى الطاعة، واستضيف إلى الجماعه؛ وتصرف على أحكام الخدمه، وجرى مجرى من تضمنه الجملة؛ وأخذت عليه بذلك العهود المستحكه، والأيمان المغلظه؛ وجددت له الولاية على الأعمال التي دخلت في تقليده، وضربت عليها حدوده، وفهمناه .

وقد كانت كتبُ أخينا وعدتنا أبي حربٍ [زيد بن شهر كويه] ^(١) مولى أمير المؤمنين ترد علينا، وتصل إلينا؛ مشتملة على كُتُبِك إليه، ومطالعائك إياه؛ فنعرف من ذلك حسن أثرِك [وحزم رأيِك] ^(١) وسداد قولِك، وصواب اعتمادِك؛ ووقوع مضارِبِك في مفاصلِها، وإصابة مرَامِك أغراضِها؛ وما عدوت في مذاهبِك كلها، ومثقلاتِك بأسرها؛ المطابقة لإيثارنا، والموافقة لما أمرت به عنا؛ ولا خلت كتبُ أخينا وعدتنا أبي حربٍ من شكرٍ لسعِك، وإحمادٍ لأثرِك؛ وثناءٍ جميلٍ عليك، وتلويحٍ وإفصاحٍ بالمناصحة الحقيقه بك، والمؤالاة اللازمة لك؛ والوفاء الذي لا يستغرب من مثلك، ولا يستكثر من حلٍّ في المعرفة بحلِّك؛ ولئن كنت قصدت في كلِّ نهجٍ استمرت عليه، ومعدلٍ عدلت إليه؛ مكافئةً هذا الرجل ومراغمته، ومصابرته ومنازلته؛ وآتماس الظهور عليه في جميع ما تراجعتماه من قول. وتنازعتماه من حد؛ فقد آجمع لك إلى إحمادنا إياك، وأرضائنا ما كان منك؛ المنه عليه إذ سكت جاشه. وأزلت استيحاشه؛ وأسئلته من دس لباس الخالفه، وكسوته حسن شعار الطاعة؛ وأطلت يده بالولاية. وبسطت لسانه بالحجه. وأوفيت به على مراتب نظرائه. ومنازل قرنائته؛ حتى هابوه هيبة الولاد، وارتفع بينهم عن مطارح العصاة .

(١) لا يوجد في نسخة المطبوع.

فالحمد لله على أن جعلك عندنا محمودا ، وعند أخينا وعدتنا أبي حربٍ مشكورا ؛
وعلى هذا الرجل مانا ، وفي إصلاح ما أصلحت من الأمر مثابا ماجورا ؛ وإياه
نسأل أن يُجِرِّي علينا عادته الجارية في إظهار آياتنا ، ونصرة أوليائنا ؛ والحكم لنا
على أعدائنا ، وإنزالهم على إرادتنا ؛ طوعا أو كرها ، وسلما أو حربا ؛ فلا يخلوا أحد
منهم من أن تحيط لنا بعنقه ربقة أسر ، أو مينة عفو ؛ إنه جل ثناؤه بذلك جدير ،
وعليه قدير .

ويجب أن تُفدَّ إلى حضرتنا الوثيقة المكتتبة على باد الكردى إن كنت لم تُفدَّها
إلى أو ان وصول هذا الكتاب : لتكون في خزائنا محفوظة ، وفي دواويننا منسوخة ؛
وأن نتصرف في أمر رُسُلِهِ وفي بقية - إن كانت بقيت من أمره - على ما يرشده لك
عنا أخونا وعدتنا أبو حربٍ ، فرأيتك في العمل على ذلك ، وعلى مطالعتنا بأخبارك
وأحوالك ؛ وما يحتاج إلى علمه من جهتك ، موقفا إن شاء الله تعالى .

وأما الإذمام فيختلف الحال فيه باختلاف المألوم فيه والمذموم بسببه . فمن ذلك
الذم على [ترك] الطاعة وشق العصا .

كما كتب عمارة يصف شخصا بأنه لما ارتفع مكانه ، وعلا قدره ؛ بطر
معيشته ، وخرج عن طاعة الخليفة ؛ وأن فلانا كان ممن عُرفت حاله ؛ في غموض
أمره ، ونحو ذلك ؛ وضيق معيشتِهِ ، وقلة عدده وناهضته ؛ ولا تُجاوز حياته
ما يقوله ، ولا يتعاطى ما وراء ذلك ولا يرومه ؛ ولا يمينه نفسه ، ولا يدفع يد لأمس
عنه بقوة تنوء بملأ ، ولا عز يلجأ إليه . فأنعم عليه أمير المؤمنين وأكرمه وشرفه ،
وبلغ به الغاية التي لم يكن يرجوها ولا تُرجى له ؛ وبسط له من الدنيا ، وآتاه من
غضارتها ونعمتها ، وعزها وسلطانها ، ما لم يُؤت أحدا من أهل زمانه . فلما مكن الله

له في الدنيا طغى وتَجَبَّرَ، وَعَلَا وَتَكَبَّرَ؛ وَظَنَّ أَنَّ الَّذِي كَانَ فِيهِ شَيْءٌ قَادَهُ إِلَى نَفْسِهِ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ : تَهْوِيلاً مِنَ الشَّيْطَانِ، وَاسْتِدْرَاجًا مِنْهُ لَهُ .

وَمَا كَتَبَ عَبْدُ الْحَمِيدِ فِي مِثْلِهِ :

أَمَا بَعْدَ ، فَقَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ أَمْرٌ لَمْ يَحْتَمِلْهُ لَكَ ، إِلَّا مَا أَحَبَّ مِنْ رَبِّ صَنِيعَتِهِ قَبْلَكَ ، وَأَسْتِثْمَامٍ مَعْرُوفِهِ إِلَيْكَ ؛ وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَحَقَّ مَنْ أَصْلَحَ مَا فَسَدَ مِنْكَ ، وَإِنَّكَ إِنْ عُدْتَ لِمِثْلِ مَقَالَاتِكَ ، وَمَا بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ ؛ رَأَى فِي مُعَاجَلَتِكَ رَأْيَهُ ؛ فَإِنَّ النِّعْمَةَ إِذَا طَالَتْ بِالْعَبْدِ مُتَمَدِّدَةً أَبْطَرَتْهُ : فَاسَاءَ حَمَلُ الْكِرَامَةِ ، وَاسْتَثْقَلَ الْعَافِيَةَ ؛ وَنَسَبَ مَا هُوَ فِيهِ إِلَى حِيلَتِهِ ، وَحُسْنِ نَبْتِهِ وَرَهْطِهِ وَعَشِيرَتِهِ . وَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ الْغَيْرُ ، وَأَنْكَشَفَتْ عَمَائَةَ الْعَشَى عَنْهُ ؛ ذَلَّ مُنْقَادًا ، وَنَدِمَ حَسِيرًا ؛ وَتَمَكَّنَ مِنْهُ عَدُوُّهُ : قَادِرًا عَلَيْهِ ، وَقَاهِرًا لَهُ . وَلَوْ أَرَادَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُكَافَأَتَكَ بِلَفْظِكَ ، وَمُعَاجَلَةَ إِفْسَادِكَ ، جَمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ شَهِدَ فَلْتَاتِ خَطْبُكَ وَعَظِيمَ زَلَّتِكَ ؛ وَلِعَمْرِي لَوْ حَاوَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُكَافَأَتَكَ بِلَفْظِكَ فِي مَجْلِسِكَ ، وَجُحُودِكَ فَضْلَهُ عَلَيْكَ ، لَرَدَّكَ إِلَى مَا كُنْتَ عَلَيْهِ ، وَلَكُنْتَ مُسْتَحِقًّا .

وَفِي مِثْلِهِ :

فَإِنْ صَاحِبَ الْبَرِيدِ كَتَبَ إِلَيَّ عَنْ أَصْحَابِكَ بِكَذَا ، فَقُلْتُ : لَأَنْهَمُ لَمْ يُقَدِّمُوا عَلَيَّ مَا أَقْدَمُوا عَلَيْهِ حَتَّى تَعْجُمُوكَ ، فَعَرَفُوا خَوَرَ عُوْدِكَ ، وَضَعْفَ مَكْسِرِكَ ، وَمَهَانَةَ نَفْسِكَ ، وَأَنَّهُ لَا غَيْرَ عِنْدَكَ وَلَا نَكِيرَ .

وَمِنْ ذَلِكَ الدَّمُّ عَلَى الْخَطِيءِ ، كَمَا كَتَبَ أَحْمَدُ بْنُ يُوْسُفَ :

كَأَنَّ الْبُخْلَ وَالشُّومَ صَارَا مَعًا فِي نَهْمِهِ ، وَكَأَنَّا قَبْلَ ذَلِكَ فِي قِسْمِهِ ؛ فَخَازَهُمَا لَوْرَاثَتِهِ ، وَأَسْتَحَقَّ مَا أَسْتَمَلَكَ مِنْهُمَا بِالشَّفْعَةِ ؛ وَأَشْهَدُ عَلَى حِيَازَتِهِمَا أَهْلَ الدِّينِ

والأمانة حتى خَلَصَ له من كُلِّ ممانِعٍ ، وسَلِمَ له من تَبَعَةِ كُلِّ مُنَازِعٍ ، فهو لا يُصِيبُ إلا مُخْطِئًا ، ولا يُحْسِنُ إلا نَاسِيًا ، ولا يُنْفِقُ إلا كَارِهًا ، ولا يُنْصِفُ إلا سَاغِرًا .
قلت : وهذا الصَّنْفُ من المكاتبات السلطانية لا يمتنع وَقُوعُهُ في وَقْتٍ من الأوقات . فإن عَرَضَ له مُوجِبٌ ، راعى الكاتبُ فيه صورة الحال ، وكتب على ما رَجِبَه المقام ، وتَقْتَضِيهِ تلك الوقعة .

الصنف الثاني والعشرون

(ما يُكْتَبُ مع الإِنعام لِنُؤَابِ السُّلْطَنَةِ بِالْحَيْلِ وَالْجَوَارِحِ)

وغيرها من أنواع الإِنعامات) وهذا الصَّنْفُ من المستعمل في زماننا كُلِّ وَقْتٍ فأما ما يُكْتَبُ مع الإِنعام بِالْحَيْلِ ، فقد جرت العادة أن السلطان يُنْعِمُ بِالْحَيْلِ على نِؤَابِ السُّلْطَنَةِ بِالشَّامِ ، وَيُكْتَبُ بِذلك مِثَالَاتٌ شَرِيفَةٌ إِلَيْهِمْ ، وَرُبَّمَا أُنْعِمَ بِالْحَيْلِ وَكُتِبَ بِهَا في غير ذلك .

وهذه نُسخة مِثَالٍ شَرِيفٍ من ذلك :

ضَاعَفَ اللهُ تَعَالَى نِعْمَةَ الْجَنَابِ وَخَصَّهُ مِنَ النِّعَمِ بِمَا لَا تُحْصَى لَهُ آثَارُ ، وَلَا يَتَعَلَّقُ لَهُ بَغَابَرُ ، وَلَا يُوَصَفُ بِجَالٍ وَاحِدَةٍ : لِأَنَّهُ إِنْ جَرَى فَبَحْرٍ وَإِنْ وَقَفَ فَنَارُ .

صدرت هذه المكاتبة إلى الجناب العالی بَكُلِّ سَلامٍ لا تُدْرِكُ لسوابقه غايه ، ولا تُحْصَى له نِهايَه ، ولا يردُّ منه كل ما جاء وله في وجهه كَفَلَقِ الصُّبْحِ آيَه ، ولا يَتَقَدَّمُ في مِيدَانٍ إلا وَقَدْ حُمِلَ له في كُلِّ مَكَانٍ رَأْيَه . وَتَوَضَّعَ لِعَمِّهِ الكَرِيمِ أَنَّهُ قَدْ جُهِّزَ له قَرِينَهَا ما جرت به عادته من الحُصْنِ التي لا يدعى البرقُ أَنَّهُ لها نَظِيرُ ، ولا تُجَارَى الرِّياحُ من سوابقها ما يَطِيرُ ، كَمَ لها في مِيدَانِ بَجَالٍ ، وَكَمَ لها في رُؤْيَةِ دَوِيَّةِ آرْتِجَالٍ ،

وكم دُعِيَ الوغى بها على كُلِّ ضَائِرٍ فانت رجالا تَقْدَحُ سَنَابِكُهَا نارا، وَتَفِيضُ جَوَانِبُهَا
 مِنَ الرَّكِيضِ عَقَارًا، وَيَتَكَفَّلُ بِدَيْعِهَا بِكُلِّ مَرَامٍ، وَتُعْطَى مَا فِي يَدَيْهَا لِأَنَّهَا مِنَ الْكِرَامِ،
 وَقَدْ تَشَرَّفَتْ مِنْ نَعْمِنَا الشَّرِيفَةِ بِالسُّرُوجِ وَاللُّجْمِ وَالْعِدَّةِ الْمُكَلَّمَةِ، وَتَحَلَّتْ مِنَ الذَّهَبِ
 وَالْفِضَّةِ مَا يُغْنِي بِجَمَلَتِهِ الْمَفْصَلَةَ، وَأَرْسَلْنَاهَا إِلَيْهِ تَرْقُصُ فِي أَعْتَبِهَا زَهْوًا، وَتَتْرُكُ بِطِيبِ
 صَهِيلِهَا كُلَّ بَحْرِ تَحْوِضُهُ إِلَى الْمَنَائِي رَهْوًا، وَتَوَجَّهَ بِهَا فَلَانُ كَالْعِرَائِسِ الْمَجْلُوتَةِ فِي حُلْمِهَا،
 وَالنُّجُومِ لَوْلَا مَا تَمَيَّزَتْ بِهِ مِنْ حَلِيِّ عَطَلِهَا، وَالسَّحَابِ إِلَّا أَنَّهَا لَا تَحْتَاجُ مِنْهُ الرِّيَّاحَ
 فِي تَنْقَلِهَا .

فَلْيَقَابِلْ هَذِهِ النِّعْمَةَ الشَّرِيفَةَ بِشُكْرِهَا، وَلْيَتَسَلَّمْ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ الْعَمِيمَةَ الَّتِي
 تَعْتَرِفُ كُلَّ نِعْمَةٍ بِقَدْرِهَا، وَلِيَحْمَدِ اللَّهَ مِنْ تَفَقُّدَاتِنَا الشَّرِيفَةِ عَلَى كَرَمِ فَرَسِ جَاءَ
 وَهُوَ سَابِقٌ، وَجُودِ جَوَادٍ لَا يَدُورُ مَعَهُ السَّحَابُ فِي طَائِقٍ، وَيَعْتَمِدُهَا لِارْتِقَاءِ كُلِّ
 صَهْوَةٍ مُنِيفَةٍ، وَجِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ عَلَيْهَا بَيْنَ أَيْدِينَا الشَّرِيفَةِ، وَيَعِيدِ الْوَاصِلِ بِهَا إِلَى
 خِدْمَةِ أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَدِيمُ عَلَيْهِ بِنَا النِّعَمِ الْمُتَوَالِيَةِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



آخِرُ: وَلَا زَالَ إِقْبَالُنَا يُمِيدُهُ مِنَ الصَّافِنَاتِ الْجِيَادِ بِمَا يُبَارِي الرِّيَّاحَ، وَيَتَيَمَّنُ
 بِفُرُجِهَا الصَّبَاحَ، وَيَطْلُقُ أَعْتَبَهَا فِي حَلْبَةِ السَّبَاقِ فَتَسْبِقُ بِرَكْبِهَا ذَوَاتِ الْجَنَاحِ،
 وَلَا بَرِحَ إِنْعَامُنَا يُتَحَفُّهُ بِكُلِّ طَرَفٍ يُبْهِجُ الطَّرْفَ، وَيَتَلَجُّ الصَّدْرُ بِمَا آسَمَدَ عَلَيْهِ مِنَ
 الْمَلَاخَةِ الَّتِي تَرُوقُ الْعَيْنَ وَتَفُوقُ الْوَصْفَ، وَيُفْرِدُهُ بِمَا أَجْتَمَعَ فِيهِ مِنَ الْحُسْنِ وَالْبَيْنِ:
 إِذْ هُوَ وَاحِدٌ كَالْأَلْفِ - تُهْدِي إِلَيْهِ سَلَامًا تَعْبِقُ بِطِيبِ نَشْرِهِ أَرْجَاؤُهُ، وَشَاءَ يُعْرَبُ
 عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ مِنْ عُنُقِ قَدْرِهِ وَسُمُودِ كَرَمِهِ فَيُشْرِقُ سَنَاؤُهُ وَيُضَاعَفُ ثَنَاؤُهُ، وَتَوْضَعُ لِعَلْمِهِ
 الْكَرِيمِ أَنَّهُ غَيْرُ خَافٍ عَنْهُ مَا يَصِلُ إِلَى أَبْوَابِنَا الشَّرِيفَةِ مِنَ الْخِيُولِ الْبَرَقِيَّةِ فِي كُلِّ عَامٍ،

وما نُحْصِه مِنْهَا بِكُلِّ مَيْمُونِ الْغُرَّةِ مُبَارَكِ الطَّلَعَةِ هَنِيءِ السَّيْرِ عَلَى الْإِنْعَامِ ؛ وَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى جَنَابِهِ الْكَرِيمِ مِنْ ذَلِكَ سَهْمَهُ ، وَأَضَفْنَا إِلَى ذَلِكَ مَا اسْتَصْلَحْنَا مِنْ الْخَيْلِ الْعَرَبِيَّةِ الْغَرِيبَةِ وَالْعِتَاقِ الْعَجِيبَةِ الْعَرَبِيَّةِ (؟) مِمَّا الْخَيْرُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا ، فَتُرْهَقُ عَلَى صَهَوَاتِهَا نَفُوسَ الْأَعْدَاءِ وَتَسْتَرْزُلُهَا مِنْ صَيَاصِيهَا ؛ فَيَأْخُذُ الْجَنَابُ الْعَالِي مَا يُحْصِيهِ مِنْ ذَلِكَ ، وَيُفَرِّقُ الْبَاقِيَ عَلَى مَنْ رَسَمْنَا لَهُ بِهِ بِمَنْ رَأَى الْمُبَارَكِ الَّذِي لَا يُسَاهِمُهُ فِيهِ أَحَدٌ وَلَا يُشَارِكُ ؛ وَيُجَهِّزُ الْخَيْلَ الْمَخْصُوصَةَ بِفُلَانٍ إِلَيْهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَضَاعَفُ عِزَّ ظُهُورِهَا عِنْدَ أَمْتِطَائِهَا لَدَيْهِ .

وأما ما يكتب مع الإنعام بالجوارح [فما يكتب] ^(١) مع إرسال سنقر .

وقد بعثنا إليه بسنقر كأنه ملك متوج ، وريزق مروج ؛ تجزأ على سفك الدماء ، وأبى أن يطلب رزقه إلا من السماء ؛ يود الكركي لو خلاص من محاليبه ، ويخاف أن يسلم من حر الشبكة ^(٢) ويقع في كلاليه ؛ يدرك الصيد ولا يؤجله ، ويرفع صدره ثم يومي إليه برأسه كأنه يستعجله ؛ قد جمع من المحاسن كل الصنوف ، وكتبت عليه أسطر تقرأ بما تقرئ به الضيوف .

ومما يكتب مع إرسال صقر .

وقد وجهنا إليه بصقر لا تؤسى له من الصيد جراح ، ولا يدع من وحش يسرح ولا طائر يطير بجناح ؛ أينما توجه لايات إلا بخير ، وحيثما أطلق كان حتف الوحش والطير ؛ يدع أقطار الفلاة مجزرة ، أو روضة بالدماء مزهرة ؛ يجتد إلى الطير في عنقه ، ويحلق إلى السماء فيرجع وطائره في عنقه ؛ تخافه العفر على نفوسها ، وتخضع له ولا مثاله ؛ ما تخرج إلا والطير على رعوسها ، يزيد خبره في مضال الصيد على الخبر ،

(١) بياض بالأصل ، والتصحيح يقضيه المقام .

(٢) كذا في الأصل و " التعريف " .

وتخرج الطَّيَّاءُ وقد تَسَجَّتْ خَوْفاً منه في مُلَاءَةٍ من العَجَاجِ مَخِيطَةً من قرونها بالإبر؛
شَدِيدِ الأَيْدِ ، قد بنى على الكسر حُرُوفَ الصَّيْدِ ، يَحْمَدُ مُقْتَنِيَهُ أَيامَهُ الغُرِّ ، ويقول
له إذا تَلَفَّتْ إلى الصَّيْدِ : إن جَلَبْتَ ضَبْعاً فَأَنْتَ حَرٌّ ، لا يَصْحَبُ مُسْتَصْحِبَهُ مَعَهُ
إلا مَزَادَهُ ، وأَيْمًا سار حَامِلُهُ - وهو معه - كان معه زَادَهُ .

ومما يكتب مع إرسال شاهين .

وقد وَجَّهَ إليه بِشَاهِينٍ إذا حَلَّقَ وراء الطَّيْرِ شَاهَتْ به الوُجُوهُ ، وشاهدت الآمالُ
به ما ترجوه ، قد أصبح كلُّ مُحَلَّقِ الجَنَاحِ رَهِينَ يَدِهِ ، وكلُّ سارِبٍ من الوَحْشِ طَعَامُ
يَوْمِهِ أو غَدِهِ ، لا يَتَّبِعُهُ خَلْفَ الطَّرِيدَةِ بَعْدَ المَدَى ، ولا يَرُدُّهُ خَوْفُ مَسَافَةٍ ولا تَقَحُّمُ
رَدَى ، رِبِيَّةٌ عامٌ لم يُتَمَّعْ بِطُولِ مادَّهِرٍ ، وممتدَّةٌ منه في الطَّلَقِ مثل رِيحِ سُلَيْمَانَ غَدُوقِهَا
شَهْرٌ ورواحها شهر .

ومما يكتب مع إرسال كوهية .

وقد جَهَّزْنَا إليه كُوهِيَّةً ، هي بالمحاسن حَرِيَّةً ، ولكثرة الإقْدَامِ جَرِيَّةً ، يَكُلُّ بها
صاحِبُها أمرَ مَطْبَخِهِ ، ويمدِّها من الطير مَنْ ليس بِمُضْرِحِهِ ، لا تَعِفُّ عن دَمٍ ،
ولا تُرَى أطرافُها إلا مُثْمَرَةً بَعْنَابٍ^(١) أو مُخَضَّبَةً بَعْنَدَمٍ ، قد أَخَلَّتْ من كُلِّ سائِحٍ^(٢) ،
وَلَيْسَتْ زِيَّ الرَّاهِبِ المُتَعَبِّدِ وفكت بكلِّ سائِحٍ .

ومما يكتب مع سقاوة .

وقد جَهَّزْنَا إليه بسقاوه ، مَخَالِبُهَا على الطَّيْرِ كالحديد أو أَشَدُّ قَسَاوَهُ ، تُسِيلُ دِمَاءَ
الصَّيْدِ كالمَدَانِبِ^(٣) ، وتَكْسُو الأَرْضَ حَبْرًا من رِيَاشِ الحُبَّارِيِّ وفِرَاءٍ من جُلُودِ الأَرَانِبِ ؛

(١) كذا في "التعريف" (ص ٢٢٥) وفي الأصل «مسرة» .

(٢) في الأصل «قد أخلت من كل سائح» والتصحيح عن "التعريف" .

(٣) كذا في "التعريف" وفي الأصل «كالدايب» .

وَجَعَلَتْ فِي قَبْضَةِ الْكَفِّ مَا كَانَتْ الْعَيْنُ عَلَيْهِ تُدَوِّرُ ، وَتَكْفَلَتْ بِكِفَايَةِ الْمَطْبِخِ
وَمَلَأَتْ الْقُدُورَ .

وَمَا يُكْتَبُ مَعَ إِسْرَالِ بَازٍ .

وقد بعثنا إليه يَبَازٍ مَهْمَا لَقِيَ لَقِيفَ ، وَمَهْمَا خَطَا لَدَيْهِ خَطِيفٌ ، كَأَنَّمَا خُطَّ
جَوْهَرُهُ بِقَلَمٍ ، أَوْ رِيَشٍ عَلَيْهِ مِنَ الصَّبَاحِ وَالظُّلَمِ ، قَدْ أُعِدَّ لِلطَّوَارِقِ ، وَأَدْرَأَ بِمِثْلِ
الطَّوَارِقِ ، قَدْ دَحَضَ مُجَجِّجِ الْجَلِّ ، وَكَسَرَهَا حَتَّى أَبَانَ عَلَيْهَا حُمْرَةَ الْجَمَلِ ، لَا يُسْأَلُ
فِي الصَّيْدِ عَمَّا نَهَبَ ، وَلَا تُعْرَفُ لَهُ قِيَمَةٌ إِلَّا أَنْ لَهُ عَيْنًا مِنَ الذَّهَبِ .

وَمَا يُكْتَبُ مَعَ الْفَهْدِ .

وقد أنعمنا عليه بفَهْدٍ أَهْرَتِ الشَّدَقِ ، ظَاهِرِ الْحِدْقِ ، بَادِي الْعُبُوسِ ، مُدْرَّرِ
الْمَلْبُوسِ ، شَتْنِ الْبَرَائِنِ ، ذِي أَنْيَابٍ كَالْمُدَى وَمَحَالِبٍ كَالْمَحَاجِنِ ، قَدْ أَخَذَ مِنَ الْفَلَقِ وَالغَسَقِ
إِهَابًا ، وَتَقَمَّصَ مِنْ نُجْلِ الْحِدْقِ جِلْبَابًا ، يُضْرَبُ الْمَثَلُ فِي سُرْعَةِ وَثُوبِ الْأَجْلِ بِهِ
وَبَشْبِهِ ، وَتَكَادُ الشَّمْسُ مَدَّ لَقْبُوهَا بِالغَزَالَةِ لَا تَطَّلِعُ مِنَ الْوَجَلِ عَلَى وَجْهِهِ ، يُسْبِقُ
إِلَى الصَّيْدِ مَرَامِي طَرْفِهِ ، وَيَفُوتُ لِحَظِّ مَرْسِلِهِ إِلَيْهِ فَلَا يَسْتَكِلِ النَّظَرَ إِلَّا وَهُوَ
فِي كَفِّهِ ، وَتَتَقَدَّمُهُ الضُّوَارِي إِلَى الْوَحْشِ فَإِذَا وَثَبَ لَهُ تَعَثَّرَتْ مِنْ خَلْفِهِ ^(١) .

وَأَمَا مَا يُكْتَبُ مَعَ الْإِنْعَامِ بِالسَّلَاحِ .

فَمِنْ ذَلِكَ - وَقَدْ جَهَزْنَا إِلَيْهِ سَيْفًا تَلْمَعُ مَخَايِلُ النَّصْرِ مِنْ غَمْدِهِ ، وَتُسْرِقُ جَوَاهِرُ
الْفَتْحِ فِي فِرْنِدِهِ ، وَإِذَا سَابِقَ الْأَجَلِ إِلَى قَبْضِ النَّفُوسِ ، عَرَفَ الْأَجَلَ قَدْرَهُ فَوْقَ
عِنْدِ حَدِّهِ ، وَمَتَى جَرَّدَ عَلَى مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الْعِدَا وَهَتَّ عَزَائِمَهُ ، وَعَجَزَ جَنَاحُ جَيْشِهِ

(١) وقع في هذه الرسالة تحريف كثير في الأصل ، فصححناها من "حسن التوسل" (ص ١٠١) .

أَنْ تَنْهَضَ بِهِ قَوَادِمُهُ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ سَيُفِنَا الَّذِي عَلَى عَاتِقِ الْمَلِكِ [الْأَعْرَضِ]^(١) نِجَادُهُ وَفِي يَدِ
جَبَّارِ السَّمَوَاتِ قَائِمُهُ .

الصف الثالث والعشرون

(المكاتبة بالبشارة عن الخليفة بولده رزقه)

والرسم فيها أن يذكر شرف الخلافة وعلو رتبته، ويشير إلى تخصيص الخلافة
بمصيها إليه دون سائر البرية، وانتقالها إليه بالتوارث من آباءه المناهزين كآبائه
عن كآبائه، وبقائها في عقبه إلى الأبد. ثم يتخلص إلى ذكر النعمة على أمير المؤمنين
التي أنعمها الله تعالى عليه، وأن من أعظمها نعمة أن رزقه الله تعالى ولدا، ويذكر
اسمه وكنته، ويصفه بما يناسبه.

وهذه نسخة كتاب في معنى ذلك، وهي:

الحمد لله مؤيد الإسلام بخلفائه الراشدين، ومظهر الإيمان بأوليائه الهادين، الذي
جعل الإمامة كلمة باقية فيهم إلى يوم الدين، وأقام منهم الحاضر المتبع، والمرجو
المتوقع، وأطلع منهم في سماء الهداية شهابا لا ينحجب منها شهاب حتى يتوقد شهاب،
وفتح بهم للارشاد أبوابا لا يربح منها باب حتى يفتح باب.

يحمده أمير المؤمنين أن فوض إليه منازل آباءه، ووقفه ("") بانتقال ما ورثه من آباءه
إلى أبنائه، ويسأله أن يصل على من كرمه بولادته وشرفه بالانتساب إلى شجرة
سيدنا محمد خاتم رسله، المترجم عن توحيدته وعدله، وعلى أخيه وابن عمه علي بن
أبي طالب قسيمه في فضله، ووصيه على أمته وأهله.

(١) الزيادة عن "حسن التوسل" (ص ١٠٠).

وإن أولى النعم بأن يفاض في شكرها، وتُعطر المحافل بنشرها، نعمة حاطت
دعائم الدين، وأمرت جبل المسلمين، وتساوى في [تناول] ^(١) قِطَافِهَا الكافه، وأذنت
بشروع الرحمة والرافه، وأضحت بها النبوة مشرقة الأنوار، والإمامة عالية المنار،
والخلافة محتالة المنبر والسرير، رافلة في حلال الأبتهاج والسرور.

وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك، وقد رزقه الله تعالى ولدا ذكرا مباركا رضيعا، سماه
فلانا، وكناه أبا فلان، بخلا بنهار غرته الدامس، وأقتر بمقدمه العايس، وأخضر
يمن [نقيبته] ^(١) اليايس، ووثقت الآمال بسعادة مقدمه، وتطلعت الأعناق إلى جوده
وكرميه، مبشرا لك بهذه النعمى الحسنة الأثر، القليلة الخطر، علما بمكانك من ولائه
ومخالصته، وسرورك بما يفيضه الله عليه من شايب نعمته: لتأخذ من المسرة
والجدل بحظ المولى المخلص، والعبد المتخصص، ولتشيح مضمون كتابه فيمن قبلك
من الأولياء، ليشاركونا في الشكر والثناء، فأعلم هذا وأعمل به، إن شاء الله تعالى.

[قلت] ^(١) وهذا الصنف من المكاتبات السلطانية مستعمل في البشارة عن السلطان
إذا حدث له ولد، فيكتب بالبشارة به إلى نواب السلطنة وأهل المملكة.

الصنف الرابع والعشرون

(ما يكتب عن السلطان بالبشارة بعافيته من مريض)

وهذه نسخة كتاب بعافية الملك الناصر « محمد بن قلاوون » من مريض، إلى
صاحب ماردین، وهو.

(١) بياض بالأصل والنصح من المقام.

ولا زالت البشائر على سَمْعِهِ الْكَرِيمِ مُتَوَاتِرَةً ، وَالْمَسَارُّ إِلَى مَقَامِ مُلْكِهِ سَائِرَةٌ ،
وَالْتَهَانِي ، بِلُغَةِ الْأَمَانِي ، مِنْ كَمَالِ شَفَائِنَا تَجْعَلُ نُفُورَ الثُّغُورِ بِاسْمَةٍ وَوُجُوهَ الدُّهُورِ
نَاصِرَهُ ، وَنِعْمَ اللَّهُ تَعَالَى مُقَابَلَةً بِالشُّكْرِ الْجَزِيلِ عَلَى أَنْ أَجَدَّ مَلِكَ الْإِسْلَامِ بِاِفْتِقَادِهِ ،
وَأَبْقَى لِلدِّينِ الْمَحْمُودِيِّ نَاصِرَهُ . أَصْدَرْنَا بِهَا إِلَى الْمَقَامِ الْعَالِيِّ وَمَوَارِدُنَا مِنَ الصَّحَّةِ حَلْوَةً
فِي الْأَفْوَاهِ ، وَالسِّنْتُنَا شَاكِرَةً لِنِعْمِ اللَّهِ ، وَعَافِيَتُنَا مُجَدِّدَةً فِي كُلِّ جَدِيدٍ ، وَصِحَّتُنَا قَدْ بَلَغَتْ
مِنَ الْمَزِيدِ مَا نُرِيدُ ، وَقَدْ أَلْبَسْنَا اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الشِّفَاءِ ثَوْبًا قَشِيبًا ، وَنَصَرْنَا نَصْرًا عَزِيزًا
وَفَتَحَ لَنَا فَتْحًا مُبِينًا - تُهْدِي إِلَيْهِ سَلَامًا تَتَّارِجُ بِهِ أَرْجَاءُ مُلْكِهِ ، وَشَاءَ تَنْتَظِمُ الْأَثْنِيَّةُ
فِي سَلِكِهِ ، وَتُوَضِّحُ لِعَلْمِهِ الْكَرِيمِ مَا حَصَلَ مِنْ عَافِيَتِنَا الَّتِي تَضَاعَفَ بِهَا فَرَحُ الْإِسْلَامِ
وَالْمُسْلِمِينَ ، وَوَجِبَ الشُّكْرُ عَلَيْهِمْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

الضرب الثاني

(من مقاصد المكاتبات السلطانية ما يُكْتَبُ عَنِ السُّلْطَانِ فِي الْجَوَابِ)

وَكُلُّ مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي الْوَارِدَةِ بِهَا الْكِتَابُ إِلَيْهِ يُسْتَقُ جَوَابُهُ مِنْهَا ، وَغَالِبُ مَا يُعْنَى
بِهِ مِنْ ذَلِكَ جَوَابٌ مَا يَرِدُ مِنَ الْمَكَاتِبَاتِ بِالتَّقَادُمِ وَالْمُهْدَايَا ، وَمَا فِي مَعْنَى ذَلِكَ .

وهذه أدعية من ذلك يستضاء بها في أوائل الأجوبة عن المعاني التي ترد فيها .

جواب سُلطَانِيٍّ عَنِ وُصُولِ خَيْلٍ : - وَلَا زَالَ يُتَخَفُ بِكُلِّ صَاهِلٍ فِي الْجَمْعِ ،

جَمَالٌ فِي الْمَحْفَلِ ، وَأَجْرَدٌ إِذَا أَمَّ غَايَةً لَمَعَتْ فِي أَثَرِهِ الْبُرُوقُ تَتَطَفَّلُ ، وَمُسَوِّمٌ يَلْتَرَمُ

جَلَالَهُ بِمَزِيدِ جَلَالِهِ ، وَكَيْفَ لَا وَهِيَ إِذَا أُسْدِلَتْ عَلَيْهِ يَتَكَفَّلُ ! . أَصْدَرْنَا بِهَا وَالْعِطْرُ

يَضُوعٌ مِنْ سَلَامِهَا ، وَالْمَسْكُ يُفُوحُ مِنْ خِتَامِهَا ، وَأَنَارُ النَّدَى تُحْكِي آثَارَ أَقْلَامِهَا .

آخر في المعنى : ولا زال مُحتَفِلاً بِالْحِيَادِ وإرسالها، ومُهْدِيًا لِرِكَابِ الشَّرِيفِ
السَّوَابِقِ التي إذا لم يسبقها شَيْءٌ من الحيوان تَجَلَّتْ في مُسَابَقَةِ ظِلَالِهَا، وَيَنْتَقِي لمواكبنا
الْحَيُولَ التي إذا أصبحت في مَدَى أصبحت الرياحُ تتعلق بأذيالها . أصدرناها .

آخر في مثله : ولا زال يُهْدِي إلينا من الحِيَادِ بَحْرًا، وَيَقُودُ من العِرَابِ ماتملاً
غُرَّتَهُ المَوَاكِبِ بِشْرًا، وإذا طلع في الكَتِيبَةِ يزيدُها عِزًّا ونَصْرًا ، من كُلِّ طَرْفٍ
تَأصَّلَ حُسْنًا وحَسَنَ إهَابًا وجَلَّ قَدْرًا .

آخر في مثله : وأعلى له على صَهَوَاتِ العِتَاقِ مُرْتَقِيًا، وخصَّه بِكُلِّ جَوَادٍ وهو مُنْتَقِلٌ
إليه مُنْتَقِيًا، وأطلع عليه نَوَاصِيَ الصَّوَابِقِ التي عُقِدَ الخَيْرُ بها عَقْدًا مُوثِقًا . أصدرناها
وَنُورُ التَّحَايَا من أَرْجَائِهَا يُنِيرُ، ومَفَاخِرُهَا تُشَرِّفُ بها كُلَّ مَنِيرٍ وَسَرِيرٍ، وركابُ أُنْيَتِهَا
تسير إلى مقامه فتَطِيبُ راحلَةً في ذلك المَسِيرِ .

آخر في مثله : ولا زال يُهْدِي من الحِيَادِ المُسَوِّمَةَ أصائلها، وَيُخَفُّ مما يحبِّيه عند
الوِفَادَةِ عليه صاهلها ، ويقابل أكرمَ غَزَّةٍ : الخَيْرُ معقودٌ بناصيتها واليَمَنُ يُقَابِلُهَا، ويمتَع
بأعزِّ جَوَادٍ حَلِيَّةُ الشَّفَقِ دون إهابه إذ يُمَآئِلُهَا ، وَسُرْعَةُ البرقِ خِفَّتُهُ إذ يُسَاجِلُهَا .

الضرب الثالث

(من الكتب السلطانية الكُتُبُ الصادرة عن نواب السلطنة إلى النواب)

بسبب ما يرد عليهم من المثالات السلطانية)

إعلم أنه قد جرت العادة بأنه إذا ورد على نائب السلطنة بالشَّامِ مِثَالُ شَرِيفٍ من
الأبواب السلطانية، يأمرهم ^(١) كَتَبَ نائب الشَّامِ إلى نواب السلطنة بورود

(١) بياض بالاصل ولعله بأمر .

المثال الشريف مُبَشَّرًا بذلك ، ويجهز إلى كُلِّ منهم مع المثال الوارد إلى كُلِّ نائب من نواب السلطان معنى المثال الوارد من الأبواب السلطانية بذلك . إلا أنه يكون حاكيا لصورة المثال الوارد بذلك ، لأنه مُبْتَدِئُهُ ، ويشتمل ذلك على عدة أمور .

فمن ذلك جلوس السلطان على تخت الملك ، فيخبر نائب الشام في الكتاب الصادر عنه إلى بعض النواب بأن المثال الشريف ورد عليه بذلك ، وأنه ورد كتاب إلى المكتوب إليه فجهزه إليه .

[وهذه نسخة كتاب من ذلك] كُتِبَ به عن نائب الشام إلى بعض نواب السلطنة ، بالبشارة بسلطنة السلطان الملك الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون ، وقد ورد على يد بعض الحُجَّاب . من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، في سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، وهي بعد الصدر :

أمتعه [الله] من البشائر بما يتوضَّح على جبين الصباح بشره ، وبما يترجَّح على ميزان الكواكب قدره ، وبما ينفسح من أوقات أمن لا يختصم في ظلها زيد وعمرو حتى يقال : ولا زيد النحو وعمره . وينهى بعد دعاء يتبلج في الليل فجره ، وثناء يتارجح في طي النسيم نشره ، وولاء يتساوى في درجات الصفاء سره وجهره . أن خير البشائر ما خص أولياء الدولة الشريفة وعم الرعايا ، وسما إلى ثغور الإسلام خبره الحلبي فقال : «أنا ابن جلا وطلاع الثنايا» وقسمت مسرته على كافي الممالك فقالت مملكة مولانا : «لنا المرباع منها والصفايا» وسلك المملوك من الإسراع بإشاعته الحق الواجب ، وجهاز خدمته بين يدي المثال الشريف الذي سبق طائر يمينه ولكنه جاء وفي خدمته حاجب ، وهي البشري الواردة في الأمثلة الشريفة السلطانية ، المالكية الملكية ، الصالحة العمادية ، العريقة في نسب النصر بالأنساب الناصرية المنصورة ، أعلى الله

تعالى أبدأ على قواعد الملك عمادها، وصرف بها الأئمة لما سرّ وصرّفها عمادها،
يجلوسه على كرسى المملكة الذي هو آية سعده الكبرى، وتحت السلطنة الذي عاينه
ملك الجود والعلم فقال: السلام عليك بحراً، وإجماع الأمة على أنه صالح المؤمنين،
وكفاة الحل والعقد على أنه سلطان الإسلام والمسلمين؛ وأركان البيت الناصري
على أنه عماده، وعلى أنه سنده المكمّل وإذا انقضّ بيت سنده؛ فياله جلوساً قامت
فيه كواكب السعد مشدودة المناطق، وياله إجماعاً اتفق فيه - حتى من تصميم
السيوف وتعبير الأقلام - كل صاميت وناطق؛ وياله بيت ملك أبي الله إلا أن يقيم
وزنه أفضل الأفاعيل، وياله ملكاً قال الدهر الطويل أنتظاره: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ﴾. وياله أمراً بلغ خبره وخبره الأوطار والأوطان،
ونفذ برده المصرية على حين فترة تالية له السعود: ﴿فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾
وحشر الناس ضحى يوم الزينة، وجاءوا إليها مستبشرين من أدنى وأقصى كل من
في المدينة؛ وضربت البشائر وباعجباً! أنها تضرب ومكاتها من القلوب مكينه.
حتى إذا أخذت مضر حظها من الهناء قسمت على الأمصار، وأضاء بارق نشرها
من كل وجه فسمت بالشامات غرة الابصار؛ وركض بريد الخير بمبارك باب البريد،
ووصل نيل النيل إلى أنهار دمشق فبردى على الشكر ثابت ويزيد؛ وبشر الإسلام
من وجه الخلف الصالح بأكرم من بر، وأستفاض الأسم الشريف: فلو كلف مشتاق
فوق وسعه لسعى إليه المنبر.

فالحمد لله على أن سرّ البيت الشريف الناصري - بجمع شمله، وعلى أن أتى الملك
العقيم الصالح من أهله؛ وقد جهز المملوك المثل الشريف المختص بمولانا: ومولانا
أولى من أنتظمت لديه درر هذه الأخبار الثمينه، وعظمت بناحيته شعائر هذه الدولة
المكينه، وكل خير حماه خير قرينه؛ والله تعالى يعز الإسلام بعزيمه، ويمضي الآجال

والأرزاق على يدي حربه وسلمه ، ويُخزُّ لرأيه ورأيته النصر قبل أن يطوف الأولياء بعلمه ، وقبل أن يحيط الأذكاء بعلمه .

ومن ذلك الكتابة بورود مثال شريف بعافية السلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ، بن الناصر محمد بن قلاوون ، في خلافة المعتضد بالله أبي الربيع سليمان ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهي بعد الألقاب :

أورد الله عليه من الهناء كل سرى يسره ، وكل سنى يقرُّ أمام ناظره الكريم ويقره ، وكل وفى إذا طلع فى آفاق حلب قيل : لله دره ، ولا زالت البشائر تلقاه بكل وجه جميل ، وبكل جلي جليل ، وبكل خير تصح الدنيا بصحته فليس بها غير النسيم عليل ؛ تقبلاً يزاحم عقود الثغور ، ويكاد يمنع ضم الشفتين للثم طول الأبتسام للسرور ؛ وينهى بعد رفع اليد بدعائه ، وضم الجوانح على ولائه ؛ وجرم الهناء المشترك بمسرة مولانا وهنائه ؛ أن المثال الشريف زاده الله شرفاً ، وزاد فضل سلطانه على العباد سرفاً ؛ ورد بالبشارة العظمى ، والنعماء التى ماضتها الأيام قبل بنعمى ؛ والمسرة التى يأكل حديثها أحاديث المسرات أكلاماً ، ويحبها الإسلام والمسلمون حباً جمياً ؛ بسلامة جوهر الجسد الشريف من ذلك العرض ، وشفائه الذى فى عيون الأعداء منه شفاً تطعن وفى قلوبهم مرض ؛ وأن مادة الأدوية بحمد الله قد آنحست ، والواردة من الأفتقاد بالأجر والعافية قد آبتست ؛ وأن ظنون الإشفاق قد أضحلت .
ونسمات الروض قد قدت الجسم الشريف فاعتلت ، وأخبار الهناء يعينها كل بر يد نسوان من الفرج [ينشد] أسألها أى المواطن حلت ؛ فيا لها بشارة خصت الإسلام وعمت بنيه ، وسارت فوق الأرض وسرت تحتها أسلاف الملك ومبنتيه ؛ وشملت البلاد وعبادها ، والسلطنة وقد حجب الله عمادها عمادها ، والمملك السلطاني وقد ثبت الله

به على الدنيا من السماء خيمتها ومن الجبال أوتادها؛ والطير وقد حملت ورقه أوراق السرور، والوحش وقد قالت مهاة : على عيني أتحمّل ذلك السقام أو ذلك الفتور؛ ﴿ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴾ والألطف الرّاحمُ بها المؤمنين من خلقه ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ .

وكان ورودُ هذا المثل الشريف على يد فلان ، فيآله من وأردٍ لمشاريع الأمنِ أورد، ولروائع الناس عن القلوب حجب أورد؛ وقد جهزه المملوك بالمثل الشريف المختص بمولانا وهذه الخدمة بعد أن ضربت البشائر مسوغة في كل ضرب من التهاني ، وزينت البلد زينةً منظمّت فيها غير العقود أيدي الغواني ؛ فيأخذ حظه من هذه البشري ، ونصيبه من هذا الوجه الذي ملأ الوجود بشرا ، وشطره من الهناء المخصوص الذي تعجل منه المملوك شطرا ؛ والله تعالى يسره بكل خير تُشرق زواهره ، وتعبق في كئام الدروج أزاهره ، ويتألق على يد بريده من المخلقات كل كوكب صبح تملأ الدنيا بشائره .

ومن ذلك المكاتبه بورود المثل الشريف بوفاء النيل .

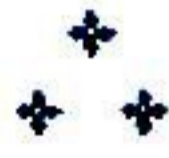
إذا ورد على نائب الشام بوفاء النيل المبارك ، كتب نائب الشام عن نفسه إلى نائب حلب وغيره ، من نواب السلطنة بالممالك الشامية ، بورود المثل الشريف عليه بذلك ، ويكتب عنه كما يكتب عن السلطان : من السجع ، وإيراده مورد البشارة ، وإظهار الفرج والسرور بذلك ، لا يكاد يُخالفه إلا في كونه وأردا مورد الحكاية لمثل السلطان ، ومثال السلطان محير بذلك ابتداء .

وهذه نسخة مثال كريم من ذلك عن نائب الشام ، من إنشاء الشيخ جمال الدين ابن نباتة ، كتب به لسنة ثلاث وأربعين وسبعائة ، وهي بعد الصدر :

لا زالت مَبَشَّرَةً بِكُلِّ مُبَهِّجَةٍ ، مُعَطَّرَةً الْأَرْجَاءَ بِكُلِّ سَائِرَةِ أَرْجَاهِ ؛ مَبَسَّرَةً الْأَوْقَاتِ
بِمُقَدَّمَتِي سَمَاعٍ وَعِيَانٍ : كِلَاهُمَا لِلسَّائِرِ مُتَّبِعَةٌ ، مُسْتَحْضِرَةٌ فِي مَعَالِي الْكَرَمِ كُلِّ دَقِيقَةٍ
تَشْهَدُ بِسَطْوَةِ النَّيْلِ أَنَّهَا أَرْفَعُ مِنْهُ دَرَجَةً ؛ وَيُنْهَى بَعْدَ دَعَاءِ مَا الرَّوْضُ أُعْطِرَ مِنْ شَدَاهِ ،
وَلَا مَاءَ النَّيْلِ وَإِنْ كَرَّمَ وَفَاءً بِأَوْفَى مِنْ جَدَاهِ ؛ أَنْ الْمَرْسُومَ الشَّرِيفَ زَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى
شَرَفًا ، وَرَدَ بِوَفَاءِ النَّيْلِ الْمُبَارَكِ وَحَبْدًا هُوَ مِنْ وَفَى مُوَأْفَى ، وَمُتَغَيَّرِ الْمَجْرَى وَعَيْشُ
الْبِلَادِ بِهِ الْعَيْشُ الصَّافِي ، وَحَسَنَ الزِّيَارَةِ وَالرَّحِيلِ مَاضَاهُتَهُ الْغِيُوثُ فِي وِلَايَتِي ؛ وَوَارِدِ
مِنْ مَعْبَدٍ بَعِيدٍ ، وَحَمِيلٍ لَا جَرَمَ أَنْ مَدَّهُ نَائِبٌ وَيَزِيدُ ؛ وَجَائِدٍ إِذَا تَبَاعَ حَيْثُ تَيَّأَرُهُ
يُقَلِّدُ بَرَّهُ وَدُرَّهُ مِنَ الْأَرْضِ وَسَاكِئِنَا كُلِّ جِيدٍ ، وَإِذَا ذُكِرَ الْخِصْبُ لِمَكَانٍ عَيْدِهِ
الْمَشْهُودِ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ؛ وَذَلِكَ فِي يَوْمِ كَذَا ، وَأَنَّ الْبِلَادَ جُبِرَتْ بِكُسْرِ
خَلِيجِهِ ، وَأَسْتَقَامَتْ أَحْوَالُهَا بِتَفْرِيجِهِ : وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ بِالْآلِيَّةِ ، وَوَسَمَّتْ لَوْنَهُ الْأَصْهَبَ
عَلَى رَغْمِ الصَّهْبَاءِ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ ؛ وَخَلَقَ فَلَائِتَ الدُّنْيَا بِسَائِرِ مَخْلَقِهِ ، وَعُلَّقَ سِتْرَهُ
الْمِصْرِيَّ التَّبْرِيَّ فَزَكَ عَلَى مَعْلَقِهِ ، وَحَلَّقَ مَسِيرَ تَرَاعِهِ عَلَى الْقُرَى فَبَاتَ عَلَى النَّدَا ضَيْفُ
مَخْلَقِهِ ؛ وَحَدَّثَ عَنِ الْبَحْرِ وَلَا حَرَجَ ، وَأَنْعَرَجَ عَلَى الْبِقَاعِ يَلْوِي مِعْصَمَهُ فَتَهُ أَوْقَاتِ
ذَلِكَ اللَّوَى وَالْمُنْعَرَجِ ؛ وَأَسْتَقَرَّتِ الرِّعَايَا آمِنِينَ آمِلِينَ ، وَقَطَعَ دَابِرَ الْجَدْبِ بِسُعودِ
هَذِهِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ ؛ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ؛ وَرُسِمَ أَنْ لَا يُجْبَى حَقُّ بَشَارَةِ ،
وَلَا تَعْبَثَ يَدُ التَّقْيِصِ مِنْهَا لِيَزْدَادَ الْخَبْرُ نُورًا عَلَى نُورٍ ، وَيَكُونَ فِي إِثَارِهِ وَحُسْنِهِ الْخَبْرُ
الْحَسَنَ الْمَأْثُورَ ؛ وَوَصَلَ بِهَذَا الْخَبْرُ فَلَانَ وَعَلَى يَدِهِ مِثَالُ شَرِيفٍ يَخْتَصُّ بِمَوْلَانَا
وَقَدْ جَهَّزَهُ بِمَا يَأْخُذُ مَوْلَانَا حَظَّهُ مِنْ هَذِهِ الْبَشْرَى ، وَيُوضِّحُ بِهَا عَلَى كُلِّ الْوَجْهِ

(١) فِي الْأَصْلِ "لَا جَرَمَ أَنْ يَدَهُ" .

بِشْرًا ، وَاللَّهِ تَعَالَى يَمْلَأُ لَهُ بِالْمَسَرَّاتِ صَدْرًا ، وَيَضَعُ بَعْدَهِ عَنِ الرَّعِيَةِ إِصْرًا ، وَيَسْرَهُمْ
فِي أَيَّامِهِ بِكُلِّ وَارِدٍ يَقُولُ الْإِحْسَانُ لِمُتَحَمِّلِهِ : ﴿ لَوْ شِئْتَ لَأَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة كتاب آخر في المعنى إلى بعض النواب ، من إنشاء الشيخ جمال الدين
أَبْنِ نُبَاتَةَ أَيْضًا ، وَهِيَ بَعْدَ الصَّدْرِ :

وَضَاعَفَ مَوَادَّ نِعَمِهِ وَنِعْمَائِهِ ، وَمَسَّرَتْهُ وَهَنَائِهِ ، وَحَفِظَ عَلَيْهِ مَا وَهَبَهُ مِنَ الْمُنَاقِبِ
الَّتِي يَرَوِي النَّيْلُ عَنْ كَرَمِهِ وَوَفَائِهِ ، وَشَرَّفَ السُّيُوفَ لِكُونِهَا مِنْ سِمَاتِ كَرَمِهِ وَالسُّيُوفَ
لِكُونِهَا مِنْ سَمَائِهِ .

المملوك يُجَدِّدُ الْخِدْمَةَ بِنَفْحَاتِ سَلَامِهِ وَشَنَائِهِ ، وَيَصِفُ وَلَاءَ لَوْ تَجَسَّمُ لِاسْتَمَدَّتْ
عَيْنُ الشَّمْسِ مِنْ سَنَائِهِ ، وَيُنْهَى أَنْ الْمَرْسُومَ الشَّرِيفَ زَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى شَرَفًا ، وَرَدَّ
مُبَشَّرًا بِوَفَاءِ النَّيْلِ الْمُبَارِكِ فِي يَوْمِ كَذَا ، فَيَالَهُ رَبِّيعًا جَاءَ فِي رَبِيعٍ ، وَحَامِلًا فِي مُفْرَدِهِ
الْفَضْلَ الْجَمِيعَ ، وَدَاعِيًا بِالْحَصْبِ يَنْشُدُ كُلَّ ثَانِيَةِ آثِينَ رَيْحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعِ ،
وَمُتَغْنِيًا عَلَى مَنَصَّةِ الْمِقْيَاسِ عِرْسَهُ يُجْلَى عَلَيْهِ مِنْ شِبَاكِهَا السُّتْرُ الرَّفِيعِ ، وَأَنَّهُ أَقْبَلَ
وَالْبِلَادُ أَشْهَى مَا تَكُونُ لِلْقِيَاءِ ، وَأَشْوَقُ مَا تَرَى لِمُبَاشَرَةِ رِيهِ وَرِيَّاهُ ، وَقَدْ أَمْتَدَّتْ أَيْدِي
الْجُسُورِ لِقَمِهِ ، وَأَسْتَعَدَّتْ شِفَاهُ الْجُرُوفِ اللَّعْسُ لِلثَّمَةِ ، فَكَّرَمَ عَلَيْهَا زَائِرَهُ ، وَصَحَّبَهَا
بِالنُّجُجِ سَارِيهِ وَسَائِرِهِ ، وَدَارَتْ عَلَى الْجَدْبِ مِنْ خَطُوطِ الْأَمْوَاجِ دَوَائِرُهُ ، وَعَمَّتْ
الْمَنَافِعُ ، وَتَلَقَّتْ عِيُونَ الْفَلَائِحِ نَاهِلَةً بِالأَصَابِعِ ، وَفَاضَ الْبَحْرُ بِيرَهُ ، وَنَشَرَ رِدَائَهُ عَلَى
الْأَرْضِ وَسَيَضُوعُ رَوْضِهَا بِنَشْرِهِ ، وَخُلِقَ الْمِقْيَاسُ فَيَالِكَ مِنْ قِيَاسِ بُشْرَى غَيْرِ مَمْنُوعِ ،
وَكَسَرَ الْخَلِيجُ فَيَالَهُ غُضْنَ قَلِيمِ عَلَى النَّيْلِ وَطَائِرُ سَجْعِهِ عَلَى الْفُرَاتِ مَسْمُوعِ ، وَرُسِمَ أَنْ

لَا يُجْبَى حَقُّ بَشَارِهِ ، وَلَا يَدْخُلُ فِيهَا التَّقْيِصُ لِدَارٍ وَلَا التَّنْفِيسُ لِدَارِهِ ؛ وَوَصَلَ بِهَذَا
 الْأَمْرَ فَلَانَ وَقَدْ جُهِّزَ بِمَا عَلَى يَدَيْهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُتَمَعُّ مَوْلَانَا مِنْ أَقْسَامِ الْمَسَارِّ بِصُنُوفٍ ،
 وَيُدْفَعُ عَنْ حُصُونِ الْإِسْلَامِ بِمِئِنِهِ أَيْدِيَ الصُّرُوفِ ؛ وَيَنْفَعُهَا بِظِلَالِهِ الَّتِي آوَاهَا مُلْكُهُ
 الْكَرِيمُ إِلَى جَنَّةٍ : وَكَذَلِكَ الْجَنَّةُ تَحْتُ ظِلَالِ السُّيُوفِ .

الضرب الرابع

(من المكاتبات السلطانية ما يُكْتَبُ عَنِ النَّوَابِ وَالْأَتْبَاعِ إِلَى الْخَلِيفَةِ
 أَوِ السُّلْطَانِ ، وَفِيهِ مَهِيَعَانُ)

المهيع الأول

(في الأجوبة عن الكُتُبِ السُّلْطَانِيَةِ السَّابِقَةِ فِي الضَّرْبِ الْأَوَّلِ)

قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى مَقْدَمَةِ الْمَكَاتِبَاتِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ ذِكْرُ الْخِلَافِ :
 هَلِ الْكُتُبُ الْأَبْتَدَائِيَّةُ [أَعْلَى رُتْبَةً ^(١)] فِي الْإِثْبَانِ بِهَا أَمْ الْجَوَابِيَّةُ ، وَذِكْرُ الْأَحْتِجَاجِ
 لِكُلِّ مِنَ الْمَذْهَبَيْنِ ، وَذِكْرُ التَّحْقِيقِ فِي ذَلِكَ ؛ فَلْيَرَا جَمْعٌ مِنْ مَوْضِعِهِ هُنَاكَ . وَنَحْنُ
 نَذْكُرُ الْكَلَامَ عَلَى أَجْوَابَةِ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ عَلَى التَّرْتِيبِ الْمَتَقَدِّمِ ، جَارِينَ فِي ذَلِكَ عَلَى
 مَا قَرَّرَهُ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" .

فَأَمَّا الْجَوَابُ عَنِ الْكُتُبِ الْوَارِدِ بِانْتِقَالِ الْخِلَافَةِ إِلَى الْخَلِيفَةِ ، فَإِنَّ الْكُتَابَ إِنْ
 كَانَ مُتَضَمِّناً التَّعْزِيَةَ فِي سَلْفِهِ ، وَالْهِنَاءَ بِمُتَجَدِّدِ النِّعْمَةِ عِنْدَهُ فِي آتِقَالِ الْخِلَافَةِ
 إِلَيْهِ ، فَاتَّزَمَ فِيمَا يُكَلِّبُ بِهِ عَنِ الْخَلِيفَةِ أَنْ يُبْنَى عَلَى الْأَسْتِبْشَارِ بِالنِّعْمَةِ فِي خِلَافَتِهِ ،

(١) بياض بالأصل . والتصحيح عما تقدم في (ج ٦ ص ٣٢٣) .

والمسارعة بإخلاص الضمير إلى الدخول في طاعته وبيعته ، وأنفساح الآمال في دولته ، والشكر لله تعالى على جبر الوهن وعلو كلمة الإسلام والمسلمين بدعوته ، وتعزيتيه عن أبيه ، بما يوجب محله المحنة ويقتضيه ، يعني إن كان الخليفة الميِّتُ أباه ، فالدعاء له بأن ينهضه الله تعالى بما حمَّله ، ويعينه على ما كَفَّاه ، ويقرّن ملكه بالحدّ السعيد ، والخلود والتأييد ، وإدالة الأولياء ، وإدالة الأعداء ، ونحو هذا مما يجاريه .

وإن كان الكتاب الوارد بانتقال الخلافة إليه عن أبيه ، ومن في معناه ممن يواليه في المحبة ، فإن الكاتب يحوم في الجواب على ما حصل بذلك من صلاح حال الأمة ، وأستقامة أمر الرعيّة بانتقال الخلافة إليه ، من غير أن يصرّح بدمّ الذهاب قبله . ولا يخفى أن الجواب عن ورود الكتاب بانتقال السلطنة إلى السلطان وجلوسه على تخت الملك في معنى الجواب في انتقال الخلافة إلى الخليفة ، لا يكاد يفرق بينهما ، على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

وأما الجواب عن الكتب الواردة بالدعاء إلى الدين ، فإنما يتكفّفها كتاب مخالفٍ الملة ، لأنها إنما تصدر إليهم . قال في "مواد البيان" : إلا أنه لا غنى لكتاب الإسلام عن علم ما يقع فيها ، لتقدّم عندهم المعرفة بما يجيب به المخالفون ، فيأخذوا عليهم بأطراف الحجّة إذا كتبهم ابتداءً أو جواباً .

قال : ولا تخلو أجوبة هذه الكتب من أربعة معانٍ :

أحدها — إجابة الدعاء إلى الدين ، وقبول الإرشاد والهدى ، والزوع عن الغي ، والإقبال على التبصرة والتذكرة ، بعقائد خالصة ، ونيات صريحة .

والثاني — الإصرار على ما هم متمسكون به ، وتمحل الشبهة في نصرته ، وأدعاء الحق فيما يعتقدونه ، والمغالطة عن الإجابة إلى قبول ما دُعوا إليه .

والثالث - بَدَلُ الْجِزْيَةِ وَالْمُصَالِحَةِ ، وَالْجُنُوحُ إِلَى السَّلْمِ وَالْمُؤَادَعَةِ .

والرابع - إِظْهَارُ الْحِمِيَّةِ ، وَالْقِيَامُ فِي دِفَاعِ مَنْ يَرُومُ اقْتِسَارَهُمْ عَلَى مَفَارِقَةِ شَرَائِعِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ ، وَبَدَلُ الْأَنْفُسِ فِي مُقَارَعَتِهِ .

وأما الجواب عن الكُتُبِ الواردة بالْحَثِّ عَلَى الْجِهَادِ ، فَقَدْ ذَكَرَ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" أَنَّهَا لَا تَخْرُجُ عَنْ مَعْنِيَيْنِ :

أحدهما - إِجَابَةُ الصَّرِيحِ ، وَالْمُبَادَرَةُ إِلَى التَّشْمِيرِ فِي الْجِهَادِ ، وَالْقِيَامُ فِي مَعُونَةِ الْأَوْلِيَاءِ ، عَلَى كِفَاحِ الْأَعْدَاءِ .

والثاني - الْأَعْتِدَارُ وَالتَّعَلُّلُ وَالتَّنَاقُلُ .

هَذَا إِنْ كَانَتْ الْكُتُبُ صَادِرَةً إِلَى الْقَوَادِ وَالْمُقَدِّمِينَ . أَمَا إِذَا كَانَتْ مَقْصُورَةً عَلَى الْأَسْتِنْفَارِ ، فَلَا جَوَابَ لَهَا إِلَّا التُّفُورُ أَوْ الْإِمْسَاكُ . قَالَ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" :
وَالطَّرِيقُ إِلَى إِقَامَةِ الْعُدْرِ لِلْمُسْتَضْرِحِ فِي التَّأَخُّرِ عَنْهُ مُسْتَضْرِحُهُ مَتَى أَرَادَ الْأَعْتِدَارَ عَنْهُ صَعَبٌ عَلَى الْكَاتِبِ ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَتْ الْأَعْدَارُ مُتَّكِلَةً غَيْرَ صَحِيحَةٍ .

قَالَ : وَيَنْبَغِي أَنْ يَتَأَثَّرَ لِذَلِكَ وَيُحْسِنَ التَّلَطُّفَ فِيهِ ، وَلَا يَعْتَلَّ بِكُذْبِ صُرَاحٍ يَنْكَشِفُ لِلْعُدْرِ إِلَيْهِ .

وَأَمَّا الْجَوَابُ عَنِ الْكُتُبِ الْوَارِدَةِ بِالْحَثِّ عَلَى لُزُومِ الطَّاعَةِ ، إِذَا وَرَدَتْ عَلَى النَّوَابِ وَالْوُلَاةِ وَأَمْرُوا بِقِرَاءَتِهَا فِي أَعْمَالِهِمْ عَلَى الرَّعَايَا ، فَإِنَّهُ يَكُونُ : إِمَّا بِانْقِيَادِ الرَّعَايَا إِلَى مَا دُعُوا إِلَيْهِ ، أَوْ أَسْتِدَامَتِهِمْ لِمُرَكَّبِ النَّفَاقِ ، وَأَسْتِدْعَاءِ مَادَّةٍ لِتَقْوِيمِهِمْ .

وَأَمَّا الْجَوَابُ عَنِ الْكُتُبِ إِلَى مَنْ نَكَثَ عَهْدَهُ مِنَ الْمُعَاهِدِينَ ، فَقَدْ ذَكَرَ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" أَنَّهَا لَا تَخْلُو مِنْ أَحَدٍ أَرْبَعَةَ مَعَانٍ .

أولها - الاعتذار والاستقالة من مراجعة النكت، والرغبة في الصفيح عن النبوة، والمسامحة بالهفوة .

والثاني - المغالطة والمراوغه، وأستعمال المدهانة والمخادعة .

والثالث - التجليح والمكاشفة .

والرابع - إيجاب الحجّة على المحبوب (؟) عنه في أنه المبتدئ بفسخ ما عاقد عليه . قال : والكاذب إذا كان ماهرا كسا كل معنى من هذه المعاني الغرض اللائق به في الصناعة .

وأما الجواب عن الكتب إلى من خلع الطاعة ، فقد قال في "مواد البيان" : إنها تحمل معنيين : أحدهما الاعتذار ، والآخر الإصرار ؛ وكل واحد منهما محتاج إلى عبارة لائقة به . ثم قال : والكاذب إذا كان حادقا، عرف سبيل التخلّص فيها بمشيئة الله تعالى .

وأما الجواب عن الكتب الواردة بالفتوح، فإنها إن صدرت من السلطان إلى ولّاته، فينبغي أن يبنى جوابها على الاستبشار بموقع النعم في الظفر بالعدو، والجدل بمتجدد الفتح؛ وأن ذلك إنما تهيأ بسعادته، وعلو رأيه وأنبساط هيئته؛ وما عوده من إظهار أوليائه، وخذلان أعدائه؛ وأنهم قد أشاعوا هذا النبا في الخاصة والعامة من رعاياه فآبتهجوا به، وشكروا الله تعالى عليه ودعوا له بصالح الدعاء . وإن صدرت من ولاة الحرب إلى السلطان، فينبغي أن يكون ما يجيبهم به مبنيا على حمد الله تعالى على عوارفه، والرغبة في مضاعفة لطائفه؛ وشكره على إنجاز وعده في الإظفار بأعداء الملة والدولة ونحو هذا . ومخاطبة أهل الطاعة بما يرهف عزائمهم، ويقوى شوكتهم؛ وتقرّظ وإلى الحرب ووصفه بما يشهد بصيرته في الخدمة . والثناء على

الأجناد ، ووَعَدِهِمْ بِجَزِيلِ الْجَزَاءِ عَلَى الْجِهَادِ وَالْإِبْلَاءِ ، إِلَى غَيْرِ هَذَا مِمَّا يَقْتَضِيهِ الْحَالُ ، وَيُوجِبُهُ تَدْيِيرُ الْأَمْرِ الْحَاضِرِ .

وأما الجواب عن الكُتُبِ الواردة بالأعتذار عن السلطان عند ما يَحْصُلُ لَهُ زَلُّ فِي التَّدْيِيرِ أَوْ [فِي] الظَّفْرِ بِقَبْضِ الْأَعْدَاءِ عَلَى جَيْشٍ مِنْ جُيُوشِهِ ، فَإِنَّمَا تَقَعُ الْإِجَابَةُ عَنْهَا إِذَا نُفِذَتْ إِلَى أَحَدِ الْعَمَالِ خُصُوصًا . قَالَ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" : وَحِينَئِذٍ فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْجَوَابُ عَنْهَا مَبْنِيًّا عَلَى تَقْوِيَةِ نَفْسِ السُّلْطَانِ وَتَوْثِيقِهِ بِالْأَدِلَّةِ ، وَأَنْ مَا نَالَهُ لَا يَتَوَجَّهَ كَثِيرًا عَلَى ذَوِي الْحُرْمِ ، إِلَّا أَنْ عَوَاقِبَ الْفَلَجِ وَالظَّفْرِ وَالْإِصَابَةِ فِي الرَّأْيِ وَالتَّدْيِيرِ تَكُونُ لَهُمْ ، وَنَحْوِ هَذَا مِمَّا يُجَارِيهِ وَيَلِيقُ بِهِ .

قال : أما إذا كانت المكتبة في ذلك إلى الكافية ، مُمَهَّدَةً لِعُذْرِ السُّلْطَانِ ، قَاطِعَةً قَالَةَ الرَّعِيَّةِ عَنْهُ ، فَإِنَّهُ لَا جَوَابَ عَنْهَا : لِأَنَّهَا إِذَا لَمْ تُتَوَجَّهْ إِلَى وَاحِدٍ بَعِيْنِهِ لَا تُسْتَدْعَى خِطَابًا .

وأما الجواب عن الكُتُبِ الواردة عن السلطان بالنهي عن التنازع في الدين ، إذا صدرت إلى الْعَمَالِ ، وَأُمِرُوا بِقِرَاءَتِهَا عَلَى الرَّعَايَا عَلَى مَنَابِرِ أَعْمَالِهِمْ ، فَإِنَّهُ يُبْنَى الْأَمْرُ فِيهَا عَلَى آمْتِنَالِ الْأَمْرِ ، وَالْمَطَالَعَةِ بِأَرْتَسَامِ الْقَوْمِ مَا رَسِمَ لَهُمْ فِيهَا . أَمَا إِذَا كَانَتْ صَادِرَةً لِتَقْرَأَ عَلَى الْعَامَّةِ لِيُبْصِرُوا مَا فِيهَا وَيَعْمَلُوا عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ لَا جَوَابَ عَنْهَا ، لِأَنَّهَا إِنَّمَا تُشْتَمَلُ عَلَى مَوَاعِظٍ وَمَرَاشِدٍ تَتَخَوَّلُ بِهَا الْأُمَّةُ رِعَايَاهُمْ .

وأما الجواب عن الكُتُبِ الواردة بالأوامر والنواهي ، فقد ذكر في "مَوَادِّ الْبَيَانِ" أَنَّ الْكُتُبَ الْوَارِدَةَ فِي ذَلِكَ : إِنْ كَانَ شَيْئًا قَدْ جَزِمَ الْمَتَّبِعُ فِيهِ الْأَمْرَ ، وَضَيَّقَ عَلَى التَّابِعِ فِي إِثَارِهِ سَبِيلَ الْمُرَاجَعَةِ فِيهِ ، فَإِنَّ الْجَوَابَ عَنْهُ سَهْلٌ : لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُجِيبُ بِجَوَابِ جَامِعٍ ، وَهُوَ وَقُوفُهُ عَلَى مَا أَمَرَ بِهِ وَإِنْفَادُهُ لَهُ . وَإِنْ كَانَ الْوَارِدُ أَمْرًا مُحْتَمَلًا لِلْمُرَاجَعَةِ ، مِنْ حَيْثُ إِنَّ فِي إِمضَائِهِ إِذَا أَمْسَى بِمَنْعِ الْعَمَلِ ، وَإِخْلَالِ بِأَسْبَابِ

المُلكِ والسلطان، فالجواب عنه شاقٌ صعبٌ : لأنه ينبغي أن يُبنى على تَلَطُّفٍ شديدٍ في الإبانة عما يُنتجُه ذلك المأمور به إذا أُنفِذَ على وجهه من فتنٍ وخللٍ ، وموردُ المراجعة في ألفاظه لا يتبين فيه إزراء على رأيِ الرئيس ولا طعنٌ في تدييره : بأن تكون ناطقةً بأن رأيه الأعلى، وتدييره الأصوب ، فيكون باطنُ الكلام توقيفاً على الصواب ، وظاهره تصويبا وتقریظا : لأن كثيرا من الرؤساء والملوك يعجبون بأرائهم ، وينزلون أنفسهم بحكم الرياسة في منزلة من لا يرآجِعُ ولا يعارضُ فيما يأمر به .

قال : وقد أتى من كُتُب الأوامر كُتُبٌ يأمر الرئيس فيها المرءوس بشرح حالٍ واقتصاص أمور . ثم قال : وأجوبة هذه الكُتُب يجب أن تكون مُستقصيةً للمعنى المنشرح ، مُستوليةً على حواشيه ، غير مُخلَّة بشيء مما يحتاج إلى تعرُّفه منه .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة عن الإمام عند حدوث الآيات السماوية ، وهي مشتملة على مواعظٍ ومراشدٍ يتحوَّل بها الأئمة رعاياهم ، فإذا صدرت إلى العمال وأمرؤا بقراءتها على الرعايا ، فأجوبتها إنما تُبنى على أمثال الأمر والمطالعة بأرتسام القوم ما رَسِمَ لهم فيها . أما إذا كانت صادرةً لتقرأ على العامة ليتبصروا بما فيها ويعملوا عليه ، فإنه لا جواب عنها .

وأما الجواب عن التَّنبيه على مواسم العبادة ، فإنه يصدر عمن وردَّ عنه إلى الإمام بعد شهود ذلك الموسم ، والأنفصا عن على حال السلامة ، كما في صلاة العيد ونحوها . قال في " مواد البيان " : وأجوبتها تصدر إلى الخلفاء مقصورةً على ذكر ما من الله تعالى به من قضاء الفريضة على حال الائتلاف والاتفاق ، وشُمول الأمر والهدى والسكون ، وسُبوغ النعمة على الكافة ، وأن ذلك بسعادة وعناية الله تعالى بدولته وبرعيته ، ونحوها مما يقتضيه المعنى .

وأما الجواب عن الكُتُب الواردة عن الإمام إلى وُلاةِ أمرِهِ بالسلامة في ركوب
 أول العام وُغرةَ رَمَضانَ ، والجمعة الأولى والثانية والثالثة منه ، وعِيدِي الفِطْرِ
 والأضحى ، وفتح الحليج بعد وفاء النيل ، فقد قال في "مواد البيان" : إنه إن كان
 الكتاب عن السلامة في صلاة العِيدَيْنِ أو جمع رَمَضانَ ، فينبغي أن يكون مَبْنِيًّا على
 وُرود كُتُبِهِ متضمنةً ما أعان الله تعالى عليه أمير المؤمنين من تَأْدِيَةِ فريضة ، واجتمع
 في صلاة عِيدِ كذا بَرَعِيَّتِهِ ؛ وما ألبسه الله تعالى من الهدى والوقار ، وأفاضه عليه
 من البهاء والأنوار ؛ وبروزه في خاصته وعامته إلى مُصَلَّاهُ ، وسماع خُطْبَتِهِ وَعَوْدِهِ
 إلى قَصْرِ الزاهر ، وعليه تَلَاؤُ القَبُولِ لصلاته ودُعَاةِ ، مما أجراه الله تعالى فيه على
 عادة آلائه ؛ ووقف عليه وقابله بالشكر والإحسان ، والاعتراف والاعتداد ، وأفتضه
 على رءوس الأشهاد ؛ فأغْرَقُوا في شُكْرِ الله تعالى على الموهبة في أمير المؤمنين ، ورَغِبُوا
 إليه في إطالة بَقَائِهِ مُرَامِيًّا عن الإسلام والمسلمين ؛ ونحو هذا مما يُجَارِيهِ .

ثم قال : فإذا نُفِذَتْ هذه الكتب من العَمَالِ إلى أمير المؤمنين مُبَشِّرَةً بِاجتماع رعاياه
 لتأدية فريضتهم ، وَعَوْدِهِمْ إلى منازلهم سالمين ، فينبغي أن يكون الجواب عنها :
 «وصل كتابك مُتَضَمَّنًا مالا يزالُ اللهُ تعالى يُؤَلِّهُ لأمير المؤمنين في رَعِيَّتِهِ ، وخاصته
 وعَامَتِهِ : من اتفاق كلمتهم ، وأئتلاف أفئدتهم وسلامة كآفتهم ؛ وما من الله به عليه
 وعليهم من اجتماعهم لتأدية فريضتهم ، وَعَوْدِهِمْ إلى منازلهم ؛ على السَّلامَةِ من ضمايرهم ،
 والطَّهارة من سرائرهم ؛ فحَمِدَ أمير المؤمنين اللهُ تعالى على ذلك وسأله مَزِيدَهُمْ منه ،
 وتَوَفَّقَهُمْ لِمَا يُرِضِيهِ عنهم ؛ وشكر مسعَاكَ في سياستهم ، وأمتداد يدِكَ في إيالتهم ؛
 وهو يأمرُك أن تجرَى على عادتك ، وتسير فيهم بحمِلِ سيرتك» وما يليق بهذا .

ثم بنى على ذلك سائر كتب السلامة، وقال: ينبغي أن يُسْتَنْبَطَ من نَفْسِ كُلِّ كِتَابٍ منها المعنى الذى تجب الإجابة به، مثل أن يكون الكتاب ورد من أمير المؤمنين إلى أحد عماله، مُبَشِّرًا بسلامته من سفره؛ فينبغى أن يُبْنَى جوابه على ما صورته: «ورد كتاب أمير المؤمنين مُبَشِّرًا عبده بما هَيَّأَ اللهُ تعالى له من السلامة ويُمِنِ الوَجْهَ، مع تقريب الشُّقَّةِ، وإزالة المَسَارِّ، وتسهيل الأوطار، وإدناء الدار، فوقف العبد عليه، وأتمثل المرسوم فى إطلاع الأولياء على ما نُصِّف فيه من هذه البُشْرَى، فَعَظُمَتِ المِنْحَةُ لديهم، وَجَلَّتِ النِّعْمَةُ عندهم؛ وأنشِرتْ صُدُورهم، وأنفسحت آمالهم، ووقفوا بصنع الله تعالى لهم؛ وأرتفعت أيديهم إلى الله سبحانه بالرغبة فى حياطة أمير المؤمنين قاطنًا وظاعنًا، وحسن صحابته حالًا وراحلا؛ وجميل الخِلافة على من خلفه من حامته وعمته، وأهل دَعْوَتِهِ وخاصة دولته؛ والله تعالى يجب فى أمير المؤمنين صالح الدعاء، ويمدُّه بطول البقاء» وما ينظم فى سلك هذا الكلام ويضاهيه.

قلت: وقد تقدم فى الكلام على المكاتب السلطانية الابتدائية: أن المكاتبه بالبشارة بالسلامة فى رُكُوب العيدين وما فى معناها من قدوم السفر وغيره، قد ترك استعماله بديوان الإنشاء فى زماننا. فإن قُدِّرَ مثله فى هذه الأيام، أجراء الكاتب على نحو ما تقدم، على ما يقتضيه مصطلح الزمان فى المكاتب السلطانية.

وأما الجواب عن الكتب الواردة بالخلع وما فى معنى ذلك، فينبغى أن يكون مَبْنِيًّا على تعظيم المنه، والاعتراف بجزالة المنحة؛ وجميل العطية، وزائد الفضل؛ وأن ما أُسْدِيَ إليه من ذلك تَفَضُّلٌ عليه، وتَطَوُّلٌ من غير استحقاق لذلك؛ بل فائضٌ فضيل، وجزيل امتنان؛ وأنه عاجز عن شكر هذه النعمة والقيام بواجبها، لا يستطيع

لها مكافأة غير الرغبة إلى الله تعالى بالأدعية لهذا الدولة . وما يناسب ذلك من الكلام ويلائمه .

وأما الجواب عن الكتب بالتنويه والتلقيب إذا صدرت إلى نواب المملكة ، فالذي ذكره في "مواد البيان" أن المنوه به يجب عما يصله من ذلك بوصول الكتاب إليه ، ووقوفه عليه ، ومعرفة بقدر العارفة مما تضمنته الرغبة إلى الله تعالى في إيزاعه الشكر ، ومعاونته على مقابلة النعمة بالإخلاص والطاعة . أما إذا كتبت بالتنويه والتلقيب لأحد من المقيمين بحضرة الخلافة ، فإنه لا جواب لها .

وأما الجواب عن الكتب الواردة بالإحاد والإذمام ، فيختلف الحال فيه : فإن كان الكتاب الوارد بالإحاد والتقرير ، بجوابه مقصور على الشكر الدال على وقوع ذلك الإحاد موقعه من الحمود ، ومطالبته لنفسه بالخروج من حقه باستفراغ الوسع في الأسباب الموجبة للزيادة منه . وإن كان الكتاب بالإذمام : فإن كان ذلك لموجدة بسبب أمر بلغه عنه من عدو أو حاسد نعمة أو منزلة هو مخصوص بها من رئيسه ، كان الجواب بالتنصّل والمقابلة بما يرى سآحته ، ويدل على سلامة ناحيته ، وأن يُورد ذلك بصيغة تُزيل عن النفس ما سبق إليها ، وتبعث على الرضا . وكذلك في كل واقعة بحسبها ، مما يحصل به التنصّل والأسترضاء ونحو ذلك .

وأما الجواب عن الكتب الواردة مع الإنعام السلطاني ، فعلى نحو ما سبق في الخلع : من تعظيم المنّة ، والأعتراف [بجزالة المنحة ^(١)] وجميل العطية ، وزيادة الفضل ، وما في معنى ذلك مما تقدم ذكره .

وأما الجواب عن الكتب الواردة عن الخليفة أو السلطان بتجدد ولد ، فإنه يكون بإظهار السرور والأغتنباط ، وزيادة الفرح والسرور بما من الله تعالى به من تكثير

(١) بياض بالاصل والتصحيح عما تقدم قريبا في الجواب عن الخلع .

العَدَد، وزيَادَة المَدَد، والرَّغْبَة إلى الله تعالى في أن يُوَالِي هذا المَزِيدَ وَيُضَاعِفَهُ .
ونحو ذلك مما يجرى هذا المجرى .

وأما الجواب عن الكُتُبِ الواردة بعافية الخليفة أو السلطان من مَرِيضٍ كان قد عَرَضَ له ، فطريقه حمد الله تعالى وشُكْرُه على ما منَّ الله تعالى به من العافية ، وَتَفَضَّلَ به من إزاحة المَرِيضِ ، وِوَقَايَةِ المَكْرُوهِ ، وإظهار الفَرَجِ والسُّرُورِ بذلك .
وما ينخرط في هذا السُّلُكِ .

وأما الجواب عن الكتب الواردة بالتعزية بولدٍ أو قَرِيبٍ ، فإنه يظهر فيه الغم^(١) والحُزْنَ والكآبَةَ ، وحمد الله تعالى على سلامة نَفْسِهِ ، والرَّغْبَةَ إلى الله تعالى في الخَلْفِ عليه ، إن كان المَيِّتُ وُلْدًا ، مع الدعاء بِطُولِ البَقَاءِ وَخُلُودِ الدَّوْلَةِ ، وما يجرى هذا المجرى .
وهذه نسخ أجوبة عن مكاتبات سلطانية ، مما يكثر وقوعه ، ويتعدد تكراره ،
يَسْتَضِيءُ بها الكاتب في كتابة الأجوبة ، وَيَنْسُجُ على مَنَوَالِهَا .



نسخة جواب عن كتاب وصل من الخليفة بانتقال الخلافة إليه ، كُتِبَ به إلى أمير الأمراء ، قَرِينِ خِلْعَةِ وَسَيْفِ وَتَاجِ وَسِوَارِينِ ، من إنشاء أبي الحسين بن سعد ، وهو :

فإن كان سَيِّدُنَا أمير المؤمنين ، بما أعلم من فَضْلِ مَرَاعَاتِهِ لأُمُورِ الدِّينِ ، وَصِدْقِ عِنَايَتِهِ بِمِصَالِحِ المُسْلِمِينَ ، وَأُفِيضَ لَهُ (؟) مِنْ مَوَاهِبِ اللَّهِ عِنْدَهُمْ ، وَصُنُوفِ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ ؛ فَمَا هَدَاهُ مِنْ طُرُقِ الرِّشَادِ ، وَبَصَّرَهُ إِيَّاهُ مِنْ مَنَاهِجِ الصُّوَابِ ، وَقَرَّنَهُ بِهِ مِنَ التَّوْفِيقِ فِي عَزَائِمِهِ ، وَالْجِدِّ فِي مَرَامِهِ ، وَتَوَعَّدَهُ فِيهِ بِالْخَيْرَاتِ التَّامَّةِ ، وَالْكِفَايَةِ الْعَامَّةِ ؛ فِي كُلِّ

(١) في الاصل "التغم" ولم نعر عليه في كتب اللغة .

أمرٍ يُضيه ، ورأيٍ يرتبه ، اعتماداً له بحُسنِ المعونة على ما استرعه ، ووصله بالمزيد فيما خوله وأعطاه ، وحراسةٍ ماساقه إليه من إرث النبوة ، وحمله إياه من ثقل الإمامة ، لما عرفه من نهوضه بالعبء ، وقيامه بالحق فيما ناطه وأسنده إليه ، وتأمله ماتامله من حال عبده الذي لم يزل لطاعته معتقداً ، وبعضه ممتضداً ، ولو قيت يبلغه منزلة الإحجاد ، ويحوز له عائدة الاجتهاد ، فيما أرضاه مرتصداً ، ولسعه ونيته ، وظاهره وطويته ، معتمداً ، ووجوده أيده الله في يسير ما امتحن به بلآئه ، وعرف فيه غناؤه ، موضعاً للصنيعه ، محتماً للعارفه ، مقراً بحق النعمة ، عارفاً بقدر الموهبه ، وترقيه فرصة ينتهزها في إبداء عزيمه ، وإمضاء رأيه ، وأنه [واثق] بالاستظهار بمكانه ، والإسهام له في عز سلطانه ، حتى أسفرت رويته ، وأستقرت عزيمته ، فاخص عبده بجميل الأثر ، وأصطفاه بلطيف الخطوة ، وأعتمد عليه في إمارة الأمراء ، موفياً به على رتبة النظراء ، وكاسياً له حلة المجد والسناء ، ورد إليه تدبير الرجال ، وتقدير أمور العمال ، وشفع ذلك بالكينية والتلقيب في مشاهد حقلته ، ومجالس خلوته ، وأكل الصنع عنده بالحق عبده فيما قسم لكل واحد منهما من شريف حباته ، وسني عطائه ، وتجاوز في التكرمة له إلى أعلى الأحوال ، وأرفع الرتب والمحال ، فيما أمر - أعلى الله أمره - بجمله إليه من الخلة التي تبقى شرف لباسها [على] الأيام ، ويحلد ذكرها على الدهور والأعوام ، والسيف الذي تفاعل لعبده فيه بما يرجو بمن مولاه وسعادة جده : أن يحققه الله في الاعتماد به على أعدائه ، وعمده في محور مشاقبه وغامصي نعمائه ، والتأج المرصع الذي نظم له جوامع الفخر ، والوشاح الموشني الذي وشحه حلية الجمال مدى الدهر ، والطوق الذي طوقه قلائد المجد ، والسوارين اللذين آذناه بقوة العضد وبسطة اليد ، واللواء المعقود به مفتح العز في طاعته ، المرفوع به معالم النصر على شاني دولته ، ووصل إلى وفهمته .

وسيدنا أمير المؤمنين - فيما أكرمه الله به من خلافته ؛ وأمنه من الحكم على
 برئته ؛ ووكله إليه من حقوق الدين ، وحيأطته كرم المسلمين ؛ وإحياء السير الرضية ،
 والسنة الحميدة ؛ وإمارة الأحكام الجائرة ، والمظالم الظاهرة ؛ وتقويم أود الملكة
 بعد تزغزع أركانها ، وتصدع بُنيانها ؛ وإعزاز الأمة وإيناسها ، بعد أن آشملت
 [الذلة ^(١)] عليها وتمكنت الوحشة فيها ؛ وحكم اليأس في آملها ، وغلب القنوط على
 أطعائها ؛ وتفاءل بما أعتمده له ، وفوضه إلى نظره : من الحلية بحقائقه ، والتوكيد
 بما لم تزل المخايل فيه لأئحّه ، والأمارات منه واضحة ؛ والشواهد به صادقة ،
 والدلائل عليه ناطقة ؛ حتى تدارك بنعمة الله الدين بعد أن طمس مناره ، وتعتت
 آثاره ؛ ودرست رسومه ، وغارت نجومه ؛ وأنحى الشيطان بجرانه ، وأشرأب لتبديله
 بعدوانه ؛ وأنتدب لنصرة الإسلام برأي يستغرق آراء الرجال ، وحلم يستخف رواسى
 الجبال ؛ وروية تستخرج كوامن الغيوب ، وتكشف عنها حنادس الشكوك ؛ وباع
 لما يمتد إليه بسيط ، وذراع لما ينتظم عليه رحيب ؛ وصدر يتسع لمعضلات
 الأمور ، ويشرق في مدهيات الحوادث ؛ فشرّد أعداء الله بعد أن اتصلت بهم مهلة
 الأغرار ، وتناولت بهم مدة الإصرار ؛ ومدّ رواق الملك وضرب قبابه ، وثبت أواخيه
 وأحصد أسبابه ؛ وقطع أطماع الملحدين ، وأبطل كيد الكافرين ، وفَت في أعضاء
 المنايدين ؛ فتحصنت البيضة ، واجتمعت الكلمة ؛ وأتفقت الأهواء المتفرقة ،
 وانتظمت الآراء المتشعبة ، وسكنت الدهماء المضطربة ، وقرت القلوب المنزعجة ؛
 وصدقت خواطر الصدور الثلجة ؛ وظهر الحق ورشح عموده ، وبهر جماله ونصر
 عوده ؛ ونشرت أعلامه وطلعت سعوته ، وعزّ أولياؤه ونصرت جنوده ؛ وساخ

(١) بياض بالاصل ، والتصحيح من المقام .

(٢) في الأصل «أخضد» وهو تصحيف .

بالباطل قَدُمه ، وأنقطعت وصائله وعصمه ؛ وأنبتت حباله ورُممه ، وأنحلت أسبابه
وذممه - حقيق بما بآن من فضله ، وأستفاض في الأئمة من عدله ، وعم كافة الرعية
من طوله ؛ ووصلت إلى الملى والذمى والدانى والقاصى عائدة الخير في أيامه ، وفائدة
الأمين بملكته وسلطانه ؛ ومأمول لأفضل مابدا لعبد من ثمرة اجتهائه وأصطفائه ،
وما نعمده به من النعم العظيمه ، والمواهب الجسيمه ؛ وأسبغه عليه من العوارف
السنية ، ورفعته إليه من المنازل العلية ؛ التي تقصر عنها همم ذوى الأقدار ، وتقف دونها
آمال أولى الأخطار ؛ مقدما له على أهل السوابق من أنصار دولته ، وأشباع دعوته .

فلو ترادفت ألسن العباد - أيد الله أمير المؤمنين - على اختلاف لغاتهم ، وتباين
طبقاتهم ، وتفاوت حالاتهم ؛ في مقابلة نعمة سيدنا التي أعشى العيون بهاؤها ، وتادية
حقوقه التي أعيا المجتهدين قضاؤها ؛ لكانت - حيث انتهت ، وأنى تصرفت ؛
على استفراغ القدرة واستنفاد الطاعة - غير مقاربة حدا من حدودها ، ولا مؤدية
فرضا من فروضها ؛ وإذا كان الأمر على ذلك - أيد الله أمير المؤمنين - في فوات
الإحسان ، مقادير الشكر ، وإيفائه على مبالغ الوسع ؛ فقصده عبده في جبر النقيصه ،
وسد الخلة ؛ الأزدياد في الطاعة ، والإخلاص في الموالاة والمشايعه ؛ وإدامة الأتبهال
إلى الله تعالى ، ورفع الرغبة في معونة عبد أمير المؤمنين على مجافاة بلائه ، والتفرد
بجزائه ، وتجديد المسألة في إطالة بقائه ؛ في عز لا تبلى جدته ، وسلطان لا تنهى مدته ؛
ومواد من مناسجه وموائده ، وروادف من عوائده ؛ متظاهرة لا ينقطع منها أول
حتى يلحق تاليه . ولا ينصرم سالفه حتى ينصرف آتیه ؛ ويكون المال بعد استيفاء
شروط الأمل ، وتقضى حدود المهل ؛ إلى النعم المقيم ، في جوار العزيز الكريم .

(١) في الأصل « مصافة » وهو تصحيف .

ومن تمام إفضال سيدنا على عبده، ونظام معروفيه عنده، بدؤه إياه بما يمتحن به خفة نهضته، وسرعة حركته، وقعوده لأمره بحد حديد، وبعيش عتيد، وصمده لما يُحظيه لذلك مولاه، ويحوز له حمده ورضاه، بصديق بصيره، وخلص سريره، وأستسهل لكل خطه، وتجشم لكل مشقه، دنت المسافة أم شسعت، قربت الطية أم تزحت، وسيدنا أهل لأستتام يد ابتداها، وإكمال عارفة أنشأها وكرامة آبتناها، باستعمال عبده بأمره ونهيه، وأعماده لمهمات بحضرتة وفي أطراف مملكته، إن شاء الله تعالى .



قلت : وهذه نسخة كتاب أنشأته : ليكتب به إلى أمير المؤمنين المستعين بالله، أبي الفضل العباس خليفة العصر، عن نائب الغيبة بالديار المصرية، حين وردت كتبه الشريفة من الشام إلى الديار المصرية بالقبض على الناصر فرج بن الظاهر برقوق بالشام، وأستبداده بالأمر دون سلطان معه، في أوائل سنة خمس عشرة وثمانمائة، مُفتتحاً له «بِقَبْلِ الأَرْضِ» التي يكتب بها الملوك. وإن كان قد تقدم من كلام المقر الشهابي بن فضل الله أن المكتبة إلى أبواب الخلافة بالدعاء للديوان، لا يختلف فيه ملك ولا سُوقة، وهو :

يُقْبَلُ الأَرْضَ وَيُنْهَى وَرُودَ المِثَالِ الأَشْرَفِ المِيمُونِ طَائِرُهُ، المَرْقُومِ عَلَى صَفْحَاتِ الأَفلاكِ تَهَانِيهِ المَحْمُولِ عَلَى مِثْنِ السَّحَابِ بَشَائِرِهِ، الشَّاهِدِ بِالفَتْحِ المِيبِينَ أَوَائِلُهُ وبالنَّصْرِ العَزِيزِ أَوَائِرُهُ، مُتَضَمَّنًا مَا مَنَّ اللهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ جَمِيلِ الصَّنْعِ الذِي وَكَّفَتْ بِالخَيْرِ سَخَائِبُهُ، وَخَفِيَ اللُّطْفِ الذِي بَهَرَتْ العُقُولَ عَجَائِبُهُ، بِمَا مَنَحَ اللهُ تَعَالَى بِهِ مَوْلَانَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ مَدَّ اللهُ تَعَالَى عَلَى الإِسْلَامِ وَارِفَ ظِلَّهُ، وَأَنَامَ الأَنَامَ بِمَدِّ رِوَاقِ

الإمامة المعظمة في مهادِ عدله ، وممكن له في الأرض كما ممكن لآبائه الخلفاء الراشدين من قبله : من جلوسه على سُدَّةِ الخِلافةِ المُقدَّسة التي وُصِلَ مُنْقَطِعَ حديثها بإسناده ، وحاز منها بأشرفِ مقعدِ تراثِ آبائه الكرامِ وأجداده ؛ وأبتسم ثغر الخِلافةِ بعباسه ، وتأنس منها جانب الدين بعد الاستيحاءِ بإيناسه ؛ فقبل المملوك له الأرض خاضعا ، ولبي أوامره الشريفة ضارعا ، وأجاب داعيه بالامتثال سامعا طائعا ؛ وسجد سجود الشكر لذلك فعرف بسيماه ، وانتسب إلى الولاء الشريف الإمامي انتسابا شاملا لأسمه ومعناه ؛ وأعلم من قبله من الأمراء والأجناد بذلك فقابلوه بالاستبشار طرأ ، وتلقوها تلقيا يليق بمثلها وإن كان لا مثل لهذه البشرية ؛ وقُرئت المطلقات الشريفة على المنابر فسكنت الدهماء وقُرئت ، وسرت ألفاظها إلى الأسماع الشيقة فسرت ، وكُررت ألفاظها العذبة مرارا فحلت لدى النفوس إذ مرت ؛ وأرتفعت الأصوات بالدعاء بدوام هذه الدولة النبوية دواما لا يستشعر مستشعرا خلافة ، فحقيق ظهور معجزة أكرم مرسل بعد الثمانمائة بقوله لعممة العباس : « أَلَا أُنشِرُكَ بِأَعْمَ : بِي خُتِمَتِ النَّبُوءَةُ وَبِوَلَدِكَ تُخْتَمُ الْخِلاَفَةُ » .



وهذه نسخة جواب عن نائب طرابلس عن مثال شريف ورد بوفاة السلطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون » وأستقرار ولده السلطان الملك المنصور « أبي بكر » مكانه في الملك بعهد من أبيه . من إنشاء القاضي تاج الدين بن البارباري ، بعد التعزية بأبيه السلطان الملك الناصر ، وهي :

ويُنهي ورود المرسوم الشريف شرفه الله تعالى وعظمه ، يتضمن أمر المصاب الذي كادت لوقوعه الأرض تتزلزل بأهلها ، والعقول تتربل عن محلها ، وبلغت القلوب

الحنّاجِر، وأسْتَوْحِشَتِ القُصُورُ وأسْتَأْنَسَتِ المَقَابِرُ، وتَصَدَّعَتْ لَه صُدُورُ السُّيُوفِ
وَرُعُوسُ المَنَارِبِ؛ وَقَصَمَ الظُّهُورُ، وَشَيَّبَ السُّودَ مِنَ الشُّعُورِ؛ وَجَرَّعَ كُثُوسَهُ،
وَصَدَّعَ الحَوَازَةَ المَحْرُوسَةَ؛ وَذَلِكَ بِمَا قَدَّرَ اللهُ تَعَالَى مِنْ أُنْتِقَالِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ السَّعِيدِ،
الشَّهِيدِ؛ وَالدُّمُولَانَا السُّلْطَانِ - خَلَّدَ اللهُ مُلْكَهُ - إِلَى رَحْمَتِهِ وَرِضْوَانِهِ: فَأَجْرَى المَمْلُوكُ
عِوَضَ الدَّمُوعِ دَمًا، وَأَقَامَ الإِسْلَامَ وَالمُسْلِمِينَ عَلَيْهِ مَأْتَمًا، وَتَغَيَّرَ البَدْرُ المُنِيرُ لِفَقْدِهِ
فَأَمْسَى مُظْلِمًا؛ وَنَدَبَهُ الإِسْلَامُ فِي سَائِرِ مَحَارِبِهِ وَمُصَلَّاهُ، وَأَسْفَ عَلَيْهِ البَيْتُ الحَرَامُ
وَرُكَّاهُ (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ): (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ).

لَمَّا دَخَلَ النَبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المَدِينَةَ، أَشْرَقَ مِنْهَا ذَلِكَ اليَوْمَ كُلُّ شَيْءٍ، وَيَوْمَ
قُبِضَ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَثْبَتَ النَّاسِ يَوْمَ
وَفَاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ الخَلِيفَةُ مِنْ بَعْدِهِ؛ وَمَوْلَانَا السُّلْطَانُ الشَّهِيدُ - قَدَسَ
اللهُ رُوحَهُ - كَانَ مُتَشَرِّفًا بِأَسْمِ نَبِيِّهِ، وَمُتَبَرِّكًا فِي ذُرِّيَّتِهِ الشَّرِيفَةِ بِذِكْرِ سَمِيهِ؛
وَلَوْ ذَابَتِ المَهْجُ أسْفًا عَلَيْهِ لَمَّا أَنْصَفَتْ، وَقَدْ أَسْفَتْ عَلَيْهِ الأُمَّمُ بِأَسْرِهَا وَحَقَّ لَهَا
أَنْ أَسْفَتْ؛ نَبَتَتْ لِحُومِنَا مِنْ صَدَقَاتِهِ، وَغَمَّرَتِ المَمْلُوكَ وَالمَمَالِكَ مَجْزَلَاتُ هِبَاتِهِ؛
وَمَا نُقِلَ مِنْ قَصْرِهِ إِلَّا إِلَى جَنَاتِ النِّعِيمِ، وَمَا فَارَقَ مُلْكَهُ إِلَّا وَبَاتَ فِي جِوَارِ
اللهِ الكَرِيمِ؛ وَكَانَ سُلْطَانَنَا وَهُوَ اليَوْمَ عِنْدَ اللهُ سُلْطَانًا، فَسَقَى اللهُ عَهْدَهُ صَوْبَ
الرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ.

وَبِحَمْدِ اللهِ قَدْ جُبِرَتِ القُلُوبُ المُتَصَدِّعَةُ بِجُلُوسِ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ - خَلَّدَ اللهُ مُلْكَهُ -
عَلَى تَحْتِ السَّلْطَنَةِ المَعْظَمَةِ وَاللهِ مَعَهُ، وَمَا جَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ المَلِكِ إِلَّا أَهْلُهُ، وَلَا قَامَ
بِأَمْرِ المُسْلِمِينَ إِلَّا مَنْ عُلِمَ فَضْلُهُ؛ وَمَوْلَانَا السُّلْطَانُ وَارِثُ المَلِكِ النَّاصِرِيِّ المَنْصُورِ

حقاً ، والقائمُ بِشأنِ السلطنةِ غرباً وشرقاً ؛ وخُلَاصَةُ هذا البَيْتِ الشريفِ زاده الله
 نصرًا ، وأدام مُلكَهُ دَوَامًا مُسْتَمِرًّا ؛ والعُيونُ الباكِيةُ قد قَرَّتِ الآنَ بهذهِ البُشرى ،
 والقُلُوبُ الثَّاكِلَةُ قد مِلَّتْ بِهَجَّةٍ : (إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا) واستَقَرَّ الإسلامُ بعدَ قَلْقِهِ ،
 ونَامَ على جَفْنِهِ بعدَ أَرْقِهِ ؛ وأستقبلتِ الأُمَّةُ عامًا جَدِيدًا ، وسلطانًا مَنْصُورًا سَعِيدًا ؛
 وأستبشرتِ القِبْلَتَانِ ، وتَنَاجَى بالمَسْرَةِ الثَّقَلَانِ ؛ والَّذِينَ كَفَرُوا أَمْسَوْا خَائِبِينَ ، والَّذِينَ
 آمَنُوا أَصْحَوُا فَرِحِينَ (هُوَ الَّذِي آيَدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ) ومَوْلَانَا السلطانُ هو العَرِيقُ
 في سلطنةِ الإسلامِ ، والإمامُ الأعظمُ ابنُ الإمامِ ؛ نَخَلَّدَ اللهُ مُلكَهُ مادَامَتِ الأيامُ ،
 وأحسَنَ عَزَاءَهُ في خَيْرِ سُلْطَانِ الأَنَامِ ؛ وآبَهَلتِ الألسنةُ بالترحمِ على مولانا السلطانِ
 الشهيدِ - قَدَسَ اللهُ رُوحَهُ - بدموعِ سائلِهِ ، وقُلُوبِ موجوعةِ بِجِرَاحَاتِ النِّبَاحَاتِ
 ثم عَوَّضُوا بالمَسْرَاتِ الكَامِلَةِ ؛ والدعاءُ مرفوعٌ لمولانا السلطانِ - خَلَّدَ اللهُ مُلكَهُ -
 برًا وبحرًا ، والبلادُ مُطْمَئِنَّةٌ والعساكرُ على ما يَجِبُ مِنَ التَّمَسُّكِ بالطاعةِ الشريفةِ ،
 والتشريفِ بإقبالِ دَوْلَةِ سُلْطَانِهِمْ ، ووارثِ سُلْطَانِهِمْ ؛ وكان المملوكُ يودُّ لو شاهدَ مولانا
 السلطانِ - خَلَّدَ اللهُ مُلكَهُ - على ذلكِ السَّرِيرِ والمِنْبَرِ ، وقَبْلَ الأَرْضِ بينَ يَدَيْ المَوَاقِفِ
 المُعْظَمَةِ والمَقَامِ الأَكْبَرِ ؛ إن شاء اللهُ تعالى .



وهذه نسخة جوابٍ عن وُرُودِ المِثَالِ الشريفِ بِرُكُوبِ السلطانِ بالمِيدَانِ ، والإذنِ
 للنُّوَابِ في لَعِبِ الكُرَّةِ ، وهى :

ويُنْهِى وُرُودَ المِثَالِ الشريفِ شَرَفَهُ اللهُ تعالى وَعَظْمَهُ ، يتضمن الصَّدَقَةَ التى
 أُجْرَتْ أولِيَاءَهَا على أَجَلٍ عَادِيَةٍ مِنَ الأَحْتِفَالِ ، والمَرَاحِمِ الشاملةِ التى وَسَّعَتْ لهم
 كَرَمَهَا سَافِرَةٌ عن أَوْجِهِ الإقبالِ ، والبُشرى التى جَمَعَتْ من أنواعِ المَسْرَاتِ ما بلغته

الآمال ؛ وهو أن الركب الشريف استقل إلى الميدان السعيد نهار السبت في كذا من شهر كذا : في أسعد طالع ، وأمين وقت مطاوع ؛ وفي الخدمة الشريفة من الأمراء - كثرتهم الله تعالى - من جرت العادة بهم من كل كمي مقنع ، قد لبس من الطاعة برداً وبالإخلاص تدرع ؛ وأمتطى من فائض الصدقات الشريفة صهوة سابق قد شمر للسبق ذبيلاً ، وفر كبرق لمع ليلاً .

وأن مولانا السلطان - خلد الله ملكه - طلع عليهم طلوع البدر عند الكمال ، وحوله الممالك الشريفة كالأنجم الزاهرة التي لا تعد ولا تُسبى بمثال ؛ والحياد لا يرى لها أثر من الرخص ، والكثرة تشرف بالصوبجان كما تشرف بالتقيل الأرض ؛ وعاد الركاب الشريف - زاده الله شرفاً وعظمه - إلى القلعة المنصورة ، إلى محل المملكة الشريفة ، وفي دست السلطنة المعظمة ؛ محفوفاً من الله تعالى بلطفه (له معقبات من بين يديه ومن خلفه) .

وما اقتضته الآراء الشريفة ، والمراحم المطيفة ؛ وآثرت به إعلام المملوك بذلك ، والمرسوم الشريف - شرفه الله تعالى وعظمه - أن يتقدم المملوك بالزول إلى ميدان فلانة المحروسة ، ومعه ممالك مولانا السلطان - خلد الله تعالى ملكه - والأمراء ؛ فقابل المملوك هذه الصدقات ، بتقيل الأرض ورفع الدعوات ؛ وجمعوا بين الكثرة والصوبجان ، وحصل لهم من المسرات ما لا يحصره بيان ؛ وأنبسطت نفوسهم إذ أصبحوا في أمن وأمان ، وأبتهلوا إلى الله تعالى بدوام هذه الأيام التي نوتعتهم بأنواع الإحسان ؛ وضحوا بالأذعية لمولانا السلطان - خلد الله ملكه - التي عمّت مواهبه وفاق بمكارمه الماضين ، وأربنى على سلفه الشريف بالعطاء والتمكين ، جعل الله أعداءه تحت قهره إلى يوم الدين ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة جواب بوفاء النيل المبارك، كتب به عن نائب طرابلس، وهي :

وِيْنِي وَرُودَ الْمَثَالِ الشَّرِيفِ - شَرَّفَهُ اللهُ تَعَالَى وَعَظَّمَهُ - الَّذِي أَشْرَقَتْ أَنْوَارُ
تَهَانِيهِ، وَتَأَلَّقَتْ بُرُوقُ أَلْفَاظِهِ وَمَعَانِيهِ، فَبَشَّرَتْ بِفَيْضِ فَضْلِ الرَّحْمَةِ، وَعَمُومِ الرِّعَايَا
بِتَوَاتُرِ عَمِيمِ النَّعْمَةِ، وَوَفَاءِ النَّيْلِ الْمُبَارَكِ الَّذِي مَا بَرِحَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الزَّاهِرَةِ يَفِي
بِعَهْدِهِ، وَيَسْلُ سَيْفَ الْحَضَبِ مِنْ غَمِّهِ، وَيَقْتُلُ الْمَحَلَّ بِحُمْرَةِ مَتْنِهِ وَجَوْهَرَ حُدَّةِ،
مُهَنَّاً لِلْأَوْلِيَاءِ بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ الَّتِي أَصْبَحَتْ قُلُوبُهُمْ مُطْمَئِنَّةً بِالْأَمْنِ وَالرِّخَاءِ، مَسْرُورَةً
بِمَا مَنَّ اللهُ بِهِ مِنْ تَرَادُفِ الْآلَاءِ وَعُمُومِ النِّعَمَاءِ، وَحَالَ مَا وَرَدَ الْمَرْسُومِ الشَّرِيفِ
- شَرَّفَهُ اللهُ تَعَالَى وَعَظَّمَهُ - بِأَدْرَ الْمَمْلُوكِ إِلَى آمْتَالِ الْمَرْسُومِ الشَّرِيفِ بِتَقْيِيلِ الْأَرْضِ
وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَأَخَذَ كُلَّ حَظَّهُ مِنْ هَذِهِ الْبُشْرَى، الَّتِي عَمَّتْ تَهَانِيهَا بَرًّا وَبِحَجْرًا،
وَجَعَلَتْ أُمُورَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَيْنَ بَرَكَةِ هَذِهِ الْأَيَّامِ الشَّرِيفَةِ بَعْدَ عُسْرِ يُسْرًا، وَقَدْ عَادَ
فَلَانُ الْبَرِيدِيِّ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ بِالْجَوَابِ الشَّرِيفِ، طَالِعَ بِذَلِكَ
إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .



آخر في المعنى :

وِيْنِي وَرُودَ الْمَثَالِ الشَّرِيفِ زَادَهُ اللهُ عُلُوًّا وَشَرَفًا، وَبَيَّضَ لَهُ فِي الْقِيَامَةِ صُحُفًا،
يَتَضَمَّنُ أَنْوَاعَ الْإِنْعَامِ الْجَزْبِلِ، وَابْتَدَأَ آثَارَ السُّرُورِ بِمَا يَسَّرَ اللهُ مِنْ وَفَاءِ النَّيْلِ،
فَأَشْرَقَتْ أَنْوَارُ تَهَانِيهِ، وَتَأَلَّقَتْ بُرُوقُ أَلْفَاظِهِ وَمَعَانِيهِ، فَبَشَّرَتْ بِفَيْضِ فَضْلِ الرَّحْمَةِ،
وَعَمُومِ الرِّعَايَا بِتَوَاتُرِ عَمُومِ النَّعْمَةِ، إِذْ جَاءَ مُجِيَّاهُ فِي هَذَا الْعَامِ طَلْقًا، وَسَلَّكَ فِي عَوَائِدِ
الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ طُرُقًا، وَاذن ببلوغ المرام والمراد، وكسر سد خليجه جبراً للعباد

والبلاد، حيث ملأ الأرض ريباً، وأهدى من نَفَحَاتِ الأَمْنِ والمنَّ ريباً، والمرسوم الشريف - شَرَّفَهُ اللهُ وَعَظَّمَهُ - بأن لا يُجْبَى على ذلك حقُّ بشاره، ولا يُتَعَرَّض إلى أحدٍ بَحْسَارِهِ، فقابل المملوك المِثَالَ الشريفَ والمرسومَ الشريفَ بتقبيل الأرض والسَّمْعِ والطَّاعَةِ، وبأدْرَ المملوكِ إلى إِذَاعَةِ هذه البُشْرَى، التي عَمَّتْ تَهَانِيهَا برأ وبجراً، وجعلت أمورَ هذه الأُمَّةِ بَيْنَ بَرَكَةِ هذه الأيامِ الشريفةِ بعد عُسْرِ يُسْرًا، وأَسْتَنْطِقِ الأَلْسِنَةَ بالدُّعَاءِ لهذه الدَّوْلَةِ القَاهِرَةِ، وَجَلَّا وَتَلَّا صُورَ الهِنَاءِ وَسُورَ الآلَاءِ بهذه النِّعْمَةِ الوَافِيَةِ والمِنَّةِ الوَافِرَةِ، وسأل الله تعالى أن يُخَلِّدَ مُلْكَ مولانا السلطان، وَيُوَالِي أُنْبَاءَ البِشَائِرِ فِي أَيَّامِهِ الشريفةِ مَرْوِيَّةً بالأَسَانِيدِ الحِسانِ، وقد عاد فلان البريدي بالأبواب الشريفة - شَرَّفَهَا اللهُ تعالى وَعَظَّمَهَا - بهذا الجواب الشريف، وقد عَينَ أَتَهَالِ أَهْلَ هذه المملِكةِ الفُلَانِيَةِ بالدُّعَاءِ بدوام هذه الأيامِ الزَاهِرَةِ السَّاتِرَةِ بهذه البِشَائِرِ بِخَلْوِهَا من الكُفِّ والحَسَارَةِ، طالع بذلك . إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة جوابٍ عن مثال شريف بوصول فرسٍ إنعام، كُتِبَ به عن نائب طرَابُلُس، وهي :

يَقْبَلُ الأَرْضَ وَيُنْهِى وَرُودَ المرسومِ الشريفِ أعلاه اللهُ تعالى وشرفه، يتضمن ما أقتضته الآراء الشريفة من الخَيْرِ التَّامِّ، والإِنْعَامِ العَامِّ، والصَّدَقَةِ الوَافِيَةِ الوافرة الأقسام، التي ما بَرِحَتْ ممالك هذه الدَّوْلَةِ الشريفة في إنعامها العميم تَتَقَلَّبُ . وَالخَيْلِ السَّوَابِقُ بسعادتها الأبدية يُجَلَّبُ وَيُجَنَّبُ وَتُرَكَّبُ : من تجهيز الحِصَانِ البرقي بسرجه ولجامه وعدته الكاملة، وشُمُولِ المملوكِ بالصَّدَقَاتِ التي ما بَرِحَتْ مُتَرَادِفَةً مُتَوَاصِلَةً، ولعَبْدِ هذا البَيْتِ الشريفِ شامله، وقَبْلِ المملوكِ الأَرْضَ وقَبْلَ حَوَافِرِهِ، وأَعْتَدَّ

بهذه النعمة الباطنة والظاهرة؛ وأعدّه ليومئ تجلّ وجهه، وإلقاء عدو وطراد؛ والله تعالى يتخذ هذه الصدقات الشريفة التي ما برحت تشمل القريب والبعيد، والموالي من أولياء هذه الدولة الشريفة والعييد؛ طالع بذلك، إن شاء الله تعالى.



وهذه نسخة جواب عن وصول خيل من الإنعام السلطاني، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي.

ويُنهي وصول ما أنعم به من الخيل التي وجد الخير في نواصيها، ويتخذ صهواتها حصوناً يعتصم في الوغى بصياصيها.

فمن أشهب غطاءه النهار بجلته، وأوطاه الليل على أهله؛ يتموج أديمه رياً، ويتأرجح رياً، ويقول من استقبله في حلي لحامه: هذا الفجر قد طلع بالثرياً؛ إن أنفلت في المضايق أنساب أنسيلب الأيم، وإن أنفجرت المسالك مر مرور الغيم؛ كم أبصر قارسه يوماً أبيض بطلعته، وكم عاين [طرف] ^(٣) الأسنان مقاتل العدو في ظلام النقع بنور أشعته؛ لا يستن داحس في مضماره، ولا تطمع الغبراء في شق غباره، ولا يظفر لآحق من لحاقه بسوى آثاره؛ تسابق يده مرامي طرفه، ويذكر شوارد البروف ثانياً من [عطفه] ^(٣).

ومن أدهم حالك الأديم، حالي الشكيم، له مقلّة غانية وسالفة ريم؛ قد ألبسه الليل برده، وأطلع بين عينيه سعده؛ يظن من نظر إلى سواد طرته، وبياض حجوله

(١) في "حسن التوسل" (ص ٩٩) «وأذخرت».

(٢) في "حسن التوسل" (ص ٩٩) إن «ألقت المضايق» وهي أوضح.

(٣) بياض بالأصل والتصحيح من "حسن التوسل" (ص ٩٩).

وَعُرَّتِهِ ؛ أَنَّهُ تَوَهَّمُ النَّهَارَ نَهْرًا نَخَاضَهُ ، وَالْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ نُقْطَةً مِنْ رَشَاشِ تِلْكَ الْمَخَاضَةِ ؛
لِيَنَّ الْأَعْطَافَ ، سَرِيعُ الْأَنْعَاطِ ؛ يُقْبِلُ كَاللَّيْلِ ، وَيَمْرُجُ كَالْمُودِ [صَخْرٍ] ^(١) حَطَّهُ السَّيْلُ ؛
يَكَادُ يَتَسَبَّقُ ظِلَّهُ ، وَمَتَى جَارَى السَّهْمَ إِلَى غَرَضٍ بَلَغَهُ قَبْلَهُ .

وَمِنْ أَشَقَرٍ : وَشَاهُ الْبَرْقُ بِلَهْبِهِ ، وَغَشَّاهُ الْأَصِيلُ بِذَهَبِهِ ؛ يَتَوَجَّسُ ^(٢) مَالِدِيَهُ بِدَقِيقَتَيْنِ ،
وَيَنْفِضُ وَفَرْتِيَهُ عَنْ عَقِيقَتَيْنِ ، وَيَنْزِلُ عِدَارُ الْجَامِهِ مِنْ سَالِفَتِيهِ عَلَى شَقِيقَتَيْنِ ؛ لَهُ مِنَ
الرَّيْحِ لَوْنُهَا ، وَمِنَ الرَّيَاحِ لِينُهَا ؛ إِنْ جَرَى فَبَرْقٌ خَفَقَ ، وَإِنْ أَسْرَعَ فَهِلَالٌ عَلَى شَفَقٍ ؛
لَوْ أَدْرَكَ أَوَائِلَ حَرْبِ بَنِي وَائِلٍ لَمْ يَخُنْ لِلْوَجِيهِ وَجَاهَهُ ، وَلَا لِلنَّعَامَةِ نَبَاهَهُ ، وَلَكَّانَ
تَرَكُ إِغَارَةَ [سَكَابِ لَوْمًا وَتَحْرِيمِ بَيْعِهَا سَفَاهَةً] ^(٣) يَرْكُضُ مَا وَجَدَ أَرْضًا ، وَإِذَا آعْرَضَ
بِهِ رَاكِبَهُ بِحَرًّا وَثَبَّ عَرْضًا .

وَمِنْ كَمَيْتٍ نَهْدٌ ، كَأَنَّ رَاكِبَهُ فِي مَهْدٍ ؛ عِنْدِمِي الْإِهَابِ ، شَمَالِي الذَّهَابِ ؛ يَزَلُّ
[الْغَلَامُ] ^(٤) انْحَلْفَ عَنْ صَهْوَاتِهِ ، وَكَأَنَّ نَعْمَ الْغَرِيضِ وَمَعْبِدٍ فِي لَهْوَاتِهِ ؛ قَصِيرِ الْمَطَا ،
فَسِيحِ الْخَطَا ؛ إِنْ رَكِبَ لَصَيْدٍ قَبْدَ الْأَوَائِدِ ، وَأَعْجَلَ عَنِ الْوُثُوبِ الْوَحْشِ اللَّوَابِدِ ؛
وَإِنْ جُنَّبَ إِلَى حَرْبٍ لَمْ يَزُورْ مِنْ وَقْعِ الْقَنَاءِ بَلْبَانِهِ ، وَلَمْ يَشْكُ لَوْ عَلِمَ الْكَلَامَ بِلِسَانِهِ ،
وَلَمْ يُرْدُونَ بُلُوغَ الْغَايَةِ سَوْهَى ظَفَرُ رَاكِبِهِ - ثَانِيًا مِنْ عِنَانِهِ ؛ وَإِنْ سَارَ فِي سَهْلٍ آخْتَالَ
بِصَاحِبِهِ كَالثَّمَلِ ، وَإِنْ أَصْعَدَ فِي جَبَلٍ طَارَ فِي عِقَابِهِ كَالْعُقَابِ وَأَنْحَطَ فِي مَجَارِيهِ

(١) بياض بالأصل ، والتصحيح من "حسن التوسل" (ص ٩٩) .

(٢) في "حسن التوسل" « يتوخش » .

(٣) بياض بالأصل ، والتصحيح من "حسن التوسل" .

(٤) الزيادة عن "حسن التوسل" .

(٥) في الأصل « ومقبل » والتصحيح عن "حسن التوسل" .

(٦) في الأصل « سريع » والتصحيح عن " » » .

كالوعل ، متى ما ترقَّ العينُ فيه تسهل ، ومتى أراد البرقُ مجاراته قال له الوقوفُ
عند قدره : ما أنت هناك فتمهل .

ومن حبشيٍّ أصفر يروقُ العين ، ويسوقُ القلبُ بمشابهته العين ، كأن الشمسَ
أثمت عليه من أشعتها جلالاً ، وكأنه نقر من الدجى فاعتنق منه عرفاً واعتلق أحجالاً ،
ذى كفلٍ يزِينُ سرجه ، وذليلٌ يسدُّ إذا استدبرته منه فرجه ، قد أطلعتَه الرِّياضةُ
على مُرادِ فارسيه ، وأغناه نضار لونه ونضارته عن ترصيع قلائده وتوشيع ملابسه ،
له من البرقِ خفةٌ وطئه وخطفه ، ومن النسيمِ لينٌ مروره ولطفه ، ومن الريحِ هزيرها
إذا ما جرى شأوين وأبتلَّ عطفه ، يطير بالغمز ، ويذكرُ بالريضةِ مواقع الرمز ،
ويعدو كالفِ الوصلِ في استغناءٍ مثلها عن الهمز .

ومن أخضر حكاه من الروضِ تفويفه ، ومن الوشيِ تقسيمه وتأليفه ، قد كساهُ
النهارُ واللَّيلُ حلتى وقارٍ وسنا ، وأجتمع فيه من السَّوادِ والبياضِ ضدانٍ لما استجمعا
حسناً ، ومنحه البازي حلةً وشبهه ، ونحلتَه الرياحُ ونسأتها قوةً ركضه وخفةً مشيه ،
يمطيك أفانين الجرى قبل سؤاله ، ولما لم يسأقه شيءٌ من الخيلِ أغراه حبُّ الظفرِ
بسابقته خياله ، كأنه [تفاريق] شيب في سوادِ عذار ، أو طلائعُ فجر خالط بياضه
الدجى ، فما سبجى ، وما زجَ ظلامه النهار ، فما أثار ، يمتأل لمشاركة اسم الجرى بينه
وبين الماءِ في السيرِ كالسَّيل ، ويدلُّ بسبقه على المعنى المشتركِ بين البروقِ اللوامعِ

(١) في الأصل « العين » والتصحيح من « حسن التوسل » .

(٢) في الأصل « طروقه » والتصحيح عن « » « » .

(٣) الزيادة عن « حسن التوسل » .

وبين البرقية من الخيل ؛ ويكذب [المانوية^(١)] لتولد اليمن فيه بين إضاءة النهار وظلمة الليل .

ومن أبلق ظهره حرم ، وجريه ضرم ؛ إن قصد غاية فوجود الفضاء بينه وبينها عدم ، وإن صرف في حرب فعمله ما يشاء البنان والعنان وفعله ما تريد الكف والقدم ؛ قد طابق الحسن البديع بين ضدّي لونه ، ودلت على اجتماع النقيضين علة كونه ؛ وأشبه زمن الربيع باعتدال الليل فيه والنهار ، وأخذ وصف حلتى الدجا في حالتى الإبدار والسرار ؛ لا تكلم منا كبه ، ولا يضل في حجرات الجيوش راكبه ، ولا يحتاج ليله المشرق بجاورة نهاره إلى أن تسترسل فيه كوا كبه ؛ ولا يجاريه الخيال فضلاً عن الخيل ، ولا يملئ السرى إلا إذا مله مشبهاه : النهار والليل ؛ ولا تمسك البروق اللوامع من لحاقه بسوى الأثر فإن جهدت فبالذيل ؛ فهو الأبلق الفرد ، والجواد الذى لمحاريه العكس وله الطرد ؛ قد أغتته شهرة نوعه في جنسه عن الأوصاف ؛ وعدل بالرياح عن مباراته لسلو كها له في الاعتراف جادة الإنصاف .

فترقى المملوك إلى رتب العز من ظهورها ، وأعدتها لخطبة الجنان إذ الجهاد عليها من أنفيس مهورها ؛ وكلف برگويا فكلما أكله عاد ، وكلما أمله شرة إليه فلو أنه زيد الخيل لما زاد ؛ ورأى من آدابها مادد على أنها من أكرم الأصائل ، وعلم أنها ليومى سلمه وحربه جنة الصائد وجنة الصائل ؛ وقابل إحسان مهديها بثنائه ودعائه ؛

(١) بياض بالأصل ، والتصحيح عن "حسن التوسل" (ص ١٠٠) .

(٢) كذا في "حسن التوسل" وفي الأصل «زبد البحر والخيل» .

(٣) كذا في "حسن التوسل" وفي الأصل «جنة للصائل وجنة للصائل» .

(٤) في الأصل «الصدقات الشريفة» والتصحيح عن "حسن التوسل" (ص ١٠٠) .

وَأَعَدَّهَا فِي الْجِهَادِ مُقَارَعَةَ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَأَعْدَائِهِ [وَاللَّهُ تَعَالَى يُسَكِّرُ بِهِ الَّذِي أْفْرَدَهُ
فِي النَّدَى بِمَذَاهِبِهِ، وَجَعَلَ الصَّافِنَاتِ الْجِيَادَ مِنْ بَعْضِ مَوَاهِبِهِ^(١)].

المهيعة الثاني

(من مقاصد المكاتبات السلطانية ما يُكْتَبُ بِهِ عَنْ نُوَّابِ
السُّلْطَانِ وَالْأَتْبَاعِ إِلَى السُّلْطَانِ أَبْتِدَاءً)

وهو على أنواع كثيرة، نذكر منها ما يَسْتَضِيءُ بِهِ الْكَاتِبُ فِي شَيْءٍ .
فَمِنْ ذَلِكَ مَا يُكْتَبُ عَنْ نَائِبِ كُلِّ مَمْلُوكَةٍ إِذَا وَصَلَ إِلَى مَحَلِّ وِلَايَتِهِ .

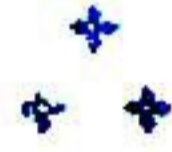
قد جرت العادة أن النائب إذا وصل إلى مملكته ومقر ولايته، كتب إلى السلطان
يُخْبِرُهُ بِذَلِكَ وَبِمَا الْمَمْلُوكَةُ عَلَيْهِ .

وهذه نسخة مكاتبة من ذلك، كُتِبَ بِهَا عَنْ نَائِبِ حَبَّ فِي مَعْنَى ذَلِكَ، وَهِيَ:
يُقْبَلُ الْأَرْضَ وَيُنْهَى أَنْ الْمَمْلُوكِ وَصَلَ إِلَى الْمَمْلُوكَةِ الْفُلَانِيَةِ الْمَحْرُوسَةِ، وَحَلَّ مَحَالَهَا
الْمَأْنُوسَةَ، الَّتِي شَمِلَتْهُ الصَّدَقَاتُ الشَّرِيفَةُ بِكَفَالَتِهَا، وَأَهْلَتْهُ الْمَرَاحِمُ الْمُنِيفَةُ لِإِبَالَتِهَا،
رَافِلًا فِي حُلِّ الْإِنْعَامِ الشَّرِيفِ، مُتَفِيئًا ظِلَّ الْعِزِّ الْوَرِيفِ، صُحْبَةً فُلَانٍ مُسْفِرِهِ،
وَدَخَلَهَا يَوْمَ كَذَا مِنْ شَهْرِ كَذَا لِأَيْسَاءِ تَشْرِيفِهِ الشَّرِيفِ الْمُنْعَمِ بِهِ عَلَيْهِ، مَا شِئًا لِمَحَلِّ
الْكَرَامَةِ الَّذِي سَارَ إِلَيْهِ، [بِحَضُورِ مَنْ جَرَّتْ الْعَادَةُ بِحَضُورِهِ]^(٢) مِنْ قُضَاةِ الْقُضَاةِ
وَالْأَمْرَاءِ وَالْمُجْتَابِ، وَالْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ وَالْأَصْحَابِ، عَلَى أَجْمَلِ الْعَوَائِدِ، وَأَكْمَلِ

(١) الزيادة عن "حسن التوسل" (ص ١٠٠).

(٢) زيادة مأخوذة من نسخة الكتاب التالية وهي من سقط النسخ.

القواعد؛ وقبّل الأرض بباب القلعة المنصوره، ودخل دار العدل الشريف وقطوف
 الأماني له مهصوره؛ وقري بها بحضرة أولياء الدولة تقليده، وعظم المراسم الشريفة
 تأييده؛ وتصدى لما نصبت له المراسم الشريفة من إنصاف المظلوم، وتنفيذ كل مهم
 شريف ومرسوم؛ وتصفح أحوال المملكة، وسلك كل أحد مسلكه؛ واستجابت
 الأدعية لمولانا السلطان، واجتهد في حياة البلاد ممن يمد إليه شيطان المفسدين
 بأشطان؛ وانتظم له أمر المملكة بالمهابة الشريفة أحسن انتظام، وبلغ به كل ولي
 من قهر العدو غاية المرام؛ وقد أعاد المملوك فلاناً مسفره إلى خدمة الأبواب الشريفة
 مزاح الأعدار، مبلغ الأوطار؛ على العادة - طالع بذلك - ولا زال منه مزيد الشرف
 والعلو، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة كتاب في المعنى إلى الأبواب السلطانية عن نائب طرابلس، وهي :

يقبّل الأرض وينهى أنه وصل إلى طرابلس المحروسة مغموراً بالصدقات
 الشريفة، والإنعامات المطيفة؛ صعبة مملوك مولانا السلطان فلان خلد الله تعالى
 ملكه، وألبس شريفه الشريف، وقري تقليده الشريف بدار العدل، وقبّل الأرض
 مراراً على العادة . وتقدم المملوك بالحلف الشريف على النسخة المجهزة صعبة المشار
 إليه من الأبواب الشريفة عظمها الله تعالى؛ بحضور من جرت العادة بحضوره :
 من قضاة القضاة والأمراء، وكتب خطه عليها؛ وانتصب المملوك نخلص الشريف،
 وإزالة المظالم؛ ونشروا العدل الشريف، ليتصف المشروف من الشريف،
 وينزجر القوى عن الضعيف؛ وأتباع الحق في القضايا، واستجلاب الأدعية بدوام
 هذه الدولة العادلة من الرعايا؛ وربّ أمور الآزك المنصورة على أكمل عادة وأجمل

قاعدة؛ وقد عاد فلان إلى الأبواب الشريفة، شرفها الله تعالى وعظّمها، لينهى بين يدي الأيادي المعظمة ما عاينته من المملوك من إخلاصه في الطاعة الشريفة ومغالاته. طالع بذلك. إن شاء الله تعالى.

ومن ذلك ما يكتب به في التهنئة بالخلافة :

أما التهنئة بالخلافة، فقد قال في "موادّ البيان" : من الأدب المستفيض ترفيه الخلفاء عن الهناء والعزاء، إيجاباً لهم وتعظيماً. إلا أننا رأينا ذوى الأخطار من القدماء قد شافهوهم بالعزاء مسلين، وبالهناء داعين؛ وربما دُفِعَ الكاتب إلى صحبة رئيس يقتضى محله أن يهنئ الخليفة بمتجدد النعم لديه، ويعزّيه لمتطرق النوايب إليه؛ فاحتيج إلى أن يرسم في هناء الخلفاء وعزائهم ما يجتدئ عليه، عند الحاجة إلى استعمال مثله.

وهذه نسخة تهنئة بالخلافة، أوردتها في "موادّ البيان" وهي :

أولى النعم - خلد الله ملك مولانا أمير المؤمنين - بأن تنطق بها السنن الذاكرين
يضع عطرها، وبتناقلها أفواه الشاكرين يفوح نشرها - نعمة إيلانه في خلافته
التي جعلها ذنحاً للأنام، وعصمة للإسلام، وحاجراً بين الحلال والحرام؛ وقواماً
للائتلاف والاتفاق، وزماماً عن الاختلاف والافتراق؛ ونظاماً لصالح الخاصة
والعامه، وسبيلاً إلى اجتماع الكلمة وسكون الأمة؛ وسبباً لحقن الدماء، ودعة
الدّهماء، ومجاهدة الأعداء؛ وإقامة الصلوات، وإيتاء الزكوات؛ والعمل بالفرائض
والسنن، وحسم البدع والفتن؛ وعدقها بالأخيار ورثة نبيه وعترته، والأبرار الطهرة
من أرومة رسوله وشجرته؛ الذين نصبهم دعاة إلى طاعته، وهداة لبريته، وأعلاماً
لشريعته؛ يأمرون بالمعروف ويأثمرون، وينهون عن المنكر ويتهون، ويقضون

بالحقّ وبه يعدّون ؛ وكلّما لحقّ منهم سلفٌ بمقرّ أوليّته ، أقام خلفاً يختصّه بانتخابه
وتكرّمته .

والحمد لله الذى قصرَ خلافته على أمير المؤمنين وآبائه ، وجعل منهم الماضى الذى
كانت مفوضةً إليه ، والآتى الذى أقرت عليه ؛ وأنجز لهم ما وعدّهم من إبقاء الإمامه ،
فى عقبيهم إلى يوم القيامة ؛ وأستخلص لها فى عصرنا هذا وليها الحامى لحقيقتها ،
المرامى عن حوزتها ، المعزّ لكلمتها ، الرافع لرايتها ، المحدّد لحدودها ، الحافظ لعقودها ،
وسلم قوساً منه إلى باريها ، وناطها بكفئتها وكافيتها ؛ وأفضى إليه بشرف الولادة
والأبوة ، وميراث الإمامة والنّبوة ؛ وألف به بين القلوب الآبية ، وجمع عليه النفوس
النائية ، وأتفقت الآراء بعد تباينها وتنافيها ، وتطابقت الأهواء على اختلافها وتعاديتها ،
وأستدت ثلثة الدين بعد أنشغالها ، وأطمأنت الدّهماء بعد نفاورها ، حمداً يكون لنعمة
كفاء ، ولموهبته جزاء .

وخلافة الله وإن كانت الغاية التى لا تنزع الهمم إليها ، ولا تتطّلع الأمانى عليها ؛
لأختصاص الله بها صفوته من بريته ، وخالصته من أهل بيت نبيه وعترته ؛ فإن أمير
المؤمنين يتعاضم عن تهنئته بوصولها إليه ، وسبوغ ملابسها عليه ؛ إذ لا يسوغ أن يهنأ
بإدراك ما كتب الله له أن يدركه بأقلام الأقدار ، على صفحات الليل والنهار ؛ والعبّد
يسأل الله تعالى ضارِعاً إليه فى إنهاض أمير المؤمنين بما حمّله وكلفه ، وتوفيقه فيما
كفّله وأستخلفه ؛ وأن يُمكّن له فى الأرض ، ويعلى يده بالبسط والقبض ؛ ويمده بعزّ
السلطان ، وعلو الشان ؛ وظهور الأولياء ، وشُور الأعداء ؛ وإعزاز الدين ، وأبتراز
المُلحدّين ؛ وتقوية يده فى نُصرة الإسلام ، وسياسة الأنام ؛ ويعرف رعيته من يمن
دولته ، وسعادة ولايته ؛ بما يجمعهم على الطاعة والموافقه ، ويعصمهم من المعصية والمفارقة ؛

وَيُوقِّعُهُمْ مِنَ الْإِخْلَاصِ فِي مُوَالَاتِهِ ، لِمَا يُؤَفِّرُ حَظَّهُمْ مِنْ مَرْضَاتِهِ ؛ وَيَجْعَلُ وِلَايَتَهُ
هَذِهِ مَقْرُونَةً بِإِنْفِصَاحِ الْمُدَّةِ وَالْأَجَلِ ، وَبُلُوغِ الْمُنَى وَالْأَمَلِ ، وَصَالِحِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ؛
وَيَبْلُغُهُ فِي مَمْلَكَتِهِ وَدَوْلَتِهِ أَفْضَلَ مَا بَلَّغَهُ خَلِيفَةٌ مِنْ خَلْفَائِهِ ، وَوَلِيًّا مِنْ أَوْلِيَائِهِ .

ومن ذلك ما يكتب في الإشارة بالفتوح .

قد جرت العادة أن السلطان إذا وجه جيشاً لفتح قلعة أو قطرٍ من الأقطار
وحصل الفتح على يديه أن يكتب إلى السلطان مبشراً بذلك الفتح ، منوهاً بقدره ،
معظماً لأمره ؛ وما كان فيه : من عزيز النصر وقوة الظفر .

(١)

[فن مكتبة في البشارة بفتح حصن المرقب ، وهي] :

قد أسفر عن الفتح المين صباحه ، والتأييد وقد طار به محلّق التباشير
نخفق في الخافقين جناحه ؛ والإسلام وقد وطى هامة الكفر بمقدمه ، والدين وقد
عزّ بفتكات سيفه المنصور فأنف أن يكون الشوك من خدمه ؛ والأفلاك وقد
علمت أنه لهذا الفتح القريب كان أجتاع كواكبها ، والأملاك وقد نزلت لتشهد
أحمد النصر البدرية في صفوفها ومواكبها ؛ وحصن المرقب وقد ألقى عليه الملة
الإسلامية أشعة سعدها ، وأنجزت له الأيام من الشرف بها آماله بعد ما طال أنتظاره
لوعدها ، وأمنت الأقدار التي دلتته للإسلام أن تطاول إليه الحوادث من بعدها ؛
وقد أحاطت العلوم بأن هذا الحصن طالما شحّت الأحلام ، أن تحيل فتحه لمن
سلف من الأنام ؛ فما حدثت الملوك أنفسهم بقصده إلا وثناها المنجّل ، ولا خطبته ببذل

(١) لم يذكر المؤلف عنواناً لهذه المكتبة ، فذكرنا عنوانها بحسب ما يقتضيه المقام ليلتم الكلام .

وقد بحثنا عن هذه المكتبة في الكتب التي بأيدينا فلم نهند إليها ، غير أن الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي

قد ذكر فقرات منها في "حسن التوسل" (ص ١٠١) .

النفائس والنفوس إلا وكانت من الحرمان على ثقة ومن معاجلة الأجل وقته على وجل ؛
 وحوله من الجبال كل شاخ تهب عقاب الجو قطع عقابه ، وتقف الرياح خدماً
 دون التوقل في هضابه ؛ [وحوله من] الأودية خنادق لا تعلم منها الشهور إلا بانصافها ،
 ولا تعرف فيها الأهلة إلا بأوصافها ؛ وهو مع ذلك قد تفرط بالنجوم ، وتترطق
 بالغيوم ، وسما فرعه إلى السماء ورسا أصله في التخوم ؛ تحال الشمس إذا علت أنها
 تنتقل في أبراجه ، ويظن من سما إلى السها أنه ذبالة في سراجيه ؛ فكم من ذى جيوش
 قد مات بفضه ، وذى سطوات أعمل الحيل فلم يفز من نظره على البعد بفرصه ؛
 لا يعلوه من مسمى الطير سوى نسر الفلك ومرزومه ، ولا يرمق متبرجات أبراجه غير
 عين ثمسه والمقل التي تطرف من أنجه ؛ وقد كان نصب عليه من المجانيق ما سهامه
 أنفذ من سهام الجفون ، وخطراته أسرع من لحظات العيون ؛ لا يحاطب إلا بوساطة
 رسله بضمير الطلاب ، ولا يرى لسان سهمه إلا كما ترى خطفات البرق إذا تالق
 في علو السحاب ؛ فزلت عليه الجيوش نزول القضاء ، وصدمته بهممها التي تستعير
 منها الصوارم سرعة المضاء وروعة الانتضاء ؛ فنظرت منه حصناً قد زرر عليه الجو
 جيب غمامه ، وأفتقر ثغره كما جذب عنه البرق فاضل لثامه ؛ فتدللت صعا به ،
 وسهلت عقابه ؛ وركرت للجنوبات (؟) في سفحه وطالما رامت الطير أدناه فلم تقو عليه
 القوادم ، وكم همت العواصف بتسم رباه فأصبحت مخلقة تبكي عليها الغمام ؛ فضرب
 بينها وبين الحصن بسور باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، ونصبت فوقه
 من الأسنة ثغور براقه الثنايا ولكنها غير عذاب ؛ فعاد ذلك السفع مصفحاً بصفاحها ،

(١) في الأصل «ففى الأودية» والنصح من «حسن التوسل» .

مُشْرِقًا بِأَعْلَامِ أَسِنَّةِ رِمَاحِهَا؛ فَأَرْسَلَتْ إِلَى أَرْجَائِهَا مَا أُرْبَى عَلَى الْغَمَائِمِ، وَزَادَ فِي نَفْسِهِ
عَلَى النَّمَائِمِ .

وَكَانَ بِهَا مِثْلُ الْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ * وَمِنْ جُثِّ الْقَتْلِ عَلَيْهَا تَمَائِمُ!

وَنُصِبَتْ عَلَيْهَا الْمَجَانِيقُ فَلَمْ تَرَعْ حَقَّ جِنْسِهَا؛ وَسَطَّتْ عَلَيْهَا فَأَصْبَحَ غَدُّهَا فِي التَّحَامِلِ
أَبْعَدَ مِنْ أُمْسِهَا، وَأَسْتَنْهَضَتْهَا الْعِدَا فَأَعْلَمَتْهُمْ أَنَّهَا لَا تُطِيقُ الدَّفَاعَ عَنْ غَيْرِهَا بَعْدَ أَنْ
عَجَزَتْ عَنْ نَفْسِهَا؛ وَبَسَطَتْ أَنْفَهَا أَمَارَةً عَلَى الْإِذْعَانِ، وَرَفَعَتْ أَصَابِعَهَا: إِمَّا إِجَابَةً
أَنْ تَدُلَّ لِلتَّشْهَدِ وَإِمَّا إِنَابَةً إِلَى طَلَبِ الْأَمَانِ؛ نَخَافُ الْعِدَا مِنْ ظُهُورِ هَذَا الْأَسْتِظْهَارِ،
وَعَلِمُوا أَنَّ الْمَجَانِيقَ خُحُولٌ لَا تَثْبِتُ لَهَا الْإِنَاثُ الَّتِي عَرِيَتْ مِنَ النَّفْعِ بِأَيْدِيهِمْ فَاسْتَعَانُوا
عَلَيْهِنَ مَعَ الْعِدَا بِطُولِ الْخِدَارِ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ غَدَّتْ تَكْمُنُ كُمُونِ الْأَسَاوِدِ وَتَثِبُ وَتُوبِ
الْأَسْوَدِ، وَتُبَارِي بِهَا الْحُصُونُ السَّمَاءَ فَكَلَّمَا قَدَفَتْ هَذِهِ بَكَوَا كِبَا النَّيْرَةِ قَدَفَ هَذَا
بَكَوَا كِبَا السُّودِ؛ وَلَمْ يُكْسِرْ لَهُمْ مَنَجْنِيقٌ إِلَّا وَنَصَبُوا آخَرَ بِمَكَانِهِ، وَلَا فِطَعَتْ لِأَحَدٍ
إِصْبَعٌ إِلَّا وَصَلَ الْآخِرُ بِنَانِهِ؛ فَظَلَّتْ تَتَحَارَبُ بِمِثْلِ الْكِبَاهِ، وَتَتَحَامَلُ تَحَامِلَ الرَّمَادِ؛ حَتَّى
لَقِحَتْ وَفَسَّحَتْ لِلرِّضَا بِمَجَالًا، وَمَالَتْ وَمِيلَ فِيهَا وَكَذَلِكَ الْحَرْبُ تَكُونُ بِمَجَالًا .

هَذَا وَالنُّقُوبُ قَدْ دَبَّتْ فِي بَاطِنِهِ دَيْبُ السَّقَامِ، وَتَمَشَّتْ فِي مَفَاصِلِهِ كَمَا تَمْشِي
فِي مَفَاصِلِ شَارِبِهَا الْمُدَامِ؛ وَحَشَّتْ أَضَالِعَهُ نَارًا تُشْبِهُ نَارَ الْهَوَى: تُحْرِقُ الْأَحْشَاءَ
وَلَا يَبْدُو لَهَا ضِرَامٌ؛ قَدْ دَاخَلَتْ مَرْسَلَةَ الْوَجَلِ، فَتَحَقَّقُوا حُلُولَ الْأَجَلِ؛ وَعَلِمُوا
أَنَّ هَذَا الْفَتْحَ الَّذِي تَمَادَتْ عَلَيْهِ الْأَيَّامُ قَدْ جَاءَ يُسْعَى إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى عَجَلٍ، وَأَيُّقَنَ
الْحِصْنَ بِالْإِتِّظَامِ فِي سِلْكِ الْمَالِكِ الشَّرِيفَةِ فَكَادَ يُرْقِصُهُ بَيْنَ فِيهِ فَرَطُ الْجَدَلِ؛ وَزَادَ

شَوْقُهُ إِلَى التَّشْرِيفِ وَيَا صَبَابَةً لَوْ سَمَّهَا وَأَسَمَّهَا مُشْتَقٌّ لَكِنَّهُمْ أَظْهَرُوا الْجَلْدَ ، وَأَخْفَوْا
ضِرَامَ نَارِ الْجَزَعِ وَكَيْفَ تَخْفَى وَقَدْ وَقَدْ ، وَتَدَقَّقَتْ إِلَيْهِمُ الْجُيُوشُ فَمَلَأَتْ الْأُفُقَ ،
وَأَحَاطَتْ بِهِمْ إِحَاطَةَ الطُّورِ بِالْعُنُقِ ، وَنَهَضَتْ إِلَيْهِمْ مُسْتَمِدَّةً مِنْ عَزَمَاتِ سُلْطَانِيهَا ،
مُسْتَعِدَّةً لِاتِّزَاعِ أَرْوَاحِ الْعِدَا عَلَى يَدَيْهَا مِنْ أَوْطَانِهَا ، فَانْقَطَعَتْ بِهِمُ الظُّنُونُ ،
وَدَارَتْ عَلَيْهِمُ رَحَى الْمُنُونِ ، وَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمُ الْمَجَانِيقُ أَحْجَارَهَا (فَوْقَ الْحَقِّ وَبَطْلَ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) وَحَطَّتْ بِسَاحَتِهَا عِقْبَانُ تِلْكَ الْأَحْجَارِ ، فَهَدَمَتِ الْعِمَارَ وَالْأَعْمَارَ ،
وَأَجْرَتْ فِي أَرْجَائِهَا أَنْهَارَ الدَّمَاءِ فَهَلَكُوا بِالسَّيْفِ وَالنَّبْلِ وَالنَّارِ ، وَتَحَكَّمَتْ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ
فِي أَهْلِ التَّثَلُّيْتِ فَبَدَّلُوا بِالْخَوْفِ مِنْ أَمْنِهِمْ ، وَهَرَبُوا مِنْهَا إِلَى مَخَابِلِ حِصْنِهِمْ .

ولما ركب الأهل للزحف في جيوشه التي كاثرت البحر بأواجه ، تزلزل الحصن
لشدته ركضه ، وتضعضع من خوف عصبانه فليحت سماءه بأرضه ، وتخلت قواعد
ماشيد من أركانه فأنحلت ، وألقت الأرض ما فيها وتخلت ، ومشت النار من تحتهم
وهم لا يشعرون ، ونفخ في الصور بل في السور فإذا هم قيام ينظرون ، وما كان
إلا أن قابلت العساكر ذلك البرج حتى أهوى يلثم التراب ، وتادب باداب الطاعة
فخررا كعما وأناب ، فهاجمتهم الجيوش مهاجمة الخوف ، وأسرعت المضاء والانتضاء
فلم تدر العدا : أ هم أم الذين في أيمنهم السيوف التي تسبق العدل . وثبت منهم
من لم يجد وراءه مجالاً فلجئوا إلى الأمان ، وتمسك دنيء كفرهم بعزة الإيمان ،
وتسبثوا بساحل العفو حتى ظنوا أنهم أحيط بهم وجاءهم الموج من كل مكان ،
وسألونا أن يكونوا لنا من جملة الصنائع ، وتضرعوا في أن نجعل أرواحهم لسيوفنا
من جملة الودائع فتصدق عليهم بأرواحهم كرماً ، وظلوا على معنى الحديث النبوي :

يَرُونَ الْمَمَاتَ يَقْظَةً وَالْحَيَاةَ حُلْمًا وَأَطْلَقْتَهُمُ الْيَدَ الَّتِي لَا يَنْجِبُ لَدَيْهَا الْآمِلُ ، وَأَعْتَقْتَهُمُ
الْيُمْنَى الَّتِي فَجَّاجُ الْأَرْضِ فِي قَبْضَتِهَا : فَتَى تَشَاءُ تَجْمَعُ عَلَيْهِمُ الْأَنَامِلُ ، وَخَرَجُوا بِنُفُوسٍ
قَدْ تَجَزَّدَتْ حَتَّى مِنْ الْأَجْسَامِ ، وَمُقَلِّ طَلَّقَتِ الْكِرَاخُونَ مِنَ الصُّوَارِمِ الَّتِي تَسْلُهَا
عَلَيْهِمُ الْأَحْلَامُ ، وَسَطَّرَتْ وَالْمَدِينَةُ قَدْ تُسَمُّ أَعْلَاهَا ، وَشِعَارُ الْإِيمَانِ قَدْ جَرَّدَهَا مِنْ لِبَاسِ
الْكُفْرِ وَأَعْرَاهَا ، وَالْأَعْلَامُ قَدْ سَلَكَتْ إِلَى ذَلِكَ الْحِصْنِ أَعْلَى مَرْقَى ، وَالسَّعَادَةُ
قَدْ بَدَلَتْ بَيْعَهُ مَسَاجِدَ وَتَحَارِيْبَهُ قِبْلَةً وَكَانَتْ شَرْقًا ، فَأَصْبَحَ يَرْفُلُ فِي حُلِّ الْإِيمَانِ .
وَأُذِنَ بِالطَّاعَةِ فَأَحْرَسَ جَرَسُ الْجَرَسِ بِهِ صَوْتُ الْأَذَانِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

[ومن ذلك] ما يكتب به في التعازي إلى الخلفاء .

وقد تقدم في الكلام على التهنئة بولاية الخلافة ، أنه كما ينبغي أن لا يهنا الخليفة
بالخلافة إعظامًا ، فكذلك ينبغي أن لا يعزى في مصابه . إلا أنه ربما دعت ضرورة
الكتاب إلى ذلك : لإكرام بعض أخصاء الخليفة إياه بالكتابة بذلك إلى الخليفة .
ولا يخفى أن الحال في ذلك تختلف باختلاف المعزى : هي والد أو ولد أو غيرها .

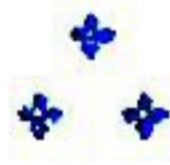
[وهذه نسخة مكتوبة في معنى ذلك] ذكرها في "مواد البيان" وهي :^(١)

أما بعد . فإن الله تعالى جعل خلافته خلقه قوامًا ، ولبريته نظامًا ، وجعل له
خلفاء يدخروهم لمراثيها ، ويختصهم بتراثها ، فإذا انقضت مدة ماضيهم : لما يريد الله
من آستدائه إلى مقر خلاصته ، نقلها إلى نوره بأصطناعه وأصطفائه .

والحمد لله الذي قصر خلافته على أمير المؤمنين وآبائه ، وجعل منهم زعيمهم
الماضي الذي كانت بيديه موارثها ، والآتي الذي صار إليه [تراثها] .

(١) بياض بالأصل ، والنصح يقتضيه المقام .

والحمد لله الذي ختم لأمر المؤمنين المنتقل إلى دار الكرامة بأفضل الخاتم ،
وأحسن له الجزاء عن السعي في الأمة ؛ وأنعم باستخلاص أمير المؤمنين لإمامة خليفته ،
وحياطة سريته ، وحماية بلاده ، وسياسة عبادته ؛ ولوراثته تراث آباءه وأجداده ؛
وجعل الماضي منهم مرضياً عنه ، والآتي مرضياً به ؛ وأعتدت الرعية من عدل
أمير المؤمنين ما جبر كسرهما في خليفته ، وصبرهما في رزيتيه ؛ وهو المسئول أن يلهمه
على المصيبة في سلفه الظاهر صبراً ، وعلى ما أخلفه عليه في تأهيله لخلافته التي
لا كفاء لها شكراً ؛ بمنه وفضله إن شاء الله تعالى .



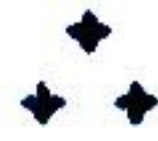
(١) [وهذه نسخة كتاب في التعزية أيضا] وهي :

إن الله خص أمير المؤمنين بما هو أهله من خلافته ، وعظم محله بما نصبه له
من إمامة بريته ؛ وجعله عماداً لأهل الإسلام تجتمع عليه أهواؤهم ، وتسكن إليه
أملاؤهم ؛ ويصلح به دينهم ودنياهم ، ويستقيم به أمر أولاهم وأخراهم ؛ فإذا أسبغ
نعمة من نعمه عليه ، وظاهر موهبة من مواهبه لديه ؛ شركوه فيها ، ونهضوا معه
على الشكر عليها ؛ وإذا ابتلاه ببليته ، وأمتحن صبره برزيه ؛ أخذوا بالنصيب العظيم
من الحادث ، والحظ الجسيم من الكارث ؛ [و] ما أفردوه بثواب الله فيها وما جعله
جزاء من الأجر عليها .

وإن الله تعالى كان أعار أمير المؤمنين من ولده فلان - رضي الله عنه - عارية
من عواريه ، وبلغه من الاستمتاع بها ما احتسب من أمانيه ؛ ثم استرجعها ليثقل بها
ميزانه ، ويضاعف إحسانه ؛ ويجعلها له ذخراً ، ونوراً يسعى بين يديه وأجراً ، فعظم

(١) بياض بالأصل . والنصح يقتضيه المقام .

بذلك المصائب على رعيته، وكبر الرزء على أهل دعوته، لما كانوا يرجونه من سُكون القلوب، ونقع الخطوب، واستقرار قواعد الخلافة، وشمول الرحمة والرافة، وقد حصل أمير المؤمنين على نعيم كثيرة من موهبته وثوابه في استعادته، وحصل كافة خاصته على القلق لفقده، والأسى من بعده، وقد جعله الله تعالى صلاح كل فساد، وثقاف كل مياد، ومهيظ كل رحمه، وطريق كل نعمه، وهو خليق بأن يظهر من صبره، ورضاه بقضاء الله وتسليمه لأمره، ما يبعث على التأسي به، والتأدب بأدبه، والله تعالى يحسن لأمر المؤمنين الخلف، ويعوضه أحسن العوض في الموتف، ويوفر حظّه من الثواب، ويعظم له الأجر على المصائب، ويريه في أوليائه وأحبابه، أعظم محابه وغاية آرايه، وينقل المنقول إلى إيوان الكرامة والاحتفاء، بأفاضل الأجداد والآباء، بفضلِهِ ورحمته، إن شاء الله تعالى .



[وهذه] نسخة كتاب : كُتِبَ به إلى الأبواب السلطانية عند فتح (آياس)

قاعدة بلاد الأرمن وأتباعها من أيديهم ، وهي :

يُقبل الأرض وينهى أن ليلة الانتظار أطلعت صباحها، ومواعيد الآمال بعثت على يد الإقبال نجاحها، والعساكر المنصورة جردت رابع ربيع الأول بمدينة آياس صفاحها، وأوردت إلى الصدور رماحها، فلم يكن إلا كتمج البصر، ولسان صدق القتال قائل : بأن الجيش الناصري قد انتصر، وأنقضى ذلك النهار، بإيقاد نار حرب الحصار، على أبراج وأسوار، أديرت على المينا كما أدير المعصم على السوار، فما أشرق

(١) كان الأولى ذكر هذه المكاتب مع المكاتب التي ذكرت في البشارة بالفنوح، إذ لامناسبة في ذكرها



صَبَّاحُ الصَّفَاحِ وَوَلَّاحُ ، إِلا والأعلام النَّاصِرِيَّةِ عَلَى قُلَّةِ القَلْعَةِ مَائِسَةً الأَعْطَافِ مِنَ
الأَرْتِيَّاحِ ؛ مُعَلِّنةً أَلْسِنَتُهَا بِحَى عَلَى الفَلَّاحِ وَحَى عَلَى النَّجَّاحِ ، وَعِزُّ الإِسْلَامِ يُقَابِلُ ذُلَّ
الكُفْرِ : بِهَذَا النَّصْرُ وَهَذَا الأَفْتِتاحُ ، وَجَمْعُ الأَرْمَنِ المَلَّا تَفَرَّقَ ما بَيْنَ قَتْلِ وَأَسِيرِ
وَأَتْرَاحِ ؛ وَلَعِبَتْ أَيْدِي النِّيرانِ فِي القَلْعَةِ وَجَوَانِبِهَا ، وَتَفَرَّقَتْ مِنَ الأَسْوَارِ أَعْضَاءُ
مَنَّاكِهَا ، وَنَطَقَ بالأَقْدَارِ لِسَانُ النَّارِ : هَذِي مَنَازِلُ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ .

ثمَّ أُنْقَلَتِ المُحَاصِرَةُ إِلَى القَلْعَةِ البَحْرِ ، وَضَمَّ الأَرْمَنِ المَلَّا إِلَيْهَا سَيْفُ القُدْرَةِ والقَهْرِ ؛
وَهَذِهِ القَلْعَةُ عَرُوسٌ بَكْرٌ فِي سَمَاءِ العِزِّ شَاهِقَةٌ ، لَمْ يَسْبِقْ لِأَحَدٍ مِنَ المُلُوكِ الأَوَائِلِ إِلَى
خِطْبَتِهَا سَابِقُهُ ؛ قَدْ شَمَخَتْ بِأَنْفِهَا ، وَنَاتَ بِعِطْفِهَا ؛ وَتَاهَتْ عَلَى وَامِقِهَا ، وَغَضَّتْ عَيْنَ
رَامِقِهَا ؛ فَهِيَ فِي عُقَابِ لَوْحِ الجَوْكَالطَّائِرِ ، وَسَوْرَها البَحْرُ وَالجَمْرُ فَلَا يَكادُ يَصِلُ
إِلَى وَكْرِها النَّاطِرِ ؛ وَقَدْ أُوثِقَتْ بِمِخْلَقَاتِ الحَدِيدِ ، وَقِيدَتْ كَأَنَّها عَاصِيَةٌ تُسَاقُ بالأَصْفَادِ
إِلَى يَوْمِ الوَعِيدِ ؛ فَأرْسَلَ عَلَيْها المُنْجِنِيقُ عُقَابَهُ ، وَأَعْلَقَ بِها ظُفْرَهُ وَنَابَهُ ؛ فَكشَفَ
مِنْ شُرْفَاتِها شَنَبَ ثَغْرِها ، وَسَقَّها بِأَكْفِ أَسْهِمِهِ كُئُوسَ حِجَارَةٍ فَتَمَّيَلَتْ مِنْ شِدَّةِ
سُكْرِها ؛ وَفَضَّ مِنْ أَبراجِها الصَّنَادِيقَ المُقْفَلَةَ ، وَفَصَّلَ مِنْ أَسْوَارِها الأَعْضَاءُ
المُتَّصِلَةَ ؛ فَتَرَزَّلَ عَمْدُها ، وَزِيلَ عَنْ مَكَانِهِ جَلْمُدُها ؛ وَعَلَتِ الأَيْدِي المُرَامِيَةَ بِها ،
وَعُلَّتِ الأَيْدِي المُحَامِيَةَ عَنْها ؛ وَأَشَدَّ مَرَضُها مِنْ حَرارةِ وَهْجِ الحِصَارِ ، وَضَعِفَتْ قُوَّتُها
عَنْ مَقاومَةِ تِلْكَ الأَحْجارِ ؛ وَلَمْ يَبْقَ عَلَى سُورِها مِنْ يَفْتَحُ لَهْ جَفْنًا ، وَشَنَّ المُنْجِنِيقُ
عَلَيْها غارَتَهُ إِلَى أَنْ صارتُ شَنابًا ؛ فَأرْسَلَ إِلَيْها مِنْ سَمَاءِ غَضَبِهِ رُجُومًا ، وَوَالَى ذَلِكَ
عَلَيْها سَبْعَ لِيالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ؛ فبادرتُ إِلَى الطَّاعَةِ وَأَسْتَسَلِمْتُ ، وَكَرَّرَ نَحْوُها
رُكُوعَهُ فَسَجَدَتْ ؛ وَرَكِبَتْ الجِيُوشُ المَنْصُورَةَ عِوَضَ الصَّافِنَاتِ المُجَجِّجِ ، وَسَمَّحَتْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا بِالمُهْجِ ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ سارَعَ أَهْلُها إِلَى التَّعَلُّقِ بِأسبابِ الهَرَبِ ،

وكان نحراب قلعة المينا هذى لنحراب قلعته من الحرب، وأحرقوا كبدها من أيديهم
بنار الغضب، وأنزحوا منها ليلاً، وجروا من الهزيمة ذبيلاً، وتسلمها المسلمون،
وتحسر عليها الحسرة الكبرى الكافرون، وهدمت حجراً حجراً، وصاحقت بجهتها وجه
الثرى، وأعدمت من الوجود عناً وأثراً، فما أعجب هذا الفتوح وأغرب!،
وما أحلى ذكره في الأفواه وما أعذب!!، وما ألد حديثه في الأسماع وما أطرب!!،
وما أسعد هذا الجيش الناصري وما أنجب!!! .

بُشْرَاكَ بُشْرَاكَ هَذَا النَّصْرُ وَالظَّفَرُ * هَذَا الْفَتْوحُ الَّذِي قَدْ كَانَ يُنْتَظَرُ!
فَتْحٌ مُبِينٌ وَنَصْرٌ جَلٌّ مَوْقِعُهُ * سَارَتْ بِهِ وَلَهُ الْأَمْلاكَ وَالْبُشْرُ!
عَجَائِبٌ ظَهَرَتْ فِي فَتْحِهِ بَهْرَةٌ * لَمْ تَأْتِ أَمْثَالَهَا الْأَيَّامُ وَالسَّيْرُ!
لَوْ كَانَ فِي زَمَنِ مَاضٍ بِهِ نَزَلَتْ * فِي وَصْفٍ وَقَعْتِهِ الْآيَاتُ وَالسُّورُ!
هَذِي أَيْاسُ الَّتِي قَدْ عَزَّتْ جَانِبَهَا * وَعَزَّتْ خَاطِبُهَا حَتَّى أَتَى الْقَدْرُ!
جَاءَتْ إِلَيْهَا جُيُوشٌ كَمِهَا أَسَدٌ * يَبِضُّ الصَّفَاحَ لَهَا الْأَنْيَابُ وَالظَّفَرُ!
جَيْشٌ لَهَا كَبَحْرِ زَاحِرٍ لَجِبٌ * إِذَا سَرَى لَا يُرَى شَمْسٌ وَلَا قَمَرُ!
يَسِيرُ بِالنَّصْرِ أَنَّى سَارَ مُتَّجِهَاً * مَا زَالَ يَقْدُمُهُ التَّأْيِيدُ وَالظَّفَرُ!
جَيْشٌ لَهُ اللَّهُ وَالْأَمْلاكَ نَاصِرَةٌ * مَلِيكُهُ نَاصِرٌ لِلدِّينِ مُتَّصِرُ!
يَوْمَ الْحَمِيمِ رَأَيْتُ الْخَيْلَ حَامِلَةً * عَلَى رُءُوسِ عُدَاةٍ هَامِهَا أُكْرُ،
وَقَلْعَةَ الْبَحْرِ كَانَتْ آيَةً لَهُمْ * فَعَنْ يَسِيرٍ فَأَضْحَتْ لِلْوَرَى عِبْرُ!
كَانَتْ بِأَفْقِ سَمَاءِ الْعِزِّ شَاهِقَةً * أَبْرَاجُهَا بِأَسْقَاتِ خَرَّتْهَا خَطْرُ!

فَرَكَبَ الْمُسْلِمُونَ الْبَحْرَ بَازِلَةً * أُرْوَاهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَذَخِرُ،
لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَمِيرٌ وَلَا وَلَا مَلِكٌ * يَا وَيْ قَوْمًا مَقَرًّا إِلَى أَنْ مُدَّتِ الْجَسْرُ!
وَعَجَّلَ اللَّهُ بِالْفَتْحِ الْمُبِينِ لَهُمْ * هَذَا الْفَتْوحُ الَّذِي تُوْفِي لَهُ النَّذْرُ
يَرْضَى بِهِ اللَّهُ وَالْإِسْلَامُ قَاطِبَةً * وَشَاهِدُ الْقَوْلِ فِيهِ الْعَيْنُ وَالْأَثَرُ!

تم الجزء الثامن . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء التاسع

وأوله القسم الثاني

(من مقاصد المكاتبات الإخوانيات)

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين ، وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل